جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الآداب

برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

تحولات الأيديولوجيا والسياسة في الحركة الوطنية الفلسطينية:

الكتيبة الطلابية نموذجًا

The Ideological and Political Transformations of the Palestinian National Movement: The Students' Battalion as a Model

رسالة مقدمة لاستكمال مطالب الحصول على درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة بكلية الآداب في جامعة بيرزيت

إعداد الطالب

ساري عرابي خليل طه

1115452

إشراف: **د. عبد الرحيم الشيخ**

الفصل الثاني

2014/2015

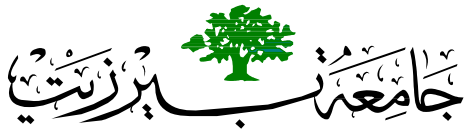

BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الآداب

برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

تحولات الأيديولوجيا والسياسة في الحركة الوطنية الفلسطينية:

الكتيبة الطلابية نموذجًا

The Ideological and Political Transformations of the Palestinian National Movement: The Students' Battalion as a Model

إعداد الطالب

ساري عرابي خليل طه

1115452

لجنة المناقشة

د. عبد الرحيم الشيح

د. منير فخر الدين

د. نديم مسيس

رسالة مقدمة لاستكمال مطالب الحصول على درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة بكلية الآداب في جامعة بيرزيت

الفصل الثاني

2014/2015

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الآداب

برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

تحولات الأيديولوجيا والسياسة في الحركة الوطنية الفلسطينية:

الكتيبة الطلابية نموذجًا

The Ideological and Political Transformations of the Palestinian National Movement: The Students' Battalion as a Model

إعداد الطالب

ساري عرابي خليل طه

1115452

إشراف: **د. عبد الرحيم الشيخ**

تاريخ المناقشة: 18/5/2015

أعضاء لجنة النقاش:

د. **عبد الرحيم الشيخ (رئيسًا)**.....

د. **منير فخر الدين (عضوًا)**.....

د. **نديم مسيس (عضوًا)**.....

رسالة مقدمة لاستكمال مطالب الحصول على درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة بكلية الآداب في جامعة بيرزيت

الفصل الثاني

2014/2015

الإهداء

إلى أبي رحمه الله، وأمي حفظها الله.. وأختَيَ: خلود ورغدة.. وأخي فضل.. وزوجتي أمل

إلى إخواني الشهداء

إلى رفاق الأسر

إلى المرابطين في أنفاقهم وخنادقهم.. على الثغور وفي كمائنهم

إلى أصدقاء العمر، ورفاق المحنة، وإخوة الدرب، الذين غمروني بسخاء نفوسهم وحسن ظنهم وعظيم كرمهم.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتي في برنامج الماجستير للدراسات العربية المعاصرة، وفي مقدمتهم أستاذي المشرف على الرسالة، الدكتور عبد الرحيم الشيخ، الذي أفادني معرفيًا، ووقف إلى جانبي في كل الظروف الصعبة التي مررت بها، حتى أنجزت هذا العمل، فكان الأستاذ والصديق والأخ الكبير.

ثم لكل من الدكتور منير فخر الدين والدكتور نديم مسيس، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة.

وللدكتورة رنا بركات التي أبدت اهتمامًا لافتًا لدفعي من أجل إنجاز هذه الرسالة.

وشكري للزملاء والأصدقاء الأعزاء الذين شاركوني هم الإنجاز أو ساعدوني في إحضار المصادر والوثائق وتصويرها:

بلال شلش، وأحمد أسعد، وخالد الزوواي، وسميح حمودة، ومن القدس أنس قاسم وأحمد الحروب، ومن الأردن نوار ثابت وأحمد قطناني وخلدون فحماوي، ومن لبنان: ياسر علي.

وللأصدقاء الذين ساعدوني في الترجمة: معتز عصفور، ومن لبنان: سحر المصري وشفيق الزعتري.

وللأصدقاء الذين ناقشت معهم أفكار الرسالة، وأبدوا اهتمامًا كبيرًا لإنجازها، وفي طليعتهم الصديق عوني فارس.

وللصديق نديم حمودة صاحب مكتبة دار الفكر برام الله، وللصديقين علاء قرعان وعامر عوض الله من مكتبة البيرة العامة.

وللزميلتين لوزية وقسم اللتين تابعتا بعض الإجراءات النهائية المتعلقة بنقاش الرسالة.

وشكري للأخت المجاهدة عطاف عليان التي أفادتني كثيرًا حول تجربة سرايا الجهاد الإسلامي.

لقد ذلل لي هؤلاء الإخوة والأخوات العقبات التي فرضها العدو أمامي، والذي لاحقني طويلاً، ومنعني من السفر، وحال بيني وبين القدس.

وأخص الأستاذ المناضل معين الطاهر، قائد الكتيبة الطلابية؛ بوافر الشكر، وعظيم الامتنان، على ما وفره لي مما لزمني من نصوص ووثائق، سواء نص كتابه "الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة" والذي صدر أثناء عملي على الرسالة ولم أتمكن من الحصول على نسخته المطبوعة فأمدني بالنسخة المخطوطة منه، أو المواد الأخرى اللازمة لإنجاز الرسالة، وإجاباته المستمرة على أسئلتي.

وكذلك أتوجه بالشكر للدكتور سعود المولى، الذي أفادني حول بعض قضايا التيار وتجربته، والشاعر عصام السعدي أحد أصحاب التجربة، والدكتور بشير نافع الذي قدم لي ملاحظات نافعة.

وأولاً وأخيرًا شكري الذي لا ينقطع لأمي نادية.. وزوجي أمل

ملخص

تتناول هذه الدراسة بالعرض والتحليل تجربة تيار يساري داخل حركة فتح، غلب عليه الاسترشاد ببعض مفاهيم ومقولات الزعيم الشيوعي الصيني ماوتسي تونغ، وتمايز بنظرية وممارسة عن مجمل التيار اليساري داخل فتح، وقد امتدت هذه التجربة لبنانيًا منذ العام ١٩٧٢ وحتى خروج الثورة الفلسطينية من لبنان في العام ١٩٨٢، ثم انبثق عنها بعد ذلك توجه إسلامي جهادي، عرف باسم "سرايا الجهاد الإسلامي" كان له دور هام في تفعيل الأحداث داخل الأرض المحتلة وصولاً إلى الانتفاضة الفلسطينية الأولى. كما كان له دور هام في دعم وإسناد وإنضاج المجموعات الإسلامية الجهادية الأولى. وقد أطلقت الدراسة على مجمل التجربة اسم "تيار الكتيبة الطلابية"

والكتيبة الطلابية هي الطليعة المقاتلة للتيار، بيد أن التيار أوسع من ذلك، وتمثل في عدد من الروافد الفلسطينية واللبنانية والعربية وغير العربية، وعدد من الشخصيات والرموز، والأجهزة والمؤسسات ومواقع العمل داخل أطر حركة فتح، مع علاقة خاصة بالتنظيم الطلابي لحركة فتح في لبنان، الذي انبثقت عنه تجربة "السرية الطلابية" التي خاضت مرحلة الحرب الأهلية اللبنانية، ثم تحولت فيما بعد إلى كتيبة مقاتلة داخل قوات العاصفة التابعة لحركة فتح وعرفت بـ "الكتيبة الطلابية"، أو بـ "كتيبة الجرمق"، ورابطت في الجنوب اللبناني، وخاضت معاركها مع قوات سعد حداد الموالية للعدو الصهيوني، ومع القوات الصهيونية في اجتياح العام ١٩٧٨، وغزو العام ١٩٨٢، ونظمت فيما بعد مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الصهيوني للبنان، وعايش بعض مقاتليها ظروف "الانشقاق- الانتفاضة" في العام ١٩٨٣، وحصار طرابلس، وحرب المخيمات.

ومن الأطر التي شكلت واحدة من أنوية التيار، نشاط بعض منتسبيه في لجنة التنظيم داخل القطاع الغربي في حركة فتح، وهو النشاط الذي نظم العديد من أعمال المقاومة داخل الأرض المحتلة، ثم راكم على هذه الخبرة والتجربة في إطلاق مشروع "سرايا الجهاد الإسلامي" التي ساهمت مساهمة فاعلة في تطوير الأحداث والدفع بها نحو الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

تقوم الدراسة بتتبع جذور التيار منذ دخول الثورة الفلسطينية الأردن، وما نجم عن أحداث أيلول من تعاظم للتيار اليساري في فتح، وجدل حول تلك الأحداث والمسؤولية عن نتائجها، وانتقال إلى لبنان، ومن ثم البحث في كيفية تمايز التيار بنظريته ومقولته المتميزتين، ابتداء من الإرهاصات والملاح الأولى عبورًا بكامل التجربة من جهة النظريات التي أنتجت والممارسات التي قدمت وصولاً إلى التحول الجماعي الذي انتقل فيه عدد كبير من منتسبي التيار، ولا سيما نواته الأساسية من الماركسية اللينينة بطبعتها الماوية إلى الإسلام بأبعاده السياسية والثورية.

وفضلاً عن محاولة التعريف بالتيار، فإن الدراسة حاولت أن تضع تجربته وتحولاته في سياق تداخل المسارات التاريخي ما بين الحركة الإسلامية والتيار الوطني الفلسطيني، بيد أن المشكلة الرئيسية للدراسة كانت في التساؤل عن العوامل التي ساهمت في هذا التحول، بعد أن لاحظت الدراسة أن التحول ينطبع بسمتين أساسيتين، أنه جماعي أولاً بما ينفي أنماط الدراسة ذات العلاقة بالتحولات الناجمة عن المعاناة الفردية، وثانيًا أن هذا التحول لم يحايثه تحولات أخرى ذات طابع جماعي داخل المنظمات الفلسطينية الموجودة في لبنان، ومن

هنا افترضت الدراسة أن التحول الجماعي جاء في سياق كلي، وأن تميز التيار بالنسبة لبقية التيارات والمنظمات الفلسطينية اللبنانية انبنى على عامل ذاتي.

في السياق الكلي لاحظت الدراسة أن هذا التحول حايث الإحيائية الإسلامية التي بدأت منذ بداية سبعينات القرن الماضي، وفي العامل الذاتي لاحظت الدراسة أثر المفهوم الماوي الموسوم بـ "خط الجماهير" في مسلكية التيار ومن ثم في تحولاته، إذ كان يبحث التيار عن نظرية ثورية مشتقة من "خط الجماهير"، وقد صب "خط الجماهير" في السياق العربي الكلي الذي كشف عن نموذج مهيمن على المنطقة، أو عن معنى كلي، هو الإسلام. ولأجل ذلك حاولت الدراسة أن ترصد أهم النظريات التي اهتدى بها التيار والبحث عن صدقيتها في واقع ممارسته ومسلكيته ومقولاته السياسية.

وثمة فرضية أخرى ساهمت في صياغة منهجية الدراسة وتأطير بنية الدراسة العامة؛ وهي أهمية العوامل الصغيرة الأولية في صناعة الظواهر الكبرى بتضافرها مع غيرها من العوامل، خاصة وأن التيار صاغ نظرية سماها "العامل المساعد"، ومن هنا بحثت الدراسة في عدد من العوامل الذاتية والموضوعية التي ساهمت في تحولات التيار، كما بحثت في الإضافات التي قدمها التيار كعامل مساعد سواء في المرحلة اللبنانية أو المرحلة الإسلامية.

وتأتي أهمية الدراسة، من التأريخ أولاً لهذه التجربة الغنية والثرية والطويلة، بالرغم من أن التأريخ لم يكن غاية الدراسة بقدر ما كان كاشفًا عن نظريات الدراسة وفرضياتها، بيد أنه لم يكن بالإمكان دراسة تلك الفرضيات والنظريات واستخدام تلك المنهجية دون التعريف الوافي بالتجربة، وكذلك في إمكان الإطلال من هذه التجربة على عدد كبير من الموضوعات المتعلقة بالحركة الوطنية الفلسطينية ونضالها وتداخلاتها الإقليمية والعالمية، أو بعلاقات الدين والإيديولوجيا والماركسية، أو بالحركة الإسلامية، وقد تركت الدراسة العديد من تلك الموضوعات متاحة للتوسع فيها بالدرس المبتكر كما بينت في خاتمتها واقترحت عددًا من الموضوعات لمتابعة الدراسة، ولكن تبقى محاولة تفسير التحول، ووضعه في سياق كلي وضمن تداخل المسارات، بالإضافة إلى البحث في أثر العوامل الصغرى في صياغة التحولات الكبرى ذات أهمية خاصة.

انقسمت بنية الدراسة إلى خمسة فصول؛ في **الأول**: قدمت الدراسة إطارها النظري ومنهجيتها المعتمدة مفتتحة ذلك بمقدمة في تداخل مسارات الحركة الوطنية. وفي **الثاني**: افتتحت الدراسة موضوعة البحث بظهور الثورة الفلسطينية واستقرارها في الأردن وما نجم عن ذلك من أحداث أيلول وخروج للثورة الفلسطينية من الأردن وانتقالها إلى لبنان وكيف كانت هذه الأحداث رحمًا بدأ التيار يتشكل فيه، وقد ظهر عرضًا بالدراسة عدد هام من الفرضيات المتعلقة بأزمة النضال الفلسطيني البنوية من حيث تاريخيتها وتعلقها بالإقليم العربي وظروف استقلاله التي زامنت ظروف نكبة الشعب الفلسطيني.

وفي **الثالث**: بدأت الدراسة بالتأريخ للتجربة انطلاقًا من ظروف الوجود الفلسطيني في لبنان، وظروف الانتقال إليه من بعد الخروج من الأردن، ثم شرعت الدراسة في مواكبة مسيرة التيار منذ الإرهاصات الأولى وصولاً إلى مآلات المرحلة اللبنانية، وهذا الفصل هو الأكبر من حيث الحجم لضرورات التعريف بالتجربة، ولطول المرحلة وكثرة الحوادث التي حايثتها، وأيضًا لدمج تحليل النظريات التي أنتجت طوال هذه الفترة مع دراسة الممارسة العملية.

و**الرابع**: أخذ بدراسة تحول التيار إلى الإسلام على ضوء الفرضيات الأساسية من حيث استخدام "المعنى الكلي" كأداة تحليل، ومن ثم وضعت الدراسة في سياق تحولات المنطقة المتزامنة نحو الإسلام، ومن هنا عرضت الدراسة لظهور الإحيائية الإسلامية في مصر وعدد من الدول العربية بما في ذلك تحولات الحركة الإسلامية داخل فلسطين وتعلقها بالتحولات العربية ولا سيما المصرية منها. وأيضًا من حيث استخدام نظرية تعدد العوامل كأداة للتحليل، ومن هنا بحثت الدراسة في عوامل التحول الذاتية مثل موقع مفهوم "خط الجماهير" في تحولات التيار نظريًا في أدبيات التيار السابقة على تمام عملية التحول، وعمليًا في ممارسته السياسية ومسلكيته الثورية، والظروف الموضوعية التي أحاطت بالتيار، وأثر التحولات الدولية كذلك من قبيل تحولات المنظومة الاشتراكية إن في المحور السوفييتي أو المحور الصيني، وأخيرًا بالأثر الكبير للثورة الإسلامية في إيران. وختم هذا الفصل بدراسة تجربة ما بعد التحول، وهي تجربة "سرايا الجهاد الإسلامي". وكان **الخامس** أخيرًا: خلاصات واستنتاجات الدراسة.

Abstract

This study examines the political history of the leftist faction inside the Fatah movement through a thorough historical analysis of this faction within the larger political movement. This analysis was, in part, guided by some of the concepts and sayings of Chinese Communist leader Mao Zedong Tong, and distinguished in theory and practice from the larger left-wing political tendencies within Fatah. This thesis follows this particular leftist faction from 1972 to the exit of the Palestinian revolution from Lebanon in 1982. The Islamic Jihad movement then emanated from it, known as the “Islamic Jihad Brigades”, which played an important role in the catalyst of events within the occupied territories leading up and including the first Palestinian intifada. It also had an important role in supporting, backing and developing the first Islamic jihadist groups in Palestinian politics. The study and analysis is based on the overall experience of “student movement battalion,” the core of this leftist faction.

The student battalion was the fighting vanguard of group, but the movement was broader and was represented by a number of Palestinian, Lebanese, Arab and non-Arab supporters, including a number of personalities and figures, institutions, state apparatus and working groups within the frameworks of the Fatah movement. Fatah had a special relationship with the student organization of the Fatah movement in Lebanon, which originated from the experience of the “student secrecy” that fought in the civil war. It then turned into a fighter regiment within the “storm troopers” of the mainstream Fatah movement, and it was subsequently known as the “student battalion” or “Aljurmuk battalion”. This battalion was stationed in southern Lebanon and fought against the Saad Haddad forces, who were loyal to the Israeli occupation, and against Israeli forces invading Lebanon in 1978 and 1982. Afterwards, it organized armed resistance against the Israeli occupation of Lebanon. Some of its fighters also experienced the conditions of the 'secession-uprising ' in 1983, the siege of Tripoli, and the Palestinian camps war.

One of the cadre that formed one of the current political and active nuclei was an organization whose members were in the organization committee in the western sector of the Fatah movement. This group orchestrated many resistance operations in the occupied territories, then accumulated this expertise and experience to launch the project known as the 'Islamic Jihad companies', which actively contributed to the development of events in occupied Palestine and advanced them towards the first Palestinian intifada.

The study traced the roots of this movement beginning from the entry of the Palestinian revolution in Jordan, the September events therein which led to strengthening of the left-wing in Fatah, the controversy surrounding those events, as well as the responsibility for its results and finally its relocation to Lebanon. It also aimed to

investigate the way the movement was differentiated by its distinct theory and speech, beginning with the first signs and distinctive feature. The thesis then covers the whole experience of the faction predicated on its political theory and demonstrated practices, and, finally, follows the collective transformation of a large number of the movement's members, particularly the Marxist-Leninist hard core affiliates of the Maoist tendencies, into Islam considering its revolutionary and political dimensions.

In addition to an attempt to uncover the important and often buried political history of this group trying, this study attempted to read its experience and transitions in the context of overlapping historical pathways between the Islamic movement and the Palestinian national movement. Nevertheless, the main argument of the study revolves around the factors that contributed to this transformation, particularly after noting that this shift had key features. First, this change was collective which negated study patterns related to the transformations caused by the individual suffering. Secondly, this transformation was not matched by any other mass ideological shifts within Palestinian organizations in Lebanon. Therefore, the study assumed that this collective transformation came in full context, further highlighting the distinction of this movement in relation to other Palestinian as well as Lebanese organizations based on this subjective factor.

Considering a holistic context, the study noted that this shift corresponded with Islamic revivalism that started in the beginning of the 1970s. With regards to the subjective factor, this study noted the impact of the Maoist politics, which was called the "Masses Path", in the behavior of the movement and later in shifts in made. This political outlook and the subsequent shifts were because the group was looking for revolutionary theory derived from the "Masses Path." The "Masses Path" was cast in the larger Arab context that unveiled a model dominating the region, or revealed a sense-making whole called Islam. The study, thus, tried to monitor the most important theories that guided this movement and to examine their validity in the backdrop of the group practices, behavior and political rhetoric.

This thesis also explores another hypothesis that is revealed in the study's methodology and general framing structure. This hypothesis is the importance of small factors in the creation of major events combining with other causes, especially because the movement formulated a theory called 'catalyst'. For that reason, the study examined a number of subjective and objective factors that contributed to the group's transformation. In addition, the thesis covered the additions the movement presented whether on the Lebanese or Islamic stage.

The importance of the study grew out of the chronicling of this rich, long experience, though the chronicle was not the end of the study in so much as it was the empirical basis and revealing factor that lead to the study's theories and assumptions. Clearly, it

was not possible to examine these hypotheses and theories to establish this study's methodology without adequately defining the historical experience. Moreover, this experience could lead to a large number of future topics related to the Palestinian National Movement, its struggle and regional and global interactions, as well as shed light on relations between religion and Marxist ideology, or the Islamic movement. The study has left many of these topics for further examination as indicated in the conclusion, just as it has proposed a number of topics for further study. The thesis, however, stays true to the attempt to explain the ideological shift within the movement, placing it in the holistic context within overlapping tracks, as well as in expounding the impact of micro-factors upon the formulation of major political changes of particular importance.

The study's structure is divided into five chapters:

The first chapter covered the theoretical framework and its approved methodology beginning with an introduction about national movement tracks.

The second chapter focused on the emergence of the Palestinian revolution, its stay in Jordan that resulted in the events of September, the exit of the Palestinian revolution from Jordan, its movement to Lebanon and how all of these events shaped the faction. The study also presented a number of significant hypotheses concerning the structural crisis of the Palestinian struggle as well as its attachment to the Arab region and its conditions of independence that corresponded with the Palestinian catastrophe.

The third chapter chronicled the experience of the faction based on the circumstances of the Palestinian presence in Lebanon, and the transition conditions after leaving Jordan. It the proceeds to monitor the line of action of movement from the first signs to the consequences of Lebanese phase. This chapter is the biggest in terms of size due to the exigencies of defining the group's experience, the length of the historical stage, and the multitudes of corresponding events. It was also a primary space for integrating an analysis of the theories that were produced during this period along with the study of practice.

The fourth chapter studied the transformation of the movement to Islam in light of the basic premises in terms of the use "holistic meaning" as the analysis tool. It then placed the study in the context of the whole region's simultaneous shifts toward Islam. Towards this goal, the study presented the rise of Islamic Revivalism in Egypt and a number of other Arab countries, including the changes in the Islamic movement in Palestine and its connection to the larger Arab transformation, particularly that of Egypt, as well as the use of the theory of the multiplicity of factors as a tool for analysis. As a result, the study examines subjective transformation factors, such as the concept of the "masses path", in the movements' theoretical changes based on its previous literature, the

political practice and actual revolutionary actions, the objective and factual circumstances surrounding the movement, the impact of international shifts like those of the socialist system in the Soviet sphere or Chinese axis, and the great impact of the Islamic revolution in Iran. Finally, this chapter examines the post-transition experience, an experience that was defined by the creation of the “Islamic Jihad Brigades”.

The fifth chapter covered the general conclusions drawn from this study. This final chapter also offered up a number of questions derived from a deeper understanding of the historical experience of this faction and offered a number of suggestions for further study.

قائمة المحتويات

المقدمات	
الإهداء	ث
شكر وتقدير	ج
ملخص	ح
Abstract	ذ
قائمة المحتويات	ش
الفصل الأول: المدخل النظري: المبحث مشكلاته وبناؤه المنهجي	١- ٤٠
مقدمة: تاريخ من المسارات المتداخلة	١
أهمية الدراسة	١٢
إشكالية الدراسة	١٤
فرضية الدراسة	١٧
المنهج: مقدمة في مشكلة المنهج	١٨
في تبرير المنهج	٢٠
في منهج الدراسة، نموذجها المركب	٢١
(أ) نظرية الفوضى	٢١
(ب) مفهوم "الرؤية إلى العالم"	٢٣
(ج) في المادة التاريخية	٢٦
خلاصة في صياغة النموذج التحليلي المركب	٢٨
موقع الباحث	٢٨
صعوبات الدراسة	٢٩
مراجعة الأدبيات السابقة	٣٠
المحور الأول- أدبيات تجربة الكتيبة الطلابية	٣٠
القسم الأول- الدراسات	٣٠
القسم الثاني- المذكرات	٣١
المحور الثاني- أدبيات التحولات	٣٢
المحور الثالث- أدبيات تجربة الثورة الفلسطينية	٣٣
المحور الرابع- مسار التداخلات	٣٣

مصطلحات الدراسة ٣٤

بنية الدراسة ٣٩

الفصل الثاني: تيار الكتيبة الطلابية: في جذور النشأة **٤١– ٧٦**

أولاً– مهاد تاريخي.. ما قبل البدايات – الطريق إلى أيلول ٤١

ثانيًا– أسئلة ما بعد أيلول.. في الطريق إلى الكتيبة الطلابية ٥٥

١. جدل على هامش أيلول ٥٥

خلاصة في جدل ما بعد أيلول ٦٥

٢. الانتقال إلى لبنان ٦٥

أ. تاريخ الثورة الفلسطينية في لبنان ٦٦

ب. ما بعد الأردن.. في لبنان ٦٨

ج. لينينيو فتح ٧١

الفصل الثالث: الكتيبة الطلابية.. من الإرهاصات إلى المآلات **٧٦– ١٦٣**

١. ملامح أولى– الملمح الأول.. ما العمل؟! ٧٦

الملمح الثاني.. أول الرصاص. – أ. أحداث أيار ١٩٧٣ ..... ٧٩

ب. إلى كفار شوبا ٨٢

الملمح الثالث.. مواجهة مع الحل السلمي في معسكر مصياف! ٨٣

خلاصة الملامح الأولى ٨٦

٢. بدايات التبلور– أ. الحرب لوقف الحرب ٨٧

ب. تأسيس السرية الطلابية ٩٠

ج. خلاصة التأسيس، والأفكار الأولية، والبنية القيادية ٩٤

د. هل كانوا ماويين؟ ٩٨

الخلاصة في ماوية التيار ١٠٦

٣. عودة إلى المعارك ١٠٧

ثلاث ملاحظات أولية ١٠٧

أ. جانب من مساهمة السرية الطلابية في معارك الحرب الأهلية ١٠٨

الموقع الأول.. الشهيد الأول.. القائد الأول ١٠٨

ضمير فتح في معركة الدامور ١١٠

في عينطورة.. الخلاف حول سوريا ١١١

صنين: صمود وعملاء! ١١٣

العامل المساعد في بحمدون ١١٤

ب. النزول إلى الجنوب ١١٧
بنت جبيل: سد الثغرة على أرض التحديات ١١٧
ج. جانب من معارك الكتيبة الطلابية في مرحلتها الجنوبية الأولى ١٢٣
معركة تلة شلعبون وتلة مسعود ١٢٣
معركة الطيبة ١٢٤
معركة مارون الراس ١٢٥
د. في عين العاصفة: من دلال المغربي إلى اجتاح ١٩٧٨ ..... ١٢٥
دلال المغربي ونذر الاجتياح ١٢٥
مسار الاجتياح وقتال الكتيبة ١٢٦
هـ. ما بعد عاصفة وقبل أخرى ١٢٨
و. الاجتياح الكبير.. الخروج الكبير ١٣٢
ملحمة "الجرمق" في قلعة الشقيف ١٣٤
ز. المقاومة خلف خطوط العدو ١٣٧
عملية طريق عميق في سهل البقاع ١٤٠
عملية رويسة البلوط ١٤٠
عملية عاليه ١٤١
عملية قبر شمون ١٤١
عملية عين زحلتا ١٤٢
ح. وليس آخرًا.. الخروج والانشقاق ١٤٣
بيروت: الملحمة والمأساة ١٤٣
قتال الإخوة ١٤٤
التيار والقيادة: وجهة نظر ١٤٦
وماذا بعد "الانشقاق"؟! ١٤٩
٤. صوب الأرض المحتلة ١٥٢
٥. ملخص في الفكر والممارسة ١٥٦
أ. على مستوى الفكر ١٥٧
فلسطين والأمة العربية والكفاح المسلح ١٥٧
ب. في النظريات التأسيسية ١٦١
خط الجماهير ١٦١
ج. في المسلكية الثورية ١٦١

الفصل الرابع: التحول: من خط الجماهير إلى الإسلام **١٦٤– ٢٢٥**

١. التحولات المتزامنة ١٦٦

ملخص التحولات المتزامنة ١٧٤

٢. فلسطين: انبعاث الجهاديين ١٧٦

فتح والإخوان المسلمون: عقدان من المسارات المتداخلة ١٧٦

فلسطين في زمن التحولات ١٨٤

أ. الطريق إلى حماس ١٨٤

ب. الجماعة الإسلامية في السجون ١٨٧

ج. من الطلائع الإسلامية في مصر إلى الجهاد الإسلامي في فلسطين ١٨٩

٣. كلمة السر في إيران ١٩٦

٤. السرية الطلابية، كلمة السر: الله أكبر ٢٠٣

سرايا الجهاد الإسلامي ٢١٣

الفصل الخامس: خلاصات الإيديولوجيا والسياسة **٢٢٦– ٢٤١**

المصادر والمراجع ٢٤٢

الفصل الأول

المدخل النظري: المبحث مشكلاته وبناؤه المنهجي

مقدمة

تاريخ من المسارات المتداخلة

مثلت الحركة الوطنية الفلسطينية بتاريخها الطويل، وتجربتها الثرية، مادة خصبة لا تكاد تنفد، للبحث المبتكر، والدرس الذي يتمتع بالجدة الوافرة، وذلك لوفرة المادة في الأساس والتي اتسع لها زمن لا يزال ممتدًا، وكان كفيلاً بأن يمنح هذه الحركة الفرصة للكشف عن المزيد من التحولات بتداخلاتها الفكرية والسياسية والنضالية.

لم يقتصر ثراء الحركة الوطنية الفلسطينية على ما قدمته من تجربة نضالية، أو تحولات سياسية، أو مقولات إيديولوجية، ولكنها كانت أيضًا ثرية بأنماط التحولات التي عبرتها، وأيضًا بمستوى التداخل بين عناصر الثراء تلك، النضالية والسياسية والإيديولوجية، فلم يكن التنوع الإيديولوجي مثلاً مقتصرًا على الاصطفافات الحزبية المنفصلة داخل الحركة الوطنية، كما كان الحال مع الفصائل الماركسية في مقابل حركة فتح من بعد إعلان الكفاح المسلح في العام ١٩٦٥، أو كما هو الحال الآن في الفصائل الإسلامية في مقابل حركة فتح من بعد الانتفاضة الفلسطينية الأولى في العام ١٩٨٧، ولكنه اتصف أيضًا بالتداخل والتنوع والتراكم والتثاقف والتحول والسيولة، وعلى نحو محايث لبقية عناصر التجربة النضالية والسياسية.

فمع هزيمة العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٦٤، كانت التيارات القومية والماركسية والوطنية القطرية تنتظم صورة النضال الفلسطيني[1]، إضافة إلى التيار الإسلامي[2]، فقد اتخذ التيار القومي تمثلات أساسية، أو تمظهر في مجموعة من الاتجاهات، كان أولها اتجاه القوميين الأوائل، من محمد عزة دروزة إلى عوني عبد الهادي، ثم اتجاه حزب البعث العربي الاشتراكي، ثم الاتجاه القومي العربي ممثلاً بالاتجاه القومي الناصري، وحركة القوميين العرب، وقد شكل هذا الاتجاه الأخير، وتحديدًا حركة القوميين العرب، العمود الفقري لما عرف لاحقًا بـ "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" بقيادة جورج حبش، والتي تأسست في تشرين ثاني ١٩٦٧ من خلال فرع حركة القوميين

---

[1]. ناجي علوش، **فكر حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٤٨–١٩٨٧): نظرة عامة**، ([د.م]: [د.ن]. [د.ت]): ص١٤–ص٢٧.

[2]. لم يأت علوش على ذكر التيار الإسلامي في كتابه المذكور آنفًا، دون أن يوضح الأسباب، إلا أنه قد أشار في أماكن أخرى من كتاباته إلى دور الإسلام في فلسطين في مواجهة الاستعمار، ومن ذلك قوله: "كان وقوف بعض رجال الدين ضد الاستعمار، وفي وضع الإسلام في مقابل الاستعمار وثقافته، ومطالبة الجماهير بالعودة إلى مثله، إحياء للثقافة الإسلامية، وتأكيدًا لأهمية الإسلام فكرًا ودينًا ودنيا. وكان من نتيجة ذلك أن مارس رجال الدين نفوذًا فعالاً على الصراع في فلسطين، حتى اندمجت القيادة السياسية بالقيادة الدينية منذ الأيام الأولى للاحتلال البريطاني حتى النكبة، واتخذ «الكفاح» شكل «الجهاد».. وكانت الثقافة الإسلامية موحدة ومحرضة وحافزة على العمل."

ناجي علوش، **المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧–١٩٤٨**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠): ص٣٦.

إلا أنه وبصرف النظر عن المنطلقات الإيديولوجية لمن يؤرخ للنضال ازلفلسطيني؛ فإن هذه الدراسة تهتم وبعناية شديدة في الكشف عن تداخل التيار الإسلامي مع الحركة الوطنية الفلسطينية بما يبين أن مسارات النضال الفلسطيني قد امتدت في تاريخ هذا النضال الطويل في خطوط متداخلة لا في خطوط متوازية.

العرب الفلسطيني المعروف باسميه "منظمة شباب الثأر"، و"الجبهة القومية لتحرير فلسطين"، وبالتحالف مع "منظمة أبطال العودة"، و"جبهة التحرير الفلسطينية" بقيادة أحمد جبريل والتي انشفت لاحقًا باسم "الجبهة الشعبية– القيادة العامة" في تشرين الأول ١٩٦٨، وهو الانشقاق الذي لم يكن الأخير في تاريخ الجبهة الشعبية التي تبنت في مؤتمر آب ١٩٦٨ الاشتراكية العلمية دليلاً نظريًا لها[1] كخطوة أولى على طريق تبني الماركسية اللينينية، وهو الأمر الذي لم يكن كافيًا لمنع تصدع آخر في جسد الجبهة الشعبية والذي تأسس على ادعاءات نظرية أطلقها نايف حواتمة، وفحواها أن الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش لم تتمثل حقيقة الحزب الماركسي اللينيني، وبكلمة أخرى فإنها لم تعكس صورة اليسار الحقيقي، وقد انتهى هذا الجدل في شباط ١٩٦٩ بانشقاق "الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين"، والتي عرفت لاحقًا باسم "الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين"[2].

وأما التيار الماركسي فقد مثله الحزب الشيوعي الأردني من العام ١٩٥١ – ١٩٨٢، بعد اندماج الماركسيين في شرق الأردن مع عصبة التحرر الوطني الفلسطيني، ثم الحزب الشيوعي الفلسطيني من العام ١٩٨٢، وذلك امتدادًا للظهور الأول للحركة الشيوعية في فلسطين في العام ١٩١٩ على يد مجموعة من العمال اليهود الثوريين، وقد دفع الحزب الشيوعي الأردني ثمنًا باهظًا من رصيده الجماهيري نتيجة تبعيته للاتحاد السوفييتي، ورفضه للكفاح المسلح، وموافقته على قرار التقسيم، وموقفه المتحفظ من عبد الناصر ومشاريع الوحدة العربية، بيد أن الاتجاهات الماركسية التي تصدرت الساحة النضالية الفلسطينية كما في حالة الجبهة الشعبية أو الجبهة الديمقراطية لم تكن وليدة الحزب الشيوعي الفلسطيني، بل وليدة الاتجاه القومي الفلسطيني.

أما التيار الوطني القطري فلم يكن قد تبلور في صيغة نهائية محددة إبان الانتداب البريطاني منذ العام ١٩١٧، وذلك لافتقاره إلى الأساس الكولونيالي الذي انبنت عليه الوطنيات العربية المجاورة[3]، حينما أعيد ترسيم تركة الدولة العثمانية في المنطقة العربية بما خلق مجالات سياسية شكلتها الحدود الكولونيالية لظهور انتماءات جديدة تقوم على أساس هذه الحدود، وتمهد لظهور دول وطنية عربية جديدة، نالت اعترافًا مسبقًا من "عصبة الأمم" باستقلالها بعد أن يجري تأهيلها على يد دول الانتداب، إلا أن فلسطين التي أعيد رسمها من قبل المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، كانت الاستثناء الوحيد في هذا الاتجاه، بعد أن نص التعهد البريطاني على إقامة وطن قومي لليهود فيها، فيما عرف بوعد بلفور، وهو التعهد الذي تضمنه صك الانتداب الذي أصدرته عصبة الأمم في العام ١٩٢٢.

إن الافتقار إلى وحدة سياسية كولونيالية كمجال للتنافس السياسي وإطار لتشكل الهوية الوطنية الفلسطينية، لم يعزز فقط انقسامات الحركة الوطنية في ذلك الوقت وحسب، ولكنه منع أيضًا من تبلور رؤية وطنية قطرية ناجزة ونهائية، فقد غلب على رموز تلك المرحلة النظر إلى القضية الفلسطينية في الإطار العربي والإسلامي الواسع دون امتلاك مفهوم ناجز للهوية الوطنية الفلسطينية، ولكن ورغم

---

[1]. غازي خورشيد، **دليل حركة المقاومة الفلسطينية** (بيروت: مركز الأبحاث– منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧١): ص١١١–١١٣.

[2]. يسجل طلال سلمان شهادة حية على هذه السجالات في حينها، سواء تلك التي دارت داخل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أو تلك التي استهدفت حركة فتح بالنقد بصفتها "حركة يمينية تقدوها مجموعة قادمة من خلفية برجوازية صغيرة"، انظر: طلال سلمان، مع «**فتح**» **والفدائيين**، (بيروت: دار العودة، ١٩٦٩)

[3]. يزيد صايغ، **الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٩–١٩٩٣: الكفاح المسلح والبحث عن دولة**، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٣): ص٤٢–٥٠.

تشوش الرؤية الوطنية وغلبة تصورات الوحدة العربية، أو الاندماج مع شرق الأردن، أو اعتبار القضية الفلسطينية جزءًا من القضية الإسلامية الأشمل، فإن الدعوة لإقامة كيان إقليمي فلسطيني خاص لم تكن غائبة عن هذه المرحلة[1]، بيد أن الفارق الفلسطيني الجوهري عن بقية العرب المجاورين الذين تشكلت دولهم الوطنية على أساس من الحدود الكولونيالية، قد تمثل في مفارقة جديدة وهي أن تشكل هوية وطنية خاصة بالفلسطينيين أخذ بالتبلور مع النكبة في العام ١٩٤٨، أي مع قيام "الوطن القومي اليهودي"، في الوقت الذي كانت فيه البلاد العربية المجاورة قد نالت استقلالها، أو في طريقها إلى الاستقلال.

في ٢٨ شباط ١٩٥٥ شن العدو الصهيوني على غزة غارة ذهب ضحيتها بضع عشرات من الأشخاص، ولم يكن الفلسطينيون في قطاع غزة ينتظرون فرصة أفضل تبرر انفجار غضبهم المكنون إزاء السلطات المصرية، فقد تدفقت الحشود تطالب بالسلاح[2]، وانطلقت المظاهرات من المسجد العمري الكبير في قطاع غزة بتنظيم مشترك من الشيوعيين والإخوان المسلمين في تعاون فريد بين الاتجاهين المتخاصمين[3]، بينما نظم الطلاب الفلسطينيون في القاهرة مظاهرات وإضرابات تدعو إلى إسقاط النظام المصري[4]، واحتلوا مقر اتحاد الطلاب الفلسطينيين، وتقدموا إلى السلطات بثلاثة مطالب، وهي: إلغاء تأشيرات الدخول المفروضة على الفلسطينيين لدى الدخول إلى غزة أو الخروج منها، وإعادة المواصلات الحديدية بن غزة والقاهرة، وإقامة تدريب عسكري إجباري يتيح للفلسطينيين الدفاع عن أنفسهم، وهي المطالب التي استجاب لها عبد الناصر سوى الطلب الأخير والذي كانت الاستجابة له شكلية[5].

يمكن القول قبل ذلك، بأن العمل من خلال "رابطة الطلاب الفلسطينيين"[6] في القاهرة، والتي أصبح ياسر عرفات رئيسها لأول مرة سنة ١٩٥٣، بترتيب مع "الإخوان المسلمين"[7]؛ بمثابة الصياغات الأولى لمشروع نضالي فلسطيني يقوم على أساس من الوعي بالهوية الوطنية الفلسطينية، ومحاولة اجتراح حالة نضالية فلسطينية قوامها الاعتماد على النفس.

في هذه الأثناء نفذ فلسطينيون منتمون لجماعة الإخوان المسلمين عمليات عسكرية ضد الاحتلال الإسرائيلي انطلاقًا من قطاع غزة، بقيادة خليل الوزير، والذي أصبح في وقت لاحق أحد مؤسسي حركة فتح[8]، حيث اعتقل على إثر هذه العمليات من طرف الأمن

---

[1]. المصدر السابق.

[2]. صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية، تحرير وتصويب: فؤاد أبو حجلة**، (عمان: دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٦٩): ص٤٩.

[3]. عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، (الكويت: دار القلم، ١٩٨٦): ص٣٧.

[4]. صلاح خلف، مصد السابق.

[5]. المصدر السابق.

[6]. عن رابطة الطلاب الفلسطينيين يقول فاروق القدومي أحد مؤسسي حركة فتح: "كانت رابطة الطلاب الفلسطينيين آنذاك أقوى روابط الطلاب العرب وقد ساعدت على إنشاء العديد من الروابط الطلابية العربية، وقد تحولت فيما بعد وفي وقت مبكر «للاتحاد العام لطلاب فلسطين»، أول اتحاد عام فلسطيني وانضمت إليه روابط الطلاب الفلسطينيين في العديد من عواصم العالم حيث بدأ الطلاب ينتشرون لطلب العلم في كل مكان من العالم وأصبح اتحادنا عضوًا في الاتحاد العالمي للطلاب الذي كان يقود الحركة الطلابية العالمية وكان لها في ذلك الوقت تأثير واسع في الحركة الشعبية العالمية.".

فاروق القدومي، **دفاتر الثورة الفلسطينية: دفاتر الفتح**، (تونس: دار حنين للنشر والتوزيع، ٢٠١٢): ص١١-١٢.

[7]. سليم الزعنون، السيرة **والمسيرة: مذكرات سليم الزعنون «أبو الأديب»**، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠١٣): ص٤٢.

[8]. صلاح خلف، مصد سابق، ص٤٦.

المصري[1]، إلا أنه وبالتزامن مع العدوان الثلاثي على مصر؛ تأسست في قطاع غزة "المقاومة الشعبية"، بقيادة سليم الزعنون، والتي استمرت من تشرين أول ١٩٥٦ إلى ١٤ آذار ١٩٥٧ بعدما اتفق مجموعة أفراد قدموا في الأساس من اتجاهات مختلفة، كان منها الإخوان المسلمون، وجمعية التوحيد، والبعث، وقوميون، ومستقلون؛ على التخلي عن إيديولوجياتهم وارتباطاتهم السابقة والتحالف في إطار جبهوي يقوم على أساس الارتباط بـ "التراب الوطني الفلسطيني"[2] وحسب. وانطلاقًا من مصر قام الطلاب الفلسطينيون بدعم هذه الجبهة بإدخال المال والسلاح والمناشير سرًا إلى قطاع غزة[3].

مع هذه الإرهاصات وخاصة مع تجربة "المقاومة الشعبية"، وتأثرًا بتجربة الثورة الجزائرية، ولأن القضية الفلسطينية لم تكن واردة على جدول أعمال حكم ثورة يوليو في مرحلتها الأولى[4]؛ بدأ يبزغ السؤال إن كان بوسع الفلسطينيين تأسيس إطار جبهوي يجمع الفلسطينيين من جميع الاتجاهات، بهدف إشعال الكفاح المسلح في فلسطين، وهو السؤال الذي تبلور لاحقًا في العام ١٩٥٨ في صيغة "حركة تحرير فلسطين – فتح"[5]، والتي أعلنت عن نفسها في مجلة فلسطيننا سنة ١٩٥٩[6]، إلى أن أطلقت رصاصتها الأولى في ١٩٦٥/١/١، لتكون التجلي الأوضح لتيار الوطنية القطرية في تاريخ النضال الفلسطيني.

يبرز هذا التأريخ الموجز لحركة فتح؛ ملاحظتين أساسيتين، الأولى: تكون نواة الوطنية الفلسطينية والكفاح المسلح داخل قطاع غزة الذي عرف ظروفًا مختلفة عن الضفة الغربية التي ألحقت بالمملكة الأردنية الهاشمية وتمتع سكانها بكامل امتيازات المواطنين الأردنيين ولم تدخل تجربة الاحتلال والمواجهة المباشرة مع الاحتلال كما كان الحال في قطاع غزة من بعد عدوان ١٩٥٦.

وأما الملاحظة الثانية فهي ظهور دور جماعة الإخوان المسلمين داخل قطاع غزة، وكيف أنها شكلت رافدًا من روافد العمل النضالي الفلسطيني، رغم أن الممارسة النضالية لبعض كوادر الإخوان المسلمين، خاصة تلك التي قام بها خليل الوزير، أو لاحقًا سليم الزعنون، لا يمكن الاستدلال منها على وجود سياسة إخوانية عامة بهذا الاتجاه[7]، إلا أن الرافد الإسلامي لا يمكن تجاهله حين التأريخ للحركة الوطنية الفلسطينية، أو البحث في تحولاتها وتداخل مساراتها.

في الوقت الذي كانت تبدو فيه الهوية الوطنية الفلسطينية مشوشة، كان الإسلام لا يزال يملك القدرة الكاملة على إنتاج الخطاب الذي يمثل الفلسطينيين، رغم وجود تحديات الاتجاهات القومية والشيوعية، وبقي الحال على هذا النحو إلى حين نكبة الفلسطينيين في العام

---

[1]. المصدر السابق، ص٥١، وانظر أيضًا: عبد الله أبو عزة، مصدر سابق، ص٢٦-٢٧. وانظر كذلك لمزيد من التفصيل: محمد حمزة، **أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله**، (صفاقس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين. ١٩٨٩): ص١٥٧- ١٦٧.

[2]. سليم الزعنون، مصد سابق، ص٥٩-٦١.

[3]. صلاح خلف، مصدر سابق، ص٥٠.

[4]. محمد حمزة، **أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله**، مصدر سابق، ص١٦١.

[5]. صلاح خلف، مصدر سابق، ص٥٥.

[6]. المصدر السابق، ص٦٦.

[7]. بشير نافع، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠-١٩٨٠**، (غزة: مركز فلسطين للدراسات والبحوث، ١٩٩٩): ص١٧-١٨.

١٩٤٨، فقد تمكن محمد أمين الحسيني من قيادة المعسكر الوطني الفلسطيني منذ سنة ١٩٣٦ وحتى سنة ١٩٤٨[1]، والذي صار مفتيًا في العام ١٩٢١[2]، كما صار في العام الذي يليه رئيسًا لـ "المجلس الإسلامي الأعلى"[3]، وبعد ذلك بزمن رئيسًا لـ "الهيئة العربية العليا" في العام ١٩٤٦[4].

اعتبر أمين الحسيني القضية الفلسطينية جزءًا من القضية الإسلامية الأشمل، وتبنى موقفًا غامضًا "من مسألة تكوين وطنية إقليمية فلسطينية خاصة، وواصل دعوته إلى الانتماء الأوسع القومي العربي والإسلامي حتى بعد قيام بريطانيا بعرض مكاسب ملموسة من خلال توصيات لجنة بيل سنة ١٩٣٧، ومن خلال الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩"[5].

وإضافة إلى تمثيل المفتي أمين الحسيني للحركة الوطنية الفلسطينية، وهو المنحدر من عائلة مقدسية تقليدية، والمعبر عن طبقة علماء الدين، بما يعكس دور الإسلام في الحياة السياسية الفلسطينية[6]؛ فإن فلسطين بقيت أقل عرضة لإجراءات التحديث مما كان عليه الأمر في مصر، وهو ما أتاح لها الاحتفاظ ببنى المجتمع الأهلي، خاصة وأن خطاب العروبة الفلسطيني اتسم بالنزعة الإسلامية الإصلاحية، وقد ساهمت هذه العوامل في إرجاء الفرز الإيديولوجي في الساحة الفلسطينية، لا سيما وأن الإدراك الفلسطيني للصراع مع المشروع الصهيوني، قد طبعه الإحساس بأنه صراع وجودي[7].

ما بين ٣-٥ آب من العام ١٩٣٥ توجه وفد من جماعة الإخوان المسلمين المصرية لزيارة فلسطين، لتكون فلسطين بذلك أول بلد تقصده الجماعة بزيارة خارجية، ورغم هذا الجهد الذي عكس اهتمامًا مبكرًا بفلسطين إضافة إلى اهتمام الجماعة بالثورة الفلسطينية من العام ١٩٣٦ – ١٩٣٩؛ فإنها قد تأخرت في افتتاح فرع لها بفلسطين إلى ما بعد افتتاح فروعها في كل من سوريا ولبنان وشرق الأردن[8].

إلا أنه وقبل دخول جماعة الإخوان المسلمين إلى فلسطين، لا بد من التنويه إلى تجربة إسلامية ثورية خاصة، مثلها الشيخ السوري عز الدين القسام في نضاله على أرض فلسطين منذ العام ١٩٢٠ إلى العام ١٩٣٥، متخذًا أشكالاً متعددة من النضال ابتداء من الطرح

---

[1]. يزيد صايغ، مصد سابق، ص٤٢-٥٠.

[2]. عصام الغريب، **الحاج محمد أمين الحسيني: ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية ١٨٩٧-١٩٧٤**، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٤): ص٧٨.

[3]. المصدر السابق، ص٨٢.

[4]. المصدر السابق، ص٣٣٤.

[5]. يزيد الصايغ، مصدر سابق، ٤٩.

[6]. يقول عبد الوهاب كيالي عن دور الثقافة الإسلامية والمؤسسات الدينية التي تزعمها المفتي محمد أمين الحسيني في مقاومة السياسة البريطانية والهجرة الصهيونية في فلسطين: "على أن ذلك لا يعني أن الثقافة الإسلامية وروح الجهاد لم يلعبا دورًا في الحض على التضحية في مقاومة السياسة البريطانية والهجرة الصهيونية في فلسطين، كما أنه لا يعني أن زعامة الحاج أمين الدينية والمؤسسات الدينية التي كان يشرف عليها من أوقاف ومحاكم شرعية لم تسخر في النتيجة لخدمة الثورة الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩".
عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث**، (بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٩٩): ص٣١٢.

[7]بشير نافع، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠-١٩٨٠**، مصدر سابق، ص٩-١٠.

[8] . Abd Al-Fattah Muhammad El-Awaisi,**The Muslim Brothers and the Palestine Question 1928–1947**, (London: Tauris Academic Studies, 1998) p150

النظري والخطابة والتدريس، مرورًا بالعمل السياسي الجماهيري والنقابي وصولاً إلى الصدام المسلح، إضافة إلى علاقته بالقوى الدينية والسياسية والعائلية بفلسطين، بما في ذلك المفتي أمين الحسيني واتجاهه، وهي تجربة إسلامية ثورية ثرية ومؤسسة في التاريخ الفلسطيني إلى الدرجة التي تدفع بعض الباحثين للقول بأن الشيخ عز الدين القسام كان "أبًا حقيقيًا للثورة الفلسطينية المسلحة"[1].

تأسس الفرع الأول لجماعة الإخوان المسلمين في القدس في تشرين أول ١٩٤٥ عن طريق القيادي الشاب في الجماعة المصري سعيد رمضان والموفد من المركز العام في القاهرة إلى فلسطين، بينما أسس رمضان فرع الجماعة في غزة في كانون أول ١٩٤٦، حتى كانت آخر شعبة تؤسسها الجماعة في بلدة عقربة، بمبادرة من شعبة الإخوان المسلمين في نابلس في تشرين الثاني ١٩٤٧[2]، ليكون ذلك النشاط الأخير قبل هزيمة العام ١٩٤٨.

لم يشكل الإخوان قوة منافسة للمفتي محمد أمين الحسيني، وإنما تعامل حسن البنا مؤسس الجماعة ومرشدها الأول مع المفتي بصفته زعيم فلسطين الأوحد، ومفتيها الأكبر[3]، وكان البنا قبل ذلك قد وجه سعيد رمضان بأن يحرص على تنظيم برنامجه في فلسطين بما ينسجم مع توجهات المفتي، واستشارته وتجنب الخلاف معه،[4] ويبدو أن البنا كان مدركًا لطبيعة زعامة المفتي، والتي صارت الزعامة الأولى بلا منازع منذ الثلاثينيات[5]، كما أن المشاركة الإخوانية في حرب العام ١٩٤٨ تمت بمباركة وترحيب المفتي[6].

شارك الإخوان المسلمون في حرب فلسطين في العام ١٩٤٨، بكتائب متطوعين قدمت من مصر وسوريا وشرق الأردن، وبمساهمة من شعب الإخوان العاملة داخل فلسطين، وعملت هذه الكتائب تحت قيادة الجامعة العربية[7]، وتحدثت بعض المصادر أن الإخوان المسلمين أرسلوا قبل هذه الحرب متطوعين من طرفهم للمشاركة في الثورة سنة ١٩٣٦[8]، وإن لم تكن المشاركة ملموسة، ولا ينبغي أن يكون ذلك محل استغراب، خاصة وأن الجماعة كانت في طور تشكيل هياكلها وإيديولوجيتها، فقد حتم ذلك على هذه الجماعة التي

---

[1]. سميح حمودة، **الوعي والثورة: دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام ١٨٨٢م–١٩٣٥م**، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٦): ص١٣٠.

[2]. بلال محمد، **خبر الإخوان المسلمين الفلسطينيين: تأسيس شُعب فلسطين وتنظيمها، من خلال صحيفتي الدفاع وفلسطين "تشرين الأول 1945 – أيار 1948م"**، بحث غير منشور.

[3]. من رسالتين منفصلتين وجههما حسن البنا إلى كل من السفير البريطاني بالقاهرة، ووزير أمريكا المفوض بمصر، بتاريخ ٢ نيسان ١٩٤٦، يحتج فيهما على مطالبة بريطانيا بتسليم المفتي، وموافقة أمريكا على ذلك، انظر: حسن البنا، الكتاب الحادي عشر من سلسلة تراث الإمام البنا: **مقالات حول القضية الفلسطينية**، تحقيق: محمد فتحي النادي وآخرون، (القاهرة: البصائر للبحوث والدراسات، ٢٠٠٦): ص١٠٩–١١٠، نقلاً عن: مجلة الإخوان المسلمين، العدد ٩٩، ٢٣/ إبريل/ ١٩٤٦، ص١٨.

[4]. El-Awaisi، مصد سابق، ص١٠٥، نقلاً عن مقابلة أجريت مع سعيد رمضان في جنيف، في ١٧ شباط ١٩٨٥.

[5]. في العشرينات أخذ الحسينيون وبسرعة يصبحون أقوى عائلة في فلسطين، وقد عيّن البريطانيون أحد أفراد العائلة، ويدعى الحاجّ أمين مفتيًا للقدس... وبذا أصبح زعيمًا للعائلة، وبالتالي زعيمًا للحركة الوطنية الفلسطينية. وفي أواسط الثلاثينات أصبح الحاج أمين الزعيم بلا منازع لفلسطين وظل حتى تأسيس إسرائيل ١٩٤٨ أكثر الزعماء شعبية" مناويل حساسيان، **الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ما بين ١٩١٩ – ١٩٣٩**، (القدس: منشورات البيادر، ١٩٨٧): ص٦٥– ٦٦، ويذكر مانويل حساسيان أن الحسيني، أثناء دراسته في الأزخر بمصر، تأثر بالمصلح الديني رشيد رضا، المصدر السابق.، ص٦٦. وهذا قاسم مشترك يجمعه بحسن البنا.

[6]. بشير نافع، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠–١٩٨٠**، مصدر سابق، ص١٠.

[7]. كامل الشريف، **الإخوان المسلمون في حرب فلسطين**، (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٧): ص٥٩–٦٠.

[8]. إبراهيم البيومي غانم. **الفكر السياسي للإمام حسن البنا**، (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠١٣): ص٤٩٧. وأيضًا: الشريف كامل، مصدر سابق، ص٤٣. وأيضًا: إبراهيم غرايبة؛ "الحركة الإسلامية والقضية الفلسطينية"، في: **القضية الفلسطينية في نصف قرن**، (لندن: منشورات فلسطين المسلمة، ١٩٩٩): ص٢٧٣– ٢٨٩.

لا تزال صغيرة تأجيل مشاركتها الجادة في الجهاد[1] إلى ما بعد استكمالها لبناها التنظيمية وتحديدها النهائي لتوجهاتها الإيديولوجية والسياسية، لكن وعلاوة على ذلك فإن الجماعة لم تكن بعد قد أسست شعبها في فلسطين.

بعد هزيمة العام ١٩٤٨، ارتبط التنظيم الإخواني في القطاع بالجماعة الأم في مصر وتأثر بأوضاعها سلبًا وإيجابًا، بينما أصبح تنظيم الضفة الغربية جزءًا من إخوان الأردن، ليستقطب التنظيم الإخواني الأردني أعدادًا ذات وزن من الأتباع في المخيمات في الخمسينيات مستفيدًا من حالة التدين الطبيعي لدى الفلاحين السابقين، وبالذات مع حرص الجماعة على إظهار طابع جهادي لها من خلال الأنشطة الرياضية والكشفية والتدريب العكسري الصوري[2].

بينما كانت الجماعة في قطاع غزة وهي لا تزال تعاني الاستنزاف الناجم عن قمع النظام المصري لها، وتواجه تحديًا داخليًا كبيرًا تمثل في مقترح قدمه خليل الوزير في تموز ١٩٥٧ يدعو إلى إنشاء تنظيم فلسطيني خاص يشرف عليه الإخوان إلى جانب تنظيمهم، بشرط ألا يتبنى الشعارات الإسلامية، وأن تقتصر شعاراته على تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح، بحيث يكون الانتماء فيه إلى فلسطين وحدها[3].

ورغم أن هذه المذكرة، قد نوهت بأن التنظيم المقترح سيفتح الأبواب المغلقة بين الإخوان والجماهير، وسيفك عنهم الطوق الناصري، ويحمي القضية الفلسطينية من مشاريع التصفية، فإنها لاقت الرفض من طرف التنظيم الفلسطيني في قطاع غزة، بيد أن هذا الرفض لم يمنع الكادر الإخواني صاحب الفكرة من الاستمرار في العمل عليها، واستقطاب العناصر والكوادر من داخل الإخوان المسلمين، بما فاقم من التوتر بين التنظيم الإخواني في غزة والتنظيم الجديد الذي أعلن عن نفسه لاحقًا باسم "فتح"، إلا أن ثمة روايات أخرى إزاء هذه المسألة تزيدها وضوحًا، وتبين أن بعض الشخصيات الإخوانية استمرت في التعاون مع حركة فتح بضع سنوات من العام ١٩٥٧ إلى ١٩٦٤[4].

وللمفارقة، فإنه وبعد أن شكل الإخوان العرب مكتبهم التنفيذي العام، وانضم إليهم التنظيم الفلسطيني في العام ١٩٦٦، تبين أن بعض التنظيمات الإخوانية العربية ترى في فتح جزءًا من جماعة الإخوان المسلمين، بخلاف التنظيم الفلسطيني والذي كان رافضًا لمقترح تأسيس قواعد عسكرية للجماعة في الأردن تحت مظلة فتح، بينما تحمست لهذا المقترح تنظيمات إخوانية أخرى، ولا سيما التنظيم

---

[1] . Thomas Mayer," ***The Military Force of Islam: The Society of the Muslim Brethren and the Palestine Question, 1945-48***." In: Elie Kedourie; Sylvia G. Haim (Eds.): Zionism and Arabism in Palestine and Israel. (London, Frank Cass, 1982) 101-118.

[2]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص١٠٢.

[3]. عبد الله، أبو عزة، مصدر سابق، ص٧١-٧٢.

[4]. سليمان الحمد، برنامج مراجعات، الحلقة ٣، حاوره: عزام التميمي، قناة الحوار. نشرت المادة على موقع Youtube بتاريخ ٢٠١٠/٣/١. واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠، https://www.youtube.com/watch?v=Xy71QHtNAr4. وانظر: محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين**، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٤): ص١٥٩.

الأردني[1].

أما بالنسبة لوجود حركات إسلامية سياسية أخرى، فإن تقي الدين النبهاني قد أسس حزب التحرير في القدس في العام ١٩٥٣، واستقطب به المثقفين ومعظم الكوادر المتعلمة في جماعة الإخوان المسلمين، ليشكل الحزب أحد المعالم السياسية الهامة في القدس والضفة الغربية، وتحديًا لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن، بيد أن نفوذه الشعبي تراجع مع موقفه الرافض للمظاهرات[2]، والمحايد من حلف بغداد[3]، وجعله القضية الفلسطينية في مرتبة ثانوية في مشروعه السياسي والنهضوي.

بعد سلسلة المواجهات بين النظام الأردني وقوات الثورة الفلسطينية في الأردن، والتي كان أبرزها أحداث أيلول ١٩٧٠، انتقلت الثورة الفلسطينية إلى لبنان، وتصاعدت النقاشات حول ما اعتبر هزيمة للثورة الفلسطينية في الأردن، وحملت قيادة حركة فتح من طرف التنظيمات الماركسية المسؤولية بصفتها قيادة يمينية ومنحدرة من خلفية برجوازية صغيرة[4]، في تحليل يساري تقليدي لنتائج المعركة تشابه مع تحليل هزيمة العام ١٩٦٧[5].

تصدى لهذا النقد اليساري وعلى نحو لافت، يساريون ماركسيون آخرون، كان أبرزهم منير شفيق القادم من الحزب الشيوعي الأردني إلى حركة فتح[6]، وأيضًا ناجي علوش[7] الذي ارتبط بمنير شفيق بعلاقة مصاهرة، وتعاونا داخل تيار بدأ بالتشكل داخل حركة فتح قبل أن يفترقا لاحقًا.

هيمن الاتجاه اليساري على الجسد الفتحاوي بعد انتقالها إلى لبنان، لا سيما بعد الحرب الأهلية التي اندلعت بعد حادث عين الرمانة في نيسان ١٩٧٥، خاصة مع التحالف الذي جمع حركة فتح بـ "الحركة الوطنية اللبنانية" بقيادة كمال جنبلاط، فإذا كانت فتح قد وجدت في هذه الحركة غطاء لنفوذها وسلطاتها في لبنان، فإن هذه الحركة قد تنامي نفوذها أيضًا بالاعتماد على قوى فتح وبقية فصائل منظمة التحرير الفلسطينية[8].

إلا أن هذا التحالف قد عظم من ناحية دور القوى الماركسية اللبنانية، وخاصة منظمة العمل الشيوعي اللبناني، والحزب الشيوعي اللبناني، على حساب قوى الإسلام السياسي والتقليدي بشقيه السني والشيعي، ومن ناحية ثانية، فإن هذا التحالف رجح دفة ما كان

---

[1]. عبد الله أبو عزة، مصدر سابق، ص١٢٣-١٤٤.

[2]. منير شفيق، برنامج مراجعات، الحلقة ١، حاوره عزام التميمي، قناة الحوار. نشرت المادة على موقع Youtube منشور بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢ واسترجعه الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠، https://www.youtube.com/watch?v=yIbnTGrxmQY

[3]. إبراهيم غوشة، **المنذنة الحمراء: سيرة خاصة**، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والايتشارات، ٢٠٠٨): ص٤٠-٤٣.

[4]. أنظر مثلاً أبرز تلك الآراء في: جلال صادق العظم، **دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية** (بيروت، دار العودة، ١٩٧٣).

[5]. وأيضًا من أبرز المعبرين عن هذا الاتجاه: جلال صادق العظم، **النقد الذاتي بعد الهزيمة**، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧١).

[6]. منير شفيق، **الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٣).

[7]. ناجي علوش، ووليد نويهض **"رأيان في كتاب: «دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية»: هل هو نقد لفكر المقاومة حقًا؟"** مجلة شؤون فلسطينية، عدد٢١، (أيار ١٩٧٣): ص١٧٠-١٩٠.

[8]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، ([د.م]، مؤسسة الوفاء، ١٩٩٤): ص٢٩.

يعرف بالتيار التقدمي أو اليساري أو الديمقراطي داخل حركة فتح، وتحديدًا التيار المتجه نحو الاتحاد السوفييتي، والذي شكل غطاء يساريًا لسياسات التسوية التي كانت القيادة المتنفذة في فتح تدفع نحوها[1].

تكثفت النقاشات بعد الخروج من الأردن، والانتقال إلى لبنان، ومواجهة الفصائل الفلسطينية صعوبات بالغة في إطلاق العمل العسكري من داخل لبنان، وقد استغرقت هذه النقاشات العديد من المواقع والأجهزة والتيارات والمؤسسات سواء داخل الحركة الوطنية، أو داخل حركة فتح، بما في ذلك التيار اليساري داخل الحركة، والذي ركز نقده على قيادة الحركة، كما ركز مقترحاته في أفكار ماركسية ثورية تقليدية من قبيل تشكيل تنظيم ماركسي لينيني، أو تأسيس تكتل تقدمي باتجاه التحالف مع الاتحاد السوفييتي والجبهة التقدمية العربية، أو إقامة تنظيم فتحاوي حديدي يكرس نظامًا داخليًا على أساس من المركزية الديمقراطية بما ينقذ الحركة من العقلية الفردية والعشائرية[2].

كان هذا التيار متداخلا في بداياته، ثم أخذ بالفرز، وأظهر عددًا من المجموعات اليسارية المتباينة، والتي ونظرًا لتداخلها وتبدل مواقعها وعلاقاتها يصعب تصنيفها بشكل نهائي، فهذا التيار الذي كان يبدو متماسكًا من حيث المظهر، كان شديد التباين من حيث الجوهر والموقف الفكري والسياسي[3]، وأيضًا من حيث الروافد التي انحدر منها عناصر هذا التيار، وإن تمكن من تشكيل مراكز قوة فاعلة في العديد من المواقع؛ في الإعلام، والعلاقات الخارجية، وشؤون الأردن، ولاحقًا تنظيم الغربي، وأقاليم سورية، والعراق، وليبيا، وأمريكا، والاتحاد السوفييتي، واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، واتحاد المرأة الفلسطينية، إضافة إلى آخرين من معتمدي وسفراء حركة في العالم.[4]

هذا التنوع الذي كان يبدو متماسكًا في بداياته، انفجر بعد ذلك، وخلف حالة من الفرز، خاصة مع دفع الاتجاه السوفييتي في داخله برموزه نمر صالح وماجد أبو شرار، عضوي اللجنة المركزية لفتح، نحو خيار التسوية، حتى أوجد ذلك شرخًا داخل التيار مع ظهور مجموعات أخرى أبدت معارضة شرسة لخيار التسوية، بالإضافة إلى خروج المجموعة الأكبر والأوسع والتي كانت أقرب إلى الصيغة الحزبية، والتي ضمت أيضًا عددًا من القادة العسكريين من أبرزهم أبو موسى وأبو خالد العملة، حتى آلت بها الأمور أخيرًا إلى ما عرف بـ "انتفاضة" أو "انشقاق" العام ١٩٨٣، آخذًا معه أكثر الكادر اليساري داخل حركة فتح[5].

وإذا كان لا يمكن إغفال مجموعة أبو نضال التي انشقت في صيغة "فتح المجلس الثوري" وبالتحالف مع أبو داود وناجي علوش، اللذين انفصلا عنه لاحقًا، فإن مجموعة واحدة من بين كل هذه المجموعات اليسارية التي تشكل بها ما عرف بالتيار الديمقراطي داخل حركة

---

[1]. المصدر السابق.

[2]. المصدر السابق، ص٢٨.

[3]. نزيه أبو نضال، **مذكرات نزيه أبو نضال: من أوراق ثورة مغدورة**، حاوره: زياد منى، (بيروت–دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠١١): ص١٥٢.

[4]. المصدر سابق، ١٤٧.

[5]. عن التيار الدمقراطي داخل حركة فتح، بالإضافة إلى المصدر السابق انظر: ماجد كيالي، "«فتح» وتجربة التيار اليساري الديمقراطي فيها"، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، عدد٤٢، خريف (٢٠١٢): ص٤١–٥٠. وأيضًا انظر: نبيل عمرو، **ياسر عرفات وجنون الجغرافيا**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٣): ص١٢٠–١٢٣.

فتح؛ بدت مختلفة عن الجميع، وهي تلك المجموعة التي سماها البعض بـ "الاتجاه الماوي"[1] نسبة إلى الزعيم الشيوعي الصيني ماوتسي تونغ.

لم يكن تميز هذه المجموعة، أو التيار كما يحب تسميتها منظرها الأول منير شفيق، بانتسابها إلى الماركسية الماوية وحسب، خاصة وأنه لا يمكن القول بأن المنضوين تحت لافتة هذا التيار، قد كانوا جميعهم ماركسيين ماويين بالفعل، بالرغم من ماوية منظره الأساسي منير شفيق، والذي تضمنت أطرحاته في ذلك الوقت أفكارًا ماوية حول التناقضات وخط الجماهير، كما تضمنت استشهادات بتجربة ماوتسي تونغ في سياق التنظير لبعض الأفكار لصالح الثورة الفلسطينية أو حركة فتح أو في الرد على الماركسيين الآخرين، بالإضافة إلى اجتذاب التيار لمجموعات ماوية لبنانية وعربية متعددة.

لقد تميزت هذه المجموعة تقريبًا في كل شيء، فهي ورغم معارضتها المبدئية لخط التسوية، وموقفها النقدي من الاتحاد السوفييتي والمحذر من الاقتراب منه، فإنها قدمت رؤية مغايرة إن من حيث التنظير أو السلوك تجاه القيادة المتنفذة في حركة فتح، ومع ذلك فإنها كانت تبدو كمن يغرد خارج السرب، أو يسبح عكس التيار في مواقفها الخاصة من الحرب الأهلية اللبنانية، ومن الانفتاح على الجماهير، وبناء العلاقات مع الاتجاهات الإسلامية، وخاصة حركة المحرومين التي أسسها موسى الصدر، وحماية القرى الشيعية في الجنوب من القوى التقدمية اللبنانية ومن الاتجاهات اليسارية داخل حركة فتح، إلا أن هذا التميز، والتمسك المبدئي بتوجيه البندقية الفلسطينية نحو العدو الصهيوني لم يحل دون انخراطها في الحرب الأهلية أو حرب المخيمات أو في مواجهة النظام السوري أو في مواجهة ما عرف بـ "انتفاضة فتح"، ممن كانوا إخوة السلاح حتى الأمس القريب.

في الأساس اهتمت هذه المجموعة بالتنظير للمسلكيات الثورية، والتركيز على الممارسة، والالتحام بالجماهير، واشتقاق النظرية الثورية من خط الجماهير، كما قدمت رؤية خاصة مغايرة لما كان مطروحًا من طرف الاتجاهات اليسارية الأخرى داخل فتح، بخصوص آليات التعامل مع مشكلات الحركة، بعيدًا عن الصراع مع القيادة، وإن كان أيضًا بعيدًا عن "الاستزلام" لشخوص هذه القيادة، وعلى هذا فإنها قدمت نقدًا لمتقرحات إصلاح فتح التي طرحتها الاتجاهات اليسارية، وطرحت هي بدورها في المقابل حلاً عمليًا سمته بـ "قانون المحصلة" أو "الحصوة التي تسند الجرة"، وعبرت عنه في إطار من الممارسة القتالية والأخلاقية والأطروحات السياسية المتميزة.

لم يقتصر تميز هذه المجموعة، والتي سوف تصطلح عليها هذه الدراسة باسم "تيار الكتيبة الطلابية"، على ما سبق ذكره، إذ إنها أدارت نقاشات مطولة حول الماركسية، انتهت بأهم الرموز القيادية لهذا التيار إلى تصفية الحساب مع الماركسية اللينينية في العام ١٩٧٦[2]، وبالذات بعد سقوط تجربة "الثورة الثقافية" في الصين.

إن أفكار الالتحام بالجماهير، والبحث عن نظرية ثورية تشتق من قلب الجماهير، دفعت القيادات النظرية والعملية لتيار الكتيبة

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٠٨.

[2]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق. ص٢٢.

الطلابية إلى ملاحظة ما سوف تسميه هذه الدراسة بـ "المعنى الكلي المهيمن" على الجماهير في المنطقة العربية والإسلامية، حتى انتهى الأمر بهذا التيار إلى مغادرة الماركسية تمامًا وتبني الإسلام بصيغته (الثورية–السياسية)، وهو ما تأكد من بعد "الثورة الإسلامية" في إيران في العام ١٩٧٩ وملاحظة أصداء هذه الثورة في الجماهير العربية.

من الواضح أن تجربة هذا التيار تنفتح على عدد من الموضوعات الكبيرة، بمعنى أنه من الممكن من خلال دراسة تجربة هذا التيار مناقشة جملة من الموضوعات والأحداث الهامة، سواء تلك المتعلقة بالحركة الوطنية، أو الحركة الإسلامية، أو حركة فتح على وجه الخصوص، أو موقع الشعب الفلسطيني من التغيرات التي تجري في المنطقة العربية والإسلامية وتأثره بها ومساهمته فيها، إضافة إلى العديد من المسائل التاريخية والسياسية والنظرية، وفضلاً عن ذلك فإن دراسة هذه التجربة بسيرورتها الممتدة منذ العام ١٩٧١، أي من بعد الخروج من الأردن، وصولاً إلى العام ١٩٨٨، وهو العام الذي استشهد فيه القادة العمليون للتيار؛ تلحظ أيضًا بدورها مسار الحركة الوطنية، وتحولاتها السياسية، وجدالاتها النظرية.

ورغم أن هذا التيار صغير بحجمه، فإنه قابل لأن يتحول حين الدراسة إلى دال على الكثير من القضايا والموضوعات، ونافذة للنظر إلى تاريخ الحركة الوطنية الممتد، ومساراتها المتداخلة والمتعرجة، وطبيعة العلاقات التي وسمت الفواعل في فلسطين أو في المنطقة العربية والإسلامية، ومستويات التداخل والتأثير المتبادل.

ومع أن هذه الدراسة لن تغفل التأريخ للتجربة قدر الإمكان، وتسجيل أهم سماتها النضالية والأخلاقية ومقولاتها السياسية، فإن تناول تحول التيار من الأرضية الماركسية إلى الإسلام، أو على الأقل تحول مجموعة كبيرة منه مرة واحدة من اتجاه إلى الآخر، يبدو لافتًا وشيقًا وداعيًا إلى المساهمة في تقديم الدراسات حول التحولات السياسية والإيديولوجية في المنطقة العربية، خاصة وأن ظاهرة التحول لم تخضع لدراسات علمية وأكاديمية كافية[1] ترصدها وتقدم إزاءها نظريات تفسيرية، وإن كانت بعض الدراسات قد اتجهت مؤخرًا لدراسات التحولات الفردية لعدد من المفكرين والمثقفين العرب الذين انتقلوا من الاتجاهات العلمانية، والماركسية منها بالذات، إلى الإسلام[2].

إن ميزة تحول تيار الكتيبة الطلابية، أنه كان تحولاً جماعيًا، أو على الأقل اتخذ سمة التحول الجماعي، رغم أنه لا يمكن القول بأن جميع عناصره سابقًا قد كانوا ماركسيين، كما لا يمكن القول بأن جميعهم أيضًا قد تحولوا نحو الإسلام الثوري السياسي، خاصة وأنهم اتخذوا مسارات شتى بعد انفراط عقد التيار، إلا أن ذلك لا ينفي عنه صفة التحول الجماعي، سواء بالنظر إلى تأريخ التجربة والشهادات المتعلقة بها، حتى من الذين لم يعبروا صوب المسارات الإسلامية، أو بالنظر إلى تحولات رموز التيار ولا سيما منظره منير شفيق وقادته محمد محمد بحيص (أبو حسن قاسم) ومحمد باسم سلطان (حمدي التميمي).

---

[1]. هاني علي نسيرة، **الحنين إلى السماء: دراسة في التحول نحو الاتجاه في مصر في النصف الثاني من القرن العشرين**، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٠): ص١١.

[2]. منها المصدر السابق.

لا تقتصر أهمية دراسة التجربة على قدرتها الدالة على مجموعة القضايا الواسعة التي أشارت إليها هذه الدراسة، والتي سوف تتناولها في فصولها القادمة، ولكنها مهمة أيضًا في كشفها عن حجم التداخل في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، وهذا التداخل هو الذي برر هذه المقدمة التأريخية المكثفة لتاريخ الحركة الوطنية، حينما بينت كيف أن حركة فتح قد أسستها مجموعات منحدرة من داخل جماعة الإخوان المسلمين، ثم كيف في مرحلة لاحقة بعد عشرين عامًا هيمن على الحركة تيار يساري انبثق منه تيار آخر تحول من الماركسية إلى الإسلام، وساهم بدوره في إطلاق الانتفاضة الثانية، ودعم كل من حركة الجهاد الإسلامي وحركة المقاومة الإسلامية "حماس".

إضافة إلى توثيق التجربة، والبحث في مآلاتها، والإضافة التي قدمتها للنضال الفلسطيني، وسياساتها الأخلاقية والنضالية التي لا تزال قادرة على المساهمة في الإضاءة على طريق النضال الفلسطيني الذي لم يحقق أهدافه والذي عانى في بعض صوره من الارتكاس خاصة فيما تعلق بمشروع التسوية، بينما في صوره المقاومة لا تخلو ظروفه من الحيرة والارتباك والتخبط، فإن هذه الدراسة سوف تهتم بدلالات هذا التحول الجماعي من حيث صفته الجماعية وتوقيته وموقعه من صيرورة التداخل ما بين الحركة الوطنية والحركة الإسلامية، وموقعه من التولات الكبرى في المشرق العربي والإسلامي وفي العالم.

وسيمتد الإطار الزمني لهذه الدراسة منذ جدالات ما بعد أحداث أيلول، وبالذات من العام ١٩٧١ وحتى ما بعد استشهاد قادة سرايا الجهاد الإسلامي في ١٤ شباط ١٩٨٨، والذين شكلوا إلى جانب غيرهم قيادات نظرية وتنظيمية وعسكرية للكتيبة الطلابية وتيارها، حيث إن الدراسة ستستشهد ببعض الوثائق الصادرة عن سرايا الجهاد الإسلامي حتى العام ١٩٩١، وهو ما يعني أن الإطار الزمني سيمتد إلى ما يقارب العشرين عامًا، مع التنويه إلى بعض المحاولات الراهنة المتأثرة بتجربة تيار الكتيبة الطلابية.

أهمية الدراسة:

يمكن استخلاص عناصر أهمية هذه الدراسة من المقدمة الضافية السابقة، والتي حاولت بدورها أن تحدد مسارات هذه الدراسة، وهي تستبطن في عرضها التأريخي المقولات الأساسية التي تنوي هذه الدراسة الإفصاح عنها.

بيد أن هذه التجربة الثرية، سواء في عمرها الزمني، أو في ممارستها النضالية والأخلاقية، أو في تنظيرها الفكري والسياسي، أو في تحولها من المرجعية الماركسية اللينينية إلى الإسلام، حتى وإن لم تتمثل في تيار عريض داخل حركة فتح، ولم تنقسم في صورة تنظيم جديد، ولم تستمر بعد استشهاد قادتها في العام ١٩٨٨؛ لم تحظ بالدراسات الكافية، أو الانتباه الجدير بتلك العوامل التي اجتمعت فيها ومنحتها هذه الأهمية، ويبدو هذا السبب لوحده كافيًا لجعل الكتابة عن هذه التجربة ذات أهمية خاصة.

لقد أشار عدد من الباحثين في تاريخ القضية الفلسطينية، وفي الفكر الإسلامي، إلى أن هذه التجربة لم تعط بعد حقها الكامل من الدراسة[1]، كما أن العديد من المصادر قد انتبهت إلى هذه التجربة وأشارت إليها، بما في ذلك تلك المصادر التي صارت تعتبر أساسية

[1]. بشير نافع، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠-١٩٨٠**، مصد سابق، ص٣٥.

في توثيق النضال الفلسطيني، والتي سوف تعتمد عليها هذه الدراسة في جملة ما تعتمد عليه.

إضافة إلى ذلك فإن ثمة دراسات صغيرة ومحدودة جدًا تناولت التجربة بصورة مستقلة، لا تكاد تتجاوز الدراستين واللتين سوف تعرض لهما هذه الدراسة حين مراجعة الأدبيات السابقة، إلا أن عددًا من أبناء التجربة باتوا منتبهين إلى تسجيل تجاربهم في صيغة المقابلات والمذكرات الشخصية.

وبهذا فإن هذه التجربة بالفعل لا تزال لم تعط حقها من الدراسة الأكاديمية، وستبقى كذلك حتى بعد هذه الدراسة التي تحاول استنباط العديد من الأفكار التي يمكن أن تقدمها هذه التجربة الثرية، وذلك لأن هذه الدراسة لا تقصد التأريخ بقدر ما تقصد البحث في الأفكار الكلية التي من الممكن أن تندرج فيها التجربة خاصة في الشق المتعلق بتحولها نحو الإسلام، وما يمكن أن تفتحه أطروحاتها حول قضايا الإسلام والثورة والتحرر، وقدرة الإسلام على أن يكون مصدرًا للنظرية الثورية المناسبة للمنطقة العربية والإسلامية بما في ذلك فلسطين.

إلا أنه ورغم الاتجاه البحثي الذي سيهتم بالكليات أثناء الدراسة لا بد من التنويه إلى أن الدراسة ستظهر أهمية التجربة للاسترشاد بها نضاليًا وسياسيًا وأخلاقيًا، إضافة إلى أهمية الاطلاع على نمط من التحليل السياسي الناضج، والأطروحات الفكرية المثيرة التي أنتجها المقاتلون والمناضلون من مواقعهم القتالية والنضالية في حالة تماهي ما بين المقاتل والمثقف، بما يعيد النقاش حول موقع المثقف ودوره واتصاله بالجماهير وعلاقته بالمقاتل، وكيف يمكن للمقاتل إنتاج المعرفة من ميادين القتال وممارسة النضال، وذلك فضلاً عن أدوارها القتالية الهامة سواء في مواجهة الاحتلال الصهيوني، أو في سياق الحرب الأهلية اللبنانية وما تخللها من تدخل سوري، أو في سياق "انشقاق" العام ١٩٨٣.

إن تضمن هذه التجربة حالة خاصة من إنتاج المعرفة، واتسامها بحالة ثقافية قتالية لتكونها أساسًا من عدد من طلاب الجامعات، وقيادتها من قبل عدد من المقاتلين المثقفين، واسترشادها بكتابات واحد من منظري الثورة الفلسطينية؛ يعطي أهمية خاصة لفحص دور السؤال الثقافي والجدل الفكري في تحولها من بين مجموعة العوامل الأخرى التي أدت إلى هذه التحول.

بيد أن استخدام التجربة في تحولاتها للبحث في طبيعة المسارات المتداخلة في الحركة الوطنية الفلسطينية بمكوناتها المتنوعة، إضافة إلى تداخل الحالة الفلسطينية مع التحولات الكبرى في المنطقة العربية والإسلامية، وما يمكن أن يدل عليه تحول تيار الكتيبة الطلابية من حيث الوقت الذي حصل فيه التحول ومحايثته لعدد من التحولات اللافتة في المنطقة العربية والإسلامية؛ سيكون من أهم ما تقدمه هذه الدراسة وتعنى به.

وما لا يقل عن ذلك أهمية؛ بيان الإضافة التي يمكن أن تقدمها تجربة تيار صغير لم يتحول إلى تيار وازن داخل حركة فتح، ولا إلى تنظيم مستقل بنفسه؛ لمسيرة النضال الفلسطيني، خاصة وأن هذا التيار كان من ضمن العوامل التي ساهمت في إطلاق المقاومة داخل الأرض

المحتلة، وإشعال الانتفاضة الفلسطينية الأولى في العام ١٩٨٧، وإسناد حركتي الجهاد الإسلامي والمقاومة الإسلامية "حماس"، وذلك يكشف بدوره أيضًا عن أهمية الصدق في الممارسة النضالية والإخلاص للقضايا الكبرى والتجرد والتفاني في سبيلها.

لقد حاولت هذه الدراسة أن تستنبط أفكارًا كبرى تعيد توظيفها كمناهج للبحث في الظاهرة الإنسانية، وكأن المناهج المستخدمة في الدراسة تثبت ذاتها بالقدر الذي تبحث فيه عن صحة فرضيات الدراسة، فالتجربة بإضافتها الهامة رغم حجمها الصغير تثبت أهمية العوامل الأولية والصغيرة في تشكيل الظاهرة الإنسانية، وبالتالي أهمية هذه العوامل أيضًا في تفسير الظاهرة، وضرورة استخدام نموذج تحليلي مركب متحرر من الأحادية والاختزال في التفسير، فقد اتخذ التيار لنفسه شعار "الحصوة التي تسند الجرة" واهتدى بقانون "المحصلة" وفي النتيجة كانت هذه التجربة الصغيرة مؤثرة في ظواهر كبيرة ومساهمة في صياغة مشاريع نضالية هامة، كما أن حصول التحول لدى التيار في سياق التحولات الكبرى التي شهدها المشرق العربي، خاصة وهو قائم على عدد من الأسس منها البحث عن نظرية ثورية ومحاولة اشتقاقها من خط الجماهير، حيث انتهى ذلك بالتيار إلى تبني الإسلام؛ يفيد منهجيًا في تحويل مفهوم "الرؤية إلى العالم" أو "المعنى الكلي" إلى أداة بحثية في تفسير الظواهر الإنسانية، وهذه الاتجاهات المنهجية التي تستخدمها الدراسة متشابكة جدًا مع التجربة نفسها بما يجعل لهذه الدراسة أهمية خاصة من هذه الناحية.

إن اتخاذ الظاهرة نفسها نافذة للنظر إلى قضايا كبيرة ومتعددة كما تفعل هذه الدراسة أمر لا يخلو من الأهمية والجدة، ولا يقل عن ذلك أهمية تحويل الظاهرة نفسها أداة للتحليل، أو مرشدًا لتشكيل نموذج منهجي مركب صالح لتفسير بعض الظواهر الإنسانية.

إشكالية الدراسة:

إن ملاحظة التحولات ضرورة منهجية لفهم مسار التطور الإنساني، إن في مجال المنجزات العلمية والمعرفية، أو في مجال التطور الفكري والفلسفي، إذ لا يمكن النظر إلى هذا المسار الإنساني إلا بصفته مسارًا متعرجًا من التحولات المتداخلة في مستوياتها المتعددة، سواء على المستوى الذاتي فردًا أو جماعة أو مدرسة أو مذهبًا أو اتجاهًا أو تيارًا، أو على مستوى النقد المتصل في تبادليته واستمراريته بما يراكم المعرفة، أو يطور المفاهيم والأفكار والفلسفات.

وقد شهدت التجربة الإنسانية أنماطًا بالغة التنوع في التحولات الفكرية، وإعادة إنتاج المعرفة وتوليد الأفكار والتأثير على السياسات، تأسيسًا على عمليات نقد ذاتي وتبادلي، وفي إطار من التأثر بالسياقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتحولة، والتثاقف مع العالم، والاستجابة الإيجابية للمعاني الكلية المهيمنة على مجتمع التحولات وصعودًا على الإيديولوجيات الضمنية لتلك المجتمعات في زمن التحولات.

يمكن رصد العديد من التحولات الكبيرة على الصعيد الفلسفي والفكري في التاريخ الإنساني، في المستويات المذكورة، فأرسطو حينما

تحول عن فلسفة أستاذه أفلاطون كان يطور الفلسفة اليونانية في الوقت الذي كان فيه يطور فلسفته الخاصة[1]، بينما انبنت "الفلسفة المثالية الألمانية" على نقد متواصل، حتى ظهر ما عرف بـ "الهيغليين الشبان" والذين أدى تحولهم إلى ظهور الفلسفة الماركسية التي أنتجها ماركس وإنجلز[2]، والتي مرت بعد ذلك بعمليات تطوير مستمرة، كان من أشهرها منتج مدرسة فرناكفورت، والتي حملت اسم المؤسسة "التي ارتبط بها مجموعة من الأكاديميين والمفكرين والفلاسفة وعلماء نفس واجتماع ممن يتبنى المنهج النقدي والتراث الماركسي. حتى أن المعهد نفسه تأسس على أعقاب اجتماعات لحلقات ماركسية طالت سنوات عدة."[3].

لم يكن المجال العربي الإسلامي مختلفًا من حيث إن مساره جملة من التحولات الفكرية والسياسية، والنقد الذاتي والمتبادل، على خلاف الاتهام الرائج للثقافة العربية الإسلامية من أن مفهوم النقد لديها "تغشاه دلالة سلبية حيث يوحي بالنقض والتجريح والتنقيص وما شابه، في حين أن مصطلح النقد Critique أقل إحالة إلى المعاني السلبية، إذ يعني التحليل، وبيان المكونات، وبيان الحدود. ومثال ذلك كتب كانط على نقد العقل النظري والعملي والجمالي، وكلمة نقد لا تحيل على أي شكل من أشكال الدحض أو النقض أو التحطيم لتشريح المكونات وبيان الحدود"[4]. إن هذا المعنى السلبي لا يقتصر على الثقافة العربية والإسلامية، إذ إنه موجود كشكل من أشكال النقد في الثقافة الغربية، ومعرف في مصادر الفلسفة الغربية بهذا المعنى، فقد ميزت موسوعة لالاند الفلسفية بين معنيين من النقد، الأول: الفكر الذي لا يأخذ بأي إقرار دون التساؤل أولاً عن قيمة هذا الإقرار سواء من حيث مضمونه (نقد داخلي) أو من حيث أصله (نقد خارجي). والثاني: حين يحصر هذا المعنى بالحكم المناقض، يطلق النقد إما على اعتراض وإما على استقباح يدور حول نقطة خاصة، وإما على دراسة إجمالية ترمي إلى دحض أو إدانة عمل ما[5].

فهذان المعنيان موجودان في المصادر اللغوية العربية[6]، كما أنهما موجودان في الممارسة النقدية، والثقافة التحولية العربية الإسلامية، ويمكن في هذا السياق ملاحظة ما تضمنته المدونة الفقهية الإسلامية، وتدوين موسوعات الفقه المقارن، وتحولات الفقهاء كالشافعي، والمتكلمين كالأشعري، وفي تطوير المنجز المعرفي بالنقد المتبادل والتحول المعرفي والذاتي كما في أبي حامد الغزالي الذي ضمن المنطق الأرسطي أصول الفقه الإسلامي في الوقت الذي نقد فيه الفلسفة المشائية في "تهافت الفلاسفة"، بينما طور ابن تيمية في نقده على كليهما، أي على الغزالي وابن رشد، أدوات منطقية خاصة تأسست على المنجز الفعلي في أصول الفقه[7].

لكن وبالعودة إلى التحولات فإن التاريخ الإسلامي وخاصة في المرحلة الأولى التي هيمن عليها مفهوم "الفرقة الناجية" كإيديولوجيا

---

[1]. غنار سكيربك ونلز غليجي، **تاريخ الفكر الغربي: من اليونان القديمة إلى القرن العشرين**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٢): ص١٥٣.

[2]. المصدر السابق، ص٦٧٠-٦٧١.

[3]. علي عبود المحداوي، *"الخطاب النقدي لمدرسة فرانكفورت- جدل النظرية والممارسة: دراسة في التأسيسات والتحولات والمكتزيات"* ، في: **مدرسة فرانكفورت النقدية: جدل التحرر والتواصل والاعتراف**، مجموعة مؤلفين. تحرير: علي عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانة. (الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع- بيروت: دار الروافد الثقافية، ٢٠١٣): ص٢٠.

[4]. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، **الحداثة وانتقاداتها: ١ نقد الحداثة من منظور عربي**، (الدار البيضاء: دار توبيقال للنشر، ٢٠٠٦): ص٥.

[5]. أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة خليل أحمد خليل (بيروت – باريس: منشورات عويدات، ١٩٩٦): ص٢٣٧-٢٣٨.

[6]. انظر مادة نقد في: محمد بن منظور، **لسان العرب**، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٣): ص٦٦٨.

[7]. حمو النقاري، **المنهجية الأصولية والمنطق اليوناني من خلال أبي حامد الغزالي وتقي الدين ابن تيمية**، (القاهرة: دار رؤية، ٢٠١٠).

ضمنية، حصلت التحولات الاعتقادية على نحو محايث للتطورات السياسية، وتم تطوير المقولات الكلامية والمذاهب الفقهية على أساس من صناعة الهوية للجماعات السياسية المفترقة.

وعلى هذا يمكن القول إن التاريخ الإنساني، هو تاريخ من التحولات، وأن التأريخ للفلسفة والفكر إنما هو تأريخ لتحولاتهما[1]، بيد أنه ولهذا المستوى العالي من الاتساع والتشابك لا يمكن التوسل بنموذج تحليلي واحد يصلح لتفسير كل ظواهر التحولات، وهو الأمر الذي يحتم ابتداع نموذج تحليلي لكل حالة.

وهذه الدراسة قد لاحظت تحولاً لافتًا يمكن إدراجه في عدد من العناوين الكبيرة، فهو يأتي في سياق النضال الفلسطيني والبحث عن نظرية ثورية مشتقة من خط الجماهير، وفي سياق النقد الذاتي والتثاقف المتبادل، وفي سياق التأثر بالتحولات الكبرى سواء في العالم حينما بدأ عالم سياسي كامل بالانهيار مع نهاية السبعينيات[2]، أو في المشرق الإسلامي والعربي والذي شهد واحدة من أضخم تحولات القرن العشرين والمتمثلة بالثورة الإيرانية في العام ١٩٧٩.

لقد جاءت تحولات تيار الكتيبة الطلابية من الماركسية إلى الإسلام حتى وصلت بها التجربة إلى تأسيس نموذج جهادي إسلامي ساهم في إطلاق الانتفاضة الأولى في كانون ثاني ١٩٨٧، وساعد الحركات الإسلامية الجهادية التي تتصدر المشهد المقاوم الآن؛ كظاهرة مركبة متعددة الأبعاد، ما يحيج حين البحث إلى دراسة أبعاد الظاهرة كلها.

ومن هنا تأتي الإشكالية المركزية للدراسة والتي تسأل عن العوامل التي دفعت بمجموعة ماركسية فلسطينية تقاتل في صفوف حركة فتح، وتسترشد ببعض من أفكار زعيم الحزب الشيوعي الصيني ماوتسي تونغ، إلى مغادرة الماركسية وتبني الإسلام بصيغته السياسية الثورية.

ورغم أن العوامل متعددة بما أوجد حالة دفع مركبة لهذه المجموعة للانتقال إلى الإسلام؛ فإن الدراسة لاحظت أن جذر التحول موجود في نظرية خط الجماهير التي تبناها تيار الكتيبة الطلابية في سياق البحث عن نظرية ثورية أو ممارسة نضالية أو التزام مسلكية أخلاقية مشتقة من تصورات الجماهير، ثم كان زمن التحول محايثًا لتحولات متعددة في المنطقة اتجهت نحو الإسلام بتجلياته المتنوعة من ثورية وسياسية وجهادية ودعوية، كان من أبرزها الثورة في إيران، والجهاد الأفغاني ضد الاحتلال السوفييتي، والتأسيس الثاني للحركة الإسلامية في مصر، وبداية ظهور الكتل الإسلامية في الجامعات الوطنية في الضفة الغربية وقطاع غزة والتحاقها بمظاهر العمل الوطني، وهو الأمر الذي يملي الإشكالية المركزية في صيغة سؤال مركزي مفاده: إن كان الإسلام هو "المعنى الكلي المهيمن" في المنطقة العربية الإسلامية، والذي تشتق منه الجماهير إيديولوجياتها؟

وثمة إشكالية أخرى تطرحها الدراسة متعلق بتعدد أسباب ظاهرة تحول تيار الكتيبة الطلابية، من حيث تنوعها، وهو ما يثير السؤال عن

---

[1]. هاني علي نسيرة، مصدر سابق، ص٢١.

[2]. نيكولا دوت بويار، **اليسار المتحول للإسلام: قراءة في حالة الكتيبة الطلابية لحركة فتح**، ترجمة: عومرية سلطاني (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٠): ص٩.

أهمية العناصر الأولية والبسيطة في صياغة الظاهرة حينما تتضافر مع غيرها من العوامل، وفي هذا الصدد فإن السؤال يمكن طرحه عن الكتيبة الطلابية نفسها، سواء في تجربتها داخل حركة فتح، أو فيما انبثق عنها مما عرف لاحقًا باسم "سرايا الجهاد الإسلامي" إن كانت هذه الظاهرة الصغيرة قد أثرت في سيرورة النضال الفلسطيني في مرحلة الثورة في لبنان، أو في مرحلة المقاومة في فلسطين؟

وإشكالية ثالثة تطرحها الدراسة عن التحولات إن كانت تعني القطيعة في المسار الذاتي، أو من حيث المسار العام الذي تتولد في داخله التحولات، أم لا، ومن هذه الزاوية طرحت الدراسة السؤال عن تداخل مسارات الحركة الوطنية، وحصول التداخل بين تجلياتها الوطنية والإسلامية فلسطينيًا، وأيضًا حصول التداخلات فيما يتجاوز الحيز الفلسطيني بما يصنع في النهاية ظاهرة ما، هي في هذه الحالة ظاهرة تحول تيار الكتيبة الطلابية.

وعلى تلك الإشكاليات تتأسس إشكالية رابعة، إن كانت تحولات تيار الكتيبة الطلابية قد قدمت إضافة على مستوى الفكر الإسلامي من حيث المساهمة في صياغة نظرية ثورية مشتقة من الإسلام، وهل تحتمل طبيعة الإسلام الادعاء بتضمنه نظرية ثورية؟

ومن هذه الإشكاليات والأسئلة المركزية يتولد العديد من الأسئلة الفرعية عما تميزت به تجربة الكتيبة الطلابية داخل حركة فتح وبالنسبة للنضال الوطني العام، فيما قدمته من أداء قتالي أو تنظير فكري أو طرح سياسي أو سلوك تنظيمي، وعن الأسباب التي دفعتها للاستمرار داخل فتح رغم نقدها للحركة وقيادتها، وعن طبيعة علاقاتها بهذه القيادة، إضافة إلى ما يمكن سؤاله عن دور المثقف وموقعه نضاليًا خاصة وأن هذه التجربة قد تلبست بحالة من التنظير والنقد والتثاقف.

فرضية الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على فرضية مركزية مفادها أن تحول تيار الكتيبة الطلابية، تلك المجموعة الماركسية التي عملت داخل حركة فتح؛ من الماركسية اللينينية المتأثرة بأفكار ماوتسي تونغ إلى الإسلام بصيغته السياسية الثورية؛ تعبير عن "المعنى الكلي المهيمن" على المنطقة العربية والإسلامية، وخاصة أن التحول الذي تأسس على البحث عن نظرية ثورية مشتقة من خط الجماهير، وحاول أن يقدم مسلكيات ثورية تنسجم مع تصورات الجماهير وقيمها وعاداتها، قد حصل بالتزامن مع تحولات أخرى كانت تحصل في المنطقة العربية والإسلامية، بما في ذلك فلسطين.

كما تفترض الدراسة أن الطابع العام الذي يمكن الاستدلال عليه بتجربة تيار الكتيبة الطلابية وتحولاتها، خاصة حين أخذها في أبعادها المتعددة، والنظر في المسارات التاريخية للحركة الوطنية؛ هو طابع المسارات المتداخلة لا المتوازية، وأن هذه التداخلات حاصلة في الحركة الوطنية الفلسطينية بما في ذلك التداخل القائم بين شقيها الوطني والإسلامي، كما أنها حاصلة من حيث تداخل المسار الفلسطيني مع المسارات العربية والإسلامية، وهو ما يعزز من ناحية نظرية "المعنى الكلي المهيمن" ومن ناحية أخرى يعزز نظرية تعدد العوامل المساهمة في صناعة الظاهرة.

من ناحية أخرى تفترض الدراسة بأنه وإذا كان الإسلام هو المعنى الكلي المهيمن الذي ينبثق عنه خط الجماهير، والذي يمكن الاستفادة منه في تفسير بعض التحولات التي جرت في المنطقة العربية، فإن الإيديولوجيا الضمنية للشعب الفلسطيني ومن بعد النكبة وحتى اللحظة الراهنة، هي إيديولوجيا الكفاح المسلح، ويمكن الاستفادة من نظرية الايديولوجيا الضمنية هذه في تفسير جانب من مسار الحركة الوطنية، وقدرة حركة فتح على الحفاظ على ثقلها ونفوذها رغم المراحل المفصلية الكثيرة التي عبرتها، وظهور حركة حماس ومزاحمتها لحركة فتح، بينما تراجع الحضور الإخواني الفلسطيني مع ظهور حركة فتح في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي، كما تراجع حضور كل من الحزب الشيوعي الفلسطيني وحزب التحرير الإسلامي. أما موقع تجربة الكتيبة الطلابية من هذه المقولة فهو أنها في الأساس تجربة قتالية فاعلة في سياق الثورة الفلسطينية إبان وجودها في لبنان، كما تمكنت من المساهمة في صياغة تجارب إسلامية قتالية أكبر في وقت لاحق في ثمانينيات القرن الماضي، وهو ما يعني أن هذه التجربة لم تنته بامتداداتها وآثارها حتى لو انتهت في ذاتها ولم تستمر لا داخل فتح ولا كحالة نضالية مستقلة بذاتها.

وتفترض الدراسة بأن تجربة تيار الكتيبة الطلابية كانت متميزة في أدائها القتالي، وطرحها النظري، ومسلكياتها التنظيمية والأخلاقية، ونقدها السياسي، بما يجعل من دراسة التجربة أمرًا مفيدًا، إضافة إلى كون هذه التجربة بأدائها وطرحها ومسلكيتها قد مثلت إرهاصًا لظهور الحركات الإسلامية المجاهدة في فلسطين، ومن الناحية العملية فإنها قد ساهمت بالفعل في ظهور هذه الحركات، والتي ضمنت أداءها السياسي بعض أهم الأفكار والأطروحات التي قدمتها تجربة تيار الكتيبة الطلابية، وبالذات حول عدم التدخل في شؤون الدول العربية، وجمع الجهود على قضية فلسطين، وتغليب التناقض مع العدو الصهيوني على التناقضات الأخرى.

المنهج:

مقدمة في مشكلة المنهج

تتعامل هذه الدراسة مع ظاهرة إنسانية تتعلق بالفكر بشكل أساسي، وهذه الظاهرة المعبرة عن تحولات فكرية بالدرجة الأولى، قد تولدت في المنطقة العربية، وداخل تيار من تيارات الثورة الفلسطينية، وفي سياق الصراع مع المشروع الصهيوني، وهي من هذه الناحية ظاهرة خارج المجتمع الصناعي الأوروبي الذي أفرز بدوره علومًا إنسانية تتعاطى مع الظاهرة الإنسانية كانعكاس لقوى أدوات الإنتاج داخل المجتمع، وبالتالي فإن الوعي الإنساني، بالنسبة لتلك العلوم الغربية، مجرد انعكاس للمادة، أو لأودات وعلاقات الإنتاج القائمة في المجتمع.

وبصرف النظر عن خصوصية الظاهرة من هذه الناحية، فإن التوجهات البحثية الأساسية للدراسة تقوم على تمييز واضح بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، واعتبار الإنسان ظاهرة قائمة بذاتها لا تخضع لحتميات الطبيعة، وإن لم تكن منفكة بالتأكيد عن حتيمات الطبيعة، وفي هذا الصدد لا يمكن تجاوز حقيقة الإنسان ككائن رامز ومنتج للدلالات ويعيش ماديًا على نحو محايث للمعنى بما لا يمكن

حسبانه على أي ظاهرة طبيعية أخرى، تماما كما يرى تشومسكي بأن ما أسماه بـ "معجزة اللغة" لا يمكن تفسيرها في إطار مادي "وإنما لا بد من تفسيرها في إطار نموذج توليدي يفترض كمون المقدرة اللغوية في عقل الطفل بما يعني أن العقل ليس مجرد المخ"[1].

بيد أن أهم ما يميز الموضوعة الإنسانية عن الموضوعة الطبيعية، هي مشكلة الفكر[2]، والتي لا يمكن أن تكون مجرد انعكاس للمادة في مخ الإنسان، طالما أنها تعبر في جوهرها عن خصيصتين صرفتين للإنسان وهما الوعي والحرية[3]، بل إن الحرية هي القضية الأساسية بالنسبة لوجود الإنسان[4]، بمعنى أن الظاهرة الإنسانية هي في جانب أساسي منها نتاج قدرة الإنسان على الاختيار، وهو ما يمكن التعبير عنه بالوعي والحرية، وإهمال هذا العنصر الأساسي في الوجود الإنساني ينجم عنه العجز في تفسير اختلاف التفكير بين شخصين يعيشان نفس الظروف، أو اختلاف القيم والقوانين والتقاليد، أو ما يمكن تسميته وفقًا للاصطلاح الماركسي بالبنية الفوقية، بين قبيلتين رغم اشتراكهما ببنية تحتية واحدة، أي أنهما تتمتعان بنفس أدوات وعلاقات الإنتاج، إلا أن هذا لا يعني أن عمليات الاختيار التي يمارسها الإنسان متحررة من إكراهات المادة، وسياسات القوة القائمة، وقوى وعلاقات الإنتاج، وإنما تبدو العلاقة جدلية، وتنطوي على قدر من التصارع على الأولية بين الفكر أو الوعي وأسبقيته بما يتضمنه من قدرة على الاختيار، وبين المادة بإكراهاتها التي لا ينفك عنها الإنسان.

والذي يظهر بناء على ذلك أن ما يسمى بمشكلة العلوم الإنسانية، أي أنه "لم يتكون بعد نسق متكامل من القوانين التفسيرية في أي مجال من مجالات العلوم الإنسانية، يماثل من حيث القوة المنطقية أنساق القوانين التفسيرية في أقل فروع العلوم الطبيعية حظوة من التقدم.[5]"؛ هي نتاج منطقي لطبيعة الظاهرة الإنسانية ذاتها من حيث تعقيدها وتركيبها وتعدد أبعادها.

في هذا الصدد تبدو الإشارة مفيدة إلى فيلهلم دلتاي[6]، خاصة وأنه من صك مفهوم "الرؤية إلى العالم" كأداة تحليلية في العلوم الإنسانية، وهو المفهوم الذي ستستخدمه هذه الدراسة ضمن نموذج مركب كمنهج خاص بها، حيث ذهب إلى ضرورة التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، مؤكدًا على مشكلتين أساسيتين تعيقان العلوم الإنسانية وهما: "أن العلوم الإنسانية ما يزال يعوزها تصور واضح ومتفق عليه عن أهدافها ومناهجها المشتركة والعلاقات بينها، إذا ما قورنت بما هو سائد في العلوم الطبيعية.

والمشكلة الثانية هي أن العلوم الطبيعية تزداد منزلتها ومكانتها نموًا واطرادًا بحيث ترسخ في الرأي العام مثلاً أعلى للمعرفة لا يتلاءم مع التقدم في العلوم الإنسانية.[7]". وقد خلص دلتاي إلى أنه لا يمكن معرفة الإنسان من مجرد الملاحظة الخارجية، كما لا يمكن نقل

---

[1]. عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج١ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩): ص٧٩.

[2]. المصدر السابق.

[3]. الطيب بوعزة، *"مفهوم «الرؤية إلى العالم» بوصفه أداة إجرائية لقراءة تاريخ الفكر الفلسفي"* ، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، العدد ٨ (ربيع ٢٠١٤): ص٢٣-٣٤.

[4]. علي عزت بيجوفتش، **الإسلام بين الشرق والغرب**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٣): ص٩٧.

[5]. يمنى طريف الخولي، **مشكلة العلوم الإنسانية: تقنيتها وإمكانية حلها**، (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١١): ص٥٦.

[6]. ١٨٣٣- ١٩١١.

[7]. صلاح قنصوة، **الموضوعية في العلوم الإنسانية**، (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٨): ص١٧.

المعلومات الموضوعية المادية عنه، إذ إنه كائن قاصد، يتحدد سلوكه من دوافعه الداخلية[1]، وهنا تحديدًا تعمل خصائص الوعي والإرادة والحرية.

في تبرير المنهج

إن اشتغال هذه الدراسة في الأساس على رصد قضية تحول فكري جماعي في زمن واحد لعدد من الأشخاص الذين جمعتهم الظروف نفسها تقريبًا، وهم الذين اصطلحت عليهم الدراسة بـ "تيار الكتيبة الطلابية"، ما يجعل استقراء عملية التحول إمبريقيًا مسألة غير ممكنة، كما لا يمكن بالضرورة إهمال مجمل التحولات الشبيهة التي حصلت في المنطقة في ذات الوقت؛ سيحيل إلى البحث عن مفاهيم كلية يمكن تحويلها إجرائيًا كأدوات للبحث ومحاولة الفهم، إضافة إلى ادعاء أصحاب التجربة بأن التحول تم بعد "سلسلة طويلة من المناقشات والجدل والمقارنات.[2]"، وكان محايثًا لعملية "تاريخية صاحبت تلك التجربة وأفكارها وتنظيراتها ما يقارب العقد من السنين.[3]". وأن ما حدث كان مسارًا "متماسكًا باتجاه اكتشاف الحقيقة، لا الحقيقة الكونية فحسب، وإنما أيضًا الحقائق التاريخية والاجتماعية والأيديولوجية والمفهومية.[4]"، فقضية التحول مرتبطة إذن في جانب أساسي منها بخصيصتي الوعي والحرية، بما ينجم عنهما من فكر نقدي انتهى إلى عملية الانتقال الجماعي.

لقد كانت عملية تحول تيار الكتيبة الطلابية جزءًا من عمليات التحول الأكبر التي كانت تسير في نفس الاتجاه وفي نفس الوقت في المنطقة العربية والإسلامية، بما في ذلك فلسطين، كما حصل تاريخيًا بالفعل، وكما يلاحظ أصحاب التجربة أنفسهم، والذين تبين لهم، ومن بعد الثورة الإيرانية وطريقة استقبال الجماهير الفلسطينية لنداء (الله أكبر) "أن هذا النداء يسكن أعماق جماهير الأمة العربية، ومن ثم فإن كل بحث عن خط الجماهير، أو خصوصية سمات الثورة في بلادنا لن يصيب كبد الحقيقة أبدًا ما لم يدرك الحقيقة الإسلامية المزروعة في أساسيات التكوين العربي الراهن.[5]". إن هذه التحولات العامة التي سارت في نفس الاتجاه تحيل بالضرورة إلى مفاهيم كلية تملك القدرة على تفسير مثل هذه التحولات.

إدراكًا لهذه التصورات النظرية التأسيسية، ولطبيعة الظاهرة نفسها محل الدراسة، كان لا بد من تجنب المناهج التحليلية الاختزالية التي تجنح إلى بناء منهجي يبدو متماسكًا لبساطته لكنه مخل بإهماله التفاعل "المركب من الظروف والمصالح والتطلعات والعناصر المعروفة، والمجهولة من جهة، وإرادة إنسانية حرة، وعقل مبدع من جهة أخرى[6]"، وارتكازه إلى "سبب واحد بسيط عام أو سببين أو ثلاثة، قد

---

[1]. عبد الوهاب المسيري، مصد سابق، ص٨٧.

[2]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر صابق، ص٢١.

[3]. المصدر السابق.

[4]. المصدر السابق.

[5]. المصدر السابق، ص٢٣.

[6]. عبد الوهاب المسيري، **الثقافة والمنهج**، تحرير: سوزان حرفي (دمشق: دار الفكر، ٢٠١٢): ص٢٨٨.

يكون قانونًا طبيعيًا واحدًا، أو دافعًا ماديًا واحدًا، أو قوة مدبرة خارقة، تنطبع على عقل متلق لهذا القانون أو الدافع أو القوة.[1]".

وعليه فإن الخيار البديل هو بناء نموذج مركب "يحوي عناصر متداخلة مركبة، أهمها الفاعل الإنساني ودوافعه، بحيث يعطي الإنسان صورة مركبة عن الواقع ولا يختزل أيًا من عناصره أو مستوياته المتعددة أو تناقضاته أو العوامل المادية والروحية، المحدودة واللامحدودة والمعلومة والمجهولة، التي تعتمل فيه.. فهو نموذج تفسيري اجتهادي منفتح وليس نموذجًا موضوعيًا متلقيًا ماديًا.[2]"، ومما يزيد في مسوغات بناء نموذج مركب يقوم على تعددية السببية وتعددية المؤثرات، هو طبيعة الظاهرة محل الدراسة من حيث ما قدمته من نقد للمادية التاريخية، والقراءات الماركسية الكلاسيكية لمسار التاريخ والظواهر الإنسانية.

في منهج الدراسة، نموذجها المركب:

(أ) نظرية الفوضى

هيمنت نظرية نيوتن في الجاذبية بقوانينها الثلاثة للحركة على العقل البشري حتى نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حينما جرى تصور تلك النظرية بأنها قد أمسكت بالحقيقة، وأحاطت باليقين المطلق، وامتلكت القدرة التامة والنهائية على التفسير والتقدم بالبشرية، وقد خضع لهذه الهيمنة منطق العلوم بشقيها الطبيعية والإنسانية.

إلا أنه ومع تعرف العلم إلى الظواهر الميكروسكوبية التي تخل بقوانين نيوتن، وبعد ذلك مع عجز قوانين نيوتن في التعامل مع الذرة وما دون الذرة من جسيمات دقيقة، تبين أن قوانين نيوتن فرضية تفسيرية ناجحة في حدودها وحسب، حتى ظهرت كل من النظرية الكمومية[3]، والنسبية[4] كثورتين قلبتا رأسًا على عقب مسلمات الفيزياء الكلاسيكية: كالحتمية الميكانيكية والعلية واطراد الطبيعة وثبوت ويقين قوانينها والضرورة لكليهما والموضوعية المطلقة...[5]، بما وضع حدًا فاصلاً بين الإبستمولوجيا العلمية الكلاسيكية، والإبستمولوجيا العلمية الحديثة[6].

إلا أنه وعلى غرار ثورتي الكمومية والنسبية، يمكن القول إن أن نظرية الكايوس أو الفوضى[7] قد ساهمت في الحد من غرور الإنسان العلمي، واعتقاده بإمكان الإمساك بالحقيقة، أو امتلاك القوانين النهائية في التفسير، كما يقول أحد العلماء: "لقد ضربت نسبية آينشتاين وهم نيوتن عن مكان وزمان مطلقين، وأطاحت الفيزياء الكمومية حلم نيوتن في التوصل إلى القياسات الدقيقة الحاسمة،

---

[1]. المصدر السابق.

[2]. عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مصدر سابق، ص١٥٧.

[3]. مع ماكس بلانك في ١٧ كانون ثاني ١٩٠٠.

[4]. مع أينشتيان سنة ١٩٠٥.

[5]. يمنى طريف الخولي، مصدر سابق، ص٤٦-٤٨.

[6]. المصدر السابق، ص٤٨.

[7]. والتي بدأت إرهاصاتها مع عالم الأرصاد الجوية إدوارد لورينتز عام ١٩٦٠.

وبددت نظرية الكايوس خيال نيوتن، وخصوصًا تلميذه أنطوان لابالاس، عن إمكان التوقع المحكم والحتمي.[1]".

لقد تبين مع نظرية الفوضى أن النظم التي تبدو بسيطة؛ هي شديدة الصعوبة، من حيث عدم القدرة على التنبؤ بمساراتها، وفي المقابل ينبثق نظام من قلب تلك النظم التي ظهر أنها تجمع الفوضى والنظام في الوقت نفسه، وبينت هذه النظرية أن حدوث تغيرات بسيطة في المعطيات الأولية، تفضي إلى نتائج هائلة عند الحساب النهائي[2].

لقد استعيرت نظرية الفوضى لإعمالها في مجالات علمية متعددة، لتعيد صياغة المؤسسة العلمية عالميًا، وخصصت لأجلها الحكومات الغربية وجيوشها وأجهزة استخباراتها، وخاصة الأمريكية منها، أموالاً متعاظمة للبحوث فيها، إضافة إلى الجامعات ومراكز البحث التي اهتمت بهذه النظرية[3]، إلا أن ما يهم هذه الدراسة منها، وفضلاً عن التأكيد على ضرورة احتراز المناهج التحليلية من وهم القدرة على التفسير النهائي والإمساك التام بالحقيقة، وإدراك التعقيد الشديد في الظاهرة، هو أهمية تعدد العوامل المؤثرة في الظاهرة، بما في ذلك العوامل الأولية الصغيرة، وتداخل هذه العوامل وتضافرها.

إضافة إلى ذلك، فإن هذه الدراسة ستستفيد من فكرة "النظام في قلب الفوضى"، وذلك بتضمين مفهوم "الرؤية إلى العالم" عنصرًا أساسيًا في نموذجها التحليلي المركب، حين البحث في المعنى الكلي الذي نظم التحولات التي شهدتها المنطقة العربية والإسلامية، بما في ذلك فلسطين.

ستهتم الدراسة بعدد من العوامل التي ساهمت في الدفع نحو التحولات التي جرت لتيار الكتيبة الطلابية، إن بالإشارة أو العرض أو التركيز المكثف، بحسب عمليات التجريد التي تقوم بها الدراسة للمعلومات والأحداث التاريخية بما يعيد تنظيم تلك العوامل بما يوافق الاتجاهات التي تقصدها الدراسة بالبحث.

من تلك العوامل: التحولات الدولية، والإقليمية، وطبيعة التيار نفسه وتاريخه وممارسته النضالية ومسلكيته الأخلاقية وتنظيره السياسي والتنظيمي السابق على التحول، كما أن جانبًا من التحولات سيدرس في سياق عدد من العوامل المتشابكة، خاصة في مرحلة ظهور "سرايا الجهاد الإسلامي" والتي لم تكن بمعزل عن النقاشات والمحاولات التي شهدتها الجماعات المصرية في فترة التأسيس الثاني للحركة الإسلامية في مصر، حيث كان بعض من الطلبة الفلسطينيين حاضرين في تلك المناقشات والمحاولات التي أفضت إلى تأسيس حزكة الجهاد الإسلامي، التي ارتبطت بها تجربة سرايا الجهاد الإسلامي ارتباطًا خاصًا، كما أن تلك النقاشات والمحاولات لم تكن بعيدة عن ظروف تأسيس حركة حماس.

ورغم اعتبار تيار الكتيبة الطلابية تيارًا صغيرًا داخل حركة فتح، ومن باب أولى داخل الحركة الوطنية عمومًا، فإنه كان مؤثرًا على

---

[1]. جيمس غليك، **نظرية الفوضى: علم اللامتوقع**، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٨): ص١٩.

[2]. المصدر السابق، ص٢١-٢٢.

[3]. المصدر السابق، ١٧.

الأحداث في لبنان في مرحلة الكتيبة الطلابية، كما كان مؤثرًا في إطلاق الانتفاضة الأولى، والمساهمة في إظهار المقاومة الإسلامية المسلحة التي عرفت لاحقًا من خلال كل من حركة المقاومة الإسلامية "حماس" وحركة الجهاد الإسلامي، وفي هذا الصدد تظهر فاعلية العناصر الأولية الصغيرة.

إن هذا التوظيف لنظرية الفوضى لا يتعارض مع التصور النظري الأساسي الذي قامت عليه الدراسة والذي يقضى بتمايز الظاهرة الإنسانية عن الظاهرة الطبيعية، ولكنه تأكيد على أولية الظاهرة الإنسانية من حيث تعقيدها وتعدد أبعادها وضرورة الاحتراز المنهجي من غرور ادعاء القدرة على التفسير النهائي أو امتلاك كامل أبعاد الظاهرة، طالما كان مسار العلوم الطبيعية الأقرب إلى إنجاز أنساق متكاملة للتفسير يتجه نحو هذا الاحتراز كلما ظهر تعقيد الظاهرة الطبيعية نفسها.

(ب) مفهوم "الرؤية إلى العالم"

تعتبر الدراسة هذا المفهوم هو النظام الموجود في قلب فوضى الظاهرة، استنادًا إلى ثلاثة عناصر أساسية، وهي أولاً: حصول التحول بالتزامن مع عدد من التحولات الكبرى في المنطقة العربية والإسلامية باتجاه الإسلام، وثانيًا: بالنظر إلى المسار التاريخي السابق على الظاهرة والذي بدأ بالحركة الإسلامية ثم عاد وانتهى مع الظاهرة وما تلاها من حركات مقاومة إسلامية بالحركة الإسلامية، وثالثًا: بمراعاة السياق النظري للظاهرة نفسها والذي تمثل بالبحث عن نظرية ثورية مشتقة من خط الجماهير انتهى بهم إلى القول بأن الإسلام بالنسبة إليهم "يشكل تراثنا الرئيسي، وتاريخنا، ويحدد السمات الخاصة بشعبنا وحضارتنا"[1]، وقد أفضى بهم هذا الأمر من الناحية الفعلية إلى وقوف البعض منهم "على أرض الإسلام وقوفًا خالصًا إيمانًا بعقيدته انطلاقًا من قناعة بصحته.. وهناك بعض آخر حسم قناعته بأن «لا ثورة في بلادنا إلا ثورة إسلامية» وهو يتعامل مع الموضوع تعاملاً سياسيًا وحضاريًا فقط، وهناك بعض ما زالوا يناقشون ويجادلون ويطرحون التساؤلات الشبيهة..[2]".

وقد سبقت الإشارة إلى ضرورة تمييز العلوم الإنسانية على رؤية منهجية خاصة بها تراعي خصوصية الظاهرة الإنسانية واختلافها عن الظاهرة الطبيعية، وهو الأمر الذي أدى بفيلهلم ديلتاي إلى تحويل مفهوم "الرؤية إلى العالم" إلى أداة إجرائية لتفسير الظاهرة الإنسانية، وهو المفهوم الذي توظفه هذه الدراسة كعنصر في نموذج مركب، وذلك بتوخي البحث عن المعنى الكلي الذي تندرج فيه هذه الظاهرة.

وإذا كانت بداية هذا المفهوم مع بداية العلوم الإنسانية، فإنه كان سابقًا عليها بحضوره الدائم في الفلسفة وإن بدوال أخرى من قبيل "روح العصر" كما لدى هيغل، ليعود استخدام المفهوم بالصيغة الحالية "الرؤية إلى العالم" في العلوم الإنسانية، وبالذات داخل التقليد الألماني، وخصوصًا من منظور "سوسيولوجيا الفهم" مع ماكس فيبر، ثم "سوسيولوجيا المعرفة" مع كارل مانهايم، والذي ورغم تأثره بالماركسية يولي عناية خاصة لفاعلية الفكرة، بينما كان التقليد الأنجلوسيكسوني يعطي الأولوية للجزئي القابل للاستقراء على المعنى

[1]. محمد محمد بحيص ومحمد باسم سلطان، **اسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان**، (القدس: وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر، ١٩٩٠): ص١٣.

[2]. المصدر السابق، ص٢٩.

الكلي العام[1].

إن هذا المفهوم، ورغم الكثير من التحفظات على قدرته الإجرائية بصفته ينزع نحو تحديد المعنى الكلي، بقي حاضرًا في العلوم الإنسانية، والتي عبرت عنه بصيغ متعددة كما فعل جيمس فايبلمان حينما سماه "الأنطولوجيا الضمنية المهيمنة" وعرفها بأنها الفلسفة المهيمنة على شعب بما يميزه عن غيره، واعتبرها العنصر الأكثر قوة على مستوى البناء الاجتماعي[2].

إلا أن هذا المفهوم كأداة إجرائية تعرض لانتقادات كثيرة، ليس أقلها خطورة الوقوع في التعميم حين محاولة إدراك المجتمعات بوصفها كليات، خاصة وأن هذه الانتقادات في الأساس مصدرها النظرة السوسيولوجية التي تتجه منهجيًا إلي الاستقراء الإمبريقي للظاهرة والذي ينتهي إلى وصف الظاهرة، ببينما تروم هذه الدراسة فهمها بما يحيل إلى "سوسيولوجيا الفهم".

فحين الانتقال إلى حقل الإنثروبولوجيا سيبدو واضحًا أنه لا بد من فهم المعنى الكلي للمجتمعات أو الشعوب محل الدراسة، أو كما يعبر ديفيد بيدني بأن "من المهمات الأساسية للذي يدرس الميتا – أنثروبولوجي أن يجد المسلمات الرئيسية التي تتعلق بطبيعة العالم وطبيعة الإنسان السائدة في نسق ثقافي ما"، بل إن هذا المفهوم صار "مركز اهتمام الأنثروبولوجيا عامة"[3].

لقد عبرت الأنثربولوجيا عن هذا المفهوم بصيغ متعددة، مثل "مبدأ الثقافة الضمني" و"التشكل الثقافي" و"اتجاه القيم" لدى كلايد كلوكوهن، والذي عرف مبدأ الثقافة الضمني بأنه "مجموع المسلمات غير المعلنة، التي يحملها أفراد المجتمع دون أن يعي أغلبهم ذلك"، و"القيم الرئيسية" لدى لورا طومسون والتي عرفتها بأنها: "المسلمات القاعدية أو مفاهيم الثقافة فيما يتعلق بالمشكلات– المفاتيح للحياة، أي الطبيعة والكون والإنسان والحيوان والنبات والعلاقة الرابطة بينهما"[4].

وحتى لدى السوسيولوجيين الأوائل الذي نزعوا إلى التعامل الإمبريقي مع الظواهر الاجتماعية، فإنهم كما لدى دوركهايم لم يغفلوا أهمية المعنى الكلي واستخدامه كأداة إجرائية في تحليل الظاهرة الاجتماعية، كما يروي بوجيليه عن أستاذه دوركهايم بأنه كان يعتقد بأن "المجتمع مجموع أفكار" وأن "المعتقدات الجمعية هي البؤرة الحيوية لكل مجتمع"[5].

لقد أملت الظاهرة محل الدراسة نفسها المنهجية المناسبة لدراستها والتي تضمنت هذا المفهوم، في الوقت الذي بدت فيه المادية التاريخية الكلاسيكية تعيد مراجعة نفسها مع اصطدام النظرية الماركسية بالتحولات التي لم تخضع لتلك النظرية، ومع ملاحظة الأنماط الحضارية

---

[1]. الطيب بو عزة، مصد سابق، ص٢٦.

[2]. المصدر السابق، ص٢٧.

[3]. المصدر السابق، ص٢٨.

[4]. المصدر السابق، ص٢٩.

[5]. المصدر السابق، ص٣٠، وقد اعتمدت الدراسة على هذا المصدر بشكل أساسي في شرح المفهوم وموقف العلوم الإنسانية منه وتطور استخدامه فيها، كما أن الطيب بوعزة قد استخدم هذا المفهوم أيضًا في بحثه عن الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية، وقام بتعريف المفهوم وقيمته الإجرائية في مقدمات البحث من صفحة ١١ إلى صفحة ٦٩. انظر:
الطيب بوعزة، **الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية: (١) الفلسفة الملطية أو لحظة التأسيس**، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٣).

التي لم تتفق مع التنظير الماركسي عن المسار الإنساني في التاريخ، إذ بدا التنظير الماركسي محكومًا إلى المركزية الأوروبية التي عرفت المجتمعات الصناعية بما لم تعرفه المجتمعات الأخرى والتي للمفارقة نجحت فيها الثورات الإشتراكية كما في الصين وفيتنام وكوريا الشمالية وكوبا بل وحتى روسيا.

فإذا كان ماركس قد اعتبر الوعي بكافة أشكاله من علم وفلسفة وفن ودين وأخلاق بنى فوقية منعكسة عن البنى التحتية المتمثلة بالموجود الاقتصادي، فإن الماركسية الكلاسيكية نفسها لم تنكر أهمية الوعي أو الفكر في التغيير ولكن بصفته رد فعل على التغيرات التي حصلت في البنية التحتية الاقتصادية، فقد جاء لينين ليشدد "على دور النظرية والوعي ودور الحزب وكشف القوانين الخاصة التي تحكم تنفيذ الحتمية الموضوعية التي صاغها ماركس وإنجلز، فبين أن هذه الحتمية تتحقق ليس من خلال تطور القوى الإنتاجية وتناقضها مع العلاقات الإنتاجية فحسب، وإنما تتطلب أيضًا نشر الوعي الثوري.[1]"، ثم ليعود ستالين ويستدرك بأن المادية التاريخية لا تنكر أهمية الأفكار والنظريات الاجتماعية والأوضاع السياسية من حيث دورها في التاريخ، بل إنها على العكس من ذلك تشير إشارة خاصة إلى دورها وأهميتها العظيمين، حيث إن الأفكار والنظريات الاجتماعية، والأوضاع السياسية تتولد من المهمات العاجلة التي يضعها تطور الحياة المادية للمجتمع، ثم تؤثر هي نفسها فيما بعد في المعيشة الاجتماعية، وفي حياة المجتمع المادية، بخلقها الشروط اللازمة لحل المسائل العاجلة الملحة في حياة المجتمع المادية، بما يجعل تطور المجتمع إلى الأمام ممكنًا[2]، كما تحدث ماوتسي تونغ عن أهمية استكمال الثورة في البناء التحتي بثورة في البناء الفوقي[3]، إلى أن تحدث كيم إيل سونغ بصراحة عن ضرورة قلب مفهوم ماركس وإعطاء الأولوية للعمل الفكري وتقديمه على البناء الاقتصادي، لحل معضلات عجز المادية التاريخية عن تفسير الكثير من الظواهر بما في ذلك انتصار الثورات الاشتراكية بغياب القاعدة الاقتصادية اللازمة لذلك بحسب التنظير الماركسي[4].

وثقافيًا حصل اشتغال كبير على نقد الحتمية الماركسية وإمكانية التنبؤ بالتاريخ وقدرية قوانين المادية التاريخية، حتى لدى بعض المنظرين الشيوعيين مثل روزا لوكسمبورغ، بينما اهتم ألتوسير بنقد الطابع الغائي والأرثوذوكسي للماركسية، ففصل بين الإيديولوجيا والعلم وذلك ضد التصورات الحتمية للماركسية، إلا أن هابرماس تحدث بوضوح عن إعادة بناء المادية التاريخية، حيث عاب على الماركسية هشاشة نظرية الانعكاس وعدم اكتشاف البعد التواصلي للغة، معتبرًا أن الثقافة ظاهرة خاصة بالبنية الفوقية ولكنها تلعب دورًا أكبر بكثير مما توقعه الماركسيون[5].

---

[1]. منير شفيق، ، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١): ص ٣٤-٣٥.

[2]. ستالين، **المادية الديلكتيكية والمادية التاريخية**، (دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، ٢٠٠٧): ص٥٩-٦١.

[3]. منير شفيق، **الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري**، مصدر سابق، ص١٤٢.

[4]. فوائد عكس مفهوم ماركس للبنى الفوقية والبنى التحتية، موقع الصوت الشيوعي، استرجع بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢٣
https://sites.google.com/site/communistvoice/arhm6

[5]. أم الزين بنشيخة المسكيني، *"كيف يمكن أن نفكر بعد ماركس"* في: **الماركسية الغربية وما بعدها**، مجموعة مؤلفين، تحرير: علي عبود المحمداوي، (بغداد: دار ومكتبة عدنان- الجزائر: منشورات الاختلاف- بيروت: منشورات ضفاف، ٢٠١٤): ص١٣-١٦.

لا تقصد هذه المراجعة نقد المادية التاريخية، أو النظرية الماركسية، ولكنها تقصد التأكيد على موقع الوعي الإنساني بالنسبة لصيرورة الظاهرة الإنسانية، بما يحتم استخدام الوعي كأداة للتحليل خاصة حين دراسة الظواهر المتصلة بالفكر، وإذا كان كل من الوعي والحرية أهم ما يميز نمط الوجود الإنساني عن نمط الوجود الطبيعي، فإن هذا يعني أن الإنسان لا يخضع للمعنى الكلي المهيمن، أو "الرؤية الكلية للعالم" خضوعًا حتميًا يلغي حريته وقدرته على الاختيار، بل إن خصوصية الظاهرة الإنسانية لا تتبدا فقط بضرورة اعتماد المعنى الكلي في تحليل الظاهرة الإنسانية أو السلوك البشري عمومًا، وإنما أيضًا بأن فاعلية المعنى الكلي لا تتمتع بالقدرة الحتمية المطلقة في التأثير على الإنسان بسبب خاصية الوعي والحرية التي تجعل الإنسان يمتلك القدرة على تمثل المعنى والامتثال له[1].

ويبدو موضع هذا المفهوم كعنصر في النموذج التحليلي المركب الذي تصوغه هذه الدراسة منهجية لها، ذا علاقة جدلية بموضوع الدراسة نفسها، إذ يمكن اعتباره فرضية منهجية تثبت نفسها بالدراسة بالقدر الذي تشكل دالة منهجية للعملية البحثية، حين اعتبار الإسلام هو المعنى الكلي المهيمن على المنطقة العربية والإسلامية، وذلك بدراسة تحول تيار الكتيبة الطلابية في سياق التحولات التي شهدتها المنطقة العربية والإسلامية في ذلك الوقت والبحث عن المعنى الناظم لتلك التحولات، وأيضًا بالبحث عن المعنى المتكرر في صيرورة الحركة الوطنية، والقرينة الظاهرة من تداخل المسارات بين الحركة الوطنية والحركة الإسلامية والتي جاء في ثناياها تحول تيار الكتيبة الطلابية ليتلوه بعد ذلك ظهور كل من حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وحركة الجهاد الإسلامي.

(ج) في المادة التاريخية:

رغم اهتمام هذه الدراسة بالتعريف بالتجربة، وتتبع مسارها منذ الأفكار الجنينية الأولى، ثم الملامح والإرهاصات الفعلية، مع رصد أهم فعاليات التجربة، وبذل الجهد في الإحاطة بأكبر قدر ممكن من الأحداث والإسهامات النظرية والعملية للتجربة، فإن الدراسة لا تدعي أنها تستوفي البحث التاريخي حقه، خاصة وأن البحث التاريخي الوافي يحتاج إلى استقراء تجارب عدد كاف من الأشخاص الذين عبروها، والتوقف عند سير آخرين من شهدائها، ومع أحداث عديدة حصلت في أوقات كثيرة على مدى هذه الفترة الزمنية الطويلة التي تشكل الإطار الزمني للدراسة.

إلا أن دراسة التجربة لا يمكن أن تتم على نحو معقول دون الاعتماد على المادة التاريخية، أو دون تضمين المادة التاريخية للنموذج التحليلي المركب الذي قام الباحث بصياغته، وذلك لسببين أساسين: الأول– ضرورة التعريف بالتجربة التي تستخدم كنافذة للإطلال على عدد من الموضوعات الهامة، والثاني– لأن التاريخ كاشف عن فرضيات ونظريات الدراسة، إذ هو الوعاء الذي تدور فيه الأحداث، والمجال الذي تتفاعل فيه النظرية مع الممارسة، أو يمكن بواسطته فحص صدقية الممارسة بالنسبية للنظرية.

وبصرف النظر عن التطورات التي شهدها علم التأريخ وتعدد مدارسه ومناهجه وأدواته وتعريفاته، بما في ذلك التحولات التي حصلت

---

[1]. الطيب بو عزة، **مفهوم الرؤية إلى العالم**، مصد سابق، ص١٣.

في مقاربة مفهوم الحدث خاصة مع التركيبات المتعددة لمعنى الحدث والتي تجعل من الممكن استعماله في اتجاه النقطتين المشكلتين لطبيعته ما بين أسبابه ومآلاته[1]، فإذا كان البعض يعتبر الحدث هو ما يؤول إليه، فإن الدراسة تنظر للحدث من زاويتي تشكله، وتنظر إلى تداخل الأسباب والبدايات في النهايات والمآلات، دون أن تتتبع كامل الوقائع والتفاصيل والأزمنة والشخوص والتي قد تهم المؤرخ على وجه التحديد.

وعمومًا فإن الكتابات التاريخية الحالية تعيد الاعتبار للبيوغرافيا والحدث والسرد، ولم يعد ما يمنع من تناول التاريخ من خلال الأحداث أو الفاعلين الاجتماعيين[2]، ولا تقتصر المهمة التاريخية في هذه الحالة على ما يشببه ايمانويل لوروا لادوري بعامل المناجم الذي يعمل في عمق الأرض، فيستخرج المعطيات إلى السطح ليستغلها مختص آخر مثل عالم الاقتصاد أو عالم المناخ أو عالم الاجتماع[3]، فالتاريخ في هذه الدراسة ليس مجرد وقائع أو معلومات مجردة، كما أن الحدث لا يظهر كخط مستقيم ببدايته ونهايته، ولكن ثمة إعادة استنطاق للتاريخ في محاولة للفهم، كما أن الحدث يبدو مفتوح البدايات كما هو مفتوح المآلات، كما أنه حاضر الفاعلية بالبحث عن مآلاته الراهنة.

لقد تأسست الدراسة من الناحية الهيكلية على بنية تاريخية عرّفت بالتجربة وحاولت تحديد بعض معالمها التاريخية، وهذا الفصل التاريخي التأسيسي من الدراسة لم يكن مجرد سرد خالص للوقائع التاريخية، وإنما كان عمليات تحليل متعددة مباشرة وغير مباشرة، تمسك بالتحليل في مواضع، وتستنطق السرد من طرف خفي في مواضع أخرى، إلا أن العنصر التاريخي حاضر في كل بنية الدراسة، خاصة وأن الدراسة منهجيًا تقوم على تعدد العناصر وتضافرها، وثمة عناصر تاريخية أساسية يلتحم عليها جسم الدراسة، وإن كان بعضها أحداثًا كبرى.

من الناحية الإجرائية قام الباحث بالاعتماد على ما صدر من مذكرات ذات صلة بالتجربة، إضافة إلى المقابلات الأكاديمية والتلفزيونية والصحفية التي أجريت مع بعض شخوص التجربة، إضافة إلى المقابلات التي أجراها الباحث بنفسه إن مباشرة أو بواسطة البريد الإلكتروني، مع الأخذ بعين الاعتبار إشكالية الذاتية في المذكرات الشخصية، وإشكالية القدرة على استرجاع الحدث كما كان، وهو الأمر الذي يحتم على الباحث المقابلة بين الروايات المتعددة، والرجوع إلى مصادر أخرى عالجت الفترات المعنية بالبحث.

إضافة إلى ذلك فإن الباحث اهتم بجمع الوثائق الصادرة عن التجربة، سواء كانت في صورة كتب أو نشرات، واعتمادها أساسًا لفحص المضمون النظري والطرح السياسي والفكري للتجربة في أزمنتها المتعددة، مع الحرص على الرجوع إلى كل ما أمكن الحصول عليه من دراسات أو كتابات أو مذكرات تحدثت عن التجربة حصرًا أو أشارت إليها ضمن سياقات أخرى.

---

[1]. خالد طحطح، **عودة الحدث التاريخي**، (الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ٢٠١٤): ص٣٤.

[2]. المصدر السابق، ص٧٠.

[3]. خالد طحطح، **الكتابة التاريخية**، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠١٢): ص٧.

ومن ناحية أخرى فإنه لا بد من الرجوع إلى المصادر الأساسية التي عالجت كل مسار من المسارات المقصودة في البحث ضمن رؤية تعدد وتداخل المسارات والتي تتجاوز زمنيًا ومكانيًا التجربة محل الدراسة، وبهذا فإن القائمة المرجعية للدراسة واسعة ولا تقتصر على الموضوع الأساسي، أو على موضوعات القضية الفلسطينية وحسب.

خلاصة في صياغة النموذج التحليلي المركب:

إن عناصر تعدد العوامل، وأخذ العوامل الأولية بعين الاعتبار، والبحث عن الناظم لتلك العوامل بما يمكن اعتباره النظام الذي في قلب الفوضى، وهو عنصر المعنى الكلي أو مفهوم "الرؤية إلى العالم"، وبالاعتماد على المادة التاريخية كمزود بالعوامل والأحداث التاريخية، جرى توضيح كيفياتها الإجرائية بعد كل عنصر من عناصر هذا النموذج المركب، بما يوضح الآلية التي ستعمل بها هذه المنهجية المصطنعة من هذا النموذج، بيد أنه لا بد من إعادة التأكيد بأن هذه العناصر لا تنفصل عن بعضها، ولا تعمل في فصول بحثية دون أخرى، وإنما يستمر التحامها من أول الدراسة إلى آخرها، وهي التي تشكل خطاطة هذه الدراسة، وعلى أساسها ينبني هيكل الدراسة، وتحديد اتجاهات الكتابة وأسلوبها.

موقع الباحث:

اعتقل الباحث أول مرة حينما كان عمره ١٥ عامًا، وبعد ذلك، وفي عدد متقطع من الاعتقالات، أمضى في السجون ما يقارب الثماني سنوات، سواء على خلفية مقاومة الاحتلال، أو الخلاف الفلسطيني الداخلي، وكان للباحث نظرًا لمواقعه النضالية والإدارية المختلفة أن يتوقف على إشكالات عميقة في تجربة الحركة الوطنية عمومًا، وحركة المقاومة الإسلامية "حماس" خصوصًا، وهو ما دفعه للتفكير المستمر بمشكلات الواقع الفلسطيني، وأزمات الحركة الوطنية الفلسطينية إن في صيغتها المقاومة، أو في صيغتها التسووية، وجذور هذه المشكلات والأزمات، وهو الأمر الذي كان بالضرورة سيعود بالباحث إلى تتبع المسار التاريخي للنضال الفلسطيني بمحطاته المتنوعة ما بين التمسك بالمقولات الأساسية للثورة الفلسطينية على مستوى التنظير والممارسة، أو مقولات الانحدار في كل من الممارسة والخطاب.

ونظرًا لتجربته العملية الممتدة من العمل النضالي الشعبي الذي اتسمت به الانتفاضة الأولى، والعمل الطلابي، والمقاوم، إضافة إلى التجربة الاعتقالية، وما قدمه من دراسات داخلية أو منشورة حول النضال الفلسطيني، واهتمامه بالفكر الإسلامي، وجد أن هذه الدراسة مهمة، ومناسبة لتجربته العملية، واهتمامه الفكري، خاصة وأنها تجمع ما بين الدراسات الفلسطينية، والقضايا الفكرية الصرفة، كالتحول من الماركسية إلى الإسلام.

وقد قدم بين يدي هذه الدراسة أثناء دراسته الأكاديمية في برنامج الماجستير للدراسات العربية المعاصرة، دراستين متصلتين بموضوعة

هذه الدراسة، وقد كانت الدراسة الأولى بعنوان: **"منير الشفيق: المثقف الملتزم في معية فلسطين"**[1]، وقد قصد بها الباحث دراسة مسيرة منير شفيق كمثقف ملتزم، أجرى تحولاته على أرضية الالتزام والتمسك بالثوابت الأولى للثورة الفلسطينية وحركة فتح. ومنير شفيق هو منظر التيار الذي تبحث فيه هذه الدراسة، أي تجربة التيار الذي تمثل قتاليًا في الكتيبة الطلابية. وأما الدراسة الثانية ذات الصلة التي كتبها الباحث، فهي: **"الاستشراق الذاتي وموقع المثقف: دراسة في جدل ماركسي على نقد جلال صادق العظم لفكر المقاومة الفلسطينية"**[2]، والتي، وفي سياق دراسة الاستشراق، تبحث الاستشراق الذاتي داخل تجربة الثورة الفلسطينية، مستعرضًا الجدل الذي دار بين كل من جلال صادق العظم من جهة، ومنير شفيق وناجي علوش من جهة أخرى، إضافة إلى تطرقه إلي موقع المثقف من جهة موضوعات ذات صلة بمشكلات هذه الدراسة أيضًا.

صعوبات الدراسة:

واجهت الباحث صعوبات مركبة، فمن ناحية واجهته مشكلة شح الأدبيات التي تناولت موضوعة الدراسة بصورة مباشرة، إذ لم يقع إلا على دراستين اثنتين وحسب، اتسمتا بالقصر والاختزال الشديدين بالشكل الذي يحول دون اعتمادهما كمصادر أساسية للدراسة، وذلك إضافة إلى كتاب شهداء ومسيرة لمنير شفيق وعدد من المذكرات والمقابلات التلفزيونية والصحفية والأكاديمية المتاحة، وقد استهلكت محاولات الباحث الحصول على بعض الوثائق والمصادر من القدس أو من خارج الوطن أو إجراء المقابلات بواسطة البريد الإلكتروني وقتًا كبيرًا على حساب الوقت المتاح لإنجاز الدراسة.

ومن ناحية ثانية فإن الباحث ممنوع من السفر ومن دخول مدينة القدس المحتلة، وهو الأمر الذي يحول دون قدرته على إجراء المقابلات بصورة حيوية، كما يحول دون قدرته على الوصول إلى الوثائق المتعلقة بالتجربة محل الدراسة، أو الإصدارات القديمة التي تتناول تجربة الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية عمومًا، ويمكن القول إن ظروفًا عديدة فرضها الاحتلال ويعاني منها الباحث شكلت عقبة كبيرة أمام قدرته على إنجاز دراسته بالسلاسة والسرعة اللازمتين.

ولأن بعضًا من أحداث الدراسة قريب نسبيًا، ولا تزال قضاياه محل إشكال ومخاوف بالنسبة لشخصيات هذه الأحداث في ظل استمرار الاحتلال، وتغير ظروف ومواقع ومصالح تلك الشخصيات، فإن تلك الشخصيات اعتذرت عن إجراء المقابلات، والتي كان من شأنها أن تثري الدراسة، وأن تعزز الجوانب التأريخية والتوثيقية فيها.

ومن حيث الاتجاهات البحثية، وتقنيات الكتابة، فإن زمن الدراسة واسع، سواء ذلك الزمن المتعلق بتجربة الكتيبة الطلابية نفسها، أو ذلك الزمن المتعلق بتداخل مسارات الحركة الوطنية منذ تأسيس حركة فتح من قبل مجموعة قادمة من جماعة الإخوان المسلمين وصولاً إلى الانتفاضة الفلسطينية الأولى وتأسيس حركة المقاومة الإسلامية "حماس" مرورًا بتأسيس حركة الجهاد الإسلامي وموقع الكتيبة

---

[1]. ساري عرابي، **منير الشفيق: المثقف الملتزم في معية فلسطين**، جامعة بيرزيت، ٢٠١٢

[2]. ساري عرابي، **الاستشراق الذاتي وموقع المثقف: دراسة في جدل ماركسي على نقد جلال صادق العظم لفكر المقاومة الفلسطينية**، دراسة غير منشورة، جامعة بيرزيت، ٢٠١٤

الطلابية من ذلك إن في مرحلة التحول نحو الإسلام أو في تجربة سرايا الجهاد الإسلامي.

وهذا الزمن الطويل بتشابكاته المتعددة، إضافة إلى إطلال التجربة نفسها على عدد من الموضوعات الفكرية والسياسية والتاريخية والتنظيمية، يصعّب من القدرة على تحديد الاتجاهات البحثية من جهة مناطق التركيز وتكثيف البحث والدراسة، ومن جهة تحديد المنهج وأدواته المناسبة، ومن جهة طريقة العرض والكتابة.

ومرحلة التحول لم تكن نقلة واحدة من أرض فكرية إلى أخرى، ولكنها أخذت زمنًا طويلاً، وتعلقت بأسباب متعددة، وكانت تمظهراتها مختلفة بين أصحاب التجربة، وهذه كلها عناصر تجعل من العملية البحثية أكثر تحديًا للباحث لاختيار اتجاهاته البحثية بما يستجيب لطبيعة هذه التحديات.

مراجعة الأدبيات السابقة:

يمكن تقسيم الأدبيات ذات الصلة بموضوعة الدراسة إلى محاور، بحسب تعلقها بموضوع الدراسة، أولاً من حيث التعلق المباشر، أي تلك الأدبيات التي تناولت تجربة الكتيبة الطلابية في أي من مراحلها حصرًا وبصورة مباشر، وثانيًا الأدبيات التي تناولت موضوع التحولات الفكرية وبالذات من الماركسية إلى الإسلام، وثالثًا الأدبيات التي تناولت تجربة الثورة الفلسطينية سواء اشتملت على الإشارة إلى تجربة تيار الكتيبة الطلابية أو شكلت مرجعية لوضع تجربة تيار الكتيبة الطلابية داخل الإطار العام لمسار الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية الفلسطينية، ورابعًا هو المتعلق بمسار التداخلات وتحديدًا تداخل الخطين الوطني والإسلامي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية. وبالضرورة فإنه يمكن الحديث عن محور خامس يتعلق بموضوعات نظرية تشكل جزء مهمًا من بنية التجربة، كمفاهيم الإسلام والثورة، وموقع المثقف، وعلاقات الإسلام والإيديولوجيا والماركسية، إلا أن الباحث لم يَعْرِض أدبيات هذا المحور لعدم توسعه في بحث موضوعاته، لأجل التركيز في أطر الدراسة الرئيسية، وإن كانت هذه الموضوعات مضمنة في الدراسة، بيد أن كل موضوعة منها قابلة لأن تنهض بدراسة مستقلة بالاعتماد على التجربة محل الدراسة.

المحور الأول– أدبيات تجربة الكتيبة الطلابية

القسم الأول– الدراسات: يأتي كتاب منير شفيق (١٩٩٤) ***شهداء ومسيرة*** في طليعة ما كتب عن تجربة تيار الكتيبة الطلابية، حيث صدرت طبعته الأولى في العام ١٩٩٤، أي بعد استشهاد قادة التجربة بستة أعوام تقريبًا، ويمثل هذا الكتاب غطاء نظريًا ممتازًا للتجربة في شرح صيرورتها ومواقفها ومقولاتها وتحولاتها، إلا أن هذا الكتاب لا يمكن الاعتماد عليه في التوثيق التاريخي للتجربة حتى وإن حمل بعضًا من السمات التاريخية، لكنه يتضمن قدرة فائقة على الإجابة عن كثير من الأسئلة التي تتبادر إلى ذهن الباحث في هذه التجربة. بينما تأتي دراسة نيكولا دوت بويار (٢٠١٠) ***اليسار المتحول للإسلام: قراءة في حالة الكتيبة الطلابية لحركة فتح*** في الدراجة الثانية بعد كتاب منير شفيق سالف الذكر، وهذه الورقة ترجمة عن نص فرنسي عنوانه الأصلي: ***من بكين إلى طهران يولون الوجه***

شطر القدس: "ماويو فتح" والتجربة الفريدة من التحول نحو الإسلام، وتحاول أن تقدم تفسيرًا لتحول الكتيبة الطلابية من الماركسية إلى الإسلام رابطة هذا التحول بشكل أساسي بالثورة الإيرانية وبتراجع اليسار في العالم عمومًا، مع إشارة إلى بعض روافد ومآلات التحول اللبنانية والفلسطينية والعربية، وهي دراسة قصيرة لا تتجاوز في الواقع ١٦ صفحة من أصل ٣٧ صفحة تضمنت مقابلتين مع اثنين من شخصيات التجربة وهما منير شفيق وسعود المولى. أما دراسة مانفريد سنيغ (٢٠١١) ***إخوة السلاح: كيف تحول الفلسطينيون الماويون إلي جهاديين*** فهي دراسة مكتوبة باللغة الإنجليزية لمجلة عالم الإسلام وقام الباحث بعمل ترجمة خاصة لها، وهي دراسة تقع فيي ٤٤ صفحة بنسختها الإنجليزية، وقد ركزت على تجربة سرايا الجهاد الإسلامي وإن تناولت حالة الكتيبة الطلابية وتحولاتها، معتمدة بشكل أساسي على كتاب منير شفيق شهداء ومسيرة، مع جهد تحليلي للخطاب الإسلامي للتجربة في مرحلة ما بعد التحول في كل من كتاب منير شفيق (١٩٨٢) ***الإسلام في معركة الحضارة*** ، وكتيب محمد محمد بحيص ومحمد باسم سلطان (١٩٩٠) ***أسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان***. أما ما كتبه منير شفيق (١٩٧٦) تحت عنوان ***دروس من تجربة الشهداء الخمسة*** فهو مقالة طويلة حول استشهاد خمسة من كوادر الكتيبة الطلابية، بيد أنها تمتلك أهمية خاصة لتاريخ كتابتها الذي كان يعايش الأحداث في لحظتها، ولما انطوت عليها من إرهاصات تحول مبكرة على المستوى النظري. وأخيرًا فإن أطروحة أكرم حجازي (١٩٩٩) ***الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة من الداخل: بحث سوسيولوجي في تاريخية المنظمات الفدائية والجماعات الإسلامية***، وهي أطروحة دوكتوراة من جامعة تونس الأولى، تصلح للتصنيف في عدد من المحاور كمحور الأدبيات التي تناولت تجربة الثورة الفلسطينية عمومًا، ومحور الأدبيات التي تعلقت بموضوعة تداخل المسارات، إلا أن الباحث أدرجها في المحور الأول كونها خصصت قسمًا هامًا من الدراسة لتجربة سرايا الجهاد الإسلامي فيما يزيد على ٥١ صفحة متعرضًا إلى مرحلة الكتيبة الطلابية، واللافت أنه أدرج تجربة سرايا الجهاد في إطار تاريخية الظاهرة الجهادية في فلسطين، معتبرًا سرايا الجهاد الإسلامي مرحلة ثانية بعد تنظيمات الغضب الإسلامي في مصر السبعينيات وقبل مرحلة المقاومة الإسلامية "حماس" التي عدها مرحلة أو مسألة ثالثة بحسب اصطلاحه.

إضافة إلى ما سبق فإن كتاب عبد الله عيسى (١٩٩١) ***متفجرات في مكتب شامير***، ساهم في إلقاء الضوء على تجربة سرايا الجهاد الإسلامي وأبرز عملياتها، وهي تجربة تتسم بالغموض لارتباطها بحركة الجهاد الإسلامي وتعدد الروايات في شأنها واستشهاد قادتها المؤسسين، وفي السياق نفسه فإن كتابه الآخر (١٩٩١) ***حافلات الجهاد الإسلامي***، يشير إلى إحدى عمليات سرايا الجهاد الإسلامي بما يساعد على إكمال دائرة المعلومات حول هذه التجربة.

القسم الثاني– المذكرات: وتأتي مذكرات فتحي خليل البس (٢٠٠٨) ***انثيال الذاكرة: هذا ما حصل***، في مقدمة المذكرات من حيث تاريخ الصدور لا من حيث القيمة التاريخية أو الفائدة للدراسة، وأصل هذه المذكرات مجموعة مقالات منشورة في صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية، وهي تتسم بالذاتية الشديدة، لكنها تتعلق بشكل مباشر بالتنظيم الطلابي لحركة فتح في لبنان، والسرية الطلابية في

مراحلها الأولى، أي في مرحلة الحرب الأهلية، وإن لم يواكب بقية تحولات السرية بعد نزول السرية إلى الجنوب وتحولها إلى كتيبة نظامية مقاتلة في قوات فتح، والواقع أن مذكرات البس أكثر فائدة للإطلالة على التنظيم الطلابي لفتح في لبنان منها للتعرف إلى تيار الكتيبة الطلابية وذلك بسبب خروجه من لبنان في العام ١٩٧٧ وانقطاعه الفعلي عن التيار في مرحلة نضوج التيار وبداية تحولاته الجادّة، بينما تأتي مذكرات شفيق الغبرا (٢٠١٢) ***حياة غير آمنة: جيل الأحلام والإخفاقات***، بعد مذكرات البس من حيث تاريخ الصدور، إلا أنها أكثر منها أهمية، فالغبرا وإن لم يواكب المراحل الأولى لتبلور التيار والسرية الطلابية ولم يكن من تنظيم فتح الطلابي في لبنان نظرًا لدراسته في الولايات المتحدة الأمريكية، كما لم يواكب حرب العام ١٩٨٢، فإنه اطلع على بعض مراحل التكون الأولى من خلال زياراته إلى لبنان، ثم انخرط في كل المعارك القتالية للسرية الطلابية ثم الكتيبة الطلابية إن في الحرب الأهلية أو في جنوب لبنان حتى العام ١٩٨١. وقدم الغبرا أفكارًا مفيدة لصالح معرفة التيار وأفكاره وممارساته وبنيته ومكوانته وامتداداته، بعد ذلك تأتي مذكرات خليل النبتيتي (**٢٠١٤**) ***في الطريق إلى فلسطين***، وهي أصغر المذكرات التي راجعها الباحث حجمًا، لكنها ورغم قصورها الكبير فيما تعلق بالتيار وبنيته وأفكاره، إذ لا تكاد تتطرق إلى هذا الجانب، فإنها مفيدة فيما تعلق بالعمليات والمعارك، ولا سيما الأحداث من بعد العام ١٩٨٢ ودور الكتيبة الطلابية في هذه الأحداث، بالرغم من الضعف الكبير في الجانب التأريخي والتوثيقي لهذه المذكرات، ويمكن في هذا القسم الإشارة أيضًا إلى المحاورة التي أجراها صقر أبو فخر مع أنيس النقاش (٢٠١٠) ***أسرار خلف الأستار*** كون هذه المحاورة أشارت إلى تجربة الكتيبة الطلابية التي كان أنيس النقاش قريبًا منها، خاصة وأنه كان أحد مسؤولي التنظيم الطلابي لفتح في الثانويات. إلا أن المحاورة التي أجراها كل من إلياس خوري وميشال نوفل مع معين طاهر (٢٠١٣) تحت عنوان ***من ملاحم الصمود في لبنان إلى إعادة التأسيس***، ونشرت في مجلة دراسات فلسطينية، تشكل مرجعية تاريخية ممتازة حول تجربة الكتيبة الطلابية بما في ذلك الشق المتعلق بسرايا الجهاد الإسلامي، وخاصة من حيث التوثيق التاريخي واستعراض الأحداث واستحضار شخصياتها، وما تعلق بالتيار فكرًا وممارسة وعلاقات وامتدادات، خاصة وأن معين الطاهر قاد الكتيبة الطلابية لأكثر من ست سنوات من بعد استشهاد قائدها الأول سعد جرادات، إضافة إلى علاقات الطاهر المميزة، بحكم موقعه كقائد للكتيبة، سواء مع قيادات التيار الهامة والأساسية، أو مع كل من ياسر عرفات وخليل الوزير. وأثناء إعداد الدراسة دفع إلى المطبعة بالنص الموسع من هذا الحوار ليصدر في صيغة كتاب مستقل في (٢٠١٥) بعنوان: ***حوار مع معين الطاهر: الكتيبة الطلابية.. تأملات في التجربة***، وقد صدر الكتاب بالفعل أثناء كتابة الدراسة، ونظرًا لاستحالة الحصول على الكتاب المنشور أثناء كتابة الدراسة، فإن الباحث استعان بالمادة المخطوطة التي حصل عليها من معين الطاهر، وهي نفس المادة المنشورة في الكتاب، وسوف يعتمدها الباحث مصدرًا أساسيًا في هذه الدراسة، ولكن كنص غير منشور بعنوان: ***الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة***. وهذا المصدر هو النص الأوسع للمحاورة التي سبق وأن نشر جزء منها في مجلة الدراسات الفلسطينية.

المحور الثاني– أدبيات التحولات

تعد دراسة هاني علي نسيرة (٢٠١٠) ***الحنين إلى السماء: دراسة في التحول نحو الاتجاه الإسلامي في مصر في النصف الثاني من***

القرن العشرين، الدراسة الأساسية التي اطلع عليها الباحث في هذا الصدد، لغرض التوسع في استقصاء ظروف التحولات وأسبابها حتى وإن كانت ذات بعد فردي شخصي، أو لم تتعلق بتجربة الثورة الفلسطينية أو الحركة الوطنية الفلسطينية، وهذه الدراسة التي رجع إليها الباحث واستفاد منها بصورة محدودة في الإطار النظري، تناولت التحولات أولاً في المجال الفلسفي متخذة من عبد الرحمن بدوي وزكي نجيب محمود أمثلة على ذلك، وتناولت ثانيًا التحولات في المجال الفكري متخذة من سيد قطب وطارق البشري وعبد الوهاب المسيري أمثلة على ذلك.

المحور الثالث– أدبيات تجربة الثورة الفلسطينية

هذه الأدبيات كثيرة، لكن يهم الباحث أن يشير تحديدًا إلى العمل المرجعي ليزيد صايغ (٢٠٠٣) ***الكفاح المسلح والبحث عن دولة***، والذي أرخ للحركة الوطنية ضمن ثنائية الكفاح المسلح والبحث عن دولة منذ العام ١٩٤٩ وصولاً إلى توقيع اتفاق أوسلو في العام ١٩٩٣، ليشكل هذا العمل أرضية مرجعية للدراسة، فضلاً عن تضمنه إشارات هامة إلى اليسار داخل حركة فتح، وتجربة الكتيبة الطلابية، ودور منير شفيق. بينما كتاب غازي خورشيد (١٩٧١) ***دليل حركة المقاومة الفلسطينية***، ورغم أنه سابق على تجربة الكتيبة الطلابية فإنه من أقدم الدراسات التي تحدثت عن فصائل الثورة الفلسطينية المعاصرة، وهو من هذه الناحية يشكل وثيقة هامة بما يعين على فهم ظروف فصائل الثورة الفلسطينية في تلك الفترة الزمنية. والأمر نفسه يمكن قوله بخصوص ما كتبه طلال سلمان (١٩٦٩) ***مع "فتح" والفدائيين***، والذي وإن اتخذ الطابع الصحفي فإنه قدم صورة حية عن أوضاع ونقاشات فصائل الثورة الفلسطينية في تلك الفترة المبكرة جدًا من عمر الثورة الفلسطينية.

المحور الرابع– مسار التداخلات:

يشكل كتاب عبد الله أبو عزة (١٩٨٣) ***مع الحركة الإسلامية في الدول العربية***، وثيقة تاريخية هامة لفهم الظروف التي أسست فيها حركة فتح مجموعة قادمة من جماعة الإخوان المسلمين، والنقاشات التي دارت داخل المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في البلاد العربية والتي أفضت إلى تأسيس معسكرات الشيوخ تحت مظلة حركة فتح بالأردن وموقف التنظيم الفلسطيني الإخواني منها، وقد عزز جانبًا من هذه الشهادة ما أدلى به سليم الزعنون (٢٠١٣) في ***السيرة والمسيرة: مذكرات سليم الزعنون***، خاصة في ظروف تأسيس حركة فتح وعلاقة المجموعة المؤسسة بجماعة الإخوان المسلمين، وذلك بالإضافة إلى صلاح خلف (١٩٩٦) ***في فلسطيني بلا هوية***. كما عرضت بعد الكتابات هذا التداخل في المسارات، كما فعل بشير نافع (١٩٩٩) في ***الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠–١٩٨٠***، وأيضًا في كتابه (٢٠١٠) ***الإسلاميون***.

مصطلحات الدراسة:

يعتقد الباحث بضرورة تحديد التعريفات الإجرائية إن للمصطلحات أو المفاهيم الأساسية التي يستخدمها في الدراسة، وتحويلها إلى مصطلحات خاصة بالدراسة، بعد تخليصها من الالتباس الناجم عن اختزان المفهوم لتاريخ متشابك ومعقد بقدر تشابك وتعقيد الظاهرة الإنسانية نفسها التي أنتجت المفهوم، ومنحته صيرورته الخاصة من رحم صيرورتها هي، وهو ما يتعارض مع طبيعة التعريف المنطقي المتصل بجعل المصادر الفلسفية المفهوم رديفًا للتصور، حيث يقصد التعريف المنطقي إلى الإحاطة الجامعة المانعة، وهو الأمر – وبمعزل عن الإمكان في تحقيق التعريف الجامع المانع– الذي يتعارض مع طبيعة المفهوم المفتوح على الحركة المستمرة والإمكانية الهائلة على إعادة التأويل.

فزغم الاختلاف بين كل من (المفهوم) و(المصطلح) على أساس من أن المصطلح موضع اتفاق، كما يفيد لفظه، فما اصطلح عليه الناس، هو ما اتفقوا عليه، أو "اتِّفَاق الْقَوْم على وضع الشَّيْء"[1]، و"(اصْطلحَ) الْقَوْم زَالَ مَا بَينهم من خلاف وعَلى الْأَمر تعارفوا عَلَيْهِ وَاتَّفَقُّوا"[2]، فإن اللفظ الذي يبدو أنه قد أنجز في صورة مصطلح كثيرًا ما تتلبسه نزعة مفهومية، أو تتنازعه التأويلات أو الاستخدامات المتباينة، بما يتعارض مع وصفه كمصطلح، الأمر الذي يفرض على الباحث القيام بتحرير خاص لمفاهيمه ومصطلحاته بما يخلصها من استشكالات اتساع المفهوم على التأويل، أو الاستخدامات المتباينة للمصطلح الواحد.

وفي سياق تحديد الإطار النظري للدراسة، يهتم الباحث بتحديد المصطلحات الأربعة الواردة في عنوان الدراسة: التحول، الإيديولوجيا، السياسة، الكتيبة الطلابية، بما يحيلها إلى مفاتيح مساعدة لفهم مقولات الدراسة واتجاهاتها البحثية ونظرياتها المضمنة إياها.

أولاً– التحول: تحيل الدلالة المعجمية على مجموعة من المعاني، من أهمها مما هو ملتصق بموضوع الدراسة: التغير والصرف، فحوال الدهر: تغيره وصرفه، وتحول عن الشيء زال عنه إلى غيره، والتحول من موضوع إلى موضع، والانتقال من مكان إلى مكان، والحركة، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعني لا حركة ولا استطاعة إلا بالله، وتحول الشيء نفسه تغيره، وفي الحديث "من أحال دخل الجنة"، أي من أسلم تحول من الكفر عما كان يعبد إلى الإسلام، وفي الحديث أيضًا "فاحتالتهم الشياطين" أي نقلتهم من حال إلى حال[3].

وتفيد المعاجم الفلسفية بأن التحول يحيل إلى معاني الانتقال والصيرورة[4]، واستخدم في بعض الدراسات الشبيهة التي عالجت موضوعة التحولات الفكرية بمعنى: " الانتقال من رؤية معسكر فكري لمعسكر آخر، ومن تبني رؤية فكرية للذات والعالم إلى تبني رؤية مغايرة"[5].

---

[1] . أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، **الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998): ص129.

[2] . إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، [د.ت]): ص520.

[3]. محمد بن منظور، لسان العرب، مصد سابق، ج٢، ص٦٦٧– ٦٦٨.

[4]. أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، مصدر سابق، ج٣،ص١٤٨٠

[5]. ممدوح الشيخ، **عبد الوهاب المسيري: من المادية إلى الإنسانية الإسلامية**، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨): ص٣٥

والمعنى المقصود في استخدامات هذه الدراسة، ينسجم مع ما سبق بيانه من اتفاق المصادر المعجمية والفلسفية والدراسات الفكرية التي تناولت موضوعة التحول، وخاصة أن أصحاب التجربة أنفسهم وصفوا تحول تيارهم بأنه: "دخل في مرحلة تحول كبرى حين انتقل إلى أرض الإسلام بعد أن كان يقف على أرض الوطنية الفلسطينية، والقومية العربية، والمرجعية الماركسية اللينينية.[1]".

فالتحول إذن عملية انتقال من مرجعية فكرية إلى أخرى، دون أن يعني التحول بالضرورة قطيعة مع ما سبق، رغم اتساع التحول وحدته، فالتحول الذي تتناوله الدراسة اتسم بنوع خاص من الاستمرارية، فمقولة خط الجماهير المستدعاة من القاموس الماركسي الماوي بقيت خطًا ثابتًا للتيار ومنظره منير شفيق، فهذه المقولة دعمت معرفتهم بالإسلام، إضافة إلى الفكرة المركزية التي تعنيها الطليعة الثورية التي يجب أن تكون القابلة التي يولد التاريخ على يديها، بمعنى لقد حاول الماركسيون الماويون في حركة فتح الاستماع إلى الماركسية بطريقة أخرى، وهذه الاستمرارية هي التي تمكن عملية التحول من الإضافة إلى الفكر الإسلامي والحركة الإسلامية، حتى لو حصلت قطيعة بالمعنى السياسي، من حيث الكف عن البقاء في الماركسية واتخاذ الموقع الجديد بين الإسلاميين، فالتحول في هذه التجربة يندرج ضمن التاريخ الخاص للتجربة عمومًا وسياقاتها النضالية، والتاريخ الخاص لرموز التجربة، وهي من هذه الجهة استمرارية في سياق العمل على التحرر الاجتماعي والوطني[2]، وتوظيف الخبرات السياسية والنضالية والتنظيمية في إطار المرجعية الفكرية الجديدة.

ثانيًا– الإيديولوجيا: المتابع لتطورات مفهوم الإيديولوجيا لا يمكنه إلا أن يلمس ما تعرض له هذا المفهوم من محنة ومعاناة[3]، إن من جهة التأويلات المتعددة التي أعطيت له، أو من جهة المواقف التي اتخذها العديد من المفكرين ضده، فـ (إديولوجيا، أدلوجة: فكروية[4])، كلمة ابتكرها دستوت دو تراسي، لتعني علم موضوعه دراسة الأفكار (بالمعنى العام لـ ظواهر الوعي) ومزاياها وقوانينها وعلاقاتها مع العلامات التي تمثلها وبالأخص أصلها، إلا أنها في تطورها التاريخي حملت معاني أخرى شديدة التباين، فجاءت بالمعنى المبتذل: تحليل أو نقاش فارغان لأفكار مجردة، لا تتطابق مع وقائع حقيقية، وهي أيضًا مذهب يلهم أو يبدو أنه يلهم حكومة أو حزبًا، إلا أنها بالمعنى المتداول ماركسيًا فكر نظري يعتقد أنه يتطور تطورًا تجريديًا في غمار معطياته الخاصة به، لكنه في الواقع تعبير عن وقائع اجتماعية، ولا سيما عن وقائع اقتصادية، فكر لا يعيه ذلك الذي يبنيه، أو على الأقل لا يأخذ في حسبانه أن الوقائع هي التي تحدد فكره[5].

وقد اقترح عبد الله العروي كلمة (أدلوجة) تعريبًا للكلمة[6]، بينما اقترح طه عبد الرحمن كلمة (الفكرانية)، تخلصًا من المعنى المقترن بالجذر (د، ل، ج) الذي يفيد معنى السير في الليل، والذي قد يحمل معنى قدحيا لا يليق ببعض المنازع الإيديولوجية النافعة[7]، لكن وأيًا كانت

---

[1]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصد سابق، ص١٢.

[2]. . من محاورة مع منير شفيق، انظر: نيكولا دوت بويار، **اليسار المتحول للإسلام: قراءة في حالة الكتيبة الطلابية لحركة فتح**، مصدر سابق، ص٢٥-٢٦.

[3]. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العلي، **الإيديولوجيا**، (الدار البيضاء: دار توبيقال للنشر، ٢٠٠٦): ص٥.

[4]. بحسب موسوعة لالاند الفلسفية، انظر: الموسوعة، مصدر سابق، ج٢، ص٦١١.

[5]. المصدر السابق.

[6]. عبد الله العروي، **مفهوم الأيديولوجيا**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢): ص٩.

[7]. طه عبد الرحمن، **تجديد المنهج في تقويم التراث**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢): ص٢٤-٢٥.

التعريفات الرئيسية للإيديولوجيا خلال التطور التاريخي للكلمة، وأيًا كانت المفاهيم المتميزة لها، والتبويبات التي يمكن أن تندرج فيها تلك التعريفات، فإنه يهم الدراسة الإشارة إلى بعض تلك التعريفات ذات الصلة بموضوعة الدراسة، ومنها تعريف لوي ألتوسير الذي عرفها بأنها: "نسق (له منطق ودقته الخاصتين) من التمثلات (من صور وأساطير وأفكار وتصورات حسب الأحوال)، يتمتع، داخل مجتمع ما، بوجود ودور تاريخيين"، بينما قسمها كارل مانهيام إلى معنيين جزئي وكلي، فأما الجزئي فهو الذي يشير إلى الارتياب إزاء الأفكار والتمثلات التي يقدمها الخصم، بينما يقصد المعني الكلي إيديولوجية عصر أو جماعة تاريخية عينية، مثل (الطبقة) حيث تتجلى مميزات البنية الكلية للفكر في ذلك العصر وعند الجماعة.[1] وقد أشار العروي إلى استخدامات الإيديولوجيا الرئيسية، ومفهاميها الأساسية، والتي من ضمنها أنها رؤية كونية[2].

والذي يهم من هذه التعريفات، ما يمكن الاستفادة منه لتحديد تعريف خاص بهذه الدراسة، حيث يتبين أن الإيديولوجيا تطلق أيضًا على العقيدة ومحتوى التفكير[3]، وهي بناء على ذلك يمكن أن تحمل "معنيين اصطلاحيين أحدهما أعم من الآخر: أولهما مطلق (النظام الفكري والعقائدي) الشامل للأفكار «النظرية» أي الأفكار المبينة للواقعيات الخارجية والتي لا ترتبط –بشكل مباشر– بسلوك الإنسان والمحتوية على «الوجوب» و«المنع»، وثانيهما يختص «بالنظام الفكري المحدد لشكل سلوك الإنسان»"[4].

وبناء على ذلك فإن الإيديولوجيا المقصودة في هذه الدراسة، تحمل المعنيين العام والخاص، أي المعنى العام المتصل بالرؤية الكونية، والمعنى الخاص المعبر عن الأفكار العملية المنبثقة من هذه الرؤية الكونية، وهذا التعريف ينسجم مع مفهوم "الرؤية إلى العالم"، أو "المعنى الكلي المهيمن" الذي تستخدمه الدراسة مفهومًا إجرائيًا كأداة تحليلية، وبهذا فإن إيديولوجيا تيار الكتيبة الطلابية هي نسق الأفكار العملية المنبثقة عن تصوراتهم الكلية، إن في المرحلة الماركسية التي عبرت عن طريقة تعاطيهم مع الماركسية، أو المرحلة الإسلامية التي عبرت فيها الإيديولوجيا عن فهمهم الخاص للمعنى الكلي المهيمن والذي هو الإسلام.

وفي هذا الصدد يمكن ذكر تعريفات اقترحها آخرون تفيد منها هذه الدراسة: "الإيديولوجيا هي منظومة لتفسير العالم الاجتماعي تنطوي على نظام من القيم المقبولة، وتقترح إصلاحات ينبغي إنجازاها وانقلابًا يخشاه الناس"، وهي "مجموعة أفكار وتمثلات يأخذها صاحبها على أنها تأويل للعالم"، وهي "منظومة من الآراء تحدد من جراء اعتمادها على منظومة من القيم المقبولة اتجاهات الناس وسلوكهم إزاء أهداف التطور المتوخاة وأهداف المجتمع والفئات الاجتماعية والأفراد"[5].

---

[1]. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العلي، **الإيديولوجيا**، مصدر سابق، ص١٠-١٢.

[2]. عبد الله العروي، مصدر سابق، ص٦٥. وانظر تلخيص تلك الاستعمالات والمفاهيم والتصنيفات في:
محمد الرحموني، **الدين والإيديولوجيا: جدلية الديني والسياسي في الإسلام والماركسية**، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥): ص١٠.

[3]. محمد تقي مصباح اليزدي، **الإيديولوجيا المقارنة**، ترجمة: عبد المنعم الخاقاني (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٩٩٢): ص١٠.

[4]. المصدر السابق.

[5]. محمد الرحموني، مصدر سابق، ص١٣.

وقد استخدمت الدراسة أيضًا مفهوم (**الإيديولوجيا الضمنية**): وهي الإيديولوجيا التي تخلقها الاتجاهات العميقة لمجتمع ما وضروراته[1]، بحيث تشكل رافعة لشكل من أشكال التجمع أو النشاط أو الطموحات الحزبية أو الشخصية، بما ينسجم مع الاتجاهات العميقة للمجتمع، وإذا كان يمكن وصف الاتجاهات العميقة للمجتمع بأنها المعنى الكلي المستخدم في الدراسة، وبالتالي فإن الإيديولوجية الضمنية هي الإيديولوجية العملية المنبثقة عن التصور الكلي، فإن الدراسة تقصد معنى آخر، وهو الإيديولوجيا المهيمنة على مجتمع ما في ظرف معين نتيجة ظروف خاصة، وهي من هذه الناحية منفصلة عن الرؤية الكونية أو المعنى الكلي، وهذا الاستخدام الخاص في الدراسة يقصد به: الكفاح المسلح، والذي هيمن على الشعب الفلسطيني في الفترة الزمنية التي تقصدها الدراسة بالبحث، وهو الأمر الذي يمكن استخدامه إجرائيًا لتفسير بعض الظواهر، مثل طبيعة اللحظة التاريخية التي ظهرت فيها فتح وتراجعت فيها جماعة الإخوان المسلمين، وقدرة حركة فتح على الحفاظ على حضورها الجماهيري رغم تحولاتها الكثيرة، وأسباب تراجع كل من الحزب الشيوعي وحزب التحرير، وصعود حركة حماس لاحقًا، إلا أنه يمكن تركيب معنى خاص آخر لمفهوم الإيديولوجيا الضمنية وهو الكفاح المسلح المحمول على مرجعية إسلامية.

ثالثًا– السياسة: تتحدث معاجم العربية عن السياسة بمعنى القيام بالأمر[2]، فالسياسة القيام على الشيء بما يصلحه، وهو معنى لا يخلو من الدلالة المثالية، وفيها معنى الترويض والتذليل[3] بما يشير إلى دلالات ذرائعية كما يشير إلى دلالات مثالية، بينما تتحدث بعض المصادر الفلسفية عن السياسة بعدة معاني، منها المعنى العام الواسع، والذي يعني ما يتصل بالحياة العامة في جماعة بشرية منظمة[4]، وعلى ذلك فإن العلم السياسي هو دراسة أو معرفة الوقائع السياسية، والعمل السياسي فهو ممارسة الفعاليات السياسية[5].

بينما تشير المصادر المعنية بعلم السياسة إلى عدد من التعريفات من أوسعها: "من يحصل على ماذا وكيف"، و"الإنسان يحرك الإنسان"، و"إنتاج التأثيرات المرجوة"، و"القدرة على تعبئة موارد المجتمع لبلوغ الأهداف التي يتم من أجلها القيام بتعهد علني عام"، و"قدرة طبقة اجتماعية[6] على تحقيق أهداف مصالحها المحددة"[7]، وهذه التعريفات التي تتحدث عن الحركة ومحاولة التأثير في مجال عام بما يتجاوز التعريفات الكلاسيكية المرتبطة بالدولة والحكم، مناسبة لمقصود السياسة في هذه الدراسة.

وإذا كانت الدراسة تعرض فيما تعرض له لتحولات السياسة عمومًا في الحركة الوطنية، وبالذات حركة فتح، بما يعني التحول عن الثوابت السياسة وخطابات الثورة الأولى، فإن الانتقال السياسي بالنسبة لتيار الكتيبة الطلابية يعني الانخراط في العمل الإسلامي

---

[1]. السابق، ص٢١٧.

[2]. محمد بن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، ج٤، ص٧٤٧.

[3]. المصدر السابق.

[4]. أندريه لالاند، مصدر سابق، ج٢. ص٩٩٣.

[5]. المصدر السابق، ص٩٩٤.

[6]. ويمكن الاستعاضة عن الطبقة الاجتماعية، بالقول: "فئة تجمعها أفكار أو مصالح أو رؤى سياسية واحدة".

[7]. انظر هذه التعريفات في: ستيفن دي تانس، **علم السياسة: الأسس**، ترجمة: رشا جمال، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٢): ص٣٤-٣٥.

عمومًا، والمشروع النهضوي الكبير للأمة، ولكن مع الحفاظ على الثوابت والمنطلقات والأهداف الأساسية مثل تحرير فلسطين، وتحقيق الوحدة العربية، والتحرر من السيطرة الإمبريالية، وبناء الاستقلال الحقيقي، وإقامة العدل الاجتماعي[1].

رابعًا– الكتيبة الطلابية: (السرية الطلابية، كتيبة الجرمق)، كانت في الأصل تشكيلاً عسكريًا منبثقًا عن التنظيم الطلابي لحركة فتح في لبنان، وقد انضمت إليها مجموعات من اليسار اللبناني، مثل الحزب الشيوعي ومنظمة العمل الشيوعي، حتى حملت هذه الحالة الفتحاوية توجهًا يساريًا خاصًا غلبت عليه الاتجاهات الماركسية اللينينية المتأثرة بأفكار ماوتسي تونغ، إضافة إلى العديد من الشباب العرب من العراق وتونس ومصر وسوريا، وآخرين من إيران وتركيا، ثم تحولت إلى كتيبة قتالية محترفة بانضمامها إلى قوات العاصفة، وحملت بعد ذلك اسم كتيبة الجرمق، وكان سعد جرادات أول قائد للسرية.

إلا أن السرية أو الكتيبة بهذا المعنى تمثل جزءًا من التيار الأوسع، والذي ضم شخصيات من قطاعات عسكرية وتنظيمية وإدارية أخرى، كان بعضهم من القطاع الغربي وشؤون الأردن مثل أبو الحسن قاسم الذي يمكن اعتباره القائد الميداني الأول للتيار، وحمدي التميمي. إضافة إلي منير شفيق الذي يمكن اعتباره منظر التيار، الذي لم يتخذ شكل التنظيم، ولم يتكون من تراتبيات تنظيمية كلاسيكية مثل الأمانة العامة والمكتب السياسي وما شابه، وإنما كان تيارًا بنواة قيادية واسعة من أبرز شخوصها منير شفيق وأبو الحسن قاسم وحمدي ومروان كيالي وهلال رسلان والدكتور عصمت وعلي أبو طوق ومحمود العالول ونذير أوبري وشباب من البقاع ومن الجبل وعدد من القيادات العربية المناضلة[2]، ولذلك فإن السرية وبعد التحاقها بقوات العاصفة حظيت بروافد متعددة من الخط السياسي في قطاعات العمل الأخرى والجامعات والمناطق اللبنانية.

وقد اختارت الدراسة أن تطلق على عموم التجربة عنوان (الكتيبة الطلابية)، دون أن تقصد بها الجزء القتالي الصرف من التجربة والمنبثق عن التنظيم الطلابي لفتح في لبنان، ولمزيد من الدقة فإن الدراسة في متنها تصطلح غالبًا على التجربة بـ (تيار الكتيبة الطلابية)، للدلالة على كون التجربة محل الدراسة أوسع من الحالة القتالية الصرفة التي عرفت باسم السرية الطلابية ثم باسم كتيبة الجرمق.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا الاصطلاح الخاص (تيار الكتيبة الطلابية) يتمدد على المستوى الزماني ليشمل تجربة سرايا الجهاد الإسلامي التي وقف خلفها كل من أبو الحسن قاسم وحمدي ومنير شفيق، باعتبارها واحدًا من مآلات تحولات تيار الكتيبة الطلابية، دون أن تعمد الدراسة إلى استقصاء كل المآلات، إذ إن هذا خارج مجال بحثها.

بنية الدراسة:

الفصل الأول: المقدمات والإطار النظري: الموضوعة وقضية المنهج

---

[1]. شهداء ومسيرة، مصدر سابق، ص٢.

[2] معين الطاهر، "من ملاحم الصمود في لبنان إلى إعادة التأسيس في فلسطين"، حاوره: إلياس خوري وميشيل نوفل، في مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٩٤، (ربيع ٢٠١٣): ص٨٥–١١٧.

يقدم هذا الفصل مقدمة ضافية تتناول تداخل مسارات الحركة الوطنية، بما يشكل أفقًا تاريخيًا عامًا لموضوعة الدراسة، ومدخلاً معرفيًا إلى هذه الموضوعة، بما يمكن اعتباره الأرضية التي تؤثث ذهنية القارئ بما يمكنه من استيعاب بقية معطيات الدراسة بما في ذلك مقولاتها وفرضياتها المبثوثة في متن الدراسة على فصولها القادمة، وفي هذا السياق امتاز هذا الفصل بعلاقة وشائجية جمعت ما بين المدخل التاريخي الذي مثلته المقدمة والأطر النظرية التي تحددت بصياغة منهج خاص بالدراسة، وعرض لإشكاليات وفرضيات الدراسة، إضافة إلى تعريف بأهم مصطلحات الدراسة والتي يمكن استخدامها أيضًا كأدوات إجرائية تتضافر مع المنهج الذي تمت صياغته على نحو خاص لصالح هذه الدراسة، حيث قام الباحث بالوصل الدائم بين موضوعة الدراسة والأطر النظرية المطروحة، بما يجعل تلك الأطر فاعلة حتى في طبيعتها التجريدية، بما يجعل من الإطار النظري عمومًا مدخلاً واسعًا للدراسة.

وقد عرض هذا الإطار النظري لرؤية خاصة متعلقة بالمنهج تقوم على أساس من التمييز بين العلم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وعلى ضوئه تمت صياغة نموذج مركب من ثلاثة عناصر تم شرحها وتبريرها وبيان كيفية استخدامها وتضافرها في إطار نموذج واحد، وإضافة إلى ذلك فإن الدراسة قامت بمراجعة موجزة ومكثفة للأدبيات التي تناولت أهم موضوعات الدراسة.

الفصل الثاني تيار الكتيبة الطلابية: في جذور النشأة

يشكل هذا البحث المدخل التاريخي العام للدراسة، وذلك بالانطلاق من ظروف نشأة الثورة الفلسطينية، واستقرارها في الأردن، وما تبع ذلك من أحداث دامية في أيلول العام ١٩٧٠، ثم النهاية المأساوية للثورة الفلسطينية في الأردن عام ١٩٧١، وتعتبر الدراسة أن هذه المرحلة بالغة الأهمية في التأسيس لما تلاها من بعد انتقال الثورة الفلسطينية إلى لبنان، خاصة وأن التيار اليساري في فتح تعاظم على إثر نتائج أيلول، وعن هذا التيار انبثق تيار الكتيبة الطلابية، ومن الجدل الذي دار حول نتائج أيلول والمسؤولية عنها حاول تيار الكتيبة الطلابية أن يقدم مقولته المتمايزة. ويبدأ الفصل متوسعًا بعرض أوضاع الثورة الفلسطينية إلى الأردن، ثم يضيق كلما اقترب من الدخول إلى لبنان، لأن موضوعة الدراسة المباشرة هي تيار الكتيبة الطلابية تحديدًا. وبعد الانتهاء من المرحلة اللبنانية يحاول الفصل التعريف بالتيار اليساري في فتح، وبتاريخية وجود الثورة الفلسطينية في لبنان، ثم ظروف انتقالها إليه من بعد الخروج من الأردن.

الفصل الثالث: الكتيبة الطلابية.. من الإرهاصات إلى المآلات

هذا الفصل هو أكبر فصول الدراسة على الإطلاق، وأكثرها أحداثًا، وأغناها بالتأريخ، ذلك لأنه الفصل المخصص للتعريف بالتجربة، وتتبع مسارها منذ الملامح الأولى، ثم إرهاصات التبلور، ثم التأسيس، مع التعريف بالروافد والأطر المرتبطة بالتيار ونواته القيادية وأهم الأفكار المطروحة، ويمضي الفصل مع التيار وطليعته المقاتلة "السرية الطلابية" ثم "الكتيبة الطلابية– الجرمق" في كل محطات المرحلة اللبنانية: الحرب الأهلية وجانب من معارك التيار فيها، والتصدي للقوات السورية، والنزول إلى الجنوب، وأهم إسهامات الكتيبة في الجنوب، ومعاركها التي خاضتها ضد قوات سعد حداد، أو ضد القوات الصهيونية، وصولاً إلى اجتياحي العام ١٩٧٨ والعام ١٩٨٢،

ثم دور الكتيبة في تنظيم المقاومة بعد العام ١٩٨٢، وأخيرًا ما بعد ذلك في أحداث "الانشقاق"، والخزوج من لبنان، ومحاولات العودة إليه، فضلاً عن دور التيار الهام في تنظيم المقاومة من داخل الأرض المحتلة. وفي هذا الفصل لا ينفصل التأريخ للممارسة عن فحص الأفكار المطروحة في سياق الممارسة، ولذلك فهو لا يخلو من عرض الأفكار ومراجعة الأدبيات التي أنتجت خلال المرحلة.

الفصل الرابع: التحول: من خط الجماهير إلى الإسلام

أرجأت الدراسة موضوع التحولات إلى فصل مستقل قائم بذاته، لأهميته ومركزيته وتعلقه بفرضيات الدراسة الأساسية. بعد التنبيه إلى التحولات التي كان تيار الكتيبة الطلابية قد عبرها، تقوم الدراسة بتطبيق منهجيتها بعرض التحولات المتزامنة التي جرت في المنطقة العربية، ثم تلتفت إلى التحولات التي كانت تجري في فلسطين انطلاقًا من مقولة تداخل المسارات، مرورًا بظروف نشوء حماس، والجماعة الإسلامية في السجون، وحركة الجهاد الإسلامي، ثم يأتي بعد ذلك الثورة الإسلامية في إيران، وحينما تنتهي الدراسة من عرض ذلك كله تضع تحولات الكتيبة الطلابية ضمن سياق ناظم لكل تلك الظروف الموضوعية ولظروفها هي الذاتية. وفي هذا الفصل يأتي التعريف بتجربة "سرايا الجهاد الإسلامي"، وبالوقوف عند مآلات أخرى للتجربة.

الفصل الخامس: خلاصات الإيديولوجيا والسياسية

ينظم هذا الفصل ما تناثر في الفصول السابقة في خيط متماسك، سواء في استخلاص ما يعزز فرضيات الدراسة الأولى، أو يجيب على أسئلتها، أو يثبت جدارة المنهج المتبع ومقولته المركزية، أو فيما سوى ذلك من خلاصات هامة يجدر تسجيلها والتأكيد عليها، أو إيجاز المقولات التحليلية الأساسية لمسار التجربة.

الفصل الثاني

تيار الكتيبة الطلابية: في جذور النشأة

أولاً– مهاد تاريخي.. ما قبل البدايات

الطريق إلى أيلول:

وضعت فتح نفسها في مواجهة الوضع العربي السائد منذ أن تشكلت النواة الأولى للحركة من بعد العام ١٩٥٧[1]، فعندما رفعت فتح شعار "الفلسطنة" عبر الصيغة الأشهر التي قلبت بها الحركة المنطق السائد في المجال العربي في ذلك الوقت، والتي قالت بها أن "فلسطين طريق الوحدة" بدلاً من شعار "الوحدة العربية طريق تحرير فلسطين"، كانت تضع نفسها في مواجهة القومية العربية التي كانت في أوج صعودها، والتي سترى بالضرورة الشعار الجديد تغريدًا شاذًا خارج سرب القومية العربية الكاسح، وتعبيرًا عن تصورات إقليمية عصبوية وتجزيئية، إلا أن السمة الأساسية لفكر فتح في ذلك الوقت كما يرى مؤسسو الحركة كان أبعد من ذلك من حيث إنها "الرفض الكامل للنظرة الإستراتيجية العربية ولكافة التحليلات التي طرحتها كل القوى الوطنية —ناهيك عن القوى غير الوطنية– سواء في الأسلوب أو في المنهج لتحرير فلسطين"[2].

بينما يأتي شعار "الثورة الشعبية المسلحة طريق تحرير فلسطين" نقيضًا ورفضًا لمفهوم الحرب الخاطفة والنظامية، وشعار "غير خاضعة ولا تابعة ولا موجهة" رفضًا لمحاولة الأنظمة العربية فرض وصايتها وولاية أمرها على الفلسطينيين"[3].

وبقيت الحركة تتعرض إلى حملة من الهجوم الكاسح من مصادر عربية متعددة، فيما عدا الجزائر التي ارتبطت الحركة بثورتها، والكويت

---

[1]. تختلف الروايات حول التاريخ الفعلي لتأسيس النواة الأولى لحركة فتح، لكنها تتردد غالبًا ما بين العام ١٩٥٦ إلى العام ١٩٥٨، بينما أعلنت الحركة عن نفسها في مجلة فلسطيننا في العام ١٩٥٩، ولعل هذا الإرجاع القديم إلى العام ١٩٥٦ سببه تشكيل "المقاومة الشعبية" التي استمرت داخل القطاع من تشرين أول ١٩٥٦ إلى ١٤ آذار ١٩٥٧، وقادها سليم الزعنون عضو جماعة الإخوان المسلمين والذي سيصبح لاحقًا أحد مؤسسي حركة فتح، إلا أن هذا التشكيل يمكن إدراجه في سياق إرهاصات التحول الفلسطيني، وتحديدًا داخل قطاع غزة نحو الوطنية الفلسطينية والاعتماد على النفس بالارتكاز إلى نموذج الكفاح المسلح المستلهم من التجربة الجزائرية التي انطلقت في تشرين ثاني ١٩٥٤.

غير أن أول صيغة مكتوبة عرفت حول مشروع حركة فتح هي تلك التي قدمها خليل الوزير لجماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة، في تموز من العام ١٩٥٧*، بما يشير إلى احتمال وجود مناقشات سابقة حول الفكرة، بينما يكاد يجمع مؤسسو الحركة إلى أن النواة الفعلية الأولى كانت في العام ١٩٥٨ كما يؤكد صلاح خلف**، وكمال عدوان***، وإن كانت السيرة النضالية التي كتبها محمد حمزة لخليل الوزير (أبو جهاد) تؤكد أن العام ١٩٥٧ كان عام التأسيس الفعلي للحركة****.

* عبد الله أبو عزة، مصد سابق.

** صلاح خلف، مصد سابق، ص٥٥.

***كمال عدوان، "فتح: الميلاد والمسيرة– حديث مع كمال عدوان"، حاوره: طاهر عبد الحكيم، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ١٨، (كانون ثاني ١٠٧٣): ص٤٥–٥٨.

**** محمد حمزة، أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله، مصدر سابق، ص١٧٥– ١٨١.

[2]. هاني الحسن، "فتح بين النظرية والتطبيق: ١– الإطار النظري، مجلة شؤون فلسطينية"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٧، (آذار ١٩٧٢): ص٩–٢٢.

[3]. المصدر السابق.

التي تأسست فيها الحركة فعليًا، فقد اعتبرتها سوريا جماعة مجهولة[1]، أما مصر فقد نظرت إليها وكأنها تنتمي إلي جماعة الإخوان المسلمين، بينما لم تكن معروفة للعراق[2]، إلى أن أعلنت الحركة عن انطلاقتها المسلحة في الأول من شهر كانون ثاني في العام ١٩٦٥، على النحو الذي بدا، بحسب هاني الحسن أحد قادة حركة فتح؛ "ظاهرة تحد لجميع الأنظمة والمؤسسات السياسية البارزة والتي كانت قائمة بشكل خاص، في المنطقة العربية المجاورة لفلسطين. وكان للطرح الثوري الجديد الذي طرحته فتح والذي يقود في النهاية إلى رفض اعتبار خط الهدنة خطًا دفاعيًا ثابتًا، أي إلى المنطق الإستراتيجي العربي. كان لذلك الطرح ردة فعل وصلت حد مقاومة رجال الثورة الجديدة واعتقال رجالها ومطاردتهم. وكان للنظام الهاشمي (إسرائيل الداخلية)[3] اليد الطولى في تطبيق قرار القيادة العربية الموحدة والقاضى بمطاردة الفدائيين. فأول شهيد للثورة الفلسطينية سقط على يد الأردن وليس على يد الإسرائيليين"[4].

بل إن الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب شن حملته على فتح، على إثر البيان الأول للعاصفة، الجناح المسلح لحركة فتح، معتبرًا أن الحركة التاريخية في المنطقة هي الحركة الناصرية وأن على الجميع أن يندرج ضمن هذه الحركة، وفي سياق رؤية تذهب إلى أن معركة تحرير فلسطين هي في النهاية معركة الجيوش العربية، بقيادة الجمهورية العربية المتحدة، إلى درجة رفض العمل الفدائي على أساس أن فلسطين لا تصلح جغرافيًا لهذا النوع من القتال، وبأن المثال الجزائري لا يمكن إسقاطه على الحالة الفلسطينية، لأن أغلبية الشعب الفلسطيني تعيش خارج أرضها[5].

إلا أن فتح واجهت تحديات أخرى ذاتية، إن فلسطينية أو على مستوى إستراتيجية الحركة وأدائها، فقد عانت من "ظروف الشك الجماهيري واللامبالاة الانهزامية التي خلقتها في الفلسطينيين سنوات طويلة من التشرد وخيبة الأمل"[6]، وهو ما يعني أن الحركة بقيت صغيرة ونخبوية وقريبة من صورتها الأولى التي تأسست عليها إلى أن حصلت هزيمة العام ١٩٦٧، ولكن العلامة الفارقة في تاريخ الحركة كانت معركة الكرامة.

---

[1]. ربما كان هذا الموقف في البدايات الجنينية لحركة فتح، ولكن في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥، نشأ تعاون وثيق بين فتح ونظام البعث في سوريا، وبحسب ما ينقل حنّا بطاطو عن فاروق القدّومي أحد مؤسسي فتح، وهو بعثي سابق، فإن سوريا في تلك الفترة كانت قاعدة دعم أساسية لفتح. انظر: حنّا بطاطو، **فلّاحو سورية: أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأنًا وسياساتهم**، ترجمة: عبد الله فاضل ورائد النقشبندي، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤): ص٥٢٦. وقد كانت اجتماعات فتح في العام ١٩٦٤ تعقد في دمشق كما يروي صلاح خلف. انظر: صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصد سابق، ص٧٦. وإن كان صلاح خلف يذهب إلى أن علاقة البعث السوري بفتح كانت معقدة، إذ كان البعث السوري ينظر إلى فتح على أنها انفصالية. المصدر السابق ص٧٩. ولهذا السبب لجأت إلى تسريب عناصر بعثية مؤيدة لها داخل فتح، مثل يوسف عرابي، والذي أدى مقتله في العام ١٩٦٦ إلى تأزيم العلاقة بين النظام البعثي وحركة فتح، وصلت إلى حدّ اعتقال قيادات فتح الموجودين في دمشق، وفيهم ياسر عرفات وخليل الوزير. انظر: صلاح خلف، المصدر السابق، وكذلك حنّا بطاطو، مصد سابق، ص٥٢٧– ص٥٢٩. غير أن علاقة الأسد بفتح عادت وتحسنت بعد العام ١٩٦٧، ولعل ذلك على خلفية تنافسه مع صلاح جديد الذي قام بتأسيس قوات بعثية فدائية فلسطينية، أي قوات الصاعقة. انظر: المصدر السابق، ص٥٢٩– ٥٣٠. ثم استمرّت العلاقة بينهما بعد ذلك صعودًا وهبوطًا، ومدًّا وجزرًا، وصراعًا ما بين نزعات الاستحواذ الأسَدي، ونزعات الاستقلال العرفاتي.

[2]. أكرم حجازي، **الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة من الداخل**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٩.

[3]. هذا التعبير لهاني الحسن في المصدر الذي سيأتي توثيقه.

[4]. هاني الحسن، "وقفة عند الذكرى الرابعة لمعركة الكرامة"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٨، (نيسان ١٩٧٢): ص٤١–٥٨.

[5]. خليل الهندي وفؤاد بوراشي وشحادة موسى، **المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني: دراسة تحليلية لهجمة أيلول**، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الأبحاث، ١٩٧١): ص٢٣.

[6]. المصدر السابق، ص٢٢.

على مستوى الإستراتيجية والأداء، فقد اعتمدت فتح مفهوم "حرب التحرير الشعبية"، الذي استدعته من التجربة الجزائرية، إلى جانب مفهوم "حرب الشعب" الذي كان أكثر استخدامًا لدى القوى اليسارية تأثرًا بتجربتي الصين وفيتنام[1]، والذي يتضمن مفاهيم اجتماعية خاصة استنادًا إلى الماركسية بعد تبييء هذه الماركسية بما يناسب الظروف الخاصة بمجتمع الكفاح، إلا أن الفارق بين المفهومين لم يكن واضحًا في الحالة الفلسطينية، والتي وجدت نفسها في ظروف مختلفة لا تمكنها من تطبيق أي من المفهومين كما هو الحال في الجزائر أو الصين أو فيتنام.

في سنة ١٩٦٤، زار وفد فلسطيني الصين الشعبية، والتقى بماوتسي تونغ، الذي قال للوفد الفلسطيني: "لقد تبادلنا الحديث بحرارة ولكنني أريد أن أقول، لقد درست قضيتكم والظروف المحيطة بها بدقة، إنها قضية صعبة تتداخل فيها المشاكل تداخل أسنان القرش. إذا تمكنتم من تفجير ثورة والاستمرار بها فإني سأكون سعيدًا لدراسة قوانين جديدة لحرب شعب في ظروف لا تنطبق عليها قواعد حرب الشعب التقليدية"[2]، وهذا يعني ببساطة أن الشكل الذي اختارته فتح لإستراتيجية الكفاح المسلح لم يكن منطبقًا على الحالة الفلسطينية، وسيكون في النهاية سببًا في اصطدامها بالمحيط العربي ابتداء بالحكم الهاشمي في الأردن.

بالنظر إلى تفوق عنصر الاحتلال البشري داخل فلسطين الانتدابية من بعد نكبة العام ١٩٤٨، حيث أصبح الفلسطينيون أقلية على أرضهم، ويتكدسون في مساحات جغرافية صغيرة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، فإنه لم يكن متاحًا إطلاق حرب تحرير شعبية، أو "حرب الشعب" من الأراضي التي يتمتع فيها الاحتلال بالتفوق البشري الكاسح، إذ لا يمكن إطلاق هذا النوع من الحروب من داخل بيئة معادية، بينما يحتاج إطلاق "حرب الشعب" من المناطق الصغيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى عملية إسناد من الدول العربية المجاورة، وهو ما كان سيعني في النهاية اصطدام المقاومة الفلسطينية بهذه الدول ما دامت رافضة لتحمل تبعات المقاومة الفلسطينية، فضلاً عن اتخاذ أراضيها قواعد ارتكاز آمنة[3].

كانت المواجهة مع الدولة الأردنية أقرب منها مع بقية دول الجوار بالنظر إلى كون الضفة الغربية قد أصبحت جزءًا من المملكة الأردنية الهاشمية، خاصة وأن السياسة الصهيونية كانت تعتبر الدول العربية مسؤولة عن العمليات التي تنطلق منها، فترد بضرب هذه الدول، كما حصل بعد قيام المقاومة الفلسطينية بتفجير عبوة ناسفة في دورية حدودية صهيونية في ١٢ تشرين ثاني من العام ١٩٦٦، لتقتل ثلاثة من أفراد الدورية وتجرح ستة[4]، فترد "إسرائيل" مباشرة بضرب قرية السموع في تشرين الثاني ١٩٦٦، مستهدفة مفرزة من الجيش الأردني استشهد فيها ستة عشر من الجنود الأردنيين، كما قتل العقيد الصهيوني الذي كان يقود العملية، ودمرت العشرات من بيوت القرية التي استشهد ثلاثة من أبنائها.[5] لقد أحرج الرد الصهيوني النظام الأردني الذي بدا عاجزًا عن حماية ترابه الوطني، وفاقم من

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٣٠٠.

[2]. هاني الحسن، "وقفة عند الذكرى الخامسة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٩٨، (كانون ثاني ١٩٨٠): ص٢٢-ص٣٤.

[3]. أكرم حجازي، مصدر سابق، ص١٩٩.

[4]. أمين معلوف، **اختلال العالم**، ترجمة: ميشيل كرم، (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٩): ص١٥٢.

[5]. المصدر السابق، ص١٥٣.

إحراجه توفر الظروف المناسبة لخروج حركة جماهيرية عبرت عن نفسها بالمظاهرات الغاضبة المطالبة بتسليح الجماهير، ما جعل هذه الجماهير في موضع التناقض مع النظام الأردني، الذي رد على المظاهرات بحملة اعتقالات واسعة شملت الجماهير المنتمية إلى العمل الفدائي أو المتعاطفة معه[1]، كما لم تكن سوريا بمنأى عن ردود الفعل الصهيونية التي تستهدف الدول العربية كي تضعها في مواجهة المقاومة الفلسطينية، ففي ٧ نيسان ١٩٦٧ حصل اشتباك حدودي صغير تطور إلى مواجهة جوية في سماء دمشق، أسقطت من خلاله ست طائرات سورية[2].

بعد هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧، والتي عدت هزيمة للنظام الرسمي العربي ستنقلب الأوضاع لصالح المقاومة الفلسطينية، رغم هزيمة المشروع الناصري لصالح ما سمي في حينه بالرجعية العربية التي كانت في موضع الخصومة مع النظام الناصري، والذي تصالح بدوره مع هذه "الرجعية" من موقع احتياجه إلى أموالها بهدف ترميم آثار العدوان، فقد تعهدت السعودية والكويت إلى جانب ليبيا في مؤتمر الخرطوم المنعقد في ٢٩ آب ١٩٦٧، بتقديم مبالغ سنوية محددة لكل من مصر والأردن لإزالة آثار العدوان.

كانت التصورات الأولية لفتح تقضي بتحويل الجمهور الفلسطيني والذي يبلغ تعداده في الضفة الغربية ٦٦٠ ألف فلسطيني، وفي قطاع غزة ٤٠٠ ألف فلسطيني؛ إلى بحر تسبح فيه "السمكة الفدائية"، حينما تقوم شبكة سرية واسعة في القرى والمدن بإسناد الدوريات المطاردة التي سبق لفتح أن أقامتها داخل الضفة الغربية وقطاع غزة، في محاولة لإعادة تجربة ثورة ١٩٣٦-١٣٩، إلى أن تتطور القواعد الآمنة إلى مناطق شبه محررة، ستنتهي بالتدريج إلى إزالة الوجود الصهيوني المتبقي على امتداد المدن والطرق الرئيسية في البلدات والمدن[3]، لكن هذا الطموح لم يتحقق حينما تمكنت "إسرائيل" من اعتقال عناصر فتح في الضفة الغربية بعد الانطلاقة الثانية التي أعلنت عنها فتح في ٢٨ آب ١٩٦٧[4].

وبهذا اصطدمت فتح بفشل نظرية حرب التحرير الشعبية، أو حرب الشعب من داخل الضفة الغربية وقطاع غزة، كما أن نظرية التفجير المتسلسل التي اعتمدتها لإدخال الدول العربية في مواجهة "إسرائيل"، انتهت بهزيمة نكراء للنظام الرسمي العربي، حتى صارت فتح أمام نتيجتين متعارضتين، فهي من ناحية استفادت من الهزيمة حينما ظهرت بصفتها مقاومة شعبية بديلاً لأنظمة الهزيمة، والتي أعادت صياغة موقفها إيجابيًا من حركة المقاومة الفلسطينية، لكن فتح من ناحية ثانية وجدت نفسها مضطرة هذه المرة لاعتماد الدول العربية المجاورة أرضًا أصيلة للمقاومة تقام عليها القواعد الآمنة ومعسكرات التدريب وتنطلق منها العمليات، الأمر الذي سيفتح احتمالات الصدام مع تلك الأنظمة، وخاصة النظام الأردني، على مصراعيها، لتضع فتح شعارها "عدم التدخل في شؤون الدول العربية" في موضع الاختبار الفعلي هذه المرة، إذ هل يمكن إطلاق مقاومة مسلحة لها معسكراتها ومظاهرها المسلحة داخل بلد عربي آخر دون أن

---

[1]. خليل الهندي، مصدر سابق، ٢٦.

[2]. أمين معلوف، مصدر سابق، ١٥٤.

[3]. يزيد الصايغ، مصدر سابق، ص٢٥٣.

[4]. المصدر السابق، ص٢٥٤.

ينتهي ذلك بتدخل فعلي حقيقي في تلك الدول؟

تبدو النظريات والشعارات الأولى لحركة المقاومة الفلسطينية في موضع امتحان مستمر، فإذا كانت شروط وقوانين "حرب الشعب"، أو حرب التحرير الشعبية لا تنطبق على فلسطين المحتلة، فهل من الممكن لحركة ذات نزعة إقليمية أن تقود حرب الشعب من الأراضي العربية الأخرى التي سبق وأن شكلت هوياتها الخاصة على أساس من الحدود الكولونيالية؟ وهنا بالتحديد سيكون شعار "تحرير فلسطين طريق الوحدة العربية" محل اختبار قاس.

كما أن المقاومة الفلسطينية، ورغم استفادتها من هزيمة الأنظمة العربية التي غيرت من سياساتها تجاه المقاومة، ستجد نفسها في موقع التناقض السياسي مع المواقف السياسية العربية الرسمية التي قبلت بقرارات مجلس الأمن الصادرة على إثر هزيمة حزيران ١٩٦٧، لتبدو رؤية المقاومة تجاه نفسها متباينة حتى مع رؤية النظام الناصري الذي يدعمها، ولكن على قاعدة إزالة آثار العدوان ضمن برنامج الحل السلمي كبرنامج معجل التنفيذ، بما يجعل برنامج المقاومة الفلسطينية للتحرير الكامل مؤجل التنفيذ، وبهذا فإن المقاومة تتحول إلى ورقة ضاغطة بيد الأنظمة العربية، وقابلة للتوظيف في سياق البرنامجي السلمي المعجل، دون أن ترى هذه الأنظمة، وخاصة الناصري تناقضًا بين قبولها للتسوية السلمية ورفض المقاومة الفلسطينية لها، كما عبرت عنها مقولة "من حقنا أن نقبل التسوية السلمية ومن حق الفلسطينيين أن يرفضوها"[1]. هذا التناقض تجلى لاحقًا في مشروع روجرز الذي طرح في حزيران ١٩٧٠ وقبله عبد الناصر ورفضته المقاومة الفلسطينية.

كان ثمة توجس دائم لدى المراقبين في ذلك الوقت من الإمكان القوي لانهيار نمط علاقات الأنظمة العربية القائم، على اختلاف اتجاهاتها بالمنظمات الفدائية[2]، وهو التوجس الذي لم يكن غائبًا عن قيادة فتح كما يقول ياسر عرفات في ذلك الوقت: "إننا نعيش حالة تنبه ويقظة لأننا نتوقع ضربات جديدة بقصد تصفيتنا في كل لحظة. ونعرف أيضًا أن بعض الأنظمة العربية تستخدمنا، في اتصالاتها الدولية، ورقة مساومة للوصول إلى الحل السياسي العتيد بأقل خسائر وتنازلات ممكنة"[3].

لم تكن حركة فتح هي الحركة الوحيدة على الساحة الأردنية، فقد شهدت الفترة الممتدة من العام ١٩٦٥-١٩٦٧ ولادة العديد من المنظمات الفلسطينية. وإضافة إلى حركة فتح، وقوات التحرير الشعبية التي تشكلت كفصيل فدائي منبثق عن جيش التحرير الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، يعرض غازي خورشيد في كتابه دليل حركة المقاومة الفلسطينية الصادر عام ١٩٧١[4]، لأبرز حركات المقاومة الفلسطينية الأخرى، وهي: طلائع حرب التحرير الشعبية "قوات الصاعقة" التي تأسست قبيل هزيمة حزيران معتمدة على كوادر

---

[1]. خليل الهندي، مصد سابق، ص٣٠.

[2]. طلال سلمان، مصد سابق، ص١٥.

[3]. المصدر السابق، ص١٦.

[4]. مصدر سابق.

حزب البعث العربي الاشتراكي من التنظيم الفلسطيني في القطر العربي السوري[1]، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي تشكلت أواخر تشرين ثاني ١٩٦٧ كامتداد لحركة القوميين العرب وائتلاف منظمة أبطال العودة وجبهة التحرير الفلسطينية ومنظمة شباب الثأر[2]، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين[3] والتي تشكلت في ٢١ شباط ١٩٦٩ كانشقاق في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بحجة التحرر من أفكار وبرامج البرجوازية الصغيرة، والتقدم على طريق نهج وطني جذري متسلح بالإيديولوجية الجذرية الثورية، إيديولوجيا العمال والفلاحين الأجراء والفقراء، ولمنع "اليمين"[4] الفلسطيني من ركوب ظهر المقاومة[5].

إضافة إلى تلك الفصائل يعرض غازي خورشيد أيضًا لفصائل أخرى وهي: التحرير العربية التي تأسست في أوائل نيسان ١٩٦٩ على أساس مبادرة أطلقها حزب البعث العربي الاشتراكي في مؤتمره القومي التاسع[6]، وأصبحت بمثابة الفرع الفلسطيني لحزب البعث العراقي، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين– القيادة العامة والتي تأسست في الأصل عام ١٩٥٩ باسم جبهة التحرير الفلسطينية قبل ائتلافها مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، لتعود وتنشق عنها في تشرين أول ١٩٦٨[7]، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني والتي انضمت لقيادة الكفاح المسلح الفلسطيني في ٢٠ أيلول ١٩٦٩[8]، والهيئة العاملة لتحرير فلسطين والتي تشكلت بعد هزيمة حزيران ووضعت نفسها لاحقًا تحت القيادة العامة لقوات العاصفة لكنها عادت وخرجت منها أواخر العام ١٩٦٨[9]، ومنظمة فلسطين العربية التي انشقت عن الجبهة الشعبية– القيادة العامة في أوائل آب ١٩٦٩[10]، وأخيرًا المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين والتي تأسست في العام ١٩٦٤، ثم انضم قسم منها إلى الجبهة الشعبية الديمقراطية في ٥ حزيران ١٩٦٩، وتسترشد المنظمة الشعبية بالماركسية اللينينية كمنهج تحليل جذري لحل القضايا التي تناضل في سبيلها[11].

سيكون هذا التعدد في فصائل المقاومة الفلسطينية، سببًا آخر لإمكان اصطدام قوى المقاومة الفلسطينية بالدولة الأردنية، خاصة مع ما ينجم عن هذا التعدد من تكاثر في الخطابات والممارسات المتباينة، وتعاظم في التدخلات العربية الأخرى عبر بعض تلك الفصائل المرتبطة بها، إضافة إلى ما تخلقه حالة التكاثر الفصائلي المنفلت من مظاهر الاستعراض والتشاوف إن بالادعاءات النظرية أو المسلكيات الميدانية.

---

[1]. المصدر السابق، ص٨٥.

[2]. المصدر السابق، ص١١١.

[3]. الجبهة الديمقراطية لاحقًا.

[4]. في وقت لاحق ستتهم الجبهة الديمقراطية بأنها دورية استطلاع لليمين الفلسطيني. انظر: معين الطاهر، "من ملاحم الصمود في لبنان إلى إعادة التأسيس في فلسطين"، مصدر سابق، ص٨٩. ونزيه أبو نضال، مصدر سابق، ص١٤٤.

[5]. غازي خورشيد. مصد سابق، ص١٤٣.

[6]. المصدر السابق، ص١٧٣.

[7]. المصدر السابق، ص١١١–١١٢.

[8]. المصدر السابق، ص٢١٥.

[9]. المصدر السابق، ص٢٢٩–٢٣٠.

[10]. المصدر السابق، ص٢٤٧.

[11]. المصدر السابق، ص٢٦٣–٢٦٤.

يمكن اعتبار اتهامات اليسار الفلسطيني لحركة فتح من جهة، والاتهامات اليسارية الداخلية المتبادلة كما تجلت في انشقاق الجبهة الديمقراطية عن الجبهة الشعبية من جهة أخرى، نموذجًا ممتازًا على طبيعة السجالات المتسمة بالتشاوف الثقافي التي دارت بين فصائل المقاومة الفلسطينية، وكيف انعكست على وضع المقاومة الفلسطينية في الأردن.

فإذا كانت فتح قبل هزيمة الخامس من حزيران تتهم بمحاولات توريط الدول العربية وبالإقليمية، فإنها بعد تلك الهزيمة وظهور التيارات الماركسية صارت تتهم بـ "اليمينية والرجعية"، استنادًا إلى انحدار قيادتها المؤسسة من البرجوازية الصغيرة، وهي النقطة التي صارت محل الهجمات النظرية التي يشنها اليسار الفلسطيني على حركة فتح، على أساس أنه لا ثورة بدون نظرية ثورية، وأن هذه النظرية بحكم التعريف هي الماركسية اللينينية حصرًا.

لم تكن الجبهة الشعبية الديمقراطية وحدها التي تقول: "لا ثورة بدون نظرية ثورية، ولا حركة ثورية بدون نظرية ثورية"[1]،[2] ولكن التشكيلات الفلسطينية التي مثلت امتدادًا لحزب البعث العربي الاشتراكي راحت تنادي بدورها إلى أن وجود إيديولوجيا ثورية تسترشد بنظرية ثورية واضحة شرط أساسي، من شروط الدور النضالي الذي تمارسه المقاومة الفلسطينية.. وصولاً إلى تسليم المقاومة بضرورة وجود الحزب الثوري الذي يقود نضالها على هدى مثل هذه الإيديولوجيا والتي هي الإيديولوجيا العلمية الثورية الاشتراكية التي تستند إلى النظرية الثورية في خطها الاشتراكي العلمي[3].

فتح التي وجدت نفسها في هذه المواجهة النظرية، كانت تعلم أن انعكاساتها تتجاوز الجانب النظري، على الأقل من حيث كون الفصائل القومية المرتبطة بحزب البعث هي أجنحة مسلحة له. فاهتمت فتح بالرد الذي يبين أن مجتمع الثورة الفلسطيني، بما في ذلك الشرائح التي تشكل مادة فتح ليس فيه "رأسماليون ومحتكرون وبرجوازيون.. إنهم جميعًا من الفقراء والمسحوقين"[4]، كما يشرح ياسر عرفات، والذي يؤكد: "نحن شعب من اللاجئين.. ما معنى اليسار واليمين في كفاحي لتحرير وطني. إنني أريد هذا الوطن ولو حرره لي الأبالسة، لست أملك من الوقت ما أنفقه في النقاش والمفاضلة بين اليسار واليمين"[5].

إلا أن أنضج إجابات عرفات، والتي كانت مشتركة مع مجمل قيادة فتح في ذلك الوقت، هي التي بين فيها أن فتح أكثر يسارية من اليسار، إذا كان المقصود باليسارية الموقف من الحل السلمي الذي يدعو إليه الاتحاد السوفييتي وتقبل به الأحزاب الشيوعية العربية. وإضافة إلى ذلك فإن تحديد المضمون الاجتماعي لحركة تحرر وطني عانى جمهورها من عملية تحول طبقي عميقة وقسرية سابق لأوانه، وبما يفرض تجنب الخلافات المذهبية حتى تحسم القضية بالتحرير، والخلاصة أن الحديث عن المضمون الاجتماعي لحركة المقاومة، قبل

---

[1]. عبد الرحمن غنيم، **المقاومة الفلسطينية والأيديولوجيا الثورية**، (دمشق: منشورات الطلائع، ١٩٧٣): ص٩.

[2]. هذه المقولة كتبها لينين أساسًا في فصل الجمود العقائدي وحرية النقد في كتابه ما العمل؟ انظر: لينين، ما العمل؟، أرشيف الماركسيين على الإنترنت، https://www.marxists.org/arabic/archive/lenin/1901-witbd/index.htm

[3]. المصدر السابق، ص١٢٩-١٣٠.

[4]. طلال سلمان، مصدر سابق، ص١٨.

[5]. المصدر الابق.

التحرير إنما يصدر عن يسار تبشيري، وينم عن طفولة يسارية وحسب[1].

في هذا الصدد يستشهد عرفات بماوتسي تونغ الذي كان يقاتل شان كاي شيك، حامي حمى البرجوازية ومنفذ أغرضاها، ولكنه عندما احتلت اليابان بلاده بادر إلى التحالف مع شيك ذاته لأن تحرير الوطن أهم بكثير من الاختلاف الإيديولوجي حول نظام الحكم فيه[2].

هذه الجدالات ستعود بقوة بعد أحداث أيلول ١٩٧٠، حينما يركز فريق من اليسار، بما في ذلك يسار فتح، في تحليله لنتائج الأحداث على "يمينية" قيادة فتح، وانحدارها طبقيًا من البرجوازية الصغيرة، وفكريًا من جماعة الإخوان المسلمين، وهو التحليل الذي سيتصدى له منير شفيق الذي عرف لاحقًا بمنظر تيار يساري داخل حركة فتح، هو تيار الكتيبة الطلابية الذي انتقل من الماركسية اللينينية إلى الإسلام.

لم يكن هذا الجدل بعيدًا عن انقسامات اليسار، ولم تكن حجج جورج حبش في رده على نايف حواتمة والفريق "التقدمي" داخل الجبهة الشعبية لتختلف عن تلك التي ساقها ياسر عرفات، إذ يؤكد حبش على "أننا في مرحلة تحرر وطني تتطلب قيام جبهة عريضة تضم كل المعادين للاستعمار والاحتلال بغض النظر عن انتماءاتهم الطبقية. كلنا قرأنا عن الثورة الصينية، وكيف رضي قائدها ماوتسي تونغ بأن يحالف تشان كاي شيك نفسه عندما غزت اليابان الصين. لم يتشبث ماو، يومئذ، بحرفية مبادئ الثورة البروليتارية، بل ارتضى أن يجلس جنبًا إلى جنب مع الرأسمالية الوطنية، ومع البرجوازية الكبيرة —التي كان يمثلها تشان كاي شيك– وليس فقط مع البرجوازية الصغيرة"[3].

كان جورج حبش يخشى من أن تقع حركتهم بسبب الخطاب اليساري الذي تنادي به مجموعة حواتمة في حصار تام يعزلها عن الجماهير، وعن حركة المقاومة في آن معًا، فاللغة التي يستخدمها فريق حواتمة جديدة وغريبة على آذان الجميع، إذ ينسون الواقع تمامًا ويركزون حديثهم وعملهم على ضرورة تفجير الصراع الطبقي[4].

لم تكن اليسارية المقصودة في أطروحات حواتمة بما يدعو إلى الانشقاق وتصنيف الجبهة الشعبية إلى "يمين" و"تقدميين"؛ واضحة وهو يتحدث عن "حرب تحرير شعبية عربية شاملة تستهدف تصفية الوجود الصهيوني والاستعماري في الوطن العربي بكافة أشكاله. والطبقات المؤهلة عمليًا، لأن تشارك في تفجير هذه الثورة هي العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون وقطاع عريض من البرجوازية الصغيرة يشكل غالبيتها، بالإضافة إلى البرجوازية الوطنية[5]"، فإذا كان الأمر كذلك فأين الخلاف، وما هو المضمون اليساري الخاص المميز لمجموعة حواتمة؟

---

[1]. المصدر السابق، ص٢٢.

[2]. المصدر السابق.

[3]. المصدر السابق، ص٣٥.

[4]. المصدر السابق، ص٣٦-٣٧

[5]. المصدر السابق، ص٤٢.

يشرح حواتمة يساريته التي جعلته في محل خلاف مع "الرفاق القدامى"، قائلاً: "أن تكون فلسطينيًا يساريًا هذا يعني ألا تتوقف لحظة أمام قرار مجلس الأمن، أو مشاريع التسوية الاستسلامية التي تسمى «بالسلمية» خطأ وربما بقصد التضليل. وأن تكون عربيًا يساريًا فهذا يفرض عليك تحديد موقف قاطع بالنسبة لسائر الأنظمة القائمة.. قد يقال أن التحديد سيجرنا إلى سلسلة من المصادمات مع الأنظمة ثم مع المنظمات الفدائية الأخرى. هذا صحيح، ويجب أن يكون في حسابنا أن هذا الصدام حتمي ولا مفر منه.[1]".

إلا أن الجبهة الديمقراطية التي تحدثت عن كونها اليسار الحقيقي المنشود، سوف توصف لاحقًا من داخل يسار فتح بأنها دورية استطلاع يسارية للقيادة اليمينية[2]، وهي ذاتها التي تصدرت لتبني مشروع الحل المرحلي، أو النقاط العشر، والذي انتهى اليوم إلى مشروع السلطة الفلسطينية القائم مند واحد وعشرين عامًا، إلا أن الصدام مع النظام الأردني هو الشيء الوحيد الذي تحقق من يسارية نايف حواتمة كما عرّفها.

بدا ذلك الانقسام النظري وما تمخض عنه من انقسامات فعلية بين فصائل المقاومة الفلسطينية أدت في بعض حالاتها إلي الاصطدام المسلح، كما حصل عقب انشقاق الجبهة الشعبية الديمقراطية عن الجبهة الشعبية؛ تشاوفًا صادرًا عن نزعات ذاتية أو تأثرًا طفوليًا بانتشار اليسار العالمي وسطوة الدعاية للثورات الاشتراكية في بلدان العالم الثالث، وبالذات حين محاولة إسقاط النظرية الماركسية اللينينية على نحو متعسف على المجتمع الفلسطيني ما بعد النكبتين، بدلاً من البحث عن نظرية ثورية تنبثق من عمق الجماهير الفلسطينية، وبدلاً من محاولة تكييف الماركسية، بالتحلل من الجمود العقائدي، مع الواقع الاجتماعي الفلسطيني الناشئ بعد النكبتين، فالتشكل الاجتماعي الفلسطيني لم يتشكل بفضل الانتقال من نمط إنتاجي زراعي إلى نمط إنتاجي صناعي بل بسبب فقدانها ملكيتها الزراعية زمن الانتداب البريطاني"[3]، و"شرائح المجتمع الريفي كافة بالإضافة إلى الشرائح الفقيرة في المدن وشريحة المعدمين ألقي بها إبان النكبة خارج مجتمعها وليس خارج نمط تقليدي وداخل المجتمع. وعليه فقد تساوت جميع تشكيلات المجتمع الفلسطيني في التراتبية الاقتصادية بخسارتها ممتلكاتها والتراتبية الاجتماعية بخسارتها مكانتها الاجتماعية. واكتسبت هي وغيرها هوية اللجوء.[4]"، إلا أنه ورغم ذلك فإن هذا الانقسام كشف عن غياب النموذج الثقافي الذي ينتظم الفلسطينيين عمومًا والمنظمات الفدائية خصوصًا في إطار مرجعي يحول دون المظاهر الطفولية والمدمرة في الوقت نفسه الناجمة عن التشتت والانقسام والعصبويات التنظيمية.

ستشكل لاحقًا معركة الكرامة الانطلاقة الجديدة للثورة الفلسطينية[5]، فقد نقلت حركة فتح من تنظيم نخبة إلى تنظيم أطلق عليه في

---

[1]. المصدر السابق، ص٤٢-٤٣.

[2]. سبق ذكر المصادر.

[3]. أكرم حجازي، ص٢١٨.

[4]. المصدر السابق، ص٢١٨-٢١٩.

[5]. على ضوء ذلك النقاش النظري حول ماهية الثورة، وإن كانت تصح تسميتها ثورة دون مضمون اجتماعي لها؛ ذهب البعض إلى أنها حركة تحرر وطني، أو مجرد حركة مقاومة، في تصور أرثذوكسي جامد يتوقف عند التعريفات النهائية، ولا ينظر إلى الثورة بصفتها حالة من الوعي في صفوف الجماهير الفلسطينية، "فقد رأت هذه الجماهير في الثورة التي أطلقتها فتح سنة ١٩٦٥ حدثًا فائق الأهمية عمل على تغيير كل شيء بصورة لا عودة عنها. وقد تمثل الوجهان الأساسيان لطابعها الثوري في أنها أحلت النضال الجماهيري محل اللامبالاة والخطابة، وأنها

ذلك الوقت اسم "تنظيم باص"، "بمعنى أن الشخص الذي يقف في أي ساحة من ساحات أي مدينة في الأردن معلنًا التوجه إلى الكرامة، يمكنه أن يستقطب عشرات المتطوعين. تدفق بعدها آلاف المتطوعين من أنحاء العالم العربي، وأصبح معظم الناس أعضاء في فتح"[1].

لا ينطبق على معركة الكرامة التي وقعت في ٢١ آذار ١٩٦٨، تعريف النصر العسكري في المعركة، والذي يعني في أعلى حالاته إبادة الجسم الرئيسي من القوات المعادية أو فرض الاستسلام عليها، وفي أدنى حالاته تمزيق الجسم الرئيسي وإجباره على التبعثر والفرار مع فقدان تماسكه وانضباطه، فإن شيئًا من ذلك لم يحدث في معركة الكرامة، "فقوات العدو اقتحمت الكرامة، وعملت فيها إبادة وتدميرًا، وانسحبت منها بجسمها الرئيسي حاملة معها نسبة من الخسائر في الأرواح والآليات يمكن اعتبارها في المعارك خسائر عادية غير ملفتة للنظر، ولكن تلك الخسائر اعتبرت كبيرة وهامة، واعتبر إنزالها بالعدو نصرًا بسبب ظرف خاص تميز بما جرت عليه عادة العدو، قبل ذلك، من شن هجمات عسكرية وعمليات اقتحام على جبهة الأردن، دون أن يصاب بخسائر تذكر"[2].

وبلغة الأرقام فقد سقط للعدو الصهيوني ٢٨ قتيلاً و٩٠ جريحًا، ودمرت أربع دبابات وخمس عربات وطائرة بحسب اعترافه، بينما بلغت خسائر الجيش الأردني ٦١ شهيدًا، و١٠٨ جرحى، و١٣ دبابة مدمرة، و٢٠ أخرى معطوبة، و٣٩ عربة معطلة، وأما خسائر الفدائيين فكانت الأكبر، إذ فقدت فتح ٩٢ شهيدًا، وقوات التحرير الشعبية ٢٤ شهيدًا، وجرح ١٠٠ فدائي، إضافة إلى ما بين ٤٠ و٦٦ وقعوا في الأسر، وكانت هذه الخسارة تعادل نصف عدد المقاتلين المتفرغين تقريبًا[3].

وبهذا يتبين أن عماد المعركة كان فرقة المشاة الأردنية الأولى وكتائب الدبابات والمدفعية التابعة لها، وفدائيو حركة فتح، ثم قوات التحرير الشعبية، بتسليح ضئيل، بينما انسحبت الجبهة الشعبية بحجة أن هذين الفصيلين مغامران[4]، وأن خوض المعركة انتحار عسكري في ظل اختلال فاضح في موازين القوى بين الطرفين.

ورغم ذلك فإن فتح هي التي كسبت نتائج المعركة فلسطينيًا وعربيًا، ويرجع الفضل في ذلك إلى قرارها بالبقاء والصمود، وقدرتها على استغلال وسائل الإعلام، حتى حققت شعبية كاسحة انتقلت بها إلى موقع الحركة الجماهيرية الكبيرة التي ينتقل إليها آلاف المتطوعين، وتستقطب تأييدًا عربيًا متصاعدًا ساهم في تقييد السياسات الأردنية التي تستهدف المقاومة الفلسطينية، حتى تمكنت المنظمات الفدائية من إقامة قواعد قتالية على طول المنطقة الحدودية، ومن جلب المتطوعين والأسلحة من دول عربية أخرى، ومن فتح مكاتب في

أعادت الفلسطينيين إلى القلب من النزاع العربي–الإسرائيلي". انظر: روز ماري صايغ، **الفلاحون الفلسطينيون: من الاقتلاع إلى الثورة**، ترجمة: خالد عايد، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٠): ص١٨٠–١٨١.

[1]. معين الطاهر، "من ملاحم الصمود في لبنان إلى إعادة التأسيس في فلسطين"، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، مصد سابق.

[2]. منير شفيق، "معركة الكرامة"، مجلة شؤون فلسطينية، عدد ١٩، (آذار ١٩٧٣): ص١٠٣–١١.

[3]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٢٧٥.

[4]. المصدر السابق.

العاصمة ومخيمات اللاجئين في أنحاء البلد[1].

واستفادت فتح أيضًا في هذه الفترة من إستراتيجية عبد الناصر الذي أراد إشغال الصهاينة بحرب الاستنزاف وبنشاط فتح، إضافة إلى رغبته في استخدامها كورقة ضغط تفاوضية على "إسرائيل"، وبهذا انفتح النظام العربي الرسمي لحركة فتح، التي بدأ يتدفق عليها المتطوعون والأموال العربية، إلى درجة أن فتح ادعت في ٢٠ أيار ١٩٦٨ بأن ٢٠ ألف طالب وجندي سابق في مصر طلبوا الانضمام إليها، بينما أعلن مكتبها في بغداد أنه يتلقى ١٥٠ طلب التحاق أسبوعيًا[2].

قبل معركة الكرامة في ١٠ شباط ١٩٦٨ نشبت أول أزمة سياسية بين المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني، على خلفيات ردود الفعل الصهيونية على عمليات المقاومة الفلسطينية المنطلقة من الأردن، حيث صرح وزير الداخلية الأردني بأن الحكومة الأردنية "لن تسمح بأن تستعمل كممر لتنفيذ مخططات هؤلاء الذين هم مثلنا لهم حدود مع إسرائيل لكنهم لا يملكون الشجاعة الكافية لتحمل مسؤولية أعمالهم ومزايداتهم.. وأن السلطات الأردنية ستضرب بيد من حديد كافة العناصر التي تعطي بأعمالها إسرائيل مبررًا لممارسة الضغط على الأردن.. وإن الأشخاص الذين يعرضون الأردن لهجمات العدو سيمنعون بعد اليوم من اجتياز الأراضي الأردنية"[3].

بعد هذه الأزمة جاءت معركة الكرامة، والتي تعاظمت على إثرها قوة المقاومة الفلسطينية، والتي قررت أن تتمدد إلى داخل المدن الأردنية بعدما اكتشفت من أزمة شباط السابقة إمكان الصدام مع النظام الأردني، فأرادت أن تعزز ميزان القوة لصالحها بخلق وجود لها داخل المدن الأردنية.

بعد معركة الكرامة بستة أشهر دعت الحكومة الأردنية حركة فتح للدخول في مفاوضات سرية حول: المواقع وإعادة النظر فيها، وتحديد تحركات السيارات والآليات التي يستخدمها الفدائيون، والابتعاد عن المدن وتنظيم طرق دخول الفدائيين إليها، وقد تطور الأمر إلى بدء الحكومة الأردنية بتنفيذ هذه الإجراءت من طرف واحد في شهر أكتوبر، حتى تدحرجت الأحداث بعد مظاهرة حاشدة استهدفت السفارة الأمريكية، حتى وصلت الأوضاع حد الصدام المسلح في ٤ تشرين ثاني ١٩٦٨، بعد أن أطلق مجهول النار على مركبة للجيش، وحملت الدولة المسؤولية لفصيل صغير يدعى "كتائب النصر" يقوده طاهر دبلان[4]،[5] والذي لم تتشجع فتح للدفاع عنه بحجة

---

[1]. المصدر السابق، ص٢٧٦.

[2]. المصدر السابق، ص٢٧٨.

[3]. خليل الهندي، مصدر سابق، ص٣٥.

[4]. طاهر دبلان ضابط فلسطيني سرح من الجيش السوري سنة ١٩٥٩. أسس بعد ذلك "جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية" لكن معظم عناصر هذه الجبهة قرروا في سنة ١٩٦٨ الانضمام إلى "منظمة طلائع الحرب الشعبية- قوات الصاعقة". عارض دبلان هذا الاندماج وشكل "كتائب النصر". اشتهرت كتائب النصر بافتعال المشكلات مع الجيش الأردني. واتهم دبلان بأنه عميل للمخابرات الأردنية. سلمه صلاح خلف إلى الجيش الأردني قبل أحداث أيلول بفترة وجيزة، وبقي مسجونًا حتى مات في السجن. انظر: صقر أبو فخر، **الحركة الوطنية الفلسطينية من النضال المسلح إلى دولة منزوعة السلاح**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣): ص٦٦.

[5]. يرى صلاح خلف أن التوتر بدأ بالفعل مع جنازة عبد الفتاح حمود أحد مؤسسي فتح، والذي لقي مصرعه في حادث سير، حيث شيعته الثورة الفلسطينية في قلب عمان بجنازة شارك فيها عشرات الألوف. انظر، صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصدر سابق، ص١١٧-١١٨. مثل هذا الحضور المكثف الذي بدا مستفزًا للحكم في الأردن سيتكرر مرة أخرى في لبنان

أنه قدم إلى الثورة الفلسطينية من البوابة الخلفية واتهمته بالعمل لصالح المخابرات الأردنية، إلا أن القوات الأردنية ورغم ذلك هاجمت مكاتب فتح والجبهة الشعبية في مخيمي الحسين والوحدات في عمان، وفي مخيم شنلر في الزرقاء، ولم تهدأ الاشتباكات إلا بعد تدخل عبد الناصر وحسن النقيب قائد القوات العراقية في الأردن[1].

وإذا كانت أحداث شباط السابقة على معركة الكرامة قد دفعت فتح لتعزيز حضورها داخل المدن الأردنية، فإنها بعد هذه الحادثة ارتأت ضرورة تسليح الجماهير المدنية، من خلال إقامة ميليشيا مدنية في مخيمات اللاجئين، وقد تبعتها المنظمات الأخرى، ومن هنا بدأت قوة الفدائيين تتعاظم في الأردن، وبدأت تتشكل دولة الفدائيين داخل الدولة الأردنية[2]، فقد تعاظمت قوى المقاومة الفلسطينية المقاتلة على صعيد القواعد أو المليشيا، كما تطورت المنظمات الشعبية الجماهيرية من اتحادات ونقابات، الأمر الذي ألغى الدولة الأردنية وأجهزتها الأمنية والمدنية، في الوقت الذي كانت فيه فتح تتوسع عسكريًا وتنظيميًا وجماهيريًا، على نحو يلغي النظام إستراتيجيًا، بالسيطرة على الشارع والمدينة والمخيم، بيد أنها لم تتخذ موقفًا هجوميًا من النظام، على خلاف الجبهتين الشعبية والديمقراطية اللتين رفعتا شعارات "لا سلطة فوق سلطة المقاومة"، و"كل السلطة للمقاومة وللجماهير المسلحة"، وهذا يعني أن فتح كانت تمارس كل السلطة للمقاومة من الناحية الفعلية، بينما الجبهتين ترفعان الشعار[3].

طوال العام ١٩٦٩ بقيت الأوضاع هادئة والعلاقة مستقرة ما بين النظام الأردني والمقاومة الفلسطينية[4]، كاشفة عن توازن قوى بين الطرفين عبر عنه ياسر عرفات بقوله: "ما لا تعرفه تلك الأنظمة أننا بتنا أقوى من أية محاولة لتصفيتنا. إننا، ونقولها بصراحة، القوة الثالثة هنا.. نأتي مباشرة بعد الجيش الأردني والقوات العراقية العاملة في الأردن، وقبل القوات السعودية المتواجدة حاليًا في الضفة الشرقية. هذا من حيث القوة والتسليح، ثم هناك المساندة الشعبية الكاسحة لنا داخل الأردن وخارجه."[5].

بقي الحال كذلك إلى أن جاءت قرارات ١٠ شباط ١٩٧٠، التي أصدرتها الحكومة الأردنية بهدف تقييد حرية المقاومة وإخضاعها لسلطة النظام والحد من تنامي الحركة الجماهيرية، فردت عليها المقاومة الفلسطينية بحالة استنفار تمثلت في تشكيل قيادة موحدة سياسيًا وعسكريًا، حتى حصل الاشتباك المسلح في ١١ شباط حين أطلقت قوات البادية النار على المدرسة التي كان مقررًا أن تعقد فيها ندوة جماهيرية للمنظمات الفلسطينية، وبقيت الاشتباكات مستمرة حتى الإعلان عن اتفاق الهدنة يوم ١٣ شباط، إلا أن التوتر بقي مستمرًا

مع اغتيال قيادات فتح الثلاثة كمال عدوان، وكمال ناصر، وأبو يوسف النجار، وقبل ذلك مع جنازة عز الدين الجمل، اللبناني الذي قتل في صفوف حركة فتح في الأردن. انظر أيضًا: صلاح خلف، المصدر السابق، ص١٧٨.

[1]. يزيد الصايغ، مصدر سابق، ٢٨٢.

[2]. المصدر السابق، ص٢٨٣.

[3]. ناجي علوش، "نحو استراتيجية جديدة للثورة الفلسطينية"، في: *المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني: دراسة تحليلية لهجمة أيلول*، تحرير: خليل هندي وفؤاد بوراشي وشحادة موسى، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الأبحاث): ص٢٩٣.

[4]. نزيه أبو نضال، مصد سابق، ص٩٧.

[5]. طلال سلمان، مصدر سابق، ص١٦.

حتى توقيع الاتفاق النهائي بين الملك حسين وياسر عرفات في ٢١ شباط[1].

لم يكمل الهدوء شهره الرابع، حتى تجددت المواجهات المسلحة في يوم ٦ حزيران بعد محاولة القوات الخاصة اعتقال بعض عناصر المقاومة، حتى تطورت الاشتباكات في اليوم العاشر من الشهر نفسه إلى قصف قوات المقاومة الفلسطينية القصور الملكية، كما اقتحمت أهم مراكز الجيش في جبل عمان وأحرقته، وقامت الجبهة الشعبية باقتحام كل من فندق الأردن وفندق فيلادلفيا واحتجاز نزلاء غربيين فيهما، أطلقتهما في اليوم التالي بعد توقف الاشتباكات، إلا أن الاشتباكات عادت وتجددت إلى أن وقّعت المقاومة الفلسطينية مع النظام الأردني في ١٠ تموز اتفاقية جديدة برعاية عربية[2].

كان الحدث الأبرز بعد أحداث حزيران هو قبول مصر لمبادرة روجرز التي حملت اسم وزير الخارجية الأمريكية وطرحت في ٢٥ حزيران ١٩٧٠، والتي نصت من ضمن بنودها على وقف إطلاق النار بين الأردن ومصر و"إسرائيل"، والموافقة على قرار ٢٤٢، والاعتراف المتبادل بالسيادة بين الدول المذكورة[3].

أعلن الاتحاد السوفييتي دعمه للمبادرة في ٥ آب ١٩٧٠، بينما وافقت عليها مصر والأردن في ٧ آب، وعلى إثر ذلك انشق الصف العربي بإعلان "العراق وسوريا وحركة المقاومة رفضها القاطع لمشروع روجرز ولما يعنيه بالنسبة لتصفية القضية الفلسطينية. وشنت المقاومة الفلسطينية حملة عنيدة وقوية ضد المشروع الأمريكي ورفضت التقيد بوقف إطلاق النار لأنها شعرت بوضوح بالأخطار الجسيمة التي تحملها خطة روجرز بالنسبة لمستقبل الثورة الفلسطينية ومستقبل الحركة الوطنية العربية عمومًا.[4]"، وقد تميزت الفترة الفاصلة ما بين القبول العربي بمبادرة روجرز وأحداث أيلول بتوتر عسكري يومي، وبحملة إعلامية من قبل بعض المنظمات الفلسطينية، بما يعبر عن اتساع نطاق التناقض بين حركة المقاومة والنظام الأردني حول مبادرة روجرز[5].

وكانت الخطورة السياسية المباشرة في المبادرة تتمثل في خسارة دعم عبد الناصر، بعد الهجوم الذي شنته عليه بعض فصائل المقاومة، ووصل حدًا مقذعًا من الإهانة، على نحو لم يكن بعيدًا عن رغبات كل من العراق وسوريا، وهو الأمر الذي لم يستطع ياسر عرفات مواجهته ومنعه[6].

وبناء على ذلك صعدت المقاومة من عملياتها العسكرية ضد العدو الصهيوني، وبدأت بالاستعداد لأي مواجهة محتملة مع الدولة الأردنية، إضافة إلى جهود التعبئة الشعبية، والتحرك على الصعيدين العربي والدولي، وفي المقابل بدأت الدولة الأردنية بحملة مضادة

---

[1]. خليل الهندي، امصدر سابق، ص٥٣-٦٥.

[2]. المصدر السابق، ص٦٥-٩٦.

[3]. ليلى سليم القاضي، "تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي ١٩٤٨- ١٩٧٢"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢٢ (حزيران ١٩٧٣): ص٨٤-١٢٤.

[4]. المصدر السابق.

[5]. بلال الحسن، "أحداث أيلول ومسؤولية النظام الأردني"، مجلة شؤون فلسطينية، عدد ١، (آذار ١٩٧١): ص٣٩-٥٦.

[6]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، ح ٨، قناة القدس الفضائية. المادة المصورة منشورة على موقع بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩، ومستلة منه بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=6qoVzoAAjsM

تركزت في تعبئة الجيش والبدو والعشائر والريف ضد المقاومة الفلسطينية، وتضمنت استثارة النزعة الإقليمية، والمشاعر الدينية مستفيدة من "الفجاجة التي كانت بعض المنظمات تطرح بها التزامها الفكري بالماركسية والحملة التي قامت بها هذه المنظمات في عيد ميلاد لينين الثوري."[1]"،[2] ومستفيدة أيضًا من ممارسات المنظمات الفلسطينية التي كانت تستقوي على المواطنين بالسلاح، "فتحت عنوان المقاومة أقيمت الحواجز في الطرقات، وتم اختطاف بعض المواطنين وتهديد بعضهم الآخر، وجال عدد من الشباب في سن المراهقة ممن التحقوا بفصائل المقاومة، إلى صالونات الفنادق الأردنية الكبرى يحملون معهم إيصالات التبرعات التي كانوا يجمعونها من الزائرين، وبعضهم أجانب، في ظل السلاح المعلق على أكتافهم."[3]".[4]

أمكن للنظام تعبئة الجنود والعشائر والقطاعات الشعبية المرتبطة به بالاستفادة من تلك الممارسات التي وظفها لاستثارتهم تجاه شعارات بعض المنظمات التي بدأت تتحدث عن تغيير النظام، وتدعو الجيش الأردني لحصار القصور الملكية، وإعلان الانضمام للثورة العالمية من أجل التحرير والديمقراطية والعدالة الاجتماعية...[5]

استمرت هذه الأجواء إلى أن بدأت الاشتباكات في ٨/٢٨ بين فدائيين تابعين للجبهة الشعبية الديمقراطية وحرس مبنى البريد في عمان، على خلفية منع الحرس بعض عناصر الجبهة من إلصاق بعض الملصقات على جدران المبنى، واستمرت الاشتباكات في اليوم التالي، بينما شنت القوات الأردنية هجومًا واسعًا على أكثر من موقع فدائي داخل عمان، وتعليقًا على هذه الأحداث كتبت جريدة فتح تقول: "إذا أرادت السلطة الصدام فإن ثورتنا ستجد نفسها مرغمة على خوضه ولكن هذا الصدام سيكون حتمًا الصدام الأخير ونتيجة الصدام ستصنعه جماهيرنا الثورية المسلحة: الانتصار المحتم."[6]، ورغم اتفاق وقف إطلاق النار الذي أبرم مساء يوم ٨/٣١ فإن الاشتباكات تجددت يوم ٩/١، إلى أن تصاعدت الأحداث في ٩/٦ باختطاف الجبهة الشعبية لثلاث طائرات، اثنتين أمريكيتين والثالثة سويسرية، حطت في مطار أردني أطلقت عليه الجبهة "مطار الثورة"، وانضمت طائرة بريطانيا أخرى مختطفة من قبل فدائيي الجبهة إلى مطار الثورة، بينما فشلت الجبهة في محاولة اختطاف طائرة تابعة لشركة "العال"، وقد استمرت هذه القضية حتى ١٣ أيلول،

---

[1]. خليل الهندي، مصدر سابق، ص١٢٢.

[2]. يروي صلاح خلف بأن الاستفزاز بلغ حدًا أن بعض الفصائل اليسارية كانت توزع صور لينين داخل المساجد. انظر: صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصدر سابق، ص١١٩.

[3]. مروان كنفاني، **سنوات الأمل**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧): ص٨٣.

[4]. يلخص معين الطاهر قائد الكتيبة الطلابية أخطاء المنظمات الفلسطينية التي أمكن للنظام الاستفادة منها، مستشهدًا ببعض الحوادث، قائلاً: "قبل أحداث أيلول بـ ٦ أو ٧ أشهر، أطلق أحد الضباط من المقاومة، في حفل زفافه، آلاف الطلقات ابتهاجاً، واستمر الحفل ٦ أو ٧ أيام، حتى إن الملك حسين في أحد خطاباته استشهد بهذه الحادثة. كنا قد أنشأنا اتحادًا للطلاب سمّيناه اتحاد طلاب الضفتين، وأرادوا في الأردن أن يقيموا احتفالاً بيوم الجيش، ولا أدري من أين جاء قرار يعتبر أن هذا الاحتفال هو ضد الثورة، فقررنا أن نقوم بعمل سلمي لمنع طلاب المدارس في القرى المحيطة بإربد من التوجه إلى عمّان، للمشاركة بهذه المناسبة الوطنية. افترشنا الأرض أمام باصات الجيش التي تقلّ طلابًا من المدارس. بالنسبة إلى أغلبية أبناء هذه القرى، فإن الجيش كان هو مصدر الرزق، ومعظمهم أبناء وأقارب لجنود وضباط في الجيش العربي الأردني. شاهدونا نمنعهم من الذهاب إلى عمّان التي ربما يزورونها للمرة الأولى، وبعضهم صار يبكي ونحن لم نتمكن من تفسير موقفنا: لماذا نمنعهم من الذهاب إلى عمّان؟ صحيح أنه لم يتم استخدام عنف أو سلاح، لكني أتحدث عن الأمر كنموذج لبعض التصرفات غير السليمة. ولا أريد الحديث عن الشعارات الأكثر يسارية: لا سلطة فوق سلطة المقاومة، وكل السلطة للمقاومة، إلخ... وخطف الطائرات، وتعدد مراكز اتخاذ القرار، وحملة التحريض التي طاولت جمال عبد الناصر في إثر موافقته على مشروع روجرز". انظر: معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. المصدر السابق، ص٨٣-٨٤.

[6]. خليل الهندي مصدر سابق، ص١٤٤، نقلا عن جريدة فتح الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/٨/٣١.

أي طوال أسبوع كامل. ورغم أن الأحداث كانت قد بدأت بالفعل قبل ذلك فإن الفصائل الفلسطينية اتهمت الجبهة الشعبية بأنها أشعلت الشرارة التي انطلقت منها أحداث أيلول[1].[2]

استمرت الأحداث في التفاعل حتى توقيع الرؤساء والملوك العرب، بمن فيهم الملك الأردني وياسر عرفات، اتفاق القاهرة بتاريخ ٢٧ أيلول ١٩٧٠، والذي تشكلت بموجبه لجنة عربية عليا تشرف على تنفيذ بنوده، وقد أتمت هذه اللجنة إحكام رقابتها على وقف إطلاق النار، في الوقت الذي كانت فيه المقاومة تسيطر على أجزاء كبيرة من مدينة عمان، كما كانت لا تزال تسيطر على غالب المناطق في القطاعين الأوسط والشمالي بما في ذلك مدن جرش وعجلون وإربد[3].

كانت نتيجة الحرب ثقيلة على الطرفين[4]، ورغم توقيع اتفاقية تفصيلية تنظم شؤون التعايش بين المقاومة والنظام عرفت ببرتوكول عمان في ٢٢ تشرين أول ١٩٧٠، فإن النظام اتبع بعد ذلك سياسة تقوم على تجريد الميليشيا (المقاومة الشعبية، أو المسلحون المدنيون) في المدن والمخيمات من السلاح باستخدام الضغط السياسي والردع العسكري، وحصر قوات المقاومة في مناطق محددة بعيدًا عن جماهيرها، حتى تمكنت الدولة الأردنية أخيرًا بعد أن أخرجت المقاومة من المدن، من إخراج المقاومة من آخر معاقلها في عجلون في ١٢ تموز ١٩٧١.[5]

ثانيًا– أسئلة ما بعد أيلول.. في الطريق إلى الكتيبة الطلابية

١. جدل على هامش أيلول:

تبدو المادة التي يمكن تدويرها داخل هذا الجدل واسعة، وتعود إلى جذور حركة المقاومة الفلسطينية ومستوى التناقض الذي يجعلها في مواجهة المنظومة العربية، ويمتمد في تصورات حركة المقاومة وبنيتها وممارساتها، وإذا كانت هذه الاعتبارات الذاتية قد سرعت من

---

[1]. جورج حبش، **الثوريون لا يموتون أبدًا**، حاوره: جورج مالبرينو، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٩): ص ١٠٦.

[2]. بحسب جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية "كانت عمليات خطف الطائرات الغربية إلى مطار الثورة تشكل أمرًا ظروريًا للمقاومة. كنا مقتنعين فعلاً أن النظام الأردني ينوي أن يمنع بشكل نهائي النضال الفلسطيني المسلح ضد إسرائيل انطلاقًا من أراضيه. لذا كنا نريد القيام بعمل مدو بغية مواجهة ذلك. لكن ينبغي التوضيح أن الهدف الوحيد لعمليات خطف الطائرات تلك كان مبادلة أسرى إسرائيليين بسجناء فلسطينيين في سجون العدو.". المصدر السابق، ص١٠٥.

أما عرفات فقد أكد وجهة نظر فتح بأن خطف الطائرات، عمل يناقض إستراتيجية التحرير، ويأتي ضمن إستراتيجية هروبية من المعركة، في محاولة لنقل المعركة بشكل غوغائي إلى الساحة الدولية، بهدف الدعاية للثورة، والضغط على السياسات الدولية لإثارة اهتمامها بالقضية الفلسطينية. ويمضي عرفات إلى القول بأن موقف فتح تغير إزاء هذا الأسلوب من التقبل في البداية إلى الرفض لمنافاته الإستراتيجية الجديدة للثورة الفلسطينية. انظر: جلال السيد، "حوار مع قادة الثورة الفلسطينية"، *مجلة الكاتب*، عدد ١١٧، (١٢/ ١٩٧٠): ص٨٦–٩٨.

[3]. خليل الهندي، مصر سابق، ص٢٥١.

[4]. وصل عدد القتلى ما بين ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ قتيل، كان نصيب الجيش منهم ٦٠٠ قتيل إضافة إلى ١٥٠٠ جريح، سوى الجنود والضباط الذين انشقوا وانضموا للمقاومة الفلسطينية وتتراوح أعدادهم ما بين ٥٠٠٠ – ٧٠٠٠ جندي وضابط، أما خسائر الفلسطينيين العسكرية فتراوحت ما بين ٩١٠ – ٩٦٠ قتيلاً أكثرهم من فتح، وباقي القتلى من المدنيين. انظر يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٣٩٥.

[5]. يروي صلاح خلف أنه وعلى مدى الأيام الخمسة الممتدة بين ١٣ و١٧ تموز ١٩٧١، راح نحو ثلاثة آلاف فدائي متحصنين في الغابات والهضاب المكسوة بالأشجار في ناحيتي جرش وعجلون، يقاتلون حتى الطلقة الأخيرة ضد قوات الجيش الأردني، وهكذا انطوت إحدى صفحات المقاومة، لينتهي عصر زهو الحركة الفلسطينية، الذي بلغ ذروته في معركة آذار. انظر: صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصدر سابق، ص١١٧.

الصدام الذي حملته بذور البدايات، فإن العلاقة في الأساس تأسست على التناقض الحتمي بين الدولة الناشئة على الحدود الكولونيالية وبين المقاومة المعبرة عن الثمن الباهظ الذي دفعه الفلسطينيون جراء تلك الترتيبات التي لم تقتلعه وحسب، وإنما جعلته في مواجهة الوضع العربي الناشئ[1].

في الوقت الذي كانت فيه الهويات الوطنية العربية تنبني على أساس الحدود الكولونيالية التي أوجدها المستعمر، كانت هوية الفلسطيني الوطنية تنبني على أساس نكتبه ولجوئه وإخراجه من الأرض التي استمر فيها الاستعمار في صورة "الوطن القومي لليهود"، وإذا كانت هذه المفارقة في نشوء الوطنيات قد تحققت في وقت واحد، أي الهوية العربية القائمة على الاستقلال والهوية الفلسطينية القائمة على اللجوء، فإنه لم يكن أمام الفلسطيني إلا أن يقاتل انطلاقًا من الأراضي العربية التي اكتسبت استقلالها حديثًا ووجد الفلسطيني نفسه فيها لاجئًا، بيد أن هذه البدهية ما كان لها أن تتعايش طويلاً مع البنى الجديدة القائمة، والتي تمثلت في دولة ما بعد الاستعمار العربية، والتي لم تكن مستعدة لتحمل تبعات توفير الغطاء للمقاومة الفلسطينية لا في حدودها الدنيا ولا في حدودها العليا والتي كانت من صورها هزيمة حزيران ١٩٦٧، إلا بالقدر الذي يوظفها سياسيًا لخدمة رؤيتها الخاصة، كما فعلت كل من مصر وسوريا في دعمهما للمقاومة في الأردن ولبنان، لا على أرضهما، ثم صارت المقاومة في لبنان لاحقًا عامل تناقض مع سوريا.

وبهذا فإن الفلسطيني يدفع ثمن الاستعمار مضاعفًا، مرة حينما جاء ومرة حينما ارتحل عن العرب دونه، ولم تفلح مقاربات الفلسطينيين في تجاوز هذه المعضلة البنيوية، فسقط شعار "عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية" عند الاختبار الأول، فالوجود المسلح المجرد من أي بنية سلطوية صار تدخلاً في شؤون تلك الدول بما يكلفها تلك الأثمان التي لا تريد دفعها، أو بما يتعارض مع رؤيتها لنفسها وموقعها في النظام الدولي، فكيف إذا تحولت المقاومة إلى بنية سلطوية فعلية كما في الأردن، أو صارت جزءًا من الأزمة الداخلية كما صار إليه الحال في لبنان؟!

وكما هي العادة مع المعضلات المستعصية، كانت النقاشات ما بعد أيلول، إلا أنها هذه المرة كشفت عن توجه فريد، من بين كل ذلك الصخب، شكل بذرة أولى لمحاولة عملية جادة تتجاوز التشاوف الثقافي، والاستعراض التنظيمي، ونزعة التأكيد على الذات؛ بالاتجاه إلى ميدان العمل، واجتراح الحلول في الواقع، والانتقال من رحابة النصوص إلى ضيق الواقع، ومن سهولة الادعاء إلى كبد الفعل، ومن

---

[1]. يرى منير شفيق حين عودته الآن إلى تحليل تلك الأحداث؛ أن تجنب أيلول كان ممكنًا، لو أن منظمة فتح لم تنازع الأردن على قضية تمثيل الفلسطينيين (قضية الضفة الغربية)، ولو أن قيادة حركة المقاومة تمكنت من إيجاد صيغة بين سلاحها والنظام الأردني. فقيادة المقاومة بحسب منير شفيق عجزت في ذلك الوقت عن اتخاذ القرارات الصحيحة وقت القرارات الحاسمة، فقد تشددت في شعارات لا تستدعي التشدد مثل "كل السلطة للمقاومة"، بينما استجابت لنزع سلاح الميليشيا وإخراج الثورة من المدن، حتى كانت النتيجة في النهاية إخراجها من الأردن. انظر:

منير شفيق، برنامج كل الحاية، ح٨، مصد سابق.

منير شفيق، برنامج كل الحكاية، ح٩، قناة القدس الفضائية. المادة المسجلة منشورة على موقع youtube بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩، ومسترجعة منه بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ https://www.youtube.com/watch?v=658ZsvBJjwU

وفرة المقترحات النظرية إلى اجتراح الممكنات الفعلية.

وإذا كانت القضية الفلسطينية قد حظيت باهتمام عدد كبير من الباحثين العرب والأجانب، فإن نصيب التاريخ والسياسية فيها أوفر حظًا من نصيب الفكر، الذي لم ينل نفس الدرجة من الاهتمام رغم ما للقضية الفلسطينية من أثر على الفكر العربي[1]، وإذا كانت هذه الدراسة لا تطمح إلى الإحاطة بالدراسات النقدية التي عالجت أحداث أيلول، والتي يمكن إدراجها في حقل دراسات النقد الذاتي الممتدة من بعد نكبة العام ١٩٤٨ مرورًا بهزيمة العام ١٩٦٧، بما كان لأحداث أيلول من دور مركزي في تحولات الحركة الوطنية الفلسطينية تاليًا، وآثار ممتدة في المجال العربي ببعديه السياسي والفكري؛ فإنها تحاول تلمس جانب من آثار أيلول بالبحث في صلة موضوعة الدراسة، بتلك الأحداث.

كان من أبرز النقد الفكري الذي وجه لحركة المقاومة الفلسطينية في أيلول، هو ما كتبه صادق جلال العظم، في مؤلفه الموسوم بـ "دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية"[2]، والذي جاء بعد محاولات أخرى تنطلق أيضًا من الأرضية الماركسية، كما فعل فعل إلياس مرقص في "المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن"[3]، الذي رأى فيه أن جوهر المشكلة في إيديولوجيا المقاومة الفلسطينية، ولا سيما في جناحها اليساري، الذي ترشده مؤلفات الجبهة الديمقراطية رغم صغر حجمها[4]، ومن هنا تركز نقده على رؤية المقاومة لنفسها بأنها محور القضية، وأن بقية العرب مجرد جبهة مساندة، وعلى أفكار حرب التحرير الشعبية، وعلى النقد الذاتي الذي وجهته المقاومة لنفسها حينما فشلت حرب التحرير الشعبية، إذ إن الفشل كان محتمًا، وبما لا يسمح لتكرار معجزتي الجزائر وفيتنام في فلسطين[5]، لأن المشكلة في الحدود الموضوعية للعمل الفدائى، والتي تقتضي بأن يرتقي الفلسطينيون بعملهم الفدائي، بأن يحققوا بين وقت وآخر عملية فعالة ذات أثر مادي ومعنوي، وبأن يوحدوا صفهم، وأن ينبذوا الأساطير، وأن يسهموا بصوت مسموع وصحيح ومحدد في جر الطاقات العربية الحقيقية إلى المعركة الكبرى[6]، وبتعبير أخر "لقد أرادت المقاومة الفلسطينية أن تكون الرد التاريخي على التقاعس العربي، فكان الغرور المقاوم تبريرًا للهروب العربي"[7].

وبحسب مرقص، فإن ما أتيح للمقاومة الفلسطينية من دعم عربي بالمال والسلاح لم ينل ماوتسي تونغ ١٩٢٧-١٩٤٢ ربعه، ولا هوشي منه ولا فييت منه، وإنما كان ذنب العرب أنهم اتخذوا من تمويل وتسليح المقاومة سبيلاً للتهرب من واجباتهم الأساسية، وذنب المقاومة أنها بذاتيها وتمحورها على الذات قد فتحت لهم هذا السبيل[8]. ولأن تحويل شرقي الأردن إلى فيتنام شمالية خرافة حتى لو بعث

---

[1]. محمد الرحموني، **النقد الذاتي في الفكر العربي: الخطاب النقدي للمفكرين العرب حول نكبة فلسطين نموذجًا**، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٣): ص١٣.

[2]. مصد سابق.

[3]. إلياس مرقص، **المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن**، (بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، ١٩٧١).

[4]. المصدر السابق، ص١٠٣.

[5]. المصدر السابق، ص١٠٠.

[6]. المصدر السابق، ص١٠٠-١٠١.

[7]. المصدر السابق.

[8]. المصدر السابق، ص١٠٢.

لينين وهوشي منه وتروتسكي وغيفارا وروزا لوكسمبورغ؛ فإن الحل في الحرب النظامية، والجبهة الشرقية، والنمو العربي، والوحدة العربية[1].

وإذا كان إلياس مرقص، يدعو المقاومة الفلسطينية للتخلي عن إيديولوجيتها المثالية، وتحميل الأنظمة العربية مسؤولياتها، فإن جلال صادق العظم[2] حاول أن يكون على النقيض، حينما اختصر حركة المقاومة الفلسطينية في حركة فتح، التي أعطت سماتها لمجمل حركة المقاومة[3]، والتي استمدت سماتها بدورها من الأوضاع العربية السائدة منذ ما قبل هزيمة العام ١٩٦٧، وتحديدًا في كون قيادة حركة المقاومة تنتمي للبرجوازية الصغيرة التي كانت السبب في هزيمة العام ١٩٦٧[4]، حتى إن شعارات فتح التي بدت قلبًا للمنطق العربي السائد، مثل "تحرير فلسطين هو طريق الوحدة"، و"الثورة الشعبية المسلحة بدلاً من الحرب الخاطفة النظامية" لم تكن أكثر من قلب ميكانيكي وشكلي في أغلب الأحيان للشعار نفسه[5]. والحل إذن في كلمتين: الحزب الثوري والنظرية الثورية[6]، وهو الحل الذي ختم به العظم دراسته، مكتفيًا بعرض ثلاث فقرات موجزات مقتبسات من كلام ماوتسي تونغ يشرحن أهمية الحزب الثوري والنظرية الثورية.

كان لافتًا أن الردود التي ناقشت دراسة العظم، ورغم ما بينها من اختلاف وتفاوت قد أجمعت على سمات معينة تطبع دراسة العظم، بما يجعلها في النهاية في مصاف الدراسات الاستشراقية، بالرغم من أن الموضوعة محل النقد لا توحي بإمكان ظهور احتمالات للاستشراق الذاتي، إذ النقد ليس موجهًا للمجتمع العربي أو الفلسطيني عمومًا، ولا في هذه الحالة للفكر الديني، وإنما لأداء المقاومة الفلسطينية في أحداث أيلول[7].

يذهب يوسف سماحة إلى "أن الدكتور صادق، إذ يتعامل مع الثورة على هذا الشكل، يذكرنا بالمستشرقين الذين يفهمون الواقع العربي من خلال النصوص والكتب والوثائق"[8]، وهو التصور نفسه الذي يقدمه وليد نويهض عن دراسة العظم حينما يؤكد أنها جاءت "مقصرة عن فهم ظروف المقاومة الفلسطينية والإطار التاريخي الذي أحاط نشأتها، إذ طغت في كتابه النصوص على التحليل، والاستشهادات الانتقائية والعشوائية.. [فـ] محاكمة العظم للمقاومة، لم تكن من خلال واقع المقاومة، بل من خلال فكر و«أدمغة» المقاومة، ومن هنا جاء فشله في محاكمة «جماهيرية» فصائل المقاومة"[9].

إذن فوجه الشبه بين العظم في نقده لفكر المقاومة الفلسطينية والمستشرقين، يظهر في عدة جوانب منهجية وتقنية ونفسية، فهو ابتداء

---

[1]. المصدر السابق، ص١٢٤-١٢٣٠.

[2]. تتسم دراسة العظم، من حيث الشكل بالتداخل الشديد بين الأفكار، والتكرار المفرط لذات المقولات، وافتقارها إلى الترتيب والتنظيم والعنونة، ما يجعلها أشبه بمقالة طويلة تصل إلى ٢٥٥ صفحة، وتخلو من أي عنوان مركزي أو فرعي، وهو الأمر الذي يجعل التعامل معها مهمة صعبة إلى حد ما.

[3]. جلال صادق العظم، دراسة نقدية في فكر المقاومة الفلسطينية، مصدر سابق، ص١٢.

[4]. المصدر السابق، ص٢٢-٢٣.

[5]. المصدر السابق، ص١٨.

[6]. المصدر السابق، ص٢٥٤-٢٥٥.

[7]. ساري عرابي، **الاستشراق الذاتي وموقع المثقف: دراسة في جدل ماركسي على نقد جلال صادق العظم لفكر المقاومة الفلسطينية**، مصدر سابق.

[8]. يوسف سماحة، "مراجعات: منير شفيق، الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢٩ (كانون ثاني ١٩٧٤): ص١٢٧-١٣٣.

[9]. من نص وليد نويهض في: "**رأيان في كتاب: «دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية»: هل هو نقد لفكر المقاومة حقًا؟**"، مصدر سابق. وما بين معكوفين [ ] من الباحث.

يقيم دراسة نصية معزولة عن واقع المقاومة الفلسطينية، معتمدًا على كتابات وتصريحات عدد من مفكري المقاومة حينها، خاصة منير شفيق وناجي علوش، وعدد من قادتها مثل صلاح خلف وهاني الحسن وياسر عرفات، ولا يكاد يتناول حادثة واقعة واحدة، سوى شهادة أحد المقاتلين التي نقلها من وثيقة ولم يستمع إليها بنفسه.

وعن ذلك يقول ناجي علوش، أنه: "يكشف عقلية بعض المثقفين، والعرب منهم خاصة، الذين يظنون أن قراءة بعض الكتب تغنيهم عن الممارسة، وعن فهم الواقع وقواه، ويجعلهم يقدمون بسكويتًا نظريًا لجماهير لا يتعدى حلمها «الخبر اليابس». وهم في النهاية يعتبرون أنفسهم غير مطالبين بشيء غير هذه «النصائح الثورية الجميلة». الحل سهل: إنه النظرية والحزب والانحياز إلى الاشتراكية، وكل ما عداه خطأ، انحراف وعجز وقصور.. الخ وعلى الجماهير أن تفهم وأن تهضم النظرية وتنشئ الحزب، وتتخذ الموقف الحازم مع الاشتراكية ضد الإمبرالية"[1].

ويلخص ناجي علوش نقده على العظم في أن الأخير لم يستخدم منهجًا علميًا حينما اعتمد على الاقتباسات الانتقائية وغير الأمينة، كما أنه تبنى موقفًا عدميًا حينما وضع حزب الطبقة العاملة ونظريتها مقابل كل شيء، في عدمية غلبت على الكثير من اليساريين بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧، وجعلته يكرس جهده الأساسي لانتقاد الأخطاء دون أن يعطي للمقاومة كلها، بكل إنجازاتها، إلا صفحة واحدة في المقدمة، بما يظهر أنه لم يرد فقط أن ينال من المقاومة العفوية، ولكنه أيضًا تعمد تشويه الأفكار التي يطرحها ناجي علوش ومنير شفيق، ولذلك كان لا بد من منافشته، من باب أن مناقشته هي مناقشة للمدرسة اليسارية الطفولية والعدمية.[2]

إلا أن الرد الأوسع على جلال صادق العظم جاء من منير شفيق[3]، ذلك المقدسي القادم من الحزب الشيوعي الأردني إلى حركة فتح،

---

[1]. من نص ناجي علوش في المصدر السابق.

[2]. ناجي علوش، "ناجي علوش يتحدث في قضايا الساعة الفلسطينية"، حاوره: عبد القادر ياسين، *مجلة الكاتب*، عدد ١٥٥، (فبراير ١٩٧٤): ص٣٦-٤٥
ويحدد ناجي علوش موقفه من بناء حزب البروليتاريا في كتابه ، قائلاً بأن "حركة التحرر الوطني دائمًا حركة أكثر من طبقة، وهذا يجعل التحالف الطبقي أساسيًا، قادته البروليتاريا أو غير البروليتاريا"، و"نمو الحزب الأكثر ثورية، والأكثر جذرية، مرتبط في مثل هذه الظروف، بالمحافظة على تماسك الجبهة واستمرارها"، "فعلىحزب الطبقة الأكثر ثورية أن يكون العامل الفعال في الجبهة، إن كان موجودًا.. وإن لم يكن موجودًا، وكانت هناك نواة تسعى لخلقه وتكوينه فعلى هذه النواة أن تنمو مع نمو العمل الوطني.."، ومعركة التحرر الوطني "معركة مع عدو أجنبي أساسًا، ومع عدو محلي أحيانًا، أو مع الاثنين معًا في أحيان أخرى. ولكن بما أن الصراع الأساسي مع العدو الأجنبي، يصبح التوجه الأساسي للجماهير هو التوجه نحو محاربة العدو الأجنبي. هنا تخف حدة الصراع الطبقي، ويصبح هم الطبقة الأكثر ثورية والأكثر جذرية أن تؤلف قلوب بعض أعدائها، وأن تحيد بعضهم، مؤجلة شعار إسقاطهم، ومؤجلة طرح برامجها الأكثر جذرية". ناجي علوش، **الثورة الفلسطينية أبعادها وقضاياها**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠): ص٧٣- ٧٥.

[3]. يحتل منير شفيق مكانة مركزية في هذه الدراسة بصفته المنظر الأبرز لتيار الكتيبة الطلابية الذي تتناوله هذه الدراسة بالبحث. ومنير شفيق عسل فلسطيني من حي القلمون بالقدس، ولد لعائلة مسيحية ميسورة الحال في العام ١٩٣٦، واختار في العام ١٩٥٣ الانتماء للحزب الشيوعي الأردني، بسبب تشبعه بالثقافية الماركسية التي اكتسبها في بيت والده المحامي المشهور. لم يتمكن من إكمال دراسته لأن والده اشترط عليه ترك العمل السياسي في حال أراد دراسة القانون في دمشق خوفًا عليه من الأذى الذي قد يصيبه في ظل حكم أديب الشيشكلي. اعتقل في السجون الأردنية عدة مرات منذ العام ١٩٥٢، إلى أن اعتقل اعتقاله الخامس في العام ١٩٥٧ بعد عملية مطاردة تعقبته فيها الحكومة الأردنية، وقد تعرض لتعذيب شديد بعد الاعتقال، وحكم عليه بـ ١٩ سنة بتهم الانتماء للحزب الشيوعي، وقيادة المظاهرات والسب والقذف. قام منير شفيق بتدريس المادية التاريخية والمادية الجدلية داخل السجن، إلا أنه بدأ يستقل بفكره عن الحزب الشيوعي في العام ١٩٥٩، حيث اختلف مع الحزب في تبعية الحزب للاتحاد السوفييتي، إذ كان يطالب شفيق بضرورة أن يتبنى الحزب سياسات مستقلة عن الاتحاد السوفييتي، ومن الموضوعات المتفرعة عن هذه القضية الموقف من قرار تقسيم فلسطين الذي أيده الحزب الشيوعي الأردني تبعًا للاتحاد السوفييتي ورفضه منير شفيق، كما اختلف مع الحزب على الموقف من عبد الناصر الذي هاجمه الحزب، أو تراوح موقف الحزب منه سلبًا وإيجابًا بحسب موقف الاتحاد السوفييتي، واختلف منير أيضًا مع الحزب في قضية الوحدة العربية التي بقيت قضية أساسية في فكر منير شفيق. أفرج عن منير شفيق في العام ١٩٦٥، وتوجه إلى بيروت ونزل في بيت أخته سميرة زوجة ناجي علوش، وبدأ بالدراسة في جامعة بيروت العربية، والعمل

وصاحب المؤلفات في النظرية الثورية والحزب الثوري[1]، والذي يكشف في رده الموسوم بـ "الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم"[2]، إلى جانب رد ناجي علوش، عن تمايز في الموقف اليساري إزاء الموضوعة الثورية، والقضية العامة، إن من حيث موقع المثقف، أو من حيث طبيعة التعاطي مع القضية.

يرفض منير شفيق وصف أحداث أيلول بالهزيمة، مخالفًا بذلك العظم، لأنها من الناحية العسكرية لم تنته بهزيمة، فقد انتهت المعارك دون أن ترفع الثورة راية بيضاء، وهي لا تزال في مواقعها، تسيطر على أكثر من ثلاثة أخماس الأردن[3]، وقد أصبح بيد الجماهير والثورة في عمان من الأسلحة والذخائر أكثر مما كان عندها من مثيالاتها قبل المعركة وأثناءها[4]، ودون أن تسلم بشرط واحد عسكري أو سياسي في اتفاقية القاهرة التي وقعتها مع الملك حسين. وأما سياسيًا، فإن سياسة الثورة بمجموعها "إعطاء الأولوية لتحرير فلسطين، وسياسة حرب الشعب طويلة الأمد ضد العدو الصهيوني، وسياسة تسليح الجماهير وتنظيمها واستنهاضها، إنها سياسة رفض الحلول الاستسلامية، ورفض الركوع أمام الصهيونية والإمبريالية والقوى المضادة للثورة"[5]، وهذه السياسات، بحسب منير شفيق، كانت صحيحة وما زالت صحيحة، والحكم عليها بالفشل يعني إدانتها، وهو الحكم المرفوض تمامًا[6].

والخلاف هنا ليس شكليًا، وإنما هو خلاف بين منهجين، ومثقفين يقفان على أرضيتين متمايزتين، معيارها الموقف من الجماهير التي قاتلت وصمدت في المعركة، حتى حافظت على مواقعها، وصانت سلاحها، وحمت ثورتها وقضيتها، وبما يذكر بالخلاف الذي ظهر

بالترجمة، وقد ترجم أعمال هوشي منه الكاملة، وكتابات جياب ومحمد شيخو وجيفارا. يقول إن هوشي منه حرره من هيمنة الماركسية الغربية، وفي هذه الفترة بدأ يقتنع بمنطلقات فتح، التي سبقه في الانتماء إليها ناجي علوش. عمل مع كمال عدوان في القطاع الغربي مسؤولاً عن القسم السياسي في الأرض المحتلة، ثم أصبح رئيس مركز التخطيط إلى أن أقاله ياسر عرفات قبيل توقيع اتفاق أوسلو، امتاز منير شفيق منظرًا للثورة الفلسطينية، ومتمسكًا بمنطلقات فتح الأولى، وقاد من موقع المفكر تيارًا يساريًا داخل حركة فتح، عرفت الكتيبة الطلابية بأنها طلعيته المقاتلة، وقد انتقل مع عدد كبير من عناصر هذا التيار من الماركسية إلى الإسلام بصيغته الثورية السياسية، وهي التجربة التي انبثق منها ما عرف منذ العام ١٩٨٣ بسرايا الجهاد الإسلامي، التي سوف تتناولها هذه الدراسة بقدر من التفصيل، وفي وقت لاحق أصبح المنسق العام للمؤتمر القومي الإسلامي، وانشغل بالكتابة في الفكر الإسلامي والتحليل الإستراتيجي وموضوعات القضية الفلسطينية، التي بقي ملتزمًا بثوابتها الأساسية كما في منطلقات فتح الأولى، منحازًا إلى مقاومتها ولا سيما المقاومة الإسلامية التي تمثلت في كل من حركة حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله. وأخيرًا بقي منير شفيق متمسكًا بمقولة "عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية"، وهي المقولة التي طبعت موقفه من أحداث الثورات العربية التي انطلقت في العام ٢٠١١.

* هذه السيرة الذاتية لمنير شفيق مأخوذة من سلسلة لقاءات تلفزيونية أجرتها معه، قناة الجزيرة في حلقة من **برنامج زيارة خاصة**، وقناة الحوار في ٥ حلقات من **برنامج مراجعات**، وقناة القدس في ١٤ حلقة من **برناج كل الحكاية**، وقد استرجعها الباحث من شبكة الإنترنت، وسوف يقوم بتوثيقها في قائمة المصادر في آخر البحث، كما أن للباحث ورقة بحثية غير منشورة عن منير شفيق استفاد منها في تسجيل هذه السيرة، وقد سبقت الإشارة إليها، وهي بعنوان " **منير الشفيق: المثقف الملتزم في معية فلسطين**".

[1]. انظر:

منير شفيق، **الماركسية اللينينية والحزب الثوري**، مصدر سابق.

منير شفيق، **الماركسية اللينينية والثورة المسلحة**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢).

[2]. مصدر سابق.

[3]. بحسب زياد منى في محاورته لنزيه أبو نضال "كان معظم الأردن في أيدي الثورة، وكذلك معظم أنحاء عمان: وسط البلد ويحوي المصرف المركزي ومقسم الهاتف والبريد وكذلك الوحدات والأشرفية وبعض جبل الحسين. أما في خارج عمان فكانت المنطقة كلها بدءًا من صويلح إلى المفرق في يد قوات الثورة". انظر: نزيه أبو نضال، **من أوراق ثورة مغدورة**، مصدر سابق، ص١٢٧.

[4]. منير شفيق، **الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم**، مصدر سابق، ص٩، ص١٢.

[5]. المصدر السابق، ص١١.

[6]. المصدر السابق.

على الدوام طوال تاريخ الحركة الثورية ومنذ أواسط القرن التاسع عشر، منذ ثورة كومونة باريس ١٨٧١، وثورة موسكو ١٩٠٥، فعلى الرغم من الفشل العسكري الذي منيت به هاتين الثورتين، إلا أن ميزتهما كانت في حمل الجماهير للسلاح وصدامها المسلح مع القوى المضادة للثورة[1]، ومن هنا ينتقل منير شفيق للتأكيد على أن المقاومة الفلسطينية كانت ثورة، ولم تكن مقاومة وحسب، بخلاف العظم الذي يشدد على أنها مقاومة وحسب ولا تسمى ثورة إلا تجاوزًا[2]، فالتعريف الماركسي يحدد الثورة على أنها عملية إحداث التغيير الكيفي على أن يكون ذلك التغيير إلى الأمام باتجاه تطور حركة التاريخ، وقد درجت الأدبيات الماركسية على تسمية كل المحاولات الجماهيرية الكبيرة، خاصة المسلحة منها، لإحداث هذا التغيير الكيفي بثورة، حتى لو لم تنجح، دون اشتراط أن تكون الثورة بقيادة الطبقة العاملة كي تسمى ثورة، وإلا سترفع هذه التسمية عن ثورة ١٨٧١ في فرنسا، والثورة الأمريكية، والثورات الأوروبية. وثورة الجزائر وكوبا وغيرها من الثورات[3].

والفرق هنا بين منير شفيق والعظم هو في طبيعة التعاطي مع الأطروحة الماركسية، ما بين استخدام الماركسية لتثوير الواقع، أو تعزيز الثورة في الواقع، واستخدامها بصورة انحرافية يسارية طفولية تحصر تعريف الثورة في حال كانت حركة الجماهير المسلحة بقيادة الطبقة العاملة[4].

النقاش الأوسع الذي أداره منير شفيق، كان حول موضوعة دور البرجوازية الصغيرة في فشل حركة التحرر العربي في هزيمة العام ١٩٦٧، ودورها في أحداث أيلول (أو هزيمة أيلول بحسب العظم)، خاصة وأن محور كتاب العظم يدور على هذه الموضوعة كسبب وحيد لـ "الهزيمتين"، وبالتالي فإن الحل لديه كان في كلمتين وحسب، وهما: الحزب الثوري والنظرية الثورية.

تجب الملاحظة هنا، أن منير شفيق يناقش أيضًا من أرضية ماركسية لينينية، ولكنه لا يحمل البرجوازية الصغيرة مسؤولية هزيمة حزيران، أو خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن، على خلاف أكثر التحليل الماركسي في ذلك الوقت، بما في ذلك تحليل الاتجاه اليساري داخل حركة فتح، بمعنى أن شفيق، يلتصق بالجماهير أولاً ويلحظ بطولاتها والفرق النوعي الذي أحدثته الثورة ما بين هزيمة العام ١٩٦٧ وبسالة الجماهير في الدفاع عن ثورتها في أحداث أيلول، وهو أيضًا الفرق النوعي ما بين الحرب النظامية في حزيران ١٩٦٧ وأيلول ١٩٧٠، ثم يتحرر ثانيًا من الأرثوذوكسية الماركسية، وبالتالي يتحرر من الأحادية في التفسير، فبالنسبة للأردن كانت الكارثة قد حلت

---

[1]. المصدر السابق، ص١٠.

[2]. المصدر السابق. ص١٣.

[3]. المصدر السابق، ص١٤.

[4]. المصدر السابق، ص١٥.

وفي وقت متأخر، وبعد تحول منير شفيق إلى الإسلام يقدم نقدًا أعمق وأنضج لنظرية حزب الطبقة العاملة*، حيث يلفت الانتباه إلى أن التسمي باسم حزب العمال لا يعني بالضرورة انطباقه على المسى، وهو ما يقر به لينين حين حديثه عن الأحزاب الاشتراكية التي يقودها "الأنذال"، وهذا بالضرورة قد ينطبق على ادعاء لينين نفسه، وهذه المعضلة حاول لينين حلها دون أن يطرحها كمعضلة توجه حزبه كما في قوله: "إن الماركسية إذ تربي حزب العمال، تربي طليعة البروليتاريا الكفؤ لأخذ السلطة.."، لكن هذه الماركسية هي التي ربت الأحزاب العمالية التي يصفها لينين بالانتهازية. وهذه المشكلة تتجسد على أرض الواقع بانعزال الماركسية اللينينية عن العمال والفلاحين. يمكن سحب هذا النقد المتأخر إلى جدل ذلك الوقت، وإن كان منير شفيق قد عبر عنه حينها أثناء سجاله مع العظم بالاستدلال على ثورات فشلت رغم قيادتها بواسطة الأحزاب الشيوعية وتبنيها النظرية الثورية وفق المفهوم الماركسي اللينيني.

* منير شفيق، **الدولة والثورة: رد على ماركس، انجلز، لينين ومقاربات مع الرؤية الإسلامية**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١): ص٩٦-٩٧.

بعد أيلول بمدة ليست قصيرة، حينما قررت قيادات المنظمات الفدائية تنظيم الأسلحة في عمان، وسحب الأسلحة من المدن والمخيمات والانتقال إلى الجبال والأحراش في نيسان ١٩٧١. فترك الجماهير بلا سلاح في المدن، وترك الثوار بعيدًا عن حماية جماهيرهم كان يعني تصفية الثورة في النهاية كما حصل في تموز ١٩٧١[1]، وبالنسبة لهزيمة العام ١٩٦٧ فإن النقد الثوري الحقيقي حين يوجه للأنظمة العربية التي لحقت بها هزيمة عسكرية في حزيران ١٩٦٧، يجب ألا يتركز على أنها منيت بهزيمة عسكرية، وإنما لكونها لم تتابع الحرب وتتحول إلى حرب الشعب طويلة الأمد، أي أنها لم تواصل القتال وأخذت تجنح إلى طريق المهادنة والتراجع.[2]

يكشف شفيق أثناء مناقشته استخدام البرجوازية الصغيرة أداة تحليل يسارية للظواهر التي جرت في المجتمع العربي، عن تحرره من الأرثذوكسية الماركسية، إذ يذهب إلى أن الحديث عنها "لا يصح أن يستند، فقط، إلى مقولات ماركس ولينين وماوتسي تونغ حولها، لأن البرجوازية الصغيرة عندنا وصلت إلى الحكم في بعض البلدان العربية، ولم توجد في ظروف وجود طبقة بروليتارية صناعية كما حدث في أوروبا، أو في وجود ثورة بقيادة حزب بروليتاري كما في الصين وفيتنام، فضلاً عن أنها وجدت في بلادنا في ظروف التجزئة ووجود الكيان الصهيوني والاستعمار الجديد وهذا يقتضي ضرورة دراسة سمات خاصة بها"[3]، وهذا الاختلاف في الموقف من الطبقة البرجوازية الصغيرة وتحديد الموقف منها ومعرفة سماتها الخاصة، نابع من اختلاف منهجي ما بين منهج ماركسي أرثوذوكسي يسقط المقولة الماركسية كما هي على الواقع العربي، من موقع الأستذة والانفصال العملي عن القضية[4]، ومنهج تحليلي يرى الظاهرة بحركتها العامة

---

[1]. منير شفيق، **الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم**، مصدر سابق، ص١٢.

[2]. المصدر السابق، ص١١٦.

[3]. المصدر السابق، ص٦١.

[4]. يلاحظ أن أكثر الذين ردوا على العظم في مشروعه النقدي الواسع من "النقد الذاتي بعد الهزيمة"، و"نقد الفكر الديني"، و"دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية"، وصولاً إلى "ما بعد ذهنية التحريم"، قد أطبقوا على عدد من السمات التي تطبع العملية النقدية لدى العظم، بالرغم من اختلاف الموضوعات التي تناولها العظم بالنقد من العام ١٩٦٩ في "النقد الذاتي بعد الهزيمة" إلى "ما بعد ذهنية التحريم" في العام ١٩٩٧، إذ يتساءل أحمد برقاوي في معرض مناقشته لردود العظم على معظم المثقفين الذين لم يشاركوه الرأي بخصوص رواية سلمان رشدي "آيات شيطانية": "هل يريد أن يؤسس لطريقة في النقد هجائية، تنال من الأشخاص وليس من الأفكار؟ أم يريد أن يعمم نزعة «الأستذة» التي لا ترى في الآخرين إلا تلامذة يستحقون الضرب على الأصابع،؟ أم أنه يسعى لأن يجعل طريقته شبيهة بطريقة المحقق مع المتهم"*، وقد اتفق رضوان السيد مع برقاوي في ملاحظة نزعة الأستذة هذه لدى العظم وسماها نزعة التعالم، التي تعجز عن وضع الأمور في سياقها وعن تحليل وجوه اختلال العلائق في عالم اليوم، فما يفعله العظم، بحسب السيد، ليس أكثر من جلد للذات بعد إخراجه نفسه من الأمة كلها**، وإذا كان رد كل من ناجي علوش ومنير شفيق قد تركز على اتخاذ جلال صادق جلال العظم من البرجوازية الصغيرة أداة تحليل وحيدة لفهم الأوضاع العربية منذ ما قبل هزيمة العام ١٩٦٧ وصولاً إلى أحداث أيلول ١٩٧٠، فإن برقاوي انتقد هذه الأحادية بقوله إن العظم "لا يرى التعقيد في الظاهرة، التي يراها بسيطة ويمكن إرجاعها إلى سبب واحد. أي أنه لا ينظر إلى المسائل التي يتصدى لها من حيث تغير الشروط والظروف ومعرفة الأسباب المتبادلة"***، وهي ذات النقطة التي يأخذها عليه هادي علوي بخصوص قضية البذاءة في رواية سلمان رشدي «آيات شيطانية»، لأن تحليل العظم، كما يرى علوي، قام في النهاية على المنطق الشكلي الذي يتمسك بالعموميات ولا يدخل في تفاصيل القضايا****، وهذه النقطة توقف عندها محمد الرحموني في ملاحظاته على "نقد الفكر الديني لدى العظم"، إذ أخذ عليه حصره العلم في نظرية التطور العضوي ونظرية فرويد والماركسية، بالرغم من أن هذه النظريات هي إيديولوجيات أو فلسفات في أحسن الأحوال، وقد يفسر هذا الحصر لمفهوم العلم انشغال العظم بمسألة الإيمان والإلحاد وكأنها جوهر المشكل*****، وأخيرًا يعود أسعد أبو خليل لوصم العملية النقدية لدى العظم بأنها مجرد نسق عادي للاستشراق المبتذل******،

* صادق جلال العظم، **ما بعد ذهنية التحريم**، (دمشق: دار المدى، ٢٠٠٤): ص٣٥٢. نقلا عن: أحمد برقاوي، "صادق جلال العظم: أسير الوهم- عندما يتحول النقد من موقف إلى مهنة"، *مجلة الناقد*، (آب ١٩٩٣).

** صادق جلال العظم، ما بعد ذهنية التحريم، مصدر سابق، ص٥٠٦، نقلاً عن: رضوان السيد، "نزعة التعالم"، *صحيفة الحياة*، ١٩٩٣/٤/٢.

*** أحمد برقاوي، مصدر سابق.

**** صاق جلال العظم، ما بعد ذهنية التحريم، مصدر سابق، ص٤١٤، نقلاً عن: هادي علوي، "صادق العظم في زهر الربيع"، *مجلة الحرية*، ١٩٩٣/٣/١٤، ص٣٤-٣٦

***** محمد الرحموني، **الدين والإيديولوجيا: جدلية الديني والسياسي في الإسلام والماركسية**، مصد سابق، ص٢١٧.

واتجاهها العام، ويراها بكل جوانبها المتنوعة التي تتكون منها ويبحث عن سمات كل جانب وحركته الخاصة وترابطه[1].

ومع هذا التعاطي الذي يحاول أن يقرأ الظاهرة من عمقها هي، دون إسقاط تعسفي للمناهج المستدعاة من ظروف مختلفة، فإن ثمة تمايزًا آخر يظهر أثناء نقاش هذه الفكرة يتمثل في طبيعة الموقف العملي من وجود طبقة برجوازية صغيرة تقود الثورة، إذ إن هذا الموقف سينقسم أمام اتجاهين، إما تدمير هذه الطبقة التي تقود الثورة وبالتالي تدمير الثورة نفسها[2]، أو تحمل المسؤولية تجاه الثورة، والموقف البروليتاري المسؤول في هذه الحالة سيقول: "إذا كانت فتح، برجوازية صغيرة. فمرحى لها كونها مقاتلة بالسلاح ضد الصهيونية والإمبريالية، ويجب علينا أن نمد لها يد التحالف ونشجعها على هذا القتال. ولا يصار إلى محاولة «قلبها» إلى ماركسية لينينية، لأن ذلك غير ممكن.. ولا يصار إلى تحطيمها بحجة أنها غير ماركسية لينينية، لأنه غير مطلوب منها أن تكون كذلك. فهذا ما هو مطلوب منا نحن، وإذا كان من الثورية أن ننتقد ونصحح، فعلينا أن نبدأ بأنفسنا، أن نركز النقد على عجزنا بسبب تخلفنا عن الكفاح المسلح وقيادة الجماهير، وبسبب عدم ارتفاع قتاليتنا إلى مستوى قتالية فتح."[3].

وطالما أن النقاش يجري على أرضية ماركسية، فإن منير شفيق يستدل هنا كثيرًا، كما فعل ناجي علوش من قبله، بماوتسي تونغ في عدد من الموضوعات، كالتناقضات الرئيسية والثانوية، والتحالفات، ونقد مسلكيات الثوار التي تضر الجماهير، وطريقة التعاطي مع الإخفاقات العسكرية في سياق الثورة الطويلة والممتدة، دون إسقاط متعسف لمقولات أو ممارسات ماوتسي تونغ على الثورة الفلسطينية، ذلك لأن ماوتسي تونغ "لم يعالج قضايا الثورة الفلسطينية والعربية، وهو ليس مطالبًا أن يطرح خطًا للثورة الفلسطينية والثورة العربية، لأن ذلك من واجب الثوريين العرب."[4]، ورغم أن كلاً من ناجي علوش ومنير شفيق رفضا ادعاء العظم بوجود تيار ماوي داخل حركة فتح، فإن منير شفيق يؤكد أن أفكار ماوتسي تونغ هي الماركسية اللينينية في أرقى تطور لها "حتى الآن"[5].

لا يرى منير شفيق أنه يرفض النقد بموقفه هذا، ولكنه يميز بين النقد الثوري الصحيح، الذي ينقد ضمن الوحدة الوطنية، وضمن طرح برنامج إيجابي للنضال يتبناه ويمارسه، وبين النقد الطفولي الهوجائي اليساري ضيق الأفق، قصير النظر، والذي يحطم كل ما تصل إليه يداه، وينتهي به ضيق أفقه إلى وضع الحب في طاحونة الأعداء[6]، وإلا فإن شفيق مارس النقد للثورة الفلسطينية من موقع التصاقه بها وبجماهيرها وإيمانها بأولوية المقاتل المسلح على المثقف الذي يوزع "بسكويته" النظري على المقاتلين، إذ حذر شفيق من أن "وجود الخطوط العسكرية والسياسية الخاطئة وتضارب الشعارات، يعرض الثورة حتمًا إلى أخطاء فادحة، أو على الأصح قد يعرضها لكارثة أو

****** أسعد أبو خليل، "صادق جلال العظم: نقد الفكر الطائفي بعد الهزيمة"، *صحيفة الأخبار*، ٢٠١٣/٤/٢٧.

[1]. منير شفيق، **الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم**، مصدر السابق ٢٧.

[2]. ولذلك سمى كتابه "الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم".

[3]. المصدر السابق، ص١٩-٢٠. وهو تصور يتفق مع ما سبق عرضه عن موقف ناجي علوش من الحزب البروليتاري في كتابه **الثورة الفلسطينية أبعادها وقضاياها**.

[4]. ناجي علوش ووليد نويهض، مصد سابق.

[5]. منير شفيق، **الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم**، مصدر سابق، ص١٤٩.

[6]. المصدر السابق، ص٣٧.

كوارث حقيقية، إذا لم يجر تلافي تلك الأخطاء بأسرع ما يمكن"[1].

الفارق الجوهري هنا هو في مستوى الالتصاق بالجماهير، وتحليل الواقع من داخله وعلى أساس من معرفته، في مقابل معالجة القضايا العربية بعقلية أوروبية ابتداء من قضايا التراث والتاريخ ومرورًا بقضايا المرأة والدين وانتهاء بقضايا العادات والتقاليد، فهذا الفهم بحسب شفيق غريب عن الماركسية اللينينية نفسها التي ترشد إلى أن تنبع الطليعة من قلب شعبها تحمل روحه وبصماته[2]، وعليه فإن "أي حزب بروليتاري عربي في بلادنا لا ينتسب لحركة التحرر الوطني العربية، ولا يكون امتدادًا موصول النسب بها، بل وبتاريخنا حتى قبل ألفي عام، لن يكون حزبًا من بلادنا، ولن يكتب له أن يكون أكثر من صورة ممسوخة لمدرسة اللاوطنية التروتسكية، أو بعبارة ملطفة سيكون فصيلاً «يساريًا» مستعربًا"[3].

فثمة فرق جوهري إذن بحسب منير شفيق، بي حرارة الثوار وعاطفتهم الملتهبة، وبين الذين يعالجون الثورة ببرود وصقيعية، فهم غرباء تمامًا عن روح الشعب وتأجج روحه الثورية، ومن هنا يظهر الموقف من نقد تصرف بعض المنظمات، وسوء سلوك بعض الفدائيين، ونوعية بعض الشعارات التي رفعتها بعض المنظمات، ففي حين يقلل العظم من شأن هذا النقد، بحجة أن المقاومة الفلسطينية حتى لو كانت أقل تطرفًا وأكثر تهذيبًا فإن هذا لن يجعل الملك حسين راضيًا عن مشاركة فتح له في سلطته وسيادته، فإن منير شفيق ينظر إلى هذا النقد من موقع آخر، وهو موقع الالتصاق بالجماهير، فاليسارية اللفظية، والتطرف فوق اليساري، تستفز الجماهير ويضعف تأييدها للثورة، ويعزل الطلائع الثورية ويحد من جبهتها العريضة، كما أن المسلكيات الخاطئة والتجاوزات غير المسؤولة، استفزت أوساطًا من أبناء الشعب، وألحقت إساءات ببعضهم[4].

إن الناظم لهذه الأفكار التي استعرضتها الدراسة من خلال الرد الموسع الذي كتبه منير شفيق على كتاب جلال صادق العظم "دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية" هو ما يسميه شفيق "خط الجماهير"[5]، وهو فكرة أساسية في تنظير ماوتسي تونغ[6] الذي عبر عنها بصورة واضحة ومباشرة، حينما يقول: "إن كل قيادة صحيحة في كل عمل من أعمال حزبنا لا بد أن تكون من الجماهير وإلى الجماهير. وهذا يعني تجميع آراء الجماهير (الآراء المبعثرة غير المنسقة) وتركيزها (تحويلها إلى آراء مركزة منسقة عن طريق البحث والدراسة)، ثم إعادتها إلى الجماهير لنشرها وتوضيحها حتى تتبناها الجماهير كآرائها الخاصة، وتتمسك بها وتطبقها عمليًا، وكذلك لاختبار صحة هذه الآراء أثناء التطبيق الجماهيري. ثم جمع آراء الجماهير وتركيزها مرة أخرى والذهاب بها إلى الجماهير لتطبيقها مرة

---

[1]. منير شفيق، **حول التناقض والممارسة في الساحة الفلسطينية**، (بيروت: دار الطليعة، [د.ت]): ص١١٣.

[2]. ، منير شفيق، **الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم**، مصدر سابق، ص٤٩.

[3]. المصدر السابق، ص٣١-٣٢.

[4]. المصدر السابق، ص١١٨-١٢٠.

[5]. المصدر الساق، ص٢٤.

[6]. من الواضح أن مفهوم خط الجماهير لدى منير شفيق مستدعى من قاموس ماوتسي تونغ، الذي يلح على تطبيق خط الجماهير، كما في قوله: "منذ أكثر من عشرين عامًا وحزبنا يقوم كل يوم بالعمل الجماهيري، وكان خلال البضعة عشر عامًا الأخيرة يتحدث عن الخط الجماهيري كل يوم"، انظر: ماوتسيتونغ، **مؤلفات ماوتسيتونغ المختارة**، ج٤، (بكين: دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٧٠): ص٣١٢.

أخرى، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية، فتصبح الآراء أكثر صحة وحيوية وغزارة ي كل مرة."[1]، فالأفكار الصحيحة تنبع من الجماهير، ووظيفة المثقف الثوري أن يتسنبط تلك الأفكار ويجمعها ويركزها ويعيدها إلى الجماهير في عملية جدلية متواصلة تختبر صحة الفكر بالممارسة العملية، وهو الأمر الذي يتطلب التصاقًا مستمرًا بالجماهير، والجماهير هنا هي المعلم: "وعلينا أن نتوجه إلى الجماهير نتعلم منها ونبلور تجاربها في مبادئ ووسائل أفضل وأكثر تنسيقًا، ثم ننقلها إلى الجماهير"[2].

خلاصة في جدل ما بعد أيلول:

كانت أهمية هذا العرض المسهب للجدل الذي دار بعد أحداث أيلول، وبالذات بعد خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن، في محاولة اكتشاف البذور الجنينية الأولى لتجربة تيار الكتيبة الطلابية، إن من حيث الاستفادة من التجربة وأخطائها وهو الأمر الذي احتاج إلى التقديم بمهاد تاريخي يشرح كيف سارت المقاومة الفلسطينية على الطريق المؤدي إلى أيلول، أو من حيث الاستنتاجات والأفكار المباشرة التي طرحت بعد الخروج من الأردن، وقد استندت الدراسة في هذا الشق النظري إلى المحاورة التي دارت بين جلال صادق العظم ومنير شفيق، للنظر في موقفين يفترض أنهما انطلقا من أرضية واحدة، وهي الماركسية اللينينية، إلا أنهما تباينا كثيرًا، وظهر وكأنهما يقفان على أرضيتين مختلفتين.

وإذا كان الغرض من هذا العرض اكتشاف الأفكار الجنينية الأولى التي قام عليها تيار الكتيبة الطلابية في مرحلة لاحقة في لبنان، أو البحث في المرحلة الفكرية الانتقالية ما بين الأردن ولبنان، وأثر أيلول في بلورة تلك الأفكار، فإن هذا العرض ضروري أيضًا لأن الجدل بذات الأرضيات والمفردات استمر بعد الانتقال إلى لبنان داخل التيار اليساري في حركة فتح، والذي ركز على نفس المفردات النقدية التي اهتم بها جلال صادق العظم، ولا سيما ضعف القيادة وانتمائها إلى البرجوازية الصغيرة، كما طرح نفس الحلول المتمثلة في الحزب الثوري والنظرية الثورية، لتكون مقاربة تيار الكتيبة الطلابية مختلفة تمامًا، وبما يتصل بتلك الأفكار التي ظهرت في تعقيب منير شفيق على نقد جلال صادق العظم لتجربة المقاومة الفلسطينية، وعلى نحو يفتح المجال للبحث في موقع المثقف الثوري، لا من جهة المقارنة بين نصين لمثقفين، ولكن من جهة ملاحظة اتساق المثقف الثوري مع مقولته عمليًا.

إن أهم الأفكار التي أظهرها هذا النقاش، واتصلت بتجربة تيار الكتيبة الطلابية لاحقًا في اختياراته النضالية وتحولاته الفكرية، يمكن تلخيصها في عدد من العناوين التي تتقدمها أطروحة خط الجماهير، ثم البحث عن نظرية ثورية مشتقة من خط الجماهير، بعد التحرر من النظريات القبلية الجامدة التي لا تخضع للنقد النظري وحسب، وإنما تخضع للاختبار العملي أيضًا حين عرضها على خط الجماهير وخصوصية القضية الفلسطينية، فوظيفة المثقف الثوري أن يفكر لثورته أو قضيته أو شعبه من عمق تلك القضية والشعب، وفي ذلك كله يبقى المثقف الثوري ملتصقًا بالجماهير، ولا يقف على التخوم متذمرًا، ومكتفيًا بنقد الذين يمارسون المهمة في الميدان، معفيًا نفسه

---

[1]. ماوتسيتونغ، **مؤلفات ماوتسيتونغ المختارة**، ج٣، (بكين: دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٧٠): ص١٦٢. والأقواس من المصدر نفسه.

[2]. المصدر السابق، ص٢١٥.

من المباشرة الثورية بذم العاملين والثوار، وإنما يمارس الحل العملي بنفسه، يقدُّ نظرياته من واقع الناس ومعاناتهم ثم يخطها مباشرة في الواقع من جديد.

٢. الانتقال إلى لبنان

أ. تاريخ الثورة الفلسطينية في لبنان:

لم تتوقف الاعتداءات الصهيونية على لبنان منذ العام ١٩٤٨، ولا سيما القرى الحدودية الفلسطينية اللبنانية، والتي ارتكبت فيها عدد من المذابح المروعة[1]، واستمر الطيران الصهيوني في الإغارة على الأراضي اللبنانية منذ العام ١٩٦٩، واتهمت "إسرائيل" بقضم الأراضي من جنوب لبنان وضمها منذ العام ١٩٤٨، وقد توجت ذلك باحتلال مزارع شبعا المتدرج منذ العام ١٩٦٧، على الرغم من أن لبنان لم يشارك في حرب١٩٦٧. وفي ٢٨ كانون أول ١٩٦٨ قامت قوات كوماندوز صهيونية في عملية إنزال مظليين بتفجير ١٣ طائرة مدنية لبنانية[2].

يمكن القول إن أول وجود فعلي لفتح في لبنان بدأ مع مجلة "فلسطيننا – نداء الحياة" التي بدأت بإصدارها من بيروت في العام ١٩٥٩، وقد كانت هذه المجلة مرخصة ويملكها توفيق حوري من طرابلس بلبنان، تفاوضت معه فتح وأخذت منه امتياز إصدارها باسم "فلسطيننا"، ومع بداية ظهورها بدأت السلطات اللبنانية بملاحقتها، غير أن قادة الحركة تغلبوا على هذه العقبة بتجزئة طباعة المجلة على أكثر من مطبعة ثم إعادة تجميعها. وقد صدر منها أربعون عددًا إلى حين توقفها في ١٩٦٤/١١/١[3].

في العام ١٩٦٤ أقامت فتح أول دورة عسكرية لها في لبنان، أقامها أحمد الأطرش من فتح بشكل سري في طرابلس، وضمت ١٢ متدربًا، وفي ٩ كانون ثاني ١٩٦٦ استشهد في سجون الأمن اللبناني جلال كعوش وهو أحد فدائيي فتح، وبعد ذلك قامت القوات اللبنانية باعتقال أحمد الأطرش خمسين يومًا ثم إبعاده بعد ذلك إلى سوريا، وفي أواسط العام ١٩٦٦ أنشأت فتح قيادة إقليم لبنان، وقواعد عسكرية سرية في مخيمات برج البراجنة وعين الحلوة والرشيدية، وفي ١٠ نيسان ١٩٦٩ استشهد في الأغوار في الأردن أول فدائي لبناني يلتحق بحركة فتح، أقيمت له جنازة ضخمة في لبنان شكلت حالة مفصلية في تاريخ دعم الشعب اللبناني للمقاومة الفلسطينية، وشاركت فيها شخصيات رسمية منها رئيس الوزراء اللبناني عبد الله اليافي، ورئيس حزب الكتائب بشير الجميل، وهكذا أصبح العمل الفدائي في لبنان عملاً علنيًا[4].

كانت فتح منذ العام ١٩٦٩ قد وسعت وجودها في الجولان، واستفادت من تركيز قواعدها الآمنة في سوريا في التمدد إلى الداخل

---

[1]. مثل المذابح التي ارتكبت في قريتي صلحة وحولا.

[2]. عز الدين المناصرة، **الثورة الفلسطينية في لبنان: ١٩٧٢–١٩٨٢**، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠): ص١٧–٢٢.

[3]. أكرم حجازي، **الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة من الداخل**، مصدر سابق.

[4]. عز الدين المناصرة، مصدر سابق، ص٢٤–٢٥.

اللبناني، وساعد الفدائيين على تثبيت أقدامهم في المنطقة المساعدة التي تلقوها من القرويين اللبنانيين، وخاصة في القرى الشيعية الأكثر فقرًا، وهو الأمر الذي، إلى جانب استيائهم من قمع "المكتب الثاني"، جعلهم يرون الفدائيين حلفاءهم الطبيعيين[1].

في ٣٠ تشرين أول ١٩٦٨ أقدمت "إسرائيل" على أول عمل عسكري ضد معسكر لفتح في جنوب لبنان، وبعد ذلك حصلت حادثة تفجير قوات الكوماندوز الصهيونية للطائرات المدنية في مطار بيروت[2]. أزّمت هذه الأحداث الحكومة اللبنانية التي بدت عاجزة عن الدفاع عن لبنان، ووجدت نفسها مندفعة لمحاولة الحدّ من النشاط الفدائي في لبنان بما يخالف المزاج الشعبي العام. ولما تنامى إلى مسامع اللبنانيين خبر محاصرة الجيش اللبناني لمجموعات من الفدائيين الفلسطيين في بنت جبيل خرجت تظاهرة ضخمة في ٢٣ نيسان ١٩٦٩ عمت لبنان كله، تناصر الفدائيين، واصطدمت هذه التظاهرات التي أطلق عليها "انتفاضة نيسان" بالجيش وقوات الأمن في عدة مناطق من لبنان، وذهب ضحيتها عدد من القتلى والجرحى، واستقال على إثرها رئيس الحكومة رشيد كرامي، وقد تبع هذه الأحداث، التي فاقمت الاستقطاب اللبناني الداخلي، اشتباكات وقعت في أيار من العام نفسها ذهب ضحيتها قتلى من الفدائيين والجيش اللبناني[3].

قامت المنظمات الفدائية، ولا سيما فتح والصاعقة، وبقدر أقل الجبهة الشعبية، وقوات التحرير الشعبية، والجبهة الشعبية– القيادة العامة، والجبهة الديمقراطية، بتعزيز قواتها في الجنوب، وتكثيف هجماتها على الاحتلال انطلاقًا من الجنوب اللبناني، وتزامن ذلك مع اتفاق مصر سوري نص على تنشيط الجبهة الشرقية، وهو ما دفع الجيش اللبناني إلى المزيد من الإجراءات التي تستهدف الوجود الفدائي في لبنان، بدأها في ٢٨ آب بمحاولة هدم مكتب لفتح في مخيم نهر البارد، فرد سكان المخيم بطرد الأمن اللبناني من المخيم، وتبع ذلك حصار الجيش اللبناني لمخيم الرشيدية في ١٠ أيلول، فرد الأهالي كذلك بطرد رجال الحكومة من المخيم، وفي ١٥ تشرين أول قام الجيش اللبناني بحصار مجموعات من الفدائيين الفلسطينيين في بنت جبيل، أخذتهم أسرى بعد استشهاد ١٦ فدائيًا أثناء الحصار[4].

قام سكان المخيمات الفلسطينية في ٢٢ تشرين أول، بعد هذه الحادثة، بطرد رجال الدرك والأمن اللبنانيين من المخيمات الفلسطينية، ولبت المناطق اللبنانية، باستثناء المارونية منها، في ٢٤ تشرين أول دعوى لقوى المعارضة داعمة للفدائيين، اصطدم بها الجيش، وتخللها سيطرة المتظاهرين في الأحياء الإسلامية في بيروت على مخافر الشرطة، وامتدت الاشتباكات إلى مناطق أخرى داخل لبنان، حتى وقع ياسر عرفات مع قائد الجيش اللبناني في القاهرة في ٣ تشرين ثاني اتفاقية تنظم الوجود الفلسطيني في لبنان، بما يضمن للفلسطينيين حق العمل والإقامة والتنقل، وإدارة الأمن داخل المخيمات بواسطة الكفاح المسلح، والسماح للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٢٨٧–٢٩٠.

[2]. سبق الحديث عنها.

[3]. عز الدين مناصرة، مصد سابق، ص٢٥. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٢٩١–٢٩٢. روز ماري صايغ، مصدر سابق، ١٩٥–١٩٧

[4]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٢٩١– ٢٩٢. روز ماري صايغ، مصدر سابق، ص١٩٥ –١٩٧.

الثورة الفلسطينية[1].

أوضحت الأحداث ومنذ نكبة العام ١٩٤٨ وحتى توقيع اتفاقية القاهرة في العام ١٩٦٩ أن الوجود الفلسطيني المقاوم في لبنان هشّ، وإذا كانت اتفاقية القاهرة قد ربطته بتحولات السياسة المصرية وتوازنات الظرف العربي، كما سيتضح لاحقًا بعد توقيع السادات لاتفاقية كامب ديفد، فإنه مرتبط في الأساس بتوازنات الظرف اللبناني الداخلي المنقسم، بين المسلمين المؤيدين لوجود المقاومة الفلسطينية بالإضافة إلى القوى "الوطنية والتقدمية" مثل الحزب القومي السوري، والحزب الشيوعي اللبناني، والتنظيمات الناصرية، وبين اليمين اللبناني الممثل بالمارونية السياسية وأحزابها مثل حزب الكتائب، وحزب الوطنيين الأحرار، وحزب الكتلة الوطنية.

استفادت المنظمات الفلسطينية من اتفاقية القاهرة في تعزيز وجودها داخل لبنان، وقد أدى ذلك إلى اتساع مظاهر عدم الانضباط التي عرفتها الثورة الفلسطينية في الأردن، والذي تغذى على الظروف القاسية التي عانها الفلسطينيون في لبنان منذ اللجوء في العام ١٩٤٨، فقد بدأ الشبان المتدفقون على العمل الفدائي بالانتقام من سنوات القهر والإذلال التي عانوها في لبنان، فانتشرت المسلكيات المفتقرة للانضباط والتي تستقوي بالسلاح، على النحو الذي كان يصب في طاحونة الأحزاب المارونية المعارضة للوجود الفلسطيني في لبنان[2].

سيكون الوجود الفلسطيني المسلح في لبنان أطول من عمره الذي كان في الأردن، لكنه سيبقى هشًا وقلقًا ودامياً، ومرتبطًا بتوازنات الظرف العربي، وتصاعد المواجهات المسلحة مع العدو الصهيوني، وتحولات المعادلة اللبنانية الداخلية، وسلوك الثورة الفلسطينية. سيدفع الفلسطيني مرة أخرى ثمن اللجوء المتزامن مع استقلال إخوانه العرب.

ب. ما بعد الأردن.. في لبنان

اتجهت الغالبية العظمى من عناصر وكوادر وقيادات المقاومة الفلسطينية إلى سوريا، ثم إلى لبنان، بعدما تبين أن الرئيس السوري، حافظ الأسد، غير مستعد لأن يسمح للفلسطينيين بالقتال انطلاقًا من حدوده الجنوبية، ولا بوجود قوة مسلحة على أرضه من شأنها أن تنازع نظامه مستقبلاً، ومن ثم اتجه الأسد إلى تصريف هذه القوة إلى لبنان، وهو الأمر الذي لاقى هوى لدى الفلسطينيين المتشوقين إلى تعويض القاعدة الآمنة التي فقدوها في الأردن.

ولكنها لم تلق ذات الهوى لدى بعض أطراف النظام السياسي اللبناني، ليس فقط لما يمكن أن يتبع الصدام المسلح بين الفلسطينيين و"إسرائيل" على حدود لبنان الجنوبية، ولكن أيضًا لما يمكن أن يسببه الوجود الفلسطيني المسلح باتجاهاته اليسارية وانتمائه الديني ذي الأغلبية المسلمة وتحالفاته اللبنانية والعربية على توازنات الوضع اللبناني الداخلي[3].

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٢٩٢-٢٩٤. روز ماري صايغ، مصدر سابق، ص١٩٧-٢٠١.

[2]. المصدر السابق، ص٢٩٥-٢٩٧.

[3]. مراون كنفاني، مصدر سابق، ص٩١-٩٤.

اتجهت فتح وكل المنظمات الفلسطينية الفدائية إلى لبنان، واتسع هناك الوجود الفلسطيني المسلح، وانضم إليه آلاف المتطوعين، لا من الفلسطينيين وحسب، ولكن أيضًا من اللبنانيين، الذين انضم بعضهم للمنظمات الفدائية الفلسطينية، بينما استقوت بعض الأحزاب اللبنانية بالتحالف مع الثورة الفلسطينية، التي استقبلت أيضًا متطوعين آخرين من العرب وغير بالعرب، وبالذات من معارضي نظام الشاه في إيران.

على خلفية الخروج من الأردن، والخلافات الداخلية التي اتجهت إلى تركيز النقد على جهاز الرصد الثوري بقيادة صلاح خلف واتهامه بالإخفاق في أحداث أيلول، حاولت كوادر من جهاز الرصد استعادة مكانتها، بانتهاج "العنف الثوري"[1]، وهو ما فعلته أيضًا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ومن هنا جاءت منظمة "أيلول الأسود" التي قادها من خلف الستار صلاح خلف رئيس جهاز الرصد الثوري السابق، واشتهرت بعمليات الظلال التي كان أبرزها غتيال رئيس الوزراء الأردني وصفي التل في ٢٨ تشرين أول ١٩٧١، بينما كان آخرها هجوم المنظمة على السفارة السعودية في الخرطوم بالسودان في الأول من آذار ١٩٧٣، بينما كانت أبرز عمليات الجبهة الشعبية الهجوم الذي شنه ثلاثة عناصر من الجيش الأحمر الياباني على مطار بن غوريون في ٣٠ أيار ١٩٧٢. في هذه الفترة التي كثفت فيها المنظمات الفلسطينية من العمل الثوري كانت تتوالى الردود الانتقامية الصهيونية والتي كان منها اغتيال غسان كنفاني عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية في ٨ تموز ١٩٧٢، واغتيال قيادات فتح الثلاثة كمال عدوان وكمال ناصر ومحمد يوسف النجار في ١٠ نيسان ١٩٧٣.[2]

في الفترة الممتدة بين ٣١ آب إلى ٦ أيلول ١٩٧١، أي بعد الخروج من الأردن مباشرة، عقدت فتح في دمشق مؤتمرها العام الثالث[3]، الذي احتوت فيه الخلافات الناشئة على خلفية الخروج من الأردن، وأتبعت ذلك بانتخاب لجنة مركزية جديدة ضمت سبعة من أعضاء اللجنة الثمانية الذين لا يزالون على قيد الحياة وأبرزهم عرفات وخليل الوزير وصلاح خلف، كما ضمت كمال عدوان، ونمر صالح ذا الخلفية الشيوعية، بينما انضم إلى المجلس الثوري عدد من الشخصيات اليسارية الأخرى،[4] وبتأثير من الحضور القوي للتيار اليساري الذي برز بقوة في هذا المؤتمر، اعتمد المجلس الثوري صيغة "المركزية الديمقراطية" المستوحاة من الأحزاب الشيوعية[5]، وفي ذات المؤتمر برزت اتجاهات الانشقاق لدى صبري البنا[6] فيما عرف لاحقًا بـ "فتح المجلس الثوري"[1].

---

[1]. بحسب صلاح خلف، أحد الذين يشار إليهم بإلحاح حين الحديث عن عنف فتح الثوري، ومنظمة أيلول الأسود، فإن شبيبة فتح كانوا حريصين على ممارسة عنف ثوري من نوع آخر بعدما لم يعد في وسعهم خوض حرب فدائية تقليدية عبر "الحدود الإسرائيلية"، وحتى لا يتخذ هذا العنف شكلاً فوضويًا، كان لا بد من تحويل موجة الغضب بإعطائها بنية مزودة بمحتوى سياسي. انظر: صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصدر سابق، ص١٢٨.

[2]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٤٤٧-٤٥٥.

[3]. لهذا المؤتمر مكانة مركزية في تاريخ فتح في مرحلتها الثورية. انظر، صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصدر سابق، ص١٢٨.

[4]. سيأتي ذكر بعضهم قريبًا.

[5]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٤٣١-٤٣٢.

[6]. باتريك سيل، **أبو نضال بندقية للإيجار: المناضلون في خدمة الموساد**، (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٢): ص١٢٧-١٢٨، وقد انضم أبو نضال إلى فتح في السعودية، ثم جاء إلى الأردن وأصبح عضوًا في لجنة إقليم الأردن، ثم أرسل في العام ١٩٧٠ ممثلاً لفتح في العراق. انظر: حوار مع عاطف أبو بكر، حاوره غسان شربل، *صحيفة الحياة*، ٢٠٢/٨/٢٢.

في هذا المؤتمر اتخذ القرار بتغيير النظام الداخلي بما يسمح أخيرًا بقبول عضوية العرب داخل حركة فتح، خاصة وأن بعض الشخصيات اليسارية داخل الحركة خاضت معركة لإحداث هذا التغيير، على قاعدة أن من الأسباب الأساسية في الفشل الأردني هو إقليمية الحركة، التي جعلت نصف الشعب في الأردن يقاتل نصفه الآخر، حاجّ بعضهم في هذا المؤتمر قائلاً: "مسموح لك أن تكون مقاتلاً ومشروع شهيد، لكن من غير المسموح لك أن تكون في إطار التنظيم الذي يحدد سياسة فتح وبرنامجها"[2].

وجدت قيادة فتح نفسها مضطرة لمواجهة السجال حو أحداث أيلول بصورة جديدة تمثلت في معاندة إقليم لبنان، الذي تولدت لديه هواجس من نقل بعض ممارسات الساحة الأردنية إلى الساحة اللبنانية، ومن تضارب الصلاحيات بين الإقليم واللجنة المركزيه[3]، واتخذت قيادة إقليم لبنان من نتائج أيلول وسيلة لتعزيز موقفها في مواجهة القيادة الوافدة من الأردن[4]. تمكنت قيادة فتح فيما بعد من السيطرة على إقليم لبنان بعد أن جردت الإقليم من سلطته على المليشيا وتعيين قائد جديد لها[5]، كان قائدًا للقطاع الشمالي في الأردن الأمر الذي عرضه لانتقادات مكثفة لغياب دوره أثناء أحداث أيلول، إلا أن قيادة فتح كانت تريد منه مواجهة قيادة إقليم لبنان[6]. بعد ذلك عزلت قيادة فتح حمدان عاشور من منصبه في قيادة إقليم لبنان ما أشعل اشتباكًا في مخيم تل الزعتر في ١٠ حزيران ١٩٧٢، وتسبب بمظاهرات احتجاجية في شاتيلا، ليتراجع عرفات عن قراره بعد ذلك، إلى أن يحسم صراعه مع إقليم لبنان في منتصف تشرين الأول بعد تمرد إحدى قطاعات الإقليم[7].

لبنانيًا، تعرضت اتفاقية القاهرة لاختيار عنيف، بعد قيام "إسرائيل" في منتصف أيلول ١٩٧٢ بعملية تعقب في جنوب لبنان قتلت فيها عددًا من الفدائيين وجنود ومدنيين لبنانيين، لتعلن الحكومة اللبنانية على إثر ذلك حالة الطوارئ، ويطالب الجيش بإخلاء بعض مكاتب وقواعد الفدائيين في الجنوب، بينما جددت أحزاب اليمين التي يهيمن عليها الموارنة معارضتها للوجود الفلسطيني المسلح في لبنان، وطالبت بإلغاء اتفاقية الطائف[8].

ويمكن اعتبار عملية الهجوم على السفاردة السعودية في باريس في ٥ أيلول ١٩٧٣ أول عمليات أبو نضال. انظر: باتريك سيل، **مصدر سابق**، ص١٣٧-١٣٩، إلا أن الاستبعاد المعلن لأبو نضال عن منصبه كممثل لفتح في بغداد كان في ٢٦ تموز ١٩٧٤، انظر: ص١٤٥. قبل ذلك حاول أبو نضال اغتيال محمود عباس أبو مازن. إثر ذلك حكمت عليه فتح بالإعدام غيابيًا في وجود الاعتراضات المتعاطفة معه من أبو داود وناجي علوش، وقد فشلت محاولة أبو داود في التوسط بين فتح وأبو نضال، ليعلن انشقاقه بشكل رسمي في تشرين أول ١٩٧٤ باسم "فتح- المجلس الثوري"، انظر: ص١٤٥-١٤٧.

[1]. نريه أبو نضال، من أوراق ثورة مغدورة، مصدر سابق، ص١٤٦-١٤٧.

[2]. المصدر السابق، ص١٤٦.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطالبية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[4]. فتحي خليل البس، **انثيال الذاكرة: هذا ما حصل**، (عمان: دار الشروق، ٢٠٠٨): ص٩٢، ٩٥.

[5]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٤٣٧.

[6]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[7]. يزيد صايغ، مصدر السابق، ص٤٣٧.

[8]. المصدر السابق، ص٢٥٥.

سعى ياسر عرفات إلى التفاهم مع الجميع، يمينًا ويسارًا، وكثف من زياراته للزعماء الموارنة السياسيين والروحيين[1]، لكن حلفه الأساسي ترسخ مع كمال جنبلاط ومع الحركة الوطنية اللبنانية، والمؤسسة على إرث "تجمع الأحزاب الوطنية والتقدمية" اللبنانية التي ساهمت في إطلاق تظاهرات ٢٣ نيسان ١٩٦٩ المؤازرة للوجود الفدائي الفلسطيني في لبنان. سيقود كمال جنبلاط لاحقًا في الحرب الأهلية اللبنانية تحالف "جبهة الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية"، والتي ستقيم بالتحالف مع الفلسطينيين "القوات المشتركة". كانت مصلحة الطرفين متبادلة، فالحركة الوطنية اللبنانية بحاجة إلى قوات الثورة الفلسطينية حليفًا قويًا، بينما يحتاج الفلسطينيون في بيئة شبه معادية إلى عنصر لبناني يستندون إليه، وقد وجدوه في الحركة الوطنية اللبنانية التي شكلت قاعدة رئيسية لإسناد العمل الفدائي في الجنوب، ومن ناحية أخرى كان عرفات معنيًا بإبعاد التأثير السوري عن الحركة الوطنية اللبنانية[2].

هذا التحالف سيعزز من التيار اليساري داخل حركة فتح، ومن هذا التيار سيتمايز تيار آخر بمواقفه وممارساته، هو تيار الكتيبة الطلابية.

ج. لينينيو فتح

بدأ التيار اليساري داخل حركة فتح، والذي عرف بين ماركسيي فتح بالتيار الديمقراطي، بالتبلور في مرحلة الأردن، منبثقًا عن المنحدرين من خلفيات حزبية بعثية وشيوعية، ومتمتعًا بنفوذ قوي في كل من عمان وإربد[3]، إلا أنه اتسع داخل الحركة، وبات يستحوذ على نفوذ كبير من بعد أحداث أيلول والخروج من الأردن، فقد بات يملك أخيرًا حجته التي تؤيد رأيه في قيادة فتح المنحدرة من "خلفية يمينية"، والمنتمية إلى طبقة البرجوازية الصغيرة، والتي أفضت بفتح التي تفتقر إلى الحزب الثوري ونظريته الثورية، إلى الخروج من القاعدة الآمنة ومعها كل الثورة الفلسطينية.

بدأ يتعزز نفوذ التيار الديمقراطي في فتح بعد نتائج أيلول، متقدمًا بأطروحته التي تدعو على مستوى فتح إلى إقامة مؤتمر عام للمحاسبة وإعادة التقييم ورسم السياسات، بينما تدعو على مستوى التيار نفسه إلى ضرورة التشكل في إطارات منظمة وشبه منظمة لمواجهة ما كان يراه هيمنة "اليمين المتخلف" على مقدرات الحركة[4].

وبالفعل، وفي مؤتمر فتح العام الثالث المنعقد في دمشق في الفترة الواقعة بين ٣١ آب إلى ٦ أيلول ١٩٧١، صعدت كوادر من التيار إلى مؤسستي فتح القياديتين الأهم، اللجنة المركزية والمجلس الثوري، فقد دخل نمر صالح (أبو صالح) المعروف بتوجهاته الشيوعية السوفييتية إلى اللجنة المركزية، بينما صعد عدد آخر من اليساريين إلى المجلس الثوري، وأبرزهم ماجد أبو شرار، وسميح أبو كويك،

---

[1]. المصدر السابق.

[2]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة: جيل الأحلام والإخفاقات**، (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٢): ص١٦٥.

[3]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٣٣٧.

[4]. نزيه أبو نضال، مصدر سابق، ص١٤٢-١٤٣.

وناجي علوش، ومحمد عودة (أبو داود)، وموسى العملة (أبو خالد)، وسعيد مراغة (أبو موسى)، وحسني يونس، وصبري البنا (أبو نضال)[1].

ضم التيار مجموعة كبيرة من الأسماء في التنظيم المدني أو المليشيا الشعبية أو قوات العاصفة، مثل منير شفيق، وأبو نائل عبد الفتاح القلقيلي، ومن القوات أبو خالد العملة، وسعيد مراغة (أبو موسى)، ومحمد بدر، وواصف عريقات.

تمكن التيار من تشكيل مراكز نفوذ في الإعلام والعلاقات الخارجية وشؤون الأردن والتنظيم الغربي، وفي أقاليم سوريا والعراق وليبيا وأمريكا والاتحاد السوفييتي، وفي اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، واتحاد المرأة، إضافة إلى عدد من معتمدي وسفراء فتح في العالم[2]، وفي القوات تركزت قوة التيار في قوات اليرموك، حيث الكتيبة الثانية التي يقودها موسى العملة (أبو خالد)، بالإضافة إلى قيادة سعيد مراغة (أبو موسى) لقوات فتح في جنوب لبنان، ومحمد بدر لقوات القسطل، وعلى ضوء نتائج حرب تشرين ١٩٧٣، ظنّ نمر صالح عضو اللجنة المركزية بأن نفوذ الاتحاد السوفييتي يتعزز في المنطقة، معتقدًا بأن "معركة العبور صنعها المقاتل العربي وهو على ظهر الدبابة السوفييتية"، ومن ثم فإن تعزيز علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالاتحاد السوفييتي تدعم وجهة نظره هذه، وعليه فقد بات يرى أن اليساريين يسيطرون على الجناح العسكري لفتح[3].

إلا أن وحدة يسار فتح لم تعد قائمة، ولا سيما بعد اتجاه قيادة فتح نحو التسوية، وهو التوجه الذي دعمته المجموعة المنتمية إلى الخط السوفييتي في التيار[4]، وصارت تدعو إليه، متصدرًا ذلك كل من نمر صالح وماجد أبو شرار، مؤسسين أطروحتهم على ضرورة أن يتبنى التيار الديمقراطي البرنامج المرحلي لمواجهة النتائج التي أعقبت حرب أيلول، وذلك بالاستقواء بطرف دولي كبير، يتطلب الاستقواء به مشاركته في رؤيته للصراع. هذا الطرف الدولي الكبير هو الاتحاد السوفييتي[5].

استفاد ياسر عرفات من هذا الخط لمواجهة رافضي توجهات التسوية، كما اتضح ذلك من إيعاز نمر صالح إلى سعيد مراغة بإرسال مفارز من الجنوب إلى بيروت لمنع المعارضين في فتح لخط التسوية من عقد اجتماع جماهيري، كما عين عرفات ماجد أبو شرار مسؤولاً لإعلام فتح الموحد، إضافة إلى تعيينه أحمد عبد الرحمن، الشيوعي السابق، رئيس تحرير لمجلة "فلسطين الثورة" والتي كانت بعداد المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية[6].

لم تكن قضية الحل المرحلي والاقتراب من الاتحاد السوفييتي، هي القضايا الوحيدة التي أوجدت الفرز داخل التيار الديمقراطي، فالموقف

---

[1]. يزيد صايغ، مصد سابق، ص٤٣١-٤٣٢.

[2]. نزيه أبو نضال، مصدر سابق، ص١٤٧.

[3]. يريد صايغ، مصدر سابق، ص٥٠٤-٥٠٦.

[4]. نزيه أبو نضال، مصدر سابق، ص١٤٣. ويزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٠٦.

[5]. المصدر السابق، ص١٤٥.

[6]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٠٦.

من التضامن العربي الذي ظهر مع حرب تشرين ١٩٧٣، والموقف من عزل حزب الكتائب في بداية الحرب الأهلية اللبنانية، والموقف من الاستمرار في الحرب، والموقف من الاتجاهات الإسلامية اللبنانية السنية والشيعية، والموقف من قيادة فتح، والحلول المقترحة لعلاج مشاكل فتح، كلها أسباب أدت بالتيار إلى الفرز والانقسام والافتراق[1].

انقسم التيار بعد عملية الفرز هذه إلى عدد من المجموعات، بينها قدر من التداخل والتحول بحسب المسار الطويل للأحادث، ولكن يمكن الحديث، بحسب بعض الدارسين[2]، في مرحلة الفرز الأولى للتيار عن ثلاثة مجموعات: "جماعة السوفيات" الأكثر رسوخًا في الجهاز العسكري والإعلامي، والذين كانت تدور لدى بعضهم أفكار عن تأسيس حزب طليعي ثوري، تمكن إقامته بواسطة الشبكة التي يملكها التيار داخل حركة فتح[3].

"الخط الفيتانمي"، الذي برز فيه مسؤول التنظيم المدني وعضو لجنة إقليم لبنان حنا ميخائيل[4]، إلى جانب عدد من كبار القطاع الغربي مثل راجي مصلح وعبد الرحمن مرعي، إضافة إلى سميح أبو كويك، وعدد آخر من الكوادر كان يقترب منهم نزيه أبو نضال. وتبنا هذا الخط موقفًا مناوئًا للمشروع المرحلي[5].

"الاتجاه الماوي"، وهو الاتجاه الذي ستتناوله هذه الدراسة بالتفصيل، بالرغم من التحفظ على التسمية والتي تحتمل قدرًا من التفصيل والبيان، كما سيتضح لاحقًا[6]، وإضافة إلى موقف هذا الاتجاه الواضح في رفض مشروع التسوية، فإنه اتسم برؤية ترفض الأطروحات اليسارية السائدة داخل فتح حول خلفيات القيادة اليمينية، وانتمائها إلى البرجوازية الصغيرة[7]، وبالتالي رفض الحلول النظرية حول تأسيس الحزب الثوري المتمتع بنظرية ثورية لينينية، واتجه بدلاً من ذلك إلى اتخاذ موقف متمايز بخصوص القيادة التي اعتبرها وطنية

---

[1]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[2]. يزيد صايغ، مصدر سابق.

[3]. يزيد صايغ مصدر سابق، ص٥٠٦.

[4]. أحد الشخصيات البارزة في قيادة إقليم لبنان، وكان مسؤولاً عن المكتب الطلابي، ومقربًا من تيار الكتيبة الطلابية، واشتهر باسم أبو عمر، واتجه للدراسات الإسلامية. اختفى مع قياديين آخرين أثناء الحرب الأهلية، ويرجح أنهما قتلا غرقًا، فبعد مقتل الحاج حسن (عبد الإله دراغمة)، قائد منطقة الشمال في لبنان، والذي كان أيضًا مقربًا من تيار الكتيبة الطلابية، أثناء الحرب الأهلية، أرسلت قيادة فتح كلاً من نعيم (عبد الحميد وشاح) قائد كتيبة نسور العرقوب، وأبو عمر حنا، وأبو الوفا (جودت المصري) للتعويض مكان الحاج حسن، لكن الاتصال انقطع بهم واختفت آثارهم من يومها، وكل هذه الشخصيات كانت مقربة من تيار الكتيبة الطلابية. انظر: شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٨٥-١٧٦-١٧٧، ومعين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٠٦.

[6]. يشدد منير شفيق على أنه تأثر بتجربة هوشي منه في فيتنام أكثر مما تأثر بماوتسي تونغ. انظر:

منير شفيق، برنامج كل الحكاية، الحلقة ٨، قناة القدس. المادة المصورة منشورة على موقع youtube بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩، ومسترجعة منه بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=6qoVzoAAjsM

[7]. في كتابه تاريخية الأزمة في فتح من التأسيس إلى الانتفاضة، وهو ملحق بكتابه الثورة المغدورة، يذكر نزيه أبو نضال ٣٥ شخية من قيادات فتح المؤسسة أو البارزة في مراحلها الأولى تنتمي إلى طبقة البرجوازية الصغيرة (ص٢٤٤-٢٤٥)، مشددًا على أن "ذهنية القيادة البرجوازية إذا لم تحسم خياراتها الفكرية والطبقية إلى جانب الجماهير الكادحة من أبناء المخيمات، فستظل تشعر بالخشية وعدم الثقة بهذه الجماهير، حتى وهي ترفع شعاراتها وتتبنى برنامجها الوطني، بل هي تكافح ضد أن تتبلور بين صفوف هذه الجماهير قوى منظمة قد تشكل خطرًا على مواقعها." (ص٢٥٨). وأما بالنسبة للمكونات الفكرية فإنه يسمي ٣٠ شخصية من مؤسسي فتح كانوا ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين، و٣ إلى حزب التحرير، و٧ إلى البعث، و٨ إلى اتجاهات أخرى. (ص٢٤٩-٢٥٠)، ذاهبًا من هذه المقدمة إلى أن شعار الكفاح المسلح يصلح لبناء جبهة متحدة من الأحزاب والقوى تأتلف عليه، ولكنه لا يصلح لبناء تنظيم سياسي يفتقد للشروط الأساسية من حيث وحدة الموقف الإيديولوجي. (ص٢٥١).

ورفض تخوينها، مع احتفاظه بمسافة عنها، معرفًا ذاته بأطروحات نظرية خاصة تركز على الاتساق مع خط الجماهير والبحث عن نظرية ثورية مشتقة منه، وبممارسة عملية قتالية بدت أوضح ما يكون في الكتيبة الطلابية. ولن تعود توجهات هذا الاتجاه مستغربة إذا عرف أن منظره الأول هو منير شفيق.

ثمة من يقيم التمايز على أساس الصراع ما بين الاتحاد السوفييتي والصين، جاعلاً التيار الديمقراطي في فتح منقسمًا ما بين الاتجاه السوفييتي والاتجاه الصيني، على أساس من رؤية منير شفيق التي ترى أن تحالفًا مع الصين التي تدعم بدون شروط هو الأفضل، لتتسع فجوة بين التيارين لتيار قومي يتزعمه ناجي علوش[1]، بيد أن هذه القراءة غير دقيقة بدراسة التيار الديمقراطي عمومًا، أو بدراسة الاتجاه الذي عرف بالاتجاه الماوي وهو محل هذه الدراسة، بما في ذلك القول إن أبو جهاد كان مكلفًا بالاهتمام بهذا الاتجاه، بالرغم من أن القيادة العسكرية للاتجاه كانت تتمتع بعلاقات جيدة مع أبو جهاد.

بعض الدارسين[2] يذهب إلى إجراء عملية فرز أخرى، تشير إلى خمسة مجموعات، وهي: اليسار التقليدي الأقرب إلى التجربة السوفييتية ومن أبرز رموزه نمر صالح وماجد أبو شرار. والتيار الديمقراطي المتأثر بالتجربة الفيتنامية، والذي من أبرز رموزه حنا ميخائيل أبو عمر، وأبو فارس مرعي وأبو نائل فتحي القلقيلي، وقد كان هذا التيار بحسب هذه القراءة الأكثر قربًا من الصيغة الحزبية، ويضم عددًا من القادة العسكريين مثل أبو خالد العملة وأبو موسى، ومتبنيًا نظرية تذهب باتجاه ضرورة إنشاء تنظيم طليعي لفتح، وقد انفرط عقد هذا التيار على خلفية "انتفاضة أو انشقاق" العام ١٩٨٣.

ثم الاتجاه اليساري الذي اعتبر نفسه أقرب إلى التجربة الصينية الماوية، والذي كان منير شفيق من أهم رموزه، وتيار شؤون الأردن والذي كان على رأسه سميح كويك، الذي صار لاحقًا عضو اللجنة المركزية لفتح، وانضم بعد ذلك إلى حركة "الانتفاضة أو الانشقاق"، وأخيرًا طيف واسع من الاتجاهات اليسارية التي لم تكن تحسب على أي من هذه الاتجاهات[3].

إن الاختلاف بين قراء تجربة التيار الديمقراطي[4] في فتح، في تحديد اتجاهات التيار بشكل نهائي يعود في الأساس إلى التداخل الذي كان قائمًا بين تلك الاتجاهات إلى حد اعتبارها في مرحلة أولى اتجاها واحدًا،، إلا أن هذا الجسم الواسع انطوى على تباينات فكرية وسياسية أدت إلى انفراطه إلى اتجاهات مختلفة، إضافة إلى التحولات السياسية التي انتقلت برموز وشخصيات هذا التيار بين مواقع مختلفة، ويمكن القول بحسب منير شفيق أن الفوضى كانت صفة لتداخل هذه التيارات واختلاطها في مراحلها الأولى، فكان حالها

---

[1]. نبيل عمرو، ياسر عرفات وجنون الجغرافيا، مصد سابق، ص١٢١.

[2]. ماجد كيالي، "«فتح» وتجربة التيار اليساري الديمقراطي فيها"، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، مصدر سابق.

[3]. المصدر السابق.

[4]. يعترض زياد منى في محاورته لنزيه أبو نضال على تسمية هذا التيار بالتيار الديمقراطي، والذي يمكن اعتباره "تيارات فتح معارضة" لا تيارًا ديمقراطيًا، لا سيما وأن القادة الفاعلين في اتجاهات هذا التيار كانوا من العسكر. انظر:
نزيه أبو نضال، مصدر سابق، ص١٥٢.

أشبه ببوتقة كبيرة في داخلها عدة تيارات وتوجهات[1].

إلا أنه ورغم هذا الانفراط الذي بدأ مبكرًا مع حركة أبو نضال، والتي تعاطف معها كل من ناجي علوش وأبو داود، ورغم تمايز تيار الكتيبة الطلابية بصورة واضحة في وقت مبكر، فإن التيار اليساري تمكن من الضغط نحو انعقاد المؤتمر العام الرابع لفتح والذي انعقد في أيار ١٩٨٠، وقدمت فيه فتح لغة مشبعة بالمصطلحات الماركسية لبرنامجها السياسي الذي تبنى تحليلاً طبقيًا للتاريخ الفلسطيني، وتبنى القضايا المعهودة التي يدعمها الاتحاد السوفييتي[2].

وقد تبينت مكاسب التيار اليساري في فتح في هذا المؤتمر في صعود كل من ماجد أبو شرار وسميح أبو كويك إلى اللجنة المركزية ليشكلا تكتلاً داخلها إلى جانب نمر صالح، بينما انضم عدد من اليساريين إلى المجلس الثوري منهم موسى العملة (أبو خالد)، وسعيد مراغة (أبو موسى)، وإن كانت اللجنة المركزية قد ضمت أيضًا في هذا المؤتمر شخصيات أخرى موسومة باليمينية مثل هاني الحسن ورفيق النتشة[3].

لقد كان لتحالف منظمة التحرير الفلسطينية، بقيادة حركة فتح، مع الحركة الوطنية اللبنانية بقيادة كمال جنبلاط، والتي يهيمن عليها الاتجاه اليساري، دور كبير في صعود التيار اليساري في فتح إلى الدرجة التي يمكن القول فيها أنه قد سيطر على قرار الحركة، بالرغم من قيادة ياسر عرفات وخليل الوزير، حتى تأثرت ممارسة فتح في الحرب الأهلية بنفوذ هذا التيار[4]، والذي ترافق صعوده مع تعزيز الدعم الليبي والسوري ليسار منظمة التحرير ممثلاً بالجبهتين الديمقراطية والشعبية، واللتين عمقتا أيضًا علاقاتهما بالجزائر واليمن الجنوبي والاتحاد السوفييتي، حتى وصلا إلى أوج قوتهما في الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٧٩-١٩٨٠ [5].

ومن الناحية الفعلية، فقد أفرز التيار اليساري الواسع في فتح، ثلاث تجارب مختلفة، أولاها انشقاق أبو نضال في تشرين أول ١٩٧٤، والثانية هي ما عرف بالانتفاضة واشتهر بانشقاق أبو موسى والتي بدأت في ٩ أيار ١٩٨٣، وأخيرًا تجربة تيار الكتيبة الطلابية التي بقيت محاولة نضالية وفكرية ثرية داخل حركة فتح دون أن تسفر عن أي نزعات انشقاقية، بما في ذلك انتقالها إلى الإسلام الذي تم من داخل فتح، وتجربة "سرايا الجهاد الإسلامي" التي أسستها خارج فتح دون أن تخرج الشخصيات المؤسسة من فتح، وهذه التجربة هي موضوع الصفحات التالية.

---

[1]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٨.

[2]. يزيد صايغ. مصدر سابق، ص٦٩٣.

[3]. المصدر السابق.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. يزيد الصايغ، مصدر سابق، ص٦٨٤.

الفصل الثالث:

الكتيبة الطلابية.. من الإرهاصات إلى المآلات

١. ملامح أولى:

الملمح الأول.. ما العمل؟!

بعد الخروج من الأردن والقدوم إلى لبنان، ازداد شعور القيادة الفلسطينية بوجود جهود دولية وإقليمية لتهميشها. تعزز هذا الشعور مع إعلان "إسرائيل" في أوائل سنة ١٩٧٢ إجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية، وهو ما فاقم من قلق فتح، بالإضافة إلى إعلان الملك حسين في ١٥ آذار في نفس العام عن إقامة "المملكة العربية المتحدة" على ضفتي نهر الأردن[1]. التقت هذه التطورات مع تخوف عرفات الدائم من ظهور قيادة بديلة، أو تسليم الضفة الغربية للعرش الهاشمي. لقد كان هذا الهاجس أحد العوامل التي دفعت قيادة حركة فتح إلى التحول من إيديولوجيا التحرير إلى إيديولوجيا بناء الدولة[2].

اتسم قرار قيادة فتح بالارتباك تجاه الانتخابات البلدية، والتي من شأنها تصعيد قيادات بديلة منتخبة، وبات واضحًا أن قرار الدعوة إلى المقاطعة مقامرة كبيرة في حال لم تستجب له الجماهير وتم بالفعل انتخاب قيادة من داخل الضفة الغربية، وفي الوقت نفسه لم تقتصر نتائج أيلول على تجمعات الفلسطينين في بلاد اللجوء، وإنما شملت نتائجها المعنوية والمادية الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة، فقد ضربت التنظميات والمجموعات المسلحة سواء في الضفة الغربية أو في غزة، وبناء على ذلك قررت قيادة فتح إنزال دوريات إلى داخل الأرض المحتلة انطلاقًا من جنوب لبنان لإثبات وجودها والتأكيد على حضورها وقدرتها على الفعل والتأثير[3].

حاول كمال عدوان، والذي تسلم قيادة القطاع الغربي من بعد أبو جهاد، أن يقوم بالعمليات داخل الأرض المحتلة بواسطة إنزال دوريات من قواعد قوات الثورة الفلسطينية في جنوب البنان، والتي لم يكن قد مضى على دخولها لبنان وقت طويل، إلا أنه تفاجأ بالروح المعنوية المتدنية لتلك القوات، وبجهلها بتضاريس المنطقة، وافتقارها إلى الخبرة والدراية في طرق التسلل إلى داخل الأرض المحتلة، وفي المحصلة فإن نتيجة جولة كمال عدوان على القواعد في الجنوب كانت مخيبة لآماله[4].

في هذه الأثناء كان بيت ناجي علوش قد تحول إلى صالون للمتذمرين من قيادة فتح وأدائها، وبطبيعة الحال فإن أكثر هؤلاء المتذمرين من التيار اليساري في فتح، وإن لم يكن الأمر يخلو من بعض أعضاء اللجنة المركزية مثل صلاح خلف (أبو إياد) وفاروق القدومي (أبو

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٤٤٩.

[2]. جميل هلال، **إضاءة على مأزق النخبة السياسية الفلسطينية**، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠١٣): ص١٠.

[3]. منير شفيق، برنامج مراجعات، تقديم: عزام التميمي، الحلقة ٣، قناة الحوار. والمادة المصورة منشورة على موقع youtube بتاريخ ٢٠١٢/٣/٨، وهي مستلة منه بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠. http://www.youtube.com/watch?v=lil5g_outTg

[4]. منير شفق، المصدر السابق، وانظر أيضًا: برنامج كل الحكاية الحلقة ٩. ومنير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٣٣.

اللطف).

كان نقد القيادة ووصفها باليمينية والعشائرية وتحميلها مسؤولية نتائج أيلول هو مدار النقاش بين ذلك الكادر اليساري، والذي تركزت أطروحاته على ضرورة تشكيل تنظيم ماركسي لينيني، أو تأسيس تكتل تقدمي باتجاه التحالف مع الاتحاد السوفييتي والجبهة التقدمية العربية، أو تحويل فتح إلى تنظيم حديدي يعتمد المركزية الديمقراطية بما يخلصه من العقلية الفردية والعشائرية[1].

منير شفيق الذي كان قد انضم إلى القطاع الغربي، متوليًا مسؤولية العمل السياسي داخل الأرض المحتلة؛ نقل إلى ذلك الكادر اليساري نتيجة جولة كمال عدوان على قواعد الثورة في جنوب لبنان، وهو ما حفّز نمط النقد السائد عند ذلك الكادر تجاه قيادة فتح، كما عزز النمط المتكرر من ذات التحليل حول القيادة اليمينية، ومن ذات المقترحات عن الحزب الثوري والنظرية الثورية، بيد أن منير دعاهم لاستلام زمام المبادرة بدلاً من الاستمرار في النقد النظري للقيادة، أو تقديم مقترحات أو محاولات لا تزيد على كونها إجابات خاطئة على إشكالية فتح[2].

إن مشكلة فتح بحسب شفيق لم تكن تنظيمية أو متعلقة بالنظرية الثورية، إضافة إلى أن تعزيز التوجه نحو الاتحاد السوفييتي سيدفع فتح نحو خيار التسوية، وأما مبدأ المركزية الديمقراطية فقد أقر في المؤتمر الثالث دون أن تنعكس له نتائج حقيقية، وبالتالي فإن إصلاح فتح وفقًا لهذه المقترحات لا يمكن أن يتم دون تغيير فتح كاملة من قمتها إلى قاعدتها وهو أمر مستحيل، وبالتالي فلماذا لا يتولى أصحاب الاتجاهات النقدية المسؤولية عن تدعيم القتال، والقيام بما فشلت القيادة فيه، طالما أن طبيعة فتح تسمح للجميع بالقتال بصرف النظر عن دور القيادة؟![3]

اتفق كل من ناجي علوش وأبو داود وأبو حسن قاسم (محمد محمد بحيص)، من بين ذلك الكادر اليساري، مع منير شفيق في رؤيته، إلا أن الدور الأساسي كان فيما بعد ذلك لأبو حسن قاسم، بالرغم من كونه قد فقد الثقة بالقيادة منذ الخروج من الأردن في العام ١٩٧١، إلا أن الممكن في حالة فتح، وفي حالة الثورة الفلسطينية في تلك المرحلة، بحسب أبو حسن قاسم ومنير شفيق، هو المبادرة العملية إلى الفعل، والانتقال من الموقع النقدي، الذي يرى أن الحل في استلام القيادة أو استبدال القيادة، إلى الأمام بـ "سد الثغرة"[4]

---

[1]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٢٨.

[2]. منير شفيق، برنامج مراجعات، حلقة ٣، مصد سابق. وبرنامج كل الحكاية، حلقة ٩، مصدر سابق، و الحلقة ١٠، المنشورة على موقع youtube بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠، https://www.youtube.com/watch?v=n_0JPbNIp04.

[3]. المصدر السابق، ومنير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٣٣-٣٤.

[4]. يشيع في الأدبيات الإسلامية، استخدام مصطلح الثغرة للدلالة على موضع النقص الذي يوجب السد، وهو ما يلفت النظر إلى استخدامه مبكرًا لدى أصحاب تجربة تيار الكتيبة الطلابية. وهذا المعنى للثغرة تعيده بعض مصادر التراث إلى الحديث النبوي كما في الأثر المنسوب إلى النبي: "ما من مسلم إلا وهو قائم على ثغرة من ثغر الإسلام، فمن استطاع ألا يؤتي الإسلام من ثغرته فليفعل". محمد بن نصر المرزوي، **كتاب السنة**، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨ هـ): ص١٣. ويذكر منير شفيق، بأن التيار "تأثر منذ بداياته بالنظرية الأولى التي كانت وراء تجربة المرابطين في المغرب، أي فكرة سد الثغور. فأينما وجد ثغر معرض للهجوم أو السقوط من جانب العدو وكان ينقصه من يذهب للوقوف عليه، يجب أن يصار إلى التوجه هناك."، منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٦٧. والثغور في الاصطلاح الإسلامي التاريخي هي "تلك المدن القائمة على الحدود بين «دار الإسلام» و«دار العدو» أو الثغور الواقعة على البحر ويرابط فيها «مرابطة» من المجاهدين لصد هجمات العدو..... وقد استنّ العباد من قبل ثم الزهاد من بعدهم، بل الصوفية أنفسهم سنة «المرابطة» فكانوا يذهبون

والقيام بالواجب.

من هنا بدأ يتبلور هذا التيار، أو الخط، والذي كانت نواته النظرية والقيادية ممثلة في كل من منير شفيق وأبو حسن قاسم، ولأن الفكرة الأساسية قامت على المبادرة إلى تعزيز الفعل القتالي من داخل فتح بعيدًا عن الأفكار الانشقاقية، وبعيدًا عن الأطروحات الصراعية الداخلية، فإن هذا التيار شكل جاذبية للعناصر الأكثر رغبة في القتال، وهو الأمر الذي اتفق مع صعود التنظيم الطلابي لحركة فتح.

لم يكن الحوار الذي دار بين منير شفيق وأبو حسن قاسم عابرًا، فقد بدأ أبو حسن قاسم بالعمل مباشرة، وبدأت نواة التيار تتشكل منذ تلك اللحظة، على قاعدة اجتذاب الشباب الأكثر نظافة وشجاعة للمساهمة في القتال من داخل حركة فتح، وبمعزل عن القيادة ودون الاصطدام بها، فالقتال في هذه الفترة يتفق مع توجه القيادة والتي ترغب في تهدئة الشباب على إثر الأزمات المتفاقمة منذ الخروج من الأردن، دون أن يتحول هذا التوافق الضمني إلى حالة اصطفاف داخل نزاعات قيادة فتح، ومن هنا انضم سعد جرادات إلى النواة الأولى عن طريق أبو حسن قاسم[1].

تميزت فتح بطبيعتها بالقدرة على احتواء التيارات والأفكار المتناقضة، ورأى تيار الكتيبة الطلابية ومنذ البداية هذه السمة في فتح ميزة لا سلبية بخلاف أصحاب مقترح الحزب الماركسي اللينيني، ولذلك اتجهوا إلى بناء تيار يستفيد من مواقع عناصره وكوادره في الأجهزة والمؤسسات والمواقع المختلفة، دون أن يتحول هذا التيار إلى بنية تنظيمية من شأنها أن تضع التيار في مواجهة القيادة أو في مواجهة التيارات والقوى الأخرى في فتح.

بعد حسم قيادة فتح لخلافها مع قيادة إقليم لبنان، تولى صخر حبش قيادة الإقليم، وعين جواد أبو شعر قائدًا للمليشيا وحل نعمان العويني في رئاسة اتحاد طلبة فلسطين، وفاز سعد جرادات بمنصب نائب الرئيس. مكتب فتح الطلابي والذي انضم إليه معين الطاهر مسؤولاً عن جامعة بيروت العربية، وأنيس النقاش مسؤولاً عن لجنة الثانويات، وإدي زنانيري مسؤولاً عن الجامعة الأمريكية؛ بدأت علاقته تتعزز بالتيار[2]. في هذه الأثناء ظهر علي أبو طوق الذي كان زميلاً لمعين الطاهر في التنظيم الطلابي لفتح في شمال الأردن، وأصبح أبو طوق القائد الفعلي للثانويات دون أن يعني ذلك إزاحة لأنيس النقاش عن موقعه.

إلى هذه «الربط» لمجاهدة العدو، وقد نشأت في المغرب الأقصى فيما بعد –دولة كبرى– اتخذت «المرابطة» اسمًا لها ورسمًا مع تصوف واضح.. و[يلاحظ] أولاً أن عباد الثغور والعواصم كانوا إما فقهاء وإما محدثين –في بادئ أمرهم– ثم دفعتهم «دفعة» من الزهد أو التوصف نحو المرابطة..." بتصرف من: علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ج٢ الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين**، (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٨): ص١٥٢٥.

[1]. منير شفيق، برنامج كل الحاكية، حلقة ١٠، مصدر سابق.

[2]. يقول وليم نصار عن التنظيم الطلابي في لبنان وعلاقته بتيار الكتيبة الطلابية: "والتنظيم الطلابي هناك كان يشمل أكثر من مجموعة، ولكن أشهرها هي مجموعة الكتيبة الطلابية، وهم من أنصار منير شفيق. ومنير شفيق مفكر فلسطيني بدأ حياته كشيوعي ماركسي سوفيتي، ثم تحول إلى الماركسية الماوية. والتحق «بفتح» في الأردن، وأصبحت له شلة من شلل اليسار في «فتح»، وكان يعتبر أهم منظر للفكر الماوي فيها. وفي الجامعة الأمريكية التفت حوله نخبة من أنقى الطلبة وأفضلهم، وأسسوا هناك ما عرف بالكتيبة الطلابية، التي كانت تحارب في جنوب لبنان.."انظر: وليم نصار، **تغريبة بني "فتح": أربعون عامًا في متاهة فتحاوية**، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥): ص٣٦٦. ومن الواضح أن المؤلف لا يكنّ ودًّا لمنير شفيق وتحولاته وتيّاره، وقد ضمن كتابه أحداثًا وادعاءات ومؤاخذات تعزز موقفي السلبي من شفيق وتياره.

ولما كان قد تبلور اتجاهان في الحركة الطلابية اللبنانية؛ الأول هو الحركة الوطنية الطلابية التي تركز على القضايا السياسية والنضالية، والجبهة الطلابية التقدمية التي تركز على القضايا المطلبية والنقابية، فإن التنظيم الطلابي لفتح كثف من دوراته العكسرية والسياسية السرية التي كانت تجري داخل المخيمات والمراكز السرية المنتشرة داخل المدن، وشارك في تلك الدورات العشرات من أعضاء التنظيم، الذين تلقوا تدريبًا شاملاً على الأسلحة وحرب العصابات، مع التأكيد على عدم الظهور المسلح خارج المخيمات خوفًا من استنساخ مبكر لتجربة أيلول. حصل التنظيم الطلابي على قطع محدودة من الأسلحة كان قد هربها جواد أبو شعر قائد الميليشيا، وبدأ التنظيم الطلابي يدرج في برامجه الثقافية كتابات منير شفيق وناجي علوش للنقاش والبناء عليها.

بدأت دورات التنظيم الطلابي، في هذه الفترة، تتحدث عن الخلاف مع الاتحاد السوفييتي الذي يمارس الإلحاق والهيمنة، وينتهج سياسات إمبريالية خاصة به، الأمر الذي يدعو إلى التحفظ إزاء سياساته وطبيعة العلاقات معه على النحو الذي يحافظ على تلك العلاقة ولكن دون الرهان عليها أو الارتهان له، وفي المقابل فإن الصين لم تظهر أي سياسات إلحاقية، ولم تشترط شيئًا في مقابل دعمها، وهو ما يدعو إلى ضرورة استخدام العلاقة مع الصين للموازنة مع الاتحاد السوفييتي[1].

وبهذا أخذ اتجاه يساري بالتمايز عن التيار اليساري العام في فتح والذي بدأ في أغلبيته بالاقتراب أكثر من الاتحاد السوفييتي، وأصبح هذا الاتجاه المتمايز يدير حواراته مع مجموعة أضيق في القطاع الغربي، ومع بعض كوادر القوات والميليشيا، إضافة إلى كوادر أساسية في التنظيم الطلابي[2].

الملمح الثاني.. أول الرصاص.

أ. أحداث أيار ١٩٧٣:

في ١٠ نيسان ١٩٧٣ شنت قوات صهيونية هجومًا استهدف مدينة بيروت، وأدى إلى استشهاد ١٦ شخصًا من المدنيين والفدائيين، كان من بينهم قادة فتح الثلاثة محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر. من جانبه ركز الإعلام الصهيوني على أن هذه العملية رد فعل على عمليات أيلول الأسود، ولا سيما عملية ميونخ التي كان قد مضى عليها سبعة شهور، بيد أن "إسرائيل" في الحقيقة كانت قد انتهجت هذا النوع من العمليات مبكرًا وقبل أن تخرج الثورة الفلسطينية من الأردن[3]، والواقع أن الأهداف الصهيونية المعلنة قد تراوحت، بحسب ما أعلنته مصادرها المتعددة، ما بين القول بأن الهدف من هذه العملية هو قتل القادة الثلاثة وتدمير مكتب للجبهة الشعبية الديمقراطية في بيروت وعدد من البيوت والأماكان التي يجري فيها تدريب الفدائيين وتخزين أسلحتهم وإصلاح سياراتهم في جنوب بيروت وصيدا، والقول بأنه رد على بعض العمليات التي نُفذت في أوروبا، والقول بأن هذه العملية جاءت ردًا على

---

[1]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص١٢٩-١٤٩.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. ب. ح، "الهجوم الإسرائيلي على بيروت ٩-١٠/١٩٧٣/٤"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢١، (أيار ١٩٧٣): ص٢٤٢-٢٤٥.

انفجارات وقعت في القدس والخضيرة، وبعد ساعات من هجوم وقع في قبرص [1].

كان تصرف الحكومة اللبنانية لافتًا من حيث عدم وجود أي دوريات في الشوارع أثناء الهجوم، والامتناع عن وضع الحواجز على الطرق لتعقب المنفذين، وقطع الكهرباء عن مدينة بيروت بما أثار شكوكًا حول تواطئ محتمل للدولة اللبنانية أو جهات فيها، تمثل في تسهيل خروج منفذي العملية، ومنع النجدات الفدائية من الوصول إلى قلب بيروت، واعتقال قائد الكفاح المسلح الذي كان يحاول الوصول إلى مكان الاشتباكات، وقطع خطوط التلفون عن بعض مكاتب الفدائيين الرئيسية[2].

على إثر ذلك استقال رئيس الحكومة اللبنانية صائب سلام، والذي كان قبل ذلك قد طالب، كشرط لاستمراره في الحكومة، بإقالة قائد الجيش الذي لم ينفذ الأوامر الموجهة له بالتصدي للهجوم الصهيوني، وقد زاد من توتر الحكم في لبنان رد الفعل الجماهيري الذي ظهر في زحف ضخم للجماهير اللبنانية، قدر بربع مليون شاركوا في تشييع شهداء العملية الصهيونية في ١٢ نيسان[3].

وهذا يعني أن الهدف السياسي من هذه العملية بدأ يتحقق بخلق التوتر بين الثورة الفلسطينية والسلطات اللبنانية، وبما يوفر للأخيرة الأجواء لضرب الوجود الفلسطيني في الثورة، وبدفع الجماهير اللبنانية للمطالبة بإخراج الثورة من لبنان، وهو توجه موجود لدى الأوساط المارونية في الأساس منذ بدايات الوجود الفلسطيني في لبنان، إلا أن هذه العملية مع ما تبعها من تشييع ضخم للقادة الثالثة حفز الحساسيات المارونية والتي بدأت بالظهور على شكل مطالبات بإلغاء اتفاقية القاهرة التي نظمت الوجود الفلسطيني في لبنان.

إضافة إلى الأسباب السياسية التي عززتها ممارسات السلطات اللبنانية قبل وأثناء وبعد العملية، فإن المطالبات بإقالة قائد الجيش إسكندر غانم قد دفعته إلى استهداف المقاومة الفلسطينية ثأرًا لنفسه[4]، ومن هنا، وفي ٢ أيار، بدأت الأحداث التي عرفت لاحقًا بأحداث أيار، حيث أشارت صحيفة النهار اللبنانية في اليوم التالي لبدء الاشتباكات إلى أن الأوساط السياسية والقريبة من الدولة قد أفردت لهذه الاشتباكات "خانة كبرى في حساب التحليل بعد الانعكاسات الخطيرة التي أثارها الاعتداء الإسرائيلي ليل ١٠ نيسان الفائت. ومنذ يوم السبت وهذه الأوساط تتحدث عن الاصطدام الذي لا مفر منه"[5].

بدأت الأحداث بحصار مخيمات اللاجئين في بيروت وضواحيها، ثم بدأت قوات الجيش بقصف المخيمات بالمدفعية، وتطورت

---

[1]. هـ.أ ، "تقييم عسكري سياسي لعملية ٩-١٠ نيسان في بيروت"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢١، (أيار ١٩٧٣): ص٢٤٦-٢٥٤.

[2]. ب.ح، "الهجوم الإسرائيلي على بيروت ٩-١٠/١٩٧٣/٤"مصدر سابق.

وكان كمال جنبلاط قد صرح بعد هذه العملية بقوله: "مش ممكن الإنسان إلا أن يعتقد أن هناك تواطؤًا بين الحكومة اللبنانية والسلطات الإسرائيلية. ويجب محاسبة المسؤولين على هذا الشيء. وفي البلاد الأخرى يحاكمونهم بتهمة الخيانة الوطنية... البلاد بلاد جواسيس، والحكم بلا شرف وما في شهامة". هـ.أ، "تقييم عسكري سياسي لعملية ٩-١٠ نيسان في بيروت"، مصد سابق.

[3]. المصدر السابق.

[4]. سعيد مراغة (أبو موسى)، برنامج مراجعات، حلقة ١٥، حاوره: غزام التميمي، قناة الحوار. المادة المصورة نشرت على موقع youtube بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١٤. واسترجعت في ٢٠١٤/٦/١٠. https://www.youtube.com/watch?v=wdGTuFPJH6g

[5]. "أحداث أيار في لبنان"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢٢، (حزيران: ١٩٧٣): ص٢٤٩-٢٧٦.

الأحداث سريعًا لتزحف تلك القوات صوب مكاتب المقاومة الموجودة في منطقة الجامعة العربية ثم تتقدم منها باتجاه الفكهاني وصبرا. وبحكم وجود جامعة بيروت العربية فإن التنظيم الطلابي كان أول من تنبه إلى تقدم قوات الجيش، فخرج الطلاب إلى الشوارع وتصدوا للجيش بما توفر لهم من قطع السلاح وبالتعاون مع بعض العاملين في مكاتب القطاع الغربي ومنهم أبو حسن قاسم، وجيفارا[1]، وفي اليوم نفسه استنفر أعضاء التنظيم الطلابي في الجامعات والثانويات، واختاروا أبو حسن قاسم قائدًا لمحور الاشتباكات التي يتركز فيها التنظيم الطلابي، وعلى مدار شهرين بقيت كوادر التنظيم الطلابي ثابتة في مواقعها خشية من تجدد الاشتباكات، ومنذ ذلك الوقت وحتى العام ١٩٨٢ ومنطقة جامعة بيروت العربية في عهدة التنظيم الطلابي[2].

قام قائد المليشيا جواد أبو شعر بالإشراف على إعادة تنظيم المواقع. وظهر إلى جانب أبو حسن قاسم شخصيات سوف تبرز كفاعلين أساسيين في تيار الكتيبة الطلابية لاحقًا، وهم حمدي وأبو الراتب[3] بصحبة سعد جرادات المشرف على مكتب شؤون الأردن والذي سيصبح أول قائد للسرية الطلابية، ومن هنا بدأ يتردد اسم "السرية الطلابية"[4] كتشكيل عسكري شعبي[5]. في الأثناء زار ياسر عرفات المواقع، وتفاجأ بالطلاب، لكنه استجاب لكل مطالبهم من سلاح وتموين[6].

في هذه الأحداث بدأت تتميز السرية الطلابية بمسلكيتها الثورية الخاصة، وتفصح عن مفهوم خط الجماهير، باحترامها للجماهير اللبنانية على الحواجز. وبواسطة الزيارات الخاصة التي تقوم بها إلى البيوت في المنطقة لشرح القضية، والاعتذار عما يصدر من ممارسات خاطئة عن عناصر فدائية أخرى من خارج السرية، كإطلاق النار على مصابيح الكهرباء بحجة التعتيم[7]، وهكذا بدأت تتعمق العلاقات بين عناصر هذه التجربة، التي بدأت بالحوار والإعداد لإقامة معسكرات ودورات تدريبية[8].

كان اليسار اللبناني في هذه الفترة يشهد تفاعلات كبيرة أدت بالعديد من العناصر في الأحزاب اليسارية اللبنانية، مثل الحزب الشيوعي ومنظمة العمل الشيوعي، إلى مغادرة أحزابها والتوجه إلى فصائل الثورة الفلسطينية، ومن هنا انضم العديد من هؤلاء إلى التنظيم الطلابي لحركة فتح، ومن ثم السرية الطلابية والتيار اليساري الذي انبنى حولها، خاصة وأن السرية والتيار نهضا على حالة ثقافية ونقاش فكري

---

[1]. مناضل سوري، التحق بالثورة الفلسطينية، وكان يحمل في هذه الأحداث قاذف آر.بي. جي. انظر: فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص١٥٦.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصد سابق.

[3]. أبو الراتب هو إسماعيل علي موسى من قرية الخضر، شاب كان قد قدم من داخل الأرض المحتلة للتدريب بهدف النزول لاحقًا في دوريات إلى داخل الأرض المحتلة في سياق المشروع الذي كان يعمل عليه أبو حسن قاسم، وقد أصبح في لبنان نائبًا لقائد السرية الطلابية، وشارك في بعض معارك الحرب الأهلية، وقتل في حادث سير في أيار من العام ١٩٧٦. انظر: معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصد سابق. وانظر أيضًا: فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصد سابق، ص٢٥٩-٢٦٣، وانظر شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصد سابق، ص١٧٩، وشفيق الغبرا، السرية الطلابية: "التأسيس والمؤسسون"، صحيفة السفير اللبنانية، ملحق فلسطين، حزيران ٢٠١٣.

[4]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص١٥٧.

[5]. التشكيلات العسكرية الشعبية هي تلك التي كان يطلق عليها اسم الميليشيا، وهي شيء آخر منفصل عن القوات الاحترافية.

[6]. المصدر السابق.

[7]. المصدر السابق، ص١٦٠.

[8]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

وممارسة عملية[1]، فصارت السرية الطلابية والتيار الذي التف حولها عامل جذب لهؤلاء العناصر وخاصة من كان منهم متأثرًا بتجربة ماوتسي تونغ، فقد غلب على الطرح السياسي لتيار السرية الطلابية انتقاد الاتحاد السوفييتي والتحذير من الرهان عليه أو المبالغة في الاقتراب منه لأسباب تتعلق بالخشية من توجهات الاتحاد السوفيتي التي تروم فرض خيار التسوية على الفلسطينيين إضافة إلي ممارساته ذات الطابع الإمبريالي، ومن ثم فإن السرية الطلابية وبالنظر إلى بقية التيار اليساري في فتح، أو بالنظر إلى الجبهتين الشعبية والديمقراطية؛ كانت التجمع الوحيد الصالح لاجتذاب ماويي الأحزاب اللبنانية اليسارية[2].

انتهت أحداث أيار في اليوم التاسع، بعد صمود الفدائيين الفلسطينيين، ودعوة أحزاب المعارضة اللبنانية أتباعها المسلحين للنزول إلى الشوارع دعمًا للفدائيين، وبعدما ظهرت بوادر تمرد بين عناصر الجيش من المسلمين، وقد تقدم رئيس الوزراء اللبناني أمين الحافظ باستقالته بسبب خرق الجيش عدة مرات لاتفاقات وقف إطلاق النار التي أبرمها الحافظ مع قيادة الثورة الفلسطينية، إلا أن العامل الأكثر حسمًا كان في التدخل المصري والسوري القوي ضد الحكومة اللبنانية ودعمًا للفدائيين الفلسطينيين فأنور السادات وحافظ الأسد في حالة استعداد لخوض حرب تشرين، ولن يسمحا بوجود اضطرابات من هذا النوع في لبنان، فاستدعى السادات مبعوثه إلى لبنان، وأغلق الأسد حدود سوريا مع لبنان، وبهذا انتهت هذه الأحداث[3]، التي أسفرت عن تبلور تشكيل جديد هو السرية الطلابية التي ستصبح نواة تيار هام داخل حركة فتح.

ب. إلى كفار شوبا

في ١١ كانون ثاني ١٩٧٥ قامت مجموعة من قوات العاصفة بمهاجمة مركز عسكري صهيوني في جبل الشيخ وانسحبت إلى قواعدها، وردًا على هذه العملية قام الجيش الصهيوني بعملية واسعة ضد أهالي قرية كفار شوبا وقواعد الثورة فيها. فبعد قصف مدفعي ليلاً على القرية، تقدمت القوات الصهيونية على ثلاثة محاور، إلا أنها اصطدمت بكمائن الثورة هناك، فالتجأت إلى قصف القرية مستهدفة بنيتها التحتية. في اليوم التالي ليلاً حاولت القوات الصهيونية مرة أخرى اقتحام القرية من أربع جهات، إلا أن المقاومة التي أبدتها القوى المحلية من القرية إلى جانب قوات الثورة حالت دون دخولها وأوقعت فيها خسائر كبيرة. استمرت القوات الصهيونية في محاولة اقتحام القرية على مدار اليومين التاليين دون أن تنجح في ذلك، فعمدت مدفعيتها إلى تدمير بيوت القرية، البالغة في ذلك الوقت ٣٥٠ منزلاً يقطنها ١٨٠٠ مواطن[4].

أصبحت قرية كفر شوبا عامل حشد للفدائيين، ولبقية وحدات المليشيا في كافة أنحاء لبنان، ولقوى المعارضة اللبنانية التي عبأت

---

[1]. معين الطاهر، المصدر السابق.

[2]. المصدر السابق.

[3]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٢٥٩.

[4]. فرحان الصالح، كفر شوبا: "التحدي ورد التحدي"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٤٣، (آذار ١٩٧٥): ص١٩٤– ١٩٨.

المتطوعين للمشاركة في المعركة ولمساعدة القرويين على ترميم بيوتهم[1]. بالنسبة للتنظيم الطلابي في فتح فقد أرسل في بداية المعركة ٩٠ مقاتلاً إلى كفر شوبا، وبعد انتهاء المعركة شارك الطلاب في إعمار القرية بالتعاون مع موسى الصدر، وإذ ذاك بدأت بذرة حركة أمل بالظهور في صيغتها الأولية التي سماها موسى الصدر بـ "حركة المحرومين"[2].

الملمح الثالث.. مواجهة مع الحل السلمي في معسكر مصياف!

لم يكن طرح إقامة دولة فلسطينية إلى جانب الكيان الصهيوني جديدًا، فقد نص عليه قرار التقسيم، وإن لم يُفعّل هذا القرار لمجموعة من الأسباب منها رفض العرب للتقسيم، واستمرار "إسرائيل" في احتلال بقية فلسطين، بالإضافة إلى ضم الضفة الغربية للأردن، إلا أن طرح الفكرة عادت إلى الظهور في العام ١٩٧١، في سياقين مختلفين: الأول؛ ذلك الذي رفض في الأساس خيار الكفاح المسلح، وكان من أبرز ممثليه اتجاه عزيز شحادة[3] العضو السابق في مؤتمر اللاجئين، وحمدي التاجي الفاروقي ومحمد أبو شلباية[4].

كانت أفكار هذا الاتجاه تذهب نحو إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، والاعتراف بدولة العدو الصهيوني وإقامة علاقات تعاون وحسن جوار معها، تصل في بعض المقترحات إلى حد إقامة اتحاد فيدرالي بين كل من الدولة الفلسطينية الوليدة و"إسرائيل"، بينما كانت تذهب بعض الاقتراحات إلى وضع الضفة الغربية وغزة تحت الوصاية ثم إجراء استفتاء في هذه المناطق حول مستقبلها. وأفكار أخرى تحدثت عن اتحاد مع الأردن.

هذه الأفكار كلها لا تستحق المناقشة من وجهة نظر منير شفيق، إلا بقدر ما تناقش به ثورةٌ عملاءَ العدو، لأن الخلاف معهم هو الخلاف بين الثورة وبين الاستسلام والمهادنة، وإن لم يكن ذلك لا يحول دون الوقوف على مكامن الخطورة في هذا الطرح بحسب ما يرى منير شفيق، خاصة من حيث إن هذه الفكرة التي تعني "القبول بأي شيء" ستجعل من الدولة المقترحة نافذة سياسية واقتصادية للاحتلال للتحكم بالفلسطينيين ثم النفاذ من خلالها إلى بقية البلدان العربية. ويسأل منير شفيق: "هل هناك أفضل للعدو من أن تقوم دولة فلسطينية مرتبطة به، تأخذ عنه مهمة جلد الشعب الفلسطيني واضطهاد ثواره ينما تترك له أخذ كل شيء؟".[5]

أما السياق الثاني الذي طرحت فيه فكرة إقامة دولة فلسطينية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، فكان تحت شعار المرحلية في الثورة، وقاد هذا الاتجاه داخل فتح اثنان من ذوي الخلفيات الشيوعية وهما نمر صالح وماجد أبو شرار ابتاء من العام ١٩٧١، وقبل ذلك كان فاروق القدومي (أبو اللطف) قد تقدم بالمقترح في مؤتمر فتح العام الثاني المنعقد في دمشق في العام ١٩٦٨، ولاحقًا وقبيل حرب تشرين ١٩٧٣ ظهرت في بيروت أطروحات الجبهة الديمقراطية حول المرحلية الفلسطينية، وتبين أن قيادة فتح تدعم هذا التوجه،

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥١٨.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. منير شفيق، "لماذا يرفض الفلسطينيون مشروع الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٧، (آذار: ١٩٧٢): ص٦٥– ٧٣.

[4]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٤٤٩.

[5]. منير شفيق، "لماذا يرفض الفلسطينيون مشروع الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة"، مصدر سابق. ويجدر التذكير أن هذا النص مكتوب في شهر آذار من العام ١٩٧٢!

وبسبب هذا التواطؤ اعتبر بعض اليساريين الجبهة الديمقراطية دورية استطلاع لليمين الفلسطيني. وقد جرى إقرار البرنامج المرحلي في صيغة النقاط العشر في الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في حزيران عام ١٩٧٤[1].

ناقش منير شفيق أطروحات هذا الاتجاه مبكرًا[2]، مشددًا على أن الهدف المرحلي المقبول هو ذلك الذي يشكل حلقات متماسكة توصل إلى الهدف النهائي، وعليه فالأهداف المرحلية التي من شأنها أن تصفي الثورة فليست بأهداف مرحلية، فإذا كانت الدولة المقترحة ستكون مجردة من السلاح كما في الاقتراحات المطروحة، فهذا يعني في النهاية تصفية المقاومة وإبقاء الكيان الصهيوني متفوقًا عسكريًا بصورة مطلقة، مع إفساح المجال له للتوسع اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا. والدولة الفلسطينية المقترحة ستكون مجردة من المقومات الاقتصادية الأمر الذي سيجعلها مرهونة إلى المساعدات العربية والأجنبية[3].

بعد حرب تشرين ١٩٧٣، أخذت قيادة فتح تدفع نحو مشروع التسوية، وقد أفضى ذلك إلى المزيد من الفرز في المواقف داخل الحركة الوطنية عمومًا، وداخل فتح والتيار اليساري الذي فيها على وجه الخصوص، حيث تبنى تيار السرية الطلابية الذي كان قد بدأ بالتبلور منذ أحداث أيار، موقفًا معارضًا لعملية التسوية بالكامل، ولبرنامج النقاط العشر، وللسلطة الفلسطينية، وهي المعارضة التي أفرزت موضوعات أخرى جرى التشديد عليها، ولا سيما موضوع الاستقلالية والتحرر من التبعية في موقف معارض للاتجاه اليساري الذي كان يندفع نحو الاتحاد السوفييتي[4].

كانت السرية الطلابية، بعد حرب تشرين، قد أقامت في نهاية شهر كانون أول معسكرًا تدريبيًا في بلدة مصياف الواقعة جنوب غرب مدينة حماة بسوريا، شارك فيه العشرات من الطلاب والطالبات ممن قاتلوا وأسهموا في حراسة منطقة جامعة بيروت العربية في أحداث أيار، وكان هؤلاء الطلاب مكونين من فلسطينيين ولبنانيين وعرب يدرسون في الجامعات اللبنانية، وحاضر في المعسكر عدد من المثقفين والمفكرين والقيادات، من بينهم أبو عمر حنا المسؤول السياسي للدورة بصفته عضو لجنة الإقليم المشرف على التنظيم الطلابي في ذلك الوقت، وكذلك جاء ناجي علوش ومنير شفيق وغيرهم[5]. في هذا المعسكر حصل فرز جديد داخل المعسكر على خلفية

---

[1]. نزيه أبو نضال، مصدر سابق، ص١٤٣-١٤٤.

[2]. منير شفيق، "لماذا يرفض الفلسطينيون مشروع الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة"، مصدر سابق. وكتب أيضًا منير ضفيق في العام ١٩٧٣ كتابه بين استراتيجية التحرير الكامل واستراتيجية "الحل السياسي". انظر:

منير شفيق، **بين استراتيجية التحرير الكامل واستراتيجية "الحل السياسي"**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٣).

[3]. تجدر الإشارة إلى أن هذه الأفكار التي يناقشها منير شفيق كانت مطروحة قبل النقاط العشر التي أقرت في المجلس الوطني في دورته الثانية عشرة، والتي حاولت إرضاء المخالفين للبرنامج المرحلي بالتأكيد في النقطة الأولى على رفض القرار ٢٤٢، وعلى كون السلطة الوطنية، كما في النقطة الثانية، التي ستقام على أي جزء من الأرض الفلسطينية التي تُحرر هي سلطة مقاتلة، تناضل، كما نصت النقطة الثامنة، من أجل استكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني، وعليه وكما في النقطة الثالثة، فإن منظمة التحرير ستناضل ضد أي مشروع كيان فلسطيني ثمنه الاعتراف والصلح والحدود والآمنة. بيد أن الثغرة كانت في النقطة الثانية التي تنص لأول مرة على "النضال بكافة الوسائل، وعلى رأسها الكفاح المسلح"، وهي المدخل إلى اعتبار المفاوضات، أو تقديم المبادرات السياسية؛ أدوات نضالية، ومن ثم فإن نتيجة المشروع الذي بدأ مع النقاط العشر؛ كانت واقع السلطة الفلسطينية الحالي، الذي تنبأ به منير شفيق مند العام ١٩٧٢.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. المصدر السابق.

مشروع التسوية، فقد انقسم الطلاب إلى أغلبية تعارض مشروع التسوية، مقابل عدد قليل يؤيده ومثّله أنيس النقاش[1].

يزور ياسر عرفات المعسكر في ليلته الختامية، ويدير حوارًا مع عناصر المعسكر، يفتتحه بالحديث عن حرب تشرين ونتائجها، واصلاً ذلك بتاريخ فتح وبدايات الكفاح المسلح، لينتهي إلى إعلانه عن استعداده للقبول بإقامة دولة فلسطينية على أي بقعة ينسحب منها الاحتلال[2]، مبررًا هذا التحول الكبير بالتسوية التي كان يعتقد بأنها ستلي حرب تشرين[3]، وبأنه لا مجال أمام الفلسطينيين إلا القبول بهذه التسوية، ولو اقتصرت على مدينة أريحا كأرض لهذه الدولة المنتظرة، وإلا فإن البديل هو التنازل عن الضفة الغربية للملك حسين[4].

رأى طلاب المعسكر؛ أن طرح عرفات سينتهي إلى حرف الثورة الفلسطينية عن أهدافها الكبرى. وفسروا ذلك بأن الدولة تقام على الأرض المحررة بقوة السلاح لا على الأرض التي ينسحب منها الاحتلال بمبادرات فلسطينية، فضلاً عن كون فتح ومنظمة التحرير قد تأسستا لتحرير فلسطين قبل احتلال بقية فلسطين في حرب حزيران ١٩٦٧، ومن ثم فإن تحرير الأراضي الفلسطينية التي احتلت في حرب حزيران يقع على عاتق مصر والأردن التي خسرت تلك الأراضي في الحرب، وفي حال تمكنت هذه الدول من استعادة ما خسرته، وإن بالمفاوضات، فإن للفلسطينيين في الضفة وغزة حق تقرير مصيرهم، دون أن تتورط منظمة التحرير في المفاوضات. لقد كانت هواجس التمثيل والجغرافيا والخشية من ضم الضفة الغربية للأردن تُلح على عرفات بقوة وتشكل أساسًا في بنية تفكيره السياسية وخطواته النضالية، ولذلك شكلت هذه المسألة ذروة الخلاف بينه وبين الطلاب الذين وصفهم بالهاشميين الجدد حينما غادرهم غاضبًا, ومتهمًا منير شفيق وأبو عمر بتحريضهم عليه[5].

اتخذ "خط الجماهير– خط الشعب"[6] موقفًا معارضًا للبرنامج المرحلي قبل إقراره وبعده. ومن ذلك ما يرويه فتحي البس عن المظاهرة التي قادها التنظيم الطلابي لفتح واعترضت ندوة شارك فيها صلاح خلف (أبو إياد) ونايف حواتمة: "عندما عقد أبو إياد ونايف حواتمة ندوة في قاعة جمال عبد الناصر في الجامعة العربية في بيروت لشرح البرنامج المرحلي، انطلقنا في مظاهرة ضخمة إلى القاعة. دخلناها عند بدء الندوة. رفعت الأحذية وانطلق هتاف «سحقًا سحقًا بالأقدام يا دعاة الاستسلام». منع أبو إياد الأمن من التحرك

---

[1]. والذي سيتحول بعد الثورة الإيرانية إلى اتجاهات أكثر راديكالية، خاصة بعد ارتباطه بالحرس الثوري الإيراني الذي يروي أنه كان صاحب فكرته بعد أن كتب مشروعه وقدمه للإيرانيين. ثم قام بعد ذلك في ١٨ تموز ١٩٨٠ بمحاولة اغتيال فاشلة في فرنسا لشهبور بختيار آخر رئيس وزراء في عهد شاه إيران، ليقضي بعد ذلك بضع سنوات في السجن. انظر: صقر أبو فخر، **أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠): ص١٦٣–١٧١.

[2]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٩٢.

[3]. يبدي صلاح خلف، في كتابه فلسطيني بلا هوية، استغرابه من لياقة السادات المفرطة معه ومع فاروق القدومي وإصراره على بقائهم إلى جانبه أثناء الحرب. يقدر صلاح خلف بأن السبب يكمن في رغبة السادات في كسب تأييد الفلسطينيين وإشراكهم تاليًا في عملية السلام السلام. (ص١٣٦). ويتأكد ذلك بعد ٤٨ ساعة على انتهاء الحرب، أي في ٢٦ تشرين أول، حينما يسألهم السادات إن كانوا يقبلون المشاركة في مؤتمر السلام الذي تنوي مصر الدعوة إليه؟! مبينًا لهم أنه اقترح على الأمريكان والسوفييت مشاركة الفلسطينيين في المؤتمر إلى جانب مصر وسوريا والأردن. (١٣٩ –١٤٠).

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. المصدر السابق.

[6]. كثيرًا ما يطلق على هذا التيار الذي تتناوله الدراسة بالبحث، أو يطلق عليه منتسبوه اسم خط الجماهير والتي شكلت النظرية الأساسية لمنطق التيار عمومًا.

بإشارة واضحة من يده. لاحظ رحمه الله أن المتظاهرين فتحاويون، وليسوا من قوى أخرى"[1].

مثّل مشروع الحل المرحلي بداية الخلاف بين تيار الكتيبة الطلابية وبين قيادة حركة فتح، فهذا المشروع من وجهة نظر التيار عملية انحراف عن منطلقات فتح الأولى وعن ميثاق منظمة التحرير. ويبدو هذا الخلاف صاخبًا حينما قرر التيار وبالاتفاق مع قوى أخرى معارضة لبرنامج النقاط العشر؛ عقد ندوة في الجامعة العربية في بيروت يتحدث فيها منير شفيق ردًا على برنامج النقاط العشر، وتحديدًا على أطروحات نايف حواتمة الذي تصدر لترويج المشروع متحولاً من خطابه اليساري "المتطرف" إلى التماهي مع برنامج الاتحاد السوفييتي لمنطقة الشرق الأوسط. ولإفشال الندوة أرسلت قيادة فتح أبو حسن سلامة[2] لتحذير منير شفيق من عقد الندوة، بالرغم من أن الندوة تستهدف الرد على أطروحة نايف حواتمة، ما يجعل اعتراض قيادة فتح غير مفهوم، كما حاول شفيق أن يحتج على أبو حسن سلامة، والذي كشف بدوره أن نايف حواتمة إنما يتحرك بإيعاز من ياسر عرفات وصلاح خلف. في النهاية عقدت الندوة التي حشدت عددًا كبيرًا من كوادر فتح باستثناء التيار اليساري ذي التوجهات السوفييتية. لتنتهي على نحو مثير حينما أطلق عناصر من أمن فتح والجبهة الديمقراطية النار على منير شفيق[3]، ومع ذلك فإن هذا الخلاف لم يكن سببًا للانشقاق، أو اتخاذ موقف عدائي من القيادة.

خلاصة الملامح الأولى:

سيعتبر معسكر مصياف محطة هامة في تبلور تيار السرية الطلابية، وسيصبح الموقف من الحل المرحلي، والاستقلال عن الاتحاد السوفييتي، من المواقف السياسية الأساسية التي تميز التيار، ومن هنا يأتي الفرز الواضح بين اتجاهين يمثل الأول التيار اليساري المرتبط بمنير شفيق والمستند إلى قاعدة طلابية واسعة، والثاني التيار اليساري التقليدي المرتبط بأبو صالح وأبو خالد العملة وأبو موسى.

بعد ذلك ستصبح الحرب الأهلية سببًا آخر للاختلاف والتمايز، فبينما كان يصر التيار اليساري التقليدي على خوض الحرب الأهلية إلى جانب الحركة الوطنية اللبنانية، حتى النهاية، بما في ذلك مواجهة التدخل السوري في لبنان، معتبرًا أن الحرب تمتد من صوفر[4] إلى موسكو، ومسميًا قاعدته بالجيب الأحمر، فإن التيار الآخر، الذي مثّله منير شفيق وأبو حسن قاسم وشباب السرية الطلابية، كان يذهب إلى ضرورة وقف الحرب الأهلية والتوجه إلى الجنوب لقتال العدو الصهيوني. وبعد الحرب الأهلية ستبقى أسباب الفرز قائمة ومتجددة بما يجعل من هذا التيار متفردًا بجملة من المواقف حيال قضايا الموقف من القيادة المتنفذة في فتح، ومن أطروحة التضامن العربي، ومن العلاقة مع القوى التقليدية والإسلامية، سنية أو شيعية.

---

[1]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص١٩٢-١٩٣.

[2]. ضابط مخابرات في فتح، كان نائبًا لصلاح خلف في جهاز الرصد الثوري، ثم أسس في لبنان بطلب من ياسر عرفات حرس عرفات الخاص الذي عرف بالقوة ١٧. اغتيل في أول العام ١٩٧٩ في بيروت.

[3]. منير شفيق، برنامج مراجعات، حاوره: عزام التميمي، الحلقة ٤، قناة الحوار. نشرت المادة المصور على موقع youtube بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٤. واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠. https://www.youtube.com/watch?v=AIZLLG-9N_Q

[4]. مدينة لبنانية.

٢. بدايات التبلور:

أ. الحرب لوقف الحرب:

اتضح أن الوجود الفلسطيني في لبنان يقوم على أرضية هشّة وقابلة للانفجار في أي لحظة، حيث طبع التوتر علاقة الثورة الفلسطينية بالسلطات الرسمية اللبنانية، ولا سيما الجناح الماروني النافذ فيها، بالإضافة إلى رفض القطاع الماروني الشعبي للوجود الفلسطيني في الأساس، ومن ثم فإن احتمالات الانفجار واردة بقوة دائمًا، ومتعلقة بأحداث التوتر التي لا تكاد تتوقف، فضلاً عن هشاشة الاجتماع اللبناني الداخلي، وهو ما قد يبرر للثورة الفلسطينية التحالف مع شريحة لبنانية واسعة تمثلت في الحركة الوطنية اللبنانية لإسناد وجودها في لبنان، في بيئة لا تخلو ممن يجاهر بالعداء الصريح للوجود الفلسطيني في لبنان.

اشتعلت الشرارة الأولى للحرب الأهلية اللبنانية من هشاشة الاجتماع اللبناني، لا من احتكاك الثورة الفلسطينية بالسلطات اللبنانية، أو بالقوى اللبنانية المعادية لها، فقد أطلقت قوات الجيش اللبناني في ٢٦ شباط ١٩٧٥ النار على معروف سعد[1] الزعيم السني في مدينة صيدا، وأحد أنصار الثورة الفلسطينية في لبنان، وذلك حينما قاد مسيرة للصيادين تعارض قرارًا للرئيس اللبناني سليمان فرنجية يمنح فيه شركة يملكها الرئيس اللبناني السابق كميل شمعون امتيازًا تحتكر بموجبه صيد الأسماك في ذروة الموسم[2]. وعلى خلفية مقتل الزعيم السني قام السكان بإخراج الجيش من البلدة القديمة في صيدا، بمساعدة الفلسطينيين من مخيم عين الحلوة القريب. وقد رد المعسكر الماروني بتنظيم مسيرة احتشد فيها ٣٥ ألف شخص، بينما شيع معروف سعد في جنازته ١٥٠ ألف شخص انضموا إلى مسيرة نظمتها المعارضة في صيدا[3].

أما البداية الرسمية للحرب الأهلية فكانت في ١٣ نيسان ١٩٧٥ حينما قامت مجموعة مسيحية في حي عين الرمانة ذي الأغلبية المسيحية بإطلاق النار على حافلة كانت تقل ركابًا من المدنيين الفلسطينيين قادمين من احتفال شعبي في مخيم صبرا وعائدين إلى مخيم تل الزعتر. وحصلت الحادثة في الوقت الذي كان فيه رئيس حزب الكتائب بيير الجميل يفتتح كنيسة في عين الرمانة، وهكذا فقد أسفرت هذه الحادثة عن استشهاد ٣٠ فلسطينيًا.

أطلقت هذه الحادثة موجة عنف مضادة تصدرتها فصائل الحركة الوطنية اللبنانية إلى جانب الفصائل الفلسطينية، وتطورت الأحداث إلى أن قرر الحلفاء اللبنانيون في الحركة الوطنية والفلسطينيون في منظمة التحرير الفلسطينية في ١٥ نيسان عزل حزب الكتائب اللبناني، وهنا ظهر تمايز جديد للتيار السرية الطلابية، الذي عارض عزل حزب الكتائب كما عارض خوض الحرب الأهلية التي كانت وللمفارقة

---

[1]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق. ص٢٢٦.

[2]. سعيد مراغة (أبو موسى)، برنامج مراجعات، حلقة ١٧، حاوره: غزام التميمي، قناة الحوار. المادة المصورة نشرت على موقع youtube بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١٤. واسترجعها الباحث في ٢٠١٤/٦/١٠. https://www.youtube.com/watch?v=ogn0rlyM3SQ

[3]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥١٨.

مهد معارك السرية الأولى، وأرض شهدائها الأوائل.

كان الرأي الذي ساد في أوساط تيار السرية الطلابية[1]، يدفع نحو الرد بصورة محدودة ثم العودة بعد ذلك إلى المساومة لوقف التصعيد الحاصل في الأحداث، ومنع انزلاق لبنان في خطر الانقسام الطائفي وانهيار الدولة، وكان هذا الرأي الذي تبناه التيار بمثابة السباحة عكس التيار الجارف الذي ضم الحركة الوطنية اللبنانية والفصائل الفلسطينية اليسارية، بما في ذلك اليسار في حركة فتح، وكان هذا الموقف من أسباب الخلاف التي دفعت كلاً من ناجي علوش وأبو داود للافتراق عن التيار بالإضافة إلى أسباب أخرى من أهمها الموقف من القيادة الفلسطينية، وقضية التضامن العربي، والموقف من الأطراف اللبنانية الإسلامية السنية والشيعية.

قدم التيار حجته القائلة أساسًا بأنه لا يحق للفلسطينيين الموجودين في لبنان على أساس من اتفاق القاهرة المشاركة في أزمة لبنانية داخلية بعزل طرف لبناني، إذ إن هذا السلوك ينطوي على تجاوز للحدود الطبيعية للفلسطينيين، ويقحمهم في الشأن اللبناني الداخلي بما يتعارض مع مصلحة الثورة ومع الأسس التي قامت عليها فتح، ومن جهة أخرى فإن قرار عزل حزب الكتائب سيعزز من التلاحم الماروني ويقوي نفوذ الحزب داخل المعسكر الماروني[2] في مقابل ما قد يتسبب به من تفسخ في الموقف الإسلامي الذي قد يتحرج من قرار عزل حزب أساسي في الشريحة المارونية، كما أن قرار عزل الكتائب سيضع الأزمة في مواجهة حائط مسدود بعدما يجري تقسيم البلد على أساس طائفي[3].

لم تنجح كل الجهود لوقف الأزمة وتصاعدها نحو الانقسام الطائفي والحرب الأهلية المدمرة، وكان قد تبلور موقف داخل الحركة الوطنية اللبنانية وفصائل أساسية في الثورة الفلسطينية، خاصة الجبهتين والقيادة العامة والصاعقة وبدعم فعّال من سوريا إلى جانب التيار اليساري في فتح، يقضي بالدفع نحو الحسم بتصفية التيار الماروني "الانعزالي"، بما يمهّد لوجود "هانوي"[4] الثورة الفلسطينية[5]. هكذا تصور ماركسيو الثورة الفلسطينية الأمر. إلا أن ياسر عرفات لم يكن راغبًا في الحرب ولا مقتنعًا بقرار عزل الكتائب الذي وقّع عليه، ويمكن قول الشيء نفسه عن موقف خليل الوزير، لكنهما لم يتمكنا من التصدي لهذا القرار، نظرًا لهيمنة التيار اليساري في فتح والحركة الوطنية اللبنانية على القرار السياسي والعسكري لفتح في تلك الفترة[6]، حتى إن جبهة اليسار في الحرب الأهلية، بما في ذلك التيار

---

[1]. تطلق الدراسة حتى هذه اللحظة على التيار اسم تيار السرية الطلابية، لأن السرية لم تتحول إلى كتيبة بعد، وهو الأمر الذي سيتحقق لاحقًا في العام ١٩٧٦، كما سيأتي. ومن الصعب تصور تاريخ محدد لنشوء السرية الطلابية سواء بحسب الروايات المتوفرة ممن التحقوا بها وكتبوا عنها، أو بحسب المصادر التي تناولت هذه التجربة،

[2]. يروي صلاح خلف بأن سليمان فرنجية الرئيس اللبناني في ذلك الحين قد قال لهم عن قرار عزل الكتائب: "ومع ذلك فإنكم أيدتم قرار اليسار الذي انتحل لنفسه اسم الحركة الوطنية، بمقاطعة حزب الكتائب مطالبين باستبعاده من الحكومة وبحله. وتلك خطيئة من الكبائر. لأن الكتائبيين يمثلون قسمًا له شأن من المسيحيين. وعلى أية حال، إنه لن يكون لقراركم من أثر سوى توسيع نفوذهم". صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصدر سابق، ص١٨٨.

[3]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، ص٥٠-٥١.

[4]. عاصمة فيتنام الحالية، وعاصمة فيتنام الشمالية من عام ١٩٤٦- ١٩٧٦، وكانت قاعدة الثوار الشيوعيين في الحرب على حكومة فيتنام الجنوبية المدعومة من أمريكا التي شاركت بنفسها في الحرب. وكان النموذج الفيتنامي من أكثر النماذج الثورية العالمية التي ألهمت الفلسطينيين في ذلك الوقت.

[5]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص١٤٩

[6]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

اليساري في فتح، كانت تعمد إلى خرق أي اتفاق لوقف إطلاق النار[1].

وبحسب ما يرى منير شفيق فإن السوفييت هم الذين دفعوا نحو قرار العزل، ذاهبًا إلى أن السوريين كذلك كان لهم دور في هذا القرار، بخلاف رغبة كمال جنبلاط الذي لم يكن متحمسًا في البداية لقرار العزل، بيد أن الشخصيات التي تمثل يسار فتح وخاصة نمر صالح وبتأييد من صلاح خلف ضغطت على كمال جنبلاط لتبني قرار العزل، في الوقت الذي لم يكن فيه عرفات داخل لبنان، والذي وبعد عودته، حاول كل من منير شفيق ومحجوب عمر[2] ونبيل شعث، أي طاقم مركز التخطيط، إقناعه بعدم الموافقة على قرار العزل، لكن عرفات لم يكن باستطاعته فعل شيء بعدما اكتشف أن الفلسطينيين هم الذين دفعوا كمال جنبلاط للاتفاق على عزل حزب الكتائب[3].

رغم الموقف الخاص الذي أخذه تيار السرية الطلابية المعارض للحرب الأهلية، إلا أنه وجد نفسه، مضطرًا للدفاع عن الثورة، وعن حماية سكان المناطق المتاخمة لخطوط التماس في الجزء الغربي من بيروت ذي الأغلبية الإسلامية، ومن هنا قررت السرية الطلابية التي كان قائدها في ذلك الوقت سعد جرادات، حشد عناصرها، ولا سيما من اللبنانيين، في الفراغات الأمنية في مناطق بيروت الغربية. ولم يكن الهدف من ذلك حماية المسلمين من هجمات "الانعزاليين" المارونيين فحسب، ولكنهم بذلوا جهدًا آخر لحماية الأقليات المسيحية الموجودة في المناطق ذات الأكثرية المسلمة، وبما يصادم النزعة الطائفية التي بدأت تنتشر بين المليشيات في الشارع الإسلامي[4].

توزع عناصر التيار عمومًا إلى جانب عناصر السرية الطلابية على أماكن القتال والفراغات الأمنية، فالتيار في جملته كان ظهير إسناد للسرية الطلابية، إضافة إلى أنه ورغم تمثله قتاليًا بالسرية الطلابية، فإن أفراده لم يمتنعوا عن الالتحاق بغيرها من الكتائب العسكرية التابعة لفتح حين الحاجة. وكان التصور النهائي لدى التيار بما فيه السرية الطلابية، بضرورة الدفاع عن الثورة وعن الوجود الفلسطيني في لبنان، رغم معارضة الحرب ابتداء، إذ إنه لا يمكن وقف الحرب إلا بعد تعديل ميزان القوى بما يفرض وقفًا عادلاً للحرب يرضي الجميع ويحفظ الثورة الفلسطينية ومصالحها[5].

تركزت مهمات السرية الطلابية في منطقة حساسة، وهي المنطقة التي تولت مهمتها منذ أحداث أيار ١٩٧٣، وخاصة منطقة جامعة

---

[1]. المصدر السابق.

[2]محجوب عمر شيوعي مصر سابق، من عائلة مسيحية. اسمه رؤوف نظمي، سجن في فترة الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر، وبعد هزيمة العام ١٩٦٧ بحث عن مسارات جديدة، فالتحق بالثورة الفلسطينية في الجزائر في العام ١٩٦٩، ثم توجه إلى الأردن واندمج في صفوف مقاتلي حركة فتح، ثم انتقل مع الثورة الفلسطينية إلى لبنان وعمل في مركز التخطيط، إضافة إلى وجوده ضمن كتيبة نسور العرقوب التابعة لفتح في جنوب لبنان. خرج محجوب عمر من لبنان مع خروج الثورة الفلسطينية وعاد إلى مصر، توفي في القاهرة في العام ٢٠١٢. عرف محجوب عمر بعلاقة خاصة بمنير شفيق وتيار الكتيبة الطلابية عمومًا. وقد جمعت بعض كتاباته بخصوص القضية الفلسطينية في كتاب. انظر: محجوب عمر. **كتابات**، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ٢٠٠٥).

[3]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، حاوره: نافذ أبو حسنة، الحلقة ١٠، قناة القدس. مصدر سابق.

[4]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص١٥١.

[5]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص٢٣٠.

بيروت العربية، الممتدة إلى مناطق أخرى داخل بيروت[1]. بالإضافة إلى المواقع الأخرى التي يملؤها عناصر التيار، ولا سيما من اللبنانيين، في أماكن سكناهم داخل لبنان. وعلى أية حال فإنه لم يكن يسع عناصر التيار إلا الدفاع عن أهلهم ومناطق سكناهم، "مثلاً، الشباب في رأس النبع ومنطقة البسطة، اضطروا إلى الدفاع عنهما في مواجهة هجوم الكتائب من منطقة الأشرفية. والأمر نفسه ينطبق على الشباب في الجبل والشمال ومناطق أُخرى، فقد وجدوا أنفسهم مضطرين إلى أن يشكلوا ميليشيا محلية تدافع عن الحي الموجودين فيه، سواء في مواجهة اعتداءات الكتائب، أو حتى لمواجهة الزعران، أو محاولات تهجير المسيحيين"[2].

ب. تأسيس السرية الطلابية:

يمكن اعتبار الانخراط المبكر في الحرب الأهلية على النحو الذي يقدمه أعضاء التيار ومقاتلو السرية الطلابية، هو التاريخ الفعلي لتأسيس السرية الطلابية كإطار مقاتل. فبحسب ما يرويه معين الطاهر، الذي أصبح في وقت لاحق قائدًا لهذا التشكيل بعد استشهاد قائدها الأول سعد جرادات، فإن الحاجة إلى هذا التشكيل قد انبثقت من من تطورات الحرب الأهلية، وكان ذلك بالاتفاق مع جواد أبو شعر قائد ميليشيا فتح في لبنان، والذي منح التشكيل الجديد الشرعية بصفته قائد الميليشيا، كما أمدّه بالسلاح، وجاء على ضوء ذلك اختيار سعد جرادات قائدًا للسرية وأبو الراتب نائبًا له. كان التخطيط الذي اتفقت عليه السرية الطلابية مع قائد الميليشيا يقضي بأن يكون لكل شعبة تنظيمية أو منطقة تنظيمية سرية مقاتلة تابعة لها، وتشكّل في الوقت نفسه خط إسناد لواحدة من الكتائب النظامية المقاتلة في قوات العاصفة في الجنوب، بيد أن هذه الفكرة والتي دلّت على تصور واسع يشمل فتح كلها لم يكتب لها النجاح بسبب استشهاد جواد أبو شعر[3] المبكر.[4]

إن هذا التاريخ لتأسيس السرية الطلابية، هو ما يذهب إليه شفيق الغبرا[5] أحد مقاتليها، وإن كان انتسابه إليها متأخرًا، ذلك لأنه وبحسب روايته أول ما انتسب إلى كتيبة نسور العرقوب في جنوب لبنان، كما أنه لم يكن جزءًا من الحالة الطلابية في لبنان، فقد درس في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم التحق بالثورة فعليًا في العام ١٩٧٥، وإن كان قد زار لبنان إلى مواقع الثورة قبل ذلك، ومع ذلك فإنه يعتبر أن نشأة السرية بدأت في العام ١٩٧٣ أثناء قيادة أبو حسن قاسم لمنطقة جامعة بيروت العربية في أحداث أيار ١٩٧٣[6].

يوافقه في ذلك فتحي البس الذي يذكر أن أول سماعه باسم "السرية الطلابية" كان في أحداث أيار ١٩٧٣[7]، وهو ما يشير إليه أيضًا

---

[1]. المصدر السابق، ص٢٣١.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصد سابق.

[3]. قتل في قصف للجيش السوري على بيروت الغربية في حزيران ١٩٧٦، ذلك لأن الأحداث كانت قد تطورت وحصل تحول في الموقف السوري من دعم الحركة الوطنية اللبنانية وحلفائها الفلسطينيين إلى خوض الحرب ضدهم.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصد سابق.

[5]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصد سابق، ص١٥١.

[6]. المصدر السابق، ص١١٢. وقد شهد الغبرا هذه الأحداث أثناء زيارة قام بها إلى لبنان، كما شهد معسكر مصياف في سوريا الذي سبق الحديث عنه.

[7]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص١٥٧.

خليل النبتيتي أحد مقاتلي السرية، إذ يقول إن السرية الطلابية "كانت ثمرة نضال التنظيم الطلابي لفتح وتفاعله مع مجموعات التفت حول الأخ منير شفيق وأبو حسن وحمدي[1] واكتسبت شرعيتها من معركة الدفاع عن المخيمات الفلسطينية في أيار ١٩٧٣"[2].

وهذا ما يظهر من رواية سعود المولى، اللبناني القادم من منظمة العمل الشيوعي إلى حركة فتح، إذ يبدو من كلامه أن السرية الطلابية تأسست مع الحرب الأهلية اللبنانية، شارحًا الموقف المركّب للسرية، والتيار عمومًا من الحرب: "كنا الوحيدين الذين رفضوا شعار عزل الكتائب وقلنا إن هذا الشعار كما ممارسة الأحزاب التقدمية اللبنانية والفلسطينية ستؤدي إلى انقسام عميق يسمح بسيطرة السوريين على لبنان وبدخول السوفيات (ومعهم ليبيا والعراق وعدن) على خط الصراع الداخلي وبتأجيج الحرب الأهلية... خلال الحرب وقفنا موقف الدفاع عن الثورة والجماهير في كل المواقع ولكن دون هجوم طائفي أو توتير أو تصعيد بل مع كل مبادرة وقف قتال أو هدنة أو سلام... وقد حاربنا من داخل فتح ضد اتساع العنف الطائفي وضد الاعتداء على المدنيين أو القرى والبلدات وضد أي شعار تقسيمي أو الغائي للآخر...هكذا ولدت السرية الطلابية بقيادة الشهيد سعد جرادات وبمشاركة أساسية من الشهداء علي أبو طوق ومروان كيالي ثم بقائدها الأخ معين"[3]، إلا أنه يبين أن التيار كان قد تأسس قبل ذلك: " أعلنا التزامنا بالانتماء الى التنظيم الطلابي لحركة فتح ودخولنا في تيار منير شفيق بشكل كامل (١٩٧٣)[4]".

هذه الرواية هي تلك التي يؤكدها عصام السعدي أحد مقاتلي السرية الطلابية. يشرح السعدي أن التيار كان قد تشكل منذ بداية السبعينيات، كما يقول: "في بداية السّبعينات من القرن الماضي، تشكّلت داخل التنظيم الطّلابي لحركة فتح، في لبنان مجموعة من الشباب والشّابات، يحملون الفكر الماركسي ويحلمون بالاشتراكية، وتحرير فلسطين.. مع بداية الحرب الأهلية في لبنان وجدت هذه المجموعة نفسها في أتون حرب لا تريدها... تشكّلت من هذه المجموعة خلال سنوات الحرب الأهلية سريّة عسكرية طلّابية، وهي ما عرف في ذلك الوقت باسم «السريّة الطلّابية»."[5]

اعتبار العام ١٩٧٣ تاريخ التأسيس هو ما يذهب إليه أنيس النقاش ومحاوره صقر أبو فخر في المحاورة التي حملت عنوان "أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار"، إذ ينسب النقاش تأسيس السرية الطلابية إلى مقترح قدمه إلى جواد أبو شعر قائد الميليشيا في لبنان لحل

---

[1]. حمدي التميمي هو الاسم الحركي لمحمد باسم سلطان. صاحب دور مركزي في الكتيبة الطلابية، وفي التيار الذي كان منير شفيق مفكره ومنظره الأبرز. كان حمدي صاحب دور أساسي في التحول نحو الإسلام إلى جانب أبو حسن قاسم، وفي الدفع نحو تنفيذ العمليات العسكرية داخل الأرض المحتلة، وتأسيس سرايا الجهاد الإسلامي كما سيأتي، وقد استشهد مع أبو حسن قاسم (محمد محمد بحيص) ومروان كيالي في ليماسول بقبرص في ١٤ شباط ١٩٨٨.

[2]. خليل النبتيتي، **في الطريق إلى فلسطين: سيرة نضالية**، (عمان: دار الشروق، ٢٠١٤): ص٢١.

[3]. سعود المولى، "سعود المولى: شبه سيرة ذاتية"، *مدونة سعود المولى على شبكة الإنترنت*، http://saoudelmawla.blogspot.com/2011/07/blog-post_13.html، والمادة منشورة بتاريخ ٢٠١٣/٧/١٣. واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/٤.

[4]. المصدر السابق.

[5]. عصام السعدي، "من دفاتري العتيقة: قليل من المكاشفة، وقليل من الفَضْفَضَة (عن الكتيبة الطّلابية، وخطّ الجماهير)"، صفحة عصام السعدي على موقع facebook. والنص منشور بتاريخ ٢٠١٣/٣/١. واسترجعه الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/٧.

الخلافات التي دبت في أوساط التنظيم الطلابي[1]، وكان ملخص المقترح عقد معسكر تدريبي يلتقي فيه الطلاب لمناقشة جميع المسائل إضافة إلى التدريب اليومي ودراسة حرب الشعب[2]، وهذا المعسكر عقد في أواخر العام ١٩٧٣[3]، وفيه بحسب رواية أنيس النقاش ظهرت فكرة تأليف نواة مسلحة ومتماسكة من التنظيم الطلابي[4]. بعد ذلك وفي الحرب الأهلية كانت النواة المسلحة للتنظيم الطلابي موجودة وفاعلة[5].[6]

بينما يقول عبد الهادي خليل أبو جودة، أحد مقاتلي السرية، أن تأسيس السرية كان مع الكتاب الذي ألفه الشهيدان سعد جرادات وأبو خالد جورج عام ١٩٧٥، وعنوانه «المسلكية الثورية»"[7]، لكن الحقيقة أن هذا الكتاب والذي عنوانه الصحيح "أفكار ثورية في ممارسات القتال" صدر في العام ١٩٧٨ بعد استشهاد كل من سعد جرادات وأبو خالد جورج، وهو حصيلة جهد جماعي لمقاتلي الكتيبة، وتولى تحريره منير شفيق، كما تبين مقدمة الكتاب[8].

بالنسبة لمنير شفيق فإنه لا يعطي تاريخًا محددًا في النص الأبرز الذي كتبه عن تجربة التيار "شهداء ومسيرة"، خاصة وأن الكتاب يفتقر إلى التأريخ، وإن كانت الأحداث التي يغطيها الكتاب بالتحليل تبدأ من العام ١٩٧٣[9]، مع إشارة في مقدمة الكتاب إلى أن التيار ترعرع من خلال تجربة الثورة الفلسطينية في النصف الثاني من السبعينيات[10]، ويشير إلى السرية الطلابية في مرحلتها التالية بعد نزولها إلى الجنوب وتحولها إلى كتيبة الجرمق[11]، لكن يمكن القول بناء على رواية أخرى لمنير شفيق أن البداية الأولى للتيار كانت باتفاقه مع أبو

---

[1]. يعطي فتحي البس في كتابه انثيال الذاكرة فكرة عن خلافات التنظيم الطلابي في لبنان وعلاقة تلك الخلافات بالقيادة وإقليم لبنان.

[2]. لا يذكر أحد ممن تحدثوا عن معسكر مصياف، مثل معين الطاهر وشفيق الغبرا، دور أنيس النقاش في عقده. ويأتي ذكر أنيس النقاش في هذا المعسكر بصفته من القلة التي أيدت ياسر عرفات في طرح مشروع الحل المرحلي. وقد سبق ذكر المعسكر وما حصل فيه من حوار مع ياسر عرفات.

[3]. هذا التاريخ الذي ذكره كل من شفيق الغبرا ومعين الطاهر، بينما يقول أنيس النقاش أنه عقد في العام ١٩٧٤.

[4]. صقر أبو فخر، **أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار**، مصدر سابق، ص٩٥-٩٧. ويعرف صقر أبو فخر في هامش الصفحة ٩٥ الكتيبة الطلابية بأنها تألفت "أثناء اشتباكات أيار في العام ١٩٧٣، وشاركت في محاور القتال في الجنوب اللبناني وفي الجبل وبيروت إبان الحرب الأهلية. ومن أبرز عناصرها: عبد القادر جرادات (سعد) الذي استشهد على محور الناصرة في بيروت ومثل الكتائبيون بجثته التي لم يظهر لها أثر، وعلي أبو طوق الذي اغتيل في مخيم شاتيلا في ١٩٨٧/١/٢٧ وجورج عسل (أبو خالد) شقيق منير شفيق الذي استشهد في عينطورة، ومعين الطاهر الذي أصيب في معركة الشقيف سنة ١٩٨٢، وأمين العنداري والشهيد طوني النمس".

[5]. المصدر السابق، ص٩٧.

[6]. كان أنيس النقاش مسؤول التنظيم الطلابي لفتح في الثانويات قبل أن يتولى مسؤوليته كل من علي أبو طوق وسعود المولى، وشارك في معسكر مصياف، لكن الروايات المتاحة تنفي أنه كان في السرية الطلابية، كما يذكر ذلك شفيق الغبرا في كتابه **حياة غير آمنة**، مصد سابق، ص٢٣٩، وكما يذكر سعود المولى بأن النقاش كان في فتح ولكن ليس في الكتيبة الطلابية. انظر: سعود المولى: شبه سيرة ذاتية، مصدر سابق. أما فتحي البس فيقول عن أنيس النقاش الذي كان مسؤول الثانويات: "لاحظنا أن أنيس النقاش لا يلتزم بتوجيهاتنا، ووردت إلينا أنباء عن اتصالاته بالأجهزة الأمنية. تحسسنا دائمًا من الأجهزة، مع أننا نؤمن بأهميتها وضرورتها الوطنية. لم نخرجه من دائرتنا ولكننا أضمرنا محاصرته". انظر: فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص١٣٩. وعلى أية حال فإن النقاش نفسه يقول: "لم أكن متفرغًا في الكتيبة. لكن بما أنني المسؤول التنظيمي عن الطلاب كنت أتابع من نرسلهم إلى الكتيبة، وأشرف على إعدادهم السياسي". صقر أبو فخر، **أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار**، مصدر سابق، ص٩٨.

[7]. عبد الهادي خليل أبو جودة، "مذكرات فدائي (1).. من مقاومة العدو في «شقيف» إلى قتال الإخوة في طرابلس"، وكالة وطن للأنباء على شبكة الإنترنت، نشر بتاريه ٢٠١٤/٣/٢٤. واسترجعه الباحث بتاريخ ٢٠١٥/٦/١. http://www.wattan.tv/ar/news/89231.html

[8]. سعد وأبو خالد، **أفكار ثورية في ممارسة القتال**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨): ص٦. وانظر: معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[9]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٣. والباحث يملك نسخة من طبعة الكتاب الأولى وهي مؤرخة في العام ١٩٧٨،

[10]. المصدر السابق، ص٢.

[11]. المصدر السابق، ص٥٤.

حسن قاسم على تجاوز حالة النقد اليساري إلى الفعل المباشر، وقد كان ذلك في العام ١٩٧٢[1]، كما أن شفيق يتحدث في واحدة من المحاورات معه[2] بأن هذا التيار بدأ بإرسال المقاتلين لتعزيز جبهة الجنوب منذ معركة العرقوب[3] والتي امتدت من ٢٥- ٢٨ شباط ١٩٧٢، أي قبل أحداث أيار ١٩٧٣، وقبل معركة كفر شوبا في كانون ثاني ١٩٧٥.

أما المصادر الأخرى التي تحدثت عن تيار الكتيبة الطلابية على وجه الخصوص، فإن نيكولا دوت بوبار في دراسته "اليسار المتحول للإسلام: قراءة في حالة الكتيبة الطلابية لحركة فتح" يجعل من العام ١٩٧٤ تاريخ التأسيس[4]، بينما يتحدث مانفريد سينغ عن العام ١٩٧٦ كتاريخ لتأسيس السرية الطلابية قائلاً: "في العام ١٩٧٦ شكل الماويون ما يسمى السرية الطلابية أو الكتيبة الطلابية التي أصبحت النواة التنظيمية للمقاتلين الناشطين في مختلف مناطق بيروت الغربية. وتم تعديل اسم السرية في العام ١٩٧٧ لتصبح «كتيبة الجرمق» انتقلت إلى جنوب لبنان حيث خاضت، كجزء من قوات العاصفة، معارك ضد جيش لبنان الجنوبي."[5]

يطرح أكرم حجازي في دراسته الموسومة بـ "الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة من الداخل: بحث سوسيولوجي في تاريخية المنظمات الفدائية والجماعات الإسلامية"، رأيًا يلاحظ تأسيس السرية الطلابية منذ أحداث أيار وصولاً إلى الحرب الأهلية اللبنانية، حيث يقول إن "أحداث أيار كانت الشرارة الأولى في إخراج الجسم الطلابي من أحرامه الجامعية وإشراكه في مهمة الدفاع عن الثورة. وتبعًا لذلك تقرر تشكيل مجموعات عسكرية من التنظيم الطلابي استهدفت بالدرجة الأولى حراسة معبر جسر الكولا – الجامعة العربية على الساحل الغربي لمدينة بيروت والمدخل الرئيسي نحو المخيمات ومقرات المنظمات الفلسطينية ومؤسساتها القيادية والإعلامية والمالية.. استمرت المجموعات العسكرية الطلابية بأداء مهماها حتى وقوع حادثة «عين الرمانة» في ١٣ نيسان ١٩٧٥.. [حتى] وجهت الأنظار نحو الحركة الطلابية حيث المجموعات العسكرية الأولى مثلت المدخل إلى تشكيل «السرية الطلابية».."[6]

من جهته لا يعطي يزيد الصايغ تاريخًا محددًا عن السرية الطلابية، وإن كان يشير إليها في عدد من المواضع في كتابه[7] "الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٩-١٩٩٣: الكفاح المسلح والبحث عن دولة"، كما يتحدث عن التيار الذي يسميه الاتجاه الماوي، والذي تأسس بحسب، يزيد صايغ، نتيجة للبحث عن خط سياسي صحيح، على يد منير شفيق، والذي كان من الشخصيات القليلة البارزة في هذا

---

[1]. سبق ذكر هذه الرواية في صفحات سابقة، وانظر مجددًا: برنامج كل الحكاية مع منير شفيق، مصدر سابق، الحلقة ٩. وبرنامج مراجعات مع منير شفيق مصدر سابق، حلقة ٣. ومنير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٣٣.

[2]. منير شفيق، برنامج مراجعات، ح٣، مصدر سابق.

[3]. كتب منير شفيق تحليلاً عسكريًا لمعركة العرقوب في حينه. انظر: منير شفيق، "معركة العرقوب عسكريًا"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٩، (أيار ١٩٧٢): ص٧٠-٧٨.

[4]. نيكولا دوت بوبار، **اليسار المتحول للإسلام: قراءة في حالة الكتيبة الطلابية لحركة فتح**، مصدر سابق، ص٧.

[5] .Manfred Sing, "Brothers in Arms: How Palestinian Maoists Turned Jihadists", *Die Welt Des Islams*, v51, (2001) p1-44

[6]. أكرم حجازي، **الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة من الداخل: بحث سوسيولوجي ي تاريخية المنظمات الفدائية والجماعات الإسلامية**، مصدر سابق. وقام البحث باختصار النص، وما بين المعكوفين [ ] من الباحث.

[7]. يتحدث مثلاً عن الكتيبة الطلابية في سياق الحرب الأهلية في صفحة ٥٨٠، وعنها في سياق الحديث عن النزول إلى جنوب لبنان والتوسع في عدد الوحدات المقاتلة في الجنوب في صفحة ٦٣٦، وعنها في سياق حرب العام ١٩٨٢ في صفحة ٧٨٥. انظر: يزيد الصايغ، مصدر سابق.

التيار، وإن كان قد حشد عددًا كبيرًا من الأتباع بين فروع فتح الطالبية في لبنان والخارج طوال الأعوام القليلة التالية، وجذب كوادر كبارًا من القطاع الغربي كمحمد بحيص (أبو حسن) وباسم التميمي (حمدي) ونائب رئيس مكتب شؤون الأردن سعد جرادات، إضافة إلى لبنانيين ماويين ناشطين أبرزهم من انفصل عن منظمة العمل الشيوعي في لبنان سنة ١٩٧٢.[1]

أما موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية فإنها تذهب إلى أن الكتيبة الطلابية "إطار فتحاوي وطني وحدوي تشكل في العام ١٩٧٦م مع بدايات الحرب الأهلية في لبنان، من متطوعين لبنانيين وفلسطينيين وعرب من طلاب الجامعات والمعاهد والمدارس الثانوية، بهدف الدفاع عن استقلالية القرار والوجود الفلسطيني وحماية الأرض والجماهير اللبنانية والفلسطينية، إضافة إلى تجسيد أهداف ومنطلقات الثورة عمومًا، وتنمية خط الجماهير بشكل خاص."[2]

ج. خلاصة التأسيس، والأفكار الأولية، والبنية القيادية:

هناك إطاران متداخلان يجعلان عملية تحديد تاريخ نهائي للتأسيس مسألة غير متاحة، ذلك لأن الحديث لا يقتصر على السرية الطلابية، والتي تحولت في وقت لاحق إلى الكتيبة الطلابية، ثم كتيبة الجرمق، كتشكيل عسكري، وإنما عن تيار أوسع كانت السرية الطلابية طليعته المقاتلة الأساسية، ولذلك فإن هذه الدراسة اختارت عنوان "تيار الكتيبة الطلابية" للجمع ما بين التيار الواسع وطليعته القتالية الشهيرة التي عرفت باسم الكتيبة الطلابية. وعن هذا الاختزال الذي يختصر التيار الواسع في الكتيبة الطلابية يقول معين الطاهر الذي أصبح قائدًا لها في وقت لاحق: "ثمة خطأ شائع يرتكبه الجميع، أو ربما نغرق فيه جميعًا، مثال على ذلك، ثمة دراسة صادره عن جامعة الاسكندرية، ضمن سلسلة مراصد، بعنوان «التحول من اليسار إلى الاسلام الكتيبة الطلابية نموذجًا"،وقد خلطت بين ما يعرف بالكتيبة الطلابية، أو كتيبة الجرمق في قوات العاصفة ضمن حركة فتح من جهة، وبين تيار أعم وأشمل وأوسع، لا تعدو الكتيبة إلا أن تكون جزءًا يسيرًا منه من جهة أخرى، وهي بهذا غلبت الجزء على الكل. ذلك أن البحث عن كتيبة الجرمق وبداياتها في التنظيم الطلابي لحركة فتح، أمر أكثر سهولة وأقل تعقيدًا من البحث في نشوء التيار الأشمل وما آل إليه.[3]"

والخلاصة أن ثمة تيارًا يساريًا بدأ يتشكل ملتفًا حولاً أطروحات منير شفيق والتي اتخذت عناوين مركزية كان أبرزها خط الجماهير، أي التعلم من الجماهير واختبار الأفكار بالممارسة العملية بين الجماهير واشتقاق النظرية الثورية من هذه الجماهير التي يجب الالتصاق بها واحترامها واحترام ثقافتها وتاريخها. وكذلك نظرية التناقضات كمحور أساسي في أطروحات التيار التي تعتبر أن التناقض الرئيسي مع العدو الصهيوني، وهو تناقض من طراز التناقض العدائي الذي يتميز بطبيعة عدائية مكشوفة، أي من طراز التناقض الذي لا يحلّ إلا بالكفاح المسلح. بيد أن هذا التناقض الرئيسي لا يمكن تحديده دون تحديد التناقضات الثانوية، في أثناء معالجة التناقض الرئيسي[4]،

---

[1]. المصدر السابق، ص٥٠٨-٥٠٩

[2]. مجموعة مؤلفين، **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، تحرير: محمد اشتية، (القدس: المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، ٢٠١٣): ص٤٤٧.

[3]. معين الطاهر، ورقه مقدمة إلى ندوة مؤسسة الدراسات الفلسطينية حول تجربة الكتيبة الطلابية، ندوة مغلقة نظمتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية في ١٩ حزيران ٢٠١٣.

[4]. منير شفيق، **حول التناقض والممارسة في الساحة الفلسطينية**، مصدر سابق، ص١٣، ص٦٤.

ومن هذه التناقضات التناقض مع الرأسمالية الوطنية[1]، والتناقض داخل صفوف الثورة (بين مختلف المنظمات)[2]، والتناقض مع "الأنظمة العربية الرجعية المتحالفة مع الإمبريالية"، مع التمييز بين "الرجعية العربية المتاخمة لخطوط المواجهة مع العدو" وبين "الرجعية العربية في أطراف الوطن العربي"[3]، والتناقض مع الأنظمة العربية المعادية للإمبريالية[4]، والتناقضات بين صفوف الجماهير[5].

يفرض هذا التصور بأن تكون مهمة الثورة الفلسطينية الأولى والرئيسية في توجيه سلاحها وكامل نشاطها الثوري ضد العدو الصهيوني، الأمر الذي يتطلب تجنيب الثورة الحصار وحمايتها من الاختناق والاقتتاع، وبما يؤمن تصعيدها على النحو الذي يؤدي إلى خلق مناخ ثوري جديد[6]، ولهذا رأى التيار أن موقعه خارج التناقضات التي يركز عليها اليسار التقليدي ما بين بروليتاريا وبرجوازية صغيرة، وخارج التناقض مع القيادة المتنفذة في فتح ومنظمة التحرير رغم الخلاف معها على مشروع التسوية، وخارج التناقض مع الجماهير العربية والإسلامية بثقافتها العربية الإسلامية، ومن ثم أمكن للتيار أن يركّز جهوده في الصراع مع الاحتلال، وفي هذا السياق كان انخراطه في الحرب الأهلية مضطرًا لحماية الثورة والوجود الفلسطيني في لبنان ولفرض موازين قوى جديدة تؤدي إلى وقف عادل للحرب يتيح للفلسطينيين استكمال ثورتهم.

واستمر هذا التيار طوال فترة الوجود الفلسطيني في لبنان في التمايز، إن في موقفه الرافض للحرب الأهلية رغم انخراطه فيها، أو في موقفه الرافض للاستمرار في الصراع مع السوريين رغم مشاركته الفاعلة في ذلك الصراع، أو في سعيه للتقرب من الجماهير ومراعاة ثقافتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، ومحاولة مد الخطوط مع كل القوى والشرائح اللبنانية ولا سيما القوى الإسلامية السنية والشيعية، أو في موقفه الإيجابي الداعي إلى الوحدة العربية منطلقًا من شعار فتح القديم "تحرير فلسطين طريق الوحدة العربية"، إذ اعتقد التيار بأن الكفاح المسلح لتحرير فلسطين يساعد على التعبئة الضرورية والمناخ الملائم من أجل تحقيق الوحدة العربية والتغيير العربي[7].

نتيجة قراءة خاصة لطبيعة فتح، وأحوال الثورة في حينه، من حيث إنه لا يمكن تحويل فتح إلى حزب ماركسي لينيني، كما أنه لا يمكن تغيير طبيعتها إلا بتغيير الحركة كلها، ومع الافتقار إلى وجود البديل، ولأن بعض ما يطرح يعني تحطيم الحركة التي تشكل العمود الفقري للثورة الفلسطينية، والتي حققت قدرًا كبيرًا من الإنجازات منذ قرارها بإطلاق الثورة الفلسطينية، وإعادة المبادرة للكفاح المسلح بعد هزيمة العام ١٩٦٧، والصمود في معركة الكرامة، وتقديمها العدد الأكبر من التضحيات في صفوف الثورة الفلسطينية، ونظرًا لنظرية التناقض التي صاغها التيار، وبسبب من طبيعة فتح التي تتيح للجميع النضال من داخلها، فإن التيار تبنى نظرية "قانون المحصلة"، ذلك لأن فتح

---

[1]. المصدر السابق، ص٦٦.

[2]. المصدر السابق، ص٨٥.

[3]. المصدر السابق، ص١١٨، ص١١٩.

[4]. المصدر السابق، ص١٢٤.

[5]. المصدر السابق، ص١٢٨.

[6]. المصدر السابق، ص٤٨، ص٤٩.

[7]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص١٠.

تتقدم على أساس نظام محصلة القوى[1]، أي أنه من الممكن التصحيح في المسار بحسب الجهد الذي تبذله القوى المختلفة داخل فتح، وهو ما يتطلب من التيار أن يكثف جهده النضالي ومسلكيته الثورية المتميزة، وأن يعزز خط الجماهير داخل فتح، وقد أخذت هذه النظرية تسميات أخرى، من قبيل "الحصوة التي تسند الجرة"، و"حمل كتف"، و"سد الثغرة"، أي المساهمة في حمل عبء نضالي، والتركيز على الجانب العملي، وتحت شعار: "المناضل الصلب في الموقع الصعب"[2]، وبهذا تمايز التيار بالخروج من حالة النقد السلبي إلى المبادرة العملية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الحالة الثقافية التي وسمت التيار من حيث تشكله في الأساس من طلاب الجامعات، والذي اهتم بالتنظير الفكري لمقولاته السياسية وآرائه الفكرية ومسلكيته الثورية وبصورة جماعية، كان من العوامل التي جعلت التيار عامل جذب للمئات من الكوادر الفلسطينية واللبنانية والعربية وغير العربية.

كانت الأفكار الأساسية التي تنشر في مقالات أو مؤلفات منير شفيق هي حصيلة نقاش جماعي، فما يكتبه منير شفيق "كان يخضع لدراسة دقيقة ومتأنية من جانب مجموعة كبيرة من الناس، وتدور حوله مناقشات حادة أحيانًا، وتتضمن تصحيحات وتصويبات أحيانًا أُخرى، بحيث إن الكلام الذي ينشره بعد ذلك، كان يعبّر عن رأي المجموعة. كان منير شفيق يلتزم بهذه القاعدة."[3]، وهو ما يؤكده منير شفيق نفسه الذي حصر دوره في صياغة النقاشات وما يجري الاتفاق عليه، فالكتابات كانت تناقش قبل نشرها، وتمر أثناء إعدادها على عدد من عناصر التيار منهم أبو حسن وحمدي. لقد كانت الأفكار وليدة عمل جماعي[4].

هذه الأسباب شكلت عامل جذب لآلاف الشباب الذي قدموا إلى التيار، أو إلى طليعته المقاتلة، حتى إن منير شفيق يذهب إلى أن عديد الكتيبة الطلابية قد وصل إلى ١٠٠٠ مقاتل، بينما تراوح من مرّ عليها من المتطوعين ما بين ٥٠٠٠ – ٧٠٠٠ متطوع[5]، وكان التيار، بحسب شفيق، يسيطر على كل الاتحادات الطلابية[6]، إلى أن قامت قيادة فتح بسحب الاتحادات من التيار بواسطة التعيين[7]، أما معين الطاهر فإنه يقدر العديد الثابت للكتيبة الطلابية بعد انتقالها إلى جنوب لبنان بـ ٢٠٠ مقاتل يرتفع في أوقات الاستنفار بإسناد من الخط السياسي والتنظيم السياسي سواء في الجامعات أو المناطق اللبنانية إلى ٥٠٠ مقاتل، بينما يتحدث شفيق الغبرا عن نمو التيار وتوسع الكتيبة الطلابية التي أصبحت في الجنوب في العام ١٩٧٧ تمثل خطًا سياسيًا وفكريًا له امتدادات في بيروت وفي

---

[1]. المصدر السابق، ص٣١، ص٣٢.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. المصدر السابق.

[4]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، مصدر سابق، الحلقة ١٠.

[5]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، حلقة ١٠، مصدر سابق.

[6]. وهو ما يؤكده سعود المولى بقوله: "كنا نسيطر على معظم الروابط الثانوية والاتحادات الجامعية باستثناء الجامعة اللبنانية التي تحالفنا فيها مع اليسار التقليدي أحيانًا ومع حركة الوعي في معظم الأوقات". انظر: سعود المولى، "سعود المولى: شبه سيرة ذاتية"، مصدر سابق.

[7]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، حلقة ١٠، مصدر سابق. وانظر أيضًا: برامج مراجعات، الحلقة ٣، مصدر سابق.

الأراضي المحتلة وفي العالم العربي[1]. أصبحت الكتيبة الطلابية نموذجًا جاذبًا للشباب من جنسيات مختلفة ومن الجامعات اللبنانية والأمريكية وبعض الجامعات العربية والأوروبية حتى صار يرتفع عديدها الثابت في الجنوب من ٢٠٠ مقاتل إلى المئات من القادمين من طرابلس وصيدا وبيروت والإمارات والكويت وأوروبا ودول العالم في أوقات الاستنفار[2].

تكونت الكتيبة الطلابية من مثقفين يتقنون العديد من اللغات، فأصبحت المكان المناسب لاستقبال عدد من الجنسيات بما فيهم الثوريون الإيرانيون من كل الاتجاهات، ماركسية وإسلامية[3]. واستقطب التيار ثوارًا ومتطوعين أتراكًا وغربيين أيضًا وهذا سوى العرب بطبيعة الحال[4].

ولهذا أمكن للعديد من الباحثين والدارسين وصف الكتيبة الطلابية بأنها "واحدة من التجارب الكبرى في النضال الفلسطيني والعربي"[5]، وأنها "لعبت دورًا من طراز رفيع عجزت أن تلعبه أية مجموعة داخل حركة فتح والثورة الفلسطينية منذ العام ١٩٧٣ وحتى اغتيال أبرز قادتها مطلع العام ١٩٨٨.[6]"، وأنها "من أغنى تجارب العمل الوطني العربي واللبناني والفلسطيني في تاريخ الصراع مع إسرائيل.[7]"، وأنها "أبرز واعظم تجربة سياسية–عسكرية نضالية طبقت حرب الشعب"[8]. " أفضل مدرسة في حركة «فتح»"[9].

وإذن، يمكن القول إن التيار بدأ بالتشكل من داخل التيار اليساري العام في فتح على خلفية الجدل والنقاش المثار حول نتائج أحداث أيلول، وهو ما يتصل بالبحث عن جذور التيار في كتابات منير شفيق الأولى سواء تلك التي جاءت بعد أيلول كالرد على جلال صادق العظم، أو حول الحل السلمي والبرنامج المرحلي، أو ما قبل ذلك كما في كتابه "حول التناقض والممارسة في الساحة الفلسطينية"، ويمكن اعتبار اتفاق شفيق مع أبو حسن قاسم في العام ١٩٧٢، البداية العملية الأولى التي التقت مع النشاط الطلابي في أحداث أيار ١٩٧٣ ثم في معسكر مصياف، حيث يشكل هذان الحدثان ببعديهما القتالي والسياسي بداية التبلور للطليعة المقاتلة للتيار والتي عرفت في مرحلتها الأولى باسم السرية الطلابية، ثم عرفت في وقت لاحق بعد نزولها إلى جنوب لبنان باسم الكتيبة الطلابية، و"كتيبة الجرمق"، وقد أخذت السرية الطلابية شرعيتها النهائية كتشكيل عسكري متقدم للتنظيم الطلابي وللتيار، يندرج في إطار ميليشيا فتح في لبنان مع انخراطها في الحرب الأهلية اللبنانية، منذ نيسان ١٩٧٥، ثم تعززت مكانتها بعدما نزلت إلى جنوب لبنان في العام ١٩٧٦ كما سيأتي.

---

[1]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص٢٥٨.

[2]. المصدر السابق.

[3]. من مقابلة سعود المولى الملحقة بدراسة نيكولا دوت بوبار، **اليسار المتحول للإسلام**، مصدر سابق، ص٣٠.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. من مقدمة المصدر السابق التي كتبها إلياس خوري وميشال نوفل.

[6]. أكرم حجازي، **الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة من الداخل: بحث سوسيولوجي ي تاريخية المنظمات الفدائية والجماعات الإسلامية**، مصدر سابق.

[7]. شفيق الغبرا، مصدر سابق، ٣٨٩.

[8]. سعود المولى، "سعود المولى: شبه سيرة ذاتية"، مصدر سابق.

[9]. أسعد أبو خليل، "المقاومة الفلسطينيّة والحرب الأهليّة اللبنانيّة"، *صحيفة الأخبار اللبنانية*، ٢٢ حزيران ٢٠١٣.

لطالما اعتبر منير شفيق الواجهة الأبرز للتيار، على الأقل بفعل كتاباته، رغم نفيه المستمر لدوره المركزي فيه[1]، وإن كان كل من كتب أو تحدث عن التجربة من أصحابها يؤكد على مركزية شفيق فيها[2]. أما أبو حسن قاسم فهو القائد الفعلي للتيار بمساعدة رفيقه حمدي التميمي، بينما قاد السرية الطلابية في المرحلة الأولى سعد جرادات ونائبه أبو الراتب، وفي المرحلة الثانية معين الطاهر ونائبه مروان كيالي، وعمومًا فإن حجم النواة القيادية كان واسعًا فإضافة إلى من ذكر كان هناك من الشخصيات القيادية أو صاحبة الدور البارز في التيار أو الكتيبة كل من هلال رسلان[3] وعصمت مراد[4] وعلي أبو طوق[5] ومحمود العالول[6] ونذير أوبري[7] وأبو خالد جورج[8]، وقيادات من بيروت والبقاع والجبل والهرمل، "وعدد من القيادات العربية المناضلة، لكنها لم تتشكل كلجنة مركزية، أو كمكتب سياسي، وإنما كانت نواة متماسكة ومتحركة، ومن دون هيكل تنظيمي أو نظام داخلي[9]."، وكان ناجي علوش في مرحلة مبكرة من المقربين من التيار إلا أنه ابتعد لجملة من الخلافات وانضم لجماعة أبو نضال ثم افترق عنه.

د. هل كانوا ماويين؟

إن أكثر من كتب عن هذا التيار وصفه بالاتجاه الماوي، أو بماويي فتح[10]. هذا الوصف أطلقه مبكرًا جلال صادق العظم على كل من ناجي علوش، ومنير شفيق، وهاني الحسن. حينها أكد ناجي علوش بأنه ليس هناك من يدعي من داخل فتح بأنه يمثل خطًا ماويًا،

---

[1]. راجع برنامج مراجعات، مصدر سابق، حلقة ٣. وبرنامج كل الحكاية، مصدر سابق، حلقة ١٠. لكن نيكولا دوت بوبار ينسب إلى منير شفيق في المقابلة التي أجراها معه وألحقها بدراسته "اليسار المتحول للإسلام" القول بأنه قائد للتيار وللكتيبة الطلابية. ص٢٢، لكن الباحث يشك في دقة ذلك بالنظر إلى تجنب منير شفيق المستمر ذكر دوره سواء في كتابه "شهداء ومسيرة" أو في جملة اللقاءات التي أجريت معه، وكان فيها غالبًا يقزم من دوره في مقابل تأكيده على دور البقية وخاصة أبو حسن قاسم.

[2]. أبرزهم معين الطاهر، سعود المولى، شفيق الغبرا، فتحي البس، خليل النبتيتي.

[3]. سوري من جبل العرب (الدروز)، أدى دورًا أساسيًا في تأسيس التيار، وجلب إلى التيار قواعد لا بأس بها من مناطق الشوف وجبل لبنان وسوريا لدعم التيار، عمل محافظًا لمدينة حلب وكان سفيرًا سابقًا لسوريا في الصين، غادر إلى لبنان بعد "الحركة التصحيحية" لحافظ الأسد عام ١٩٧٠، وتعاون مع منير شفيق في تأسيس وقيادة التيار، وتوفي بالسرطان عام ١٩٧٦.

[4]. لبناني من مدينة طرابلس، درس الطب في فرنسا، وأسس هناك اتحاد الخلايا اليسارية، انضم إلى حركة فتح، وأسس مجموعات العمل العربية التي أصبحت لاحقًا في صلب الكتيبة الطلابية، ثم أسس حركة لبنان العربي التي كانت مرتبطة عضويًا وتنظيميًا بفتح، ومع موجة التحول إلى الإسلام، انتقل إلى الإسلام مساهمًا في تأسيس حركة التوحيد الإسلامية. قتل في كمين مسلح في آب ١٩٨٤.

[5]. واحد من أبرز مؤسسي وقيادات الكتيبة الطلابية، شارك في تأسيس اتحاد طلبة الضفتين في الأردن إلى جانب معين الطاهر، ثم نشط بعد انتقاله إلى لبنان في الاتحاد العام لطلبة فلسطين، وأشرف على التنظيم الطلابي لفتح للثانويات، وقاتل في أحداث أيار ١٩٧٣، وأصبح بعد ذلك من أبرز قيادات الكتيبة الطلابية خاصة بعد انتقالها إلى الجنوب، وتميز بموقعه كمسؤول للإدارة (عن التموين والسلاح والمخازن)، ثم تميز في عمليات حرب الاستنزاف التي تلت الغزو الصهيوني للبنان في العام ١٩٨٢، وقتل في حصار المخيمات في العام ١٩٨٧، واختلفت الروايات بشأن الجهة التي وقفت خلف اغتياله، إن كانت حركة أمل أو فتح الانتفاضة.

[6]. كان صاحب دور مركزي في الكتيبة الطلابية، وقامت إحدى الدوريات التابعة له بعملية الأسر الكبيرة في العام ١٩٨٢ حيث أسرت ثمانية جنود صهاينة. عاد محمود العالول مع السلطة الفلسطينية إلى الضفة الغربية، وأصبح محافظًا لمدينة نابلس، ثم وزيرًا، ثم عضوًا في اللجنة المركزية لحركة فتح.

[7]. لبناني، قدم إلى فتح من منظمة العمل الشيوعي، ثم توفي بالمرض.

[8]. جورج شفيق عسل، شقيق منير شفيق، قتل في الحرب الأهلية اللبنانية في معركة صنين في آب ١٩٧٦.

[9]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

وإن كان سعود المولى يصف التيار بأنه حزب ماركسي لينيني ماوي: "وخلال هذه المرحلة الماوية التقينا بمنير شفيق واندمجنا معه وأسسنا حزبًا ماركسيًا لينينيًا ماويًا داخل حركة فتح"، لكن لا يبدو أن الأمر كان على هذا النحو بالنظر إلى بقية الروايات. انظر: سعود المولى، "سعود المولى: شبه سيرة ذاتية"، مصدر سابق.

[10]. انظر: يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٠٨. ونيكولا دوت بوبار، مصد سابق، ص٦، وManfred Sing ، مصدر سابق، ونبيل عمرو، مصدر سابق، ١٢٠-١٢١، وأسعد أبو خليل، "المقاومة الفلسطينيّة والحرب الأهليّة اللبنانيّة"، مصدر سابق. يصف أسعد أبو خليل منير شفيق بأنه: "من أبرز منظّري تطبيق الماويّة على الواقع الفلسطيني في السبعينيات".

كما أنه يرى أن هذه التسمية ليست صحيحة فيما يتعلق بالثورة والقضية الفلسطينية، ولكن الأصح بحسب علوش أن يقال هنالك خط ثوري صحيح أو غير صحيح، بالإضافة إلى أن ماو لم يعالج قضايا الثورة الفلسطينية، فهو ليس مطالبًا بأن يطرح خطًا للثورة الفلسطينية والثورة العربية، لأن ذلك من واجب الثوريين العرب[1].

إلا أن منير شفيق من جهته وإن كان يبدي استغرابه من إطلاق هذه التسمية، متسائلاً "ما القصد من هذه التسمية؟ والأهم على أي شيء ارتكز [يقصد جلال صادق العظم] في إطلاق هذه التسمية؟"[2]، فإنه في ذات السياق المتصل ينبه إلى "أن أفكار ماوتسي تونغ هي الماركسية اللينينية في أرقى تطور لها حتى الآن، وليست شيئًا مختلفًا عن الماركسية اللينينية. وإضافة إلى ذلك لا يوجد هنالك الآن شيء اسمه الماركسية اللينينية دون أفكار ماوتسي تونغ، تمامًا وبالمعنى نفسه، كما لم يعد بعد لينين هنالك ماركسية بدون لينينية"[3]. يقصد منير شفيق القول بأن أفكار ماوتسي تونغ هي عينها الماركسية، وليست شيئًا منفصلاً يحمل تسمية قائمة بذاته، لكن هذا في المقابل لا يعني أنه ليس ماويًا من وجهة نظر الأحزاب والقوى والتيارات التي تتبع الاتحاد السوفييتي، بالنظر إلى الصراع السياسي والفكري الذي كان قائمًا بين الصين والاتحاد السوفييتي في فترة خروتشوف الذي اتهمه الصينيون بالتحريفية[4].

---

[1]. من نص ناجي علوش في: **رأيان في كتاب: «دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية»: هل هو نقد لفكر المقاومة حقًا؟"**، مصدر سابق. وتجدر الإشارة إلى أن هذا النص لناجي علوش نشر في أيار ١٩٧٣، أي في مراحل التشكل الأولى للسرية الطلابية قبل أن تتبلور في الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥، بمعنى أنه كتبه قبل افتراقه عن منير شفيق خصوصًا وعن التيار عمومًا.

[2]. منير شفيق، **الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم**، مصدر سابق، ص١٤٨-١٤٩. وما بين المعكوفين [ ] من الباحث.

[3]. المصدر السابق، ص١٤٩.

[4]. بدأ الخلاف الصيني السوفييتي مبكرًا في بداية الخمسينات، وإن مكتومًا ومتعلقًا في البداية بخلافات صينية داخلية حول الصورة التي ينبغي أن يكون عليها الجيش الصيني، حيث أراد وزير الدفاع الصيني بنغ ته خوي تنظيم الجيش الصيني على غرار الجيش السوفييتي. لم يكن ماو يرى الجيش السوفييتي النموذج الذي يحتذى ويناسب الصين. في وقت لاحق رأي ماو بأن الأمريكان لن يهاجموا الاتحاد السوفييتي وأبدى قلقه من أن تكون الصين ساحة للصراع بين الاتحاد السوفييتي والأمريكان، مؤكدًا بأن الصين لن تحارب إذا لم تهاجم، وانطلاقًا من هذه الخشية بدأ يبحث عن القوة النووية للصين. من جهته كان بنغ ته خوي يبشر بالمظلة النووية السوفييتية بينما كان ماو يريد قوة نووية صينية ذاتية. قدم الاتحاد السوفييتي مقترحات للتعاون رأى فيها ماو مقترحات غير معقولة الغاية منها وضع الصين تحت الإشراف العسكري السوفييتي، كما أن الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٥٨ كان قد قبل بعقد اجتماع لمجلس الأمن بخصوص التطورات في الشرق الأوسط، وهو ما رفضه الصينيون لأن مقعدهم في مجلس الأمن كان لا يزال يحتله ممثلو تشان كاي تشك، بعد ذلك بدأ خروتشوف انتقاد ماو ويصفه تلميحًا بالدوغمائية، وينتقد مشاريع القفزة الكبرى إلى الأمام والكومونات، وألغى الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٥٩ الاتفاق النووي الذي كان قد وقعه مع الصينيين في العام ١٩٥٧، هذا الصراع السياسي والذي كان نابعًا من رغبة ماو في الاستقلال عن الاتحاد السوفييتي، وخشيته من محاولات الهيمنة السوفييتية والتي بدأت تأخذ منحًا إمبرياليًا وتسعى للتصالح مع الرأسمالية؛ اتخذ طابعًا إيديولوجيًا، فبينما كان الروس يملكون عددًا من الأسلحة: الضغط الاقتصادي، الضغط السياسي، حلفاؤهم في أوروبا الشرقية، لم يكن ماوتسي تونغ يملك إلا سلاح الجدل الإيديولوجي المتلفع بثوب الدفاع عن الماركسية اللينينية. في خطابه في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ألقى خروتشوف خطابًا بدا انقلابًا على مبادئ الماركسية اللينينية بالتأكيد على الخيار السلمي والبرلماني للتحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية، وهو ما ردت عليه مجلة العلم الأحمر وجريدة الشعب الصينيتين في مقال طويل بعنوان "تعيش اللينينية" نشر في نيسان ١٩٦٠، بعد ذلك وعلى ضوء هذا الخلاف استدعى خروتشوف الخبراء السوفييت من الصين، وألغت بعد ذلك الحكومة الصينية من طرفها عددًا كبيرًا من الاتفاقات والمشاريع، وإضافة إلى ذلك فقد نشب نزاع حدودي بين البلدين انطلق في العام ١٩٦٦. ويمكن القول: أن الصراع في أساسه سياسي متعلق بالنزعة القومية الصينية في مقابل نزعة الهيمنة السوفييتية إضافة إلى التنافس على النفوذ لدى حركات التحرر في العالم الثالث، حيث اتهم ماو سياسات السوفييت بأنها تكرس الجمود لا التعبئة الثورية، ولكن هذا النزاع اتخذ من الجدل الإيديولوجي سلاحًا فعالًا في زمن سطوة الإيديولوجيا.

بخصوص هذا المادة عن النزاع السوفييتي الصيني انظر:

هان سوين، **اليوم الأول في العالم: ماوتسي تونغ والثورة الصينية ١٩٤٩-١٩٧٥**، ترجمة: هلال محمود سعد (بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٧٩): ص١٣٧-١٤٠، ص١٤٣، ص١٥١، ص١٥٧، ص١٦١-١٦٥.

نبيهة الأصفهاني، "أبعاد النزاع الصيني السوفييتي"، *مجلة السياسة الدولية*، عدد ١٧، (يوليو ١٩٦٩): ص١٣٥- ١٤٩.

لكن ما هو أثر الماوية في التيار في ذلك الحين؟

راهنًا ينفي منير شفيق انتسابهم إلى الماوية، ولكن موقفهم المتحفظ من الاتحاد السوفييتي، وشعورهم بالموقف المتقدم للصين في دعم الثورة الفلسطينية بلا املاءات، إضافة إلى اتساع التيار للماويين في مقابل إغلاق الأبواب في وجوههم من قبل الأحزاب والقوى والتيارات الفلسطينية المتجهة صوب الاتحاد السوفييتي؛ أتاح للآخرين وصفهم بالماويين. في هذا الصدد فإن كل نقد للاتحاد السوفييتي كان يفسر على أنه نقد ماوي[1]، وهنا يؤكد منير شفيق أنه كان أكثر تأثرًا بهوتشي منه الذي ترجم كل أعماله، فقد حرره هوتشي منه من هيمنة الماركسية الغربية، واستفاد منه المنهج العملي أساسًا من حيث انتهاج البساطة والتقرب من الشعب[2].

ومع ذلك فإن منير شفيق كان قد انتبه مبكرًا لأطروحات ماو في العام ١٩٥٤ في الفترة التي كان لا يزال فيها عضوًا شيوعيًا متواضعًا. في هذا العام التقى مع خالد بكداش[3] بحضرة محمود أمين العالم[4]. روى لهم بكداش في هذا اللقاء حادثة جمعت ماوتسي تونغ بأحد الشيوعيين المغاربة[5]، حينما سأله ماو عن عبد الكريم خطابي وثورته، ولم يكن لدى الشيوعي المغربي شيئًا يقوله. في هذا اللقاء الذي جمع الزعيم الشيوعي الصيني بالشيوعي المغربي، قال ماو: "لقدت استفدت في حروب العصابات والغوار من ريبورتاج صحفي فرنسي قرأته عن الخطابي"، وكان بكداش يتساءل كيف لا نهتم بتراثنا مثلما استفاد منه ماوتسي تونغ؟![6]

يروي بكداش محاورة أخرى، كانت قد جمعته بماوتسي تونغ. هذه المحاورة أثرت في منير شفيق مبكرًا. في هذه المحاورة يسأل ماوتسي تونغ بكداش إن كان شعبهم مسلمًا، وحينما يجيبه بكداش بالإيجاب، يسأله ماو عن الكيفية التي يتعاملون بها مع الإسلام، فيجيبه بكداش بأنهم لا يعبرون عن موقف سلبي أو إيجابي، ولكنهم يهتمون بالسياسة والنظرية ولا يتعرضون للإسلام بالنقد أو الهجوم. ثم يسأله ماو إن كان الناس في قرية ما حينما يذهبون إلى الصلاة، وكان بفرقتهم أحد الشيوعيين هل يشاركهم الصلاة؟ فيجيب بكداش: بأنه يبقى خارج المسجد ينتظرهم، ليأتي اعتراض ماو بأن الصواب يقضي بأن يشاركهم صلاتهم ليبقى ضمن مجموع الناس[7].

في هذا اللقاء يسأل بكداش محمود أمين العالم، كيف يمكن لابن الصعيد أن ينتخب الحزب الشيوعي المصري وزعيمه يهودي[8]؟![9]

يقول منير شفيق اليوم وهو يستعيد ذلك الزمن بأنه اقتنع بنظريتين في الماركسية واحدة لماوتسي تونغ، والأخرى لماركس. الأولى: هي

---

[1]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، حلقة ١٠، مصدر سابق.

[2]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، حلقة ٧،، مصدر سابق.

[3]. كان أمينًا عامًا للحزب الشيوعي السوري.

[4]. كان أحد أقطاب حركة اليسار في مصر.

[5]. علي يعته.

[6]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، الحلقة ٦.

[7]. المصدر السابق.

[8]. هنري كوريل.

[9]. المصدر السابق.

مفهوم ماو حول خط الجماهير، هذا المفهوم وصل بشفيق وعدد لا بأس به من رفاقه في التيار إلى الإسلام. وأما الثانية: فهي المقولة الماركسية التي تعرف الطليعة الثورية بأنها القابلة القانونية التي يولد التاريخ على يديها، وهذا يعني أن شروط أي ثورة تأتي من داخل المجتمع، فالتاريخ معطى أولي موجود أصلاً قبل الطليعة الثورية، أو قبل القابلة القانونية، التي وظيفتها تعزيز العناصر الثورية، لكن لا يمكنها تغيير السمات التاريخية للمولود الثوري[1]. لقد ساعدت هذه النظرية منير شفيق ورفاقه على اكتشاف السمات الإسلامية لأي ثورة ينبغي أن تنجح في البلاد العربية والإسلامية، ولكن هل كانت ماركسية منير شفيق تقتصر فقط على هاتين النظريتين، كما يبدو له الأمر اليوم؟!

لا شك أن منير شفيق كان ماركسيًا، بل وكان شيوعيًا. إن خلافه في البداية مع الحزب الشيوعي الأردني تعلق بمسائل سياسية، وهي الموقف من تبعية الحزب للاتحاد السوفييتي وافتقاره إلى الاستقلالية، وموقف الحزب السلبي من عبد الناصر ومشاريع الوحدة العربية، وموافقته على قرار التقسيم وامتناعه عن الكفاح المسلح. أما إيديولوجيًا فقد بدأت تظهر، لدى شفيق، ثغرات في النظرية الماركسية دون أن ترقى إلى مستوى نقدها، وذلك أثناء اعتقاله الطويل في سجون الحكرمة الأردنية الذي بدأ في العام ١٩٥٧ وخلال تدريسه للديلكتيك داخل السجن. لم يكن الحزب الشيوعي الأردني في ذلك الوقت يهتم بالنظرية، كان الانتساب إلى الماركسية في حقيقته انتساب سياسي، ومن ثم كان الخلاف في جوهره بين منير شفيق والحزب سياسيًا، بيد أنه وفي مرحلة لاحقة وبعد تحولات منير شفيق والتحاقه بحركة فتح، بات الشيوعيون الذي رافقوه في الحزب يرونه ماويًا، كما يروي نعيم الأشهب[2]: "كان منير أحد رفيقين علقت الآمال على سرعة تطورهما في الحزب، من بين العضوية التي كنت مسؤولاً عنها. وقد صمد داخل الجفر ثماني سنوات حتى خرج مع الآخرين في ربيع ١٩٦٥. ولكن وبمجرد خروجه من المعتقل ابتعد عن الحزب. وحينها، كان هناك اعتقاد أن مرد ذلك تأثره بالأفكار الماوية المتطرفة.. وبعد العدوان الإسرائيلي ١٩٦٧، انضم إلى أحد الأجنحة المتطرفة في حركة فتح، وغدت كتاباته مركزة على مهاجمة الحزب وسياساته من القضية الفلسطينية[3]. ثم استقر به المقام في أحد أجنحة الإسلام السياسي بعد أن اعتنق الإسلام.[4]"

---

[1]. من مقابلة منير شفيق التي ألحقها نيكولات دوت بوبار في دراسته، اليسار المتحول للإسلام، مصدر سابق، انظر ص٢٥-٢٦.

[2]. عضر المكتب السياسي لحزب الشعب الفلسطيني، الامتداد الطبيعي للحزب الشيوعي الفلسطيني، بعد انفصاله عن الحزب الشيوعي الأردني. وكان مسؤلاً عن منير شفيق في الحزب الشيوعي الأردني.

[3]. لا شك أن هذه مبالغة كبيرة، فكتابات منير شفيق النقدية للحزب الشيوعي الأردني في تلك المرحلة قليلة جدًا، ولا يبدو أنه خصص شيئًا من كتبه لنقد الحزب الشيوعي الأردني بينما خصص كتابًا كاملاً مثلاً للرد على جلال صادق العظم. كان واضحًا أن اشتغال منير شفيق تركز على قضايا الثورة الفلسطينية، ومحاولة تقديم منطلقات فتح الأولى في قالب نظري متماسك. أما فيما يخص الرد على الحزب الشيوعي الأردني فإن منير شفيق كتب مقالة في مجلة شؤون فلسطينية سماها "مناقشة مع الحزب الشيوعي الأردني" يرد فيها على مقالة لنعيم الأشهب كان قد نشرها في مجلة الموقف في أيار ١٩٧٢، تحت عنوان "في سبيل التغلب على الأزمة في حركة المقاومة الفلسطينية"، وبين فيها أن الموقف المقدم في هذه المقالة هو "رأي الحزب الشيوعي الأردني حول الموقف الراهن داخل حركة المقاومة"، وربما كان هذا السجال من الأسباب التي دفعت الأشهب للاعتقاد بأن كتابات منير شفيق تركزت في انتقاد الحزب الشيوعي الأردني، بالإضافة إلى حساسية الحزبيين المعتادة. كذلك كتب منير شفيق يناقش جملة آراء تقيم الثورة الفلسطينية، منها آراء لشيوعيين من بينهم فهمي السلفيتي والذي كان أحد الشخصيات الشيوعية التي اختلف معها شفيق في مرحلة خروجه من الحزب. انظر:

منير شفيق، "مناقشة مع الحزب الشيوعي الأردني"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٣، (أيلول ١٩٧٢): ص٦٠-٧٠

منير شفيق، "مناقشة آراء في تقييم الثورة الفلسطينية"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ٤٤، (نيسان ١٩٧٥): ص١٢-٢١.

[4]. نعيم الأشهب، **دروب الألم... دروب الأمل**، (رام الله: دار التنوير، ٢٠٠٩): ص١٣٩.

وطالما أن "أفكار ماوتسي تونغ هي الماركسية اللينينية في أرقى تطور لها حتى الآن، وليست شيئًا مختلفًا عن الماركسية اللينينية. وإضافة إلى ذلك لا يوجد هنالك الآن شيء اسمه الماركسية اللينينية دون أفكار ماوتسي تونغ، تمامًا وبالمعنى نفسه، كما لم يعد بعد لينين هنالك ماركسية بدون اللينينية."[1]، كما يصرح منير شفيق في ذلك الوقت، فإنه كان يرفض تسمية الماوية انطلاقًا من اقتناعه بأن الماوية هي عينها الماركسية، وعليه، لا يصح إطلاق الماوية وكأنها شيء آخر غير الماركسية. بشكل ما كان منير شفيق يدافع عن ماركسيته.

إن أهمية البحث في ماوية منير شفيق تنبع مما أكده عدد من منتسبي التيار ومن بينهم شفيق نفسه، بأن نصوص شفيق كانت تعبر عن التيار بعد مناقشتها جماعيًا، ومن ثم فإن أفكار منير شفيق بصورة ما هي أفكار هذا التيار.

في نصوصه المبكرة في بدايات السبعينيات، يبدو ارتباط منير شفيق بماوتسي تونغ قويًا. في واحد من أقدم نصوصه المتعلق بالماركسية اللينينية، يعقد منير شفيق فصلاً كاملاً للحزب الشيوعي الصيني، منتصرًا فيه إلى ماوتسي تونغ في صراعاته مع الاتجاهات الأخرى داخل الحزب، معتبرًا أن ماوتسي تونغ قد مثل الاتجاه الصحيح، وأنه قدم إجابات صحيحة لكل المسائل الإستراتيجية والتكتيكية التي واجهت الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني في مختلف مراحل نطور النضال[2]، إلا أن اللافت هو تركيز منير شفيق على مفهوم خط الجماهير لدى ماوتسي تونغ من حيث الدعوة إلى أن يأخذ كل عضو على عاتقه خدمة الشعب بكل صدق وإخلاص، وأن يقيم علاقات واسعة مع الجماهير، وأن يستمع بانتباه لصوت الشعب، وأن يستعد للتعلم من الجماهير وتعليمها، وأن يحذر من العزلة عنها[3].

كان يرى منير شفيق أن ماوتسي تونغ قد بدأ بعملية تطوير اللينينية وتعميقها بمفهومين اثنين، الأول: أهمية العامل الذاتي ولا سيما من جهة إيلاء الأهمية للوعي بترسيخ الأفكار الثورية[4]، وأهمية التأثير الراجح للبناء الفوقي على البناء التحتي، والنضال على الجبهة الإيديولوجية[5]، والثاني: دور حركة الجماهير العفوية في اجتراح المعجزات في لحظات الانعطاف التاريخي، وهنا يكون دور الطليعة الثورية أخذ أفكار الجماهير، ثم إعادة تنظيمها وإرجاعها إلى الجماهير، وهكذا..[6]

في هذا النص يبدو منير شفيق متحمسًا للثورة الثقافية التي أطلقها ماوتسي تونغ بصفتها استيقاظ ونهوض مئات الملايين وممارستها نقد العالم القديم، فالجماهير المعبأة بالفكر الثوري والمثل الثورية ستغير الواقع وتسأل أيًا كان عن ممارسته وليس عن كلامه فقط، وفي هذا السياق يستحضر منير شفيق مقولة ماوتسي تونغ: "إن أمنيتي هي أن أكون مع الجماهير جنبًا إلى جنب كل الرفاق في الحزب"[7]. تبدو

---

[1]. منير شفيق، الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم، مصد سابق، ص١٤٩.

[2]. منير شفيق، **الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري**، مصد سابق، ص١٣٣-١٣٤.

[3]. المصدر السابق، ص١٣٥

[4]. المصدر السابق، ص١٣٥-١٣٦.

[5]. المصدر السابق، ص١٨٦.

[6]. المصدر السابق، ص١٣٥-١٣٦.

[7]. المصدر السابق، ص١٥٥.

هذه المفاهيم جلية في موقف منير شفيق إزاء جلال صادق العظم، كما تبدو جلية في دوافع منير شفيق العملية في افتراقه عن اليسار وانتقاله من الموقع النقدي الصرف إلي موقع الممارسة وسد الثغرة، كما أن هذه الأفكار سيعاد تبسيطها ونشرها باسم سعد جرادات وأبو خالد جورج في كتاب "أفكار ثورية في ممارسة القتال"[1]، وهو الكتاب الذي سيجري تعميمه على منتسبي التيار ومقاتلي الكتيبة الطلابية، كما سيشكل مفهوم خط الجماهير عمق كتاب منير شفيق[2] "موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية"، والذي صدرت طبعته الأولى في العام ١٩٧٤ وترجم إلى التركية والفارسية[3].

إن ماوتسي تونغ بحسب منير شفيق، أغنى ما اكتشفه ماركس وإنجلز ولينين. وهو بهذا أرقى ما توصل إليه الفكر الإنساني لحل مسألة القضاء على العالم القديم ماديًا وإيديولوجيًا، وبناء العالم الجديد ماديًا وإيديولوجيًا[4].

في نص آخر تالي على هذا النص، يبدي منير شفيق اهتمامًا بنظريات ماوتسي تونغ في الثورة المسلحة[5]، مركزًا على أهمية الظروف الخاصة لكل بلد بما يجعل تطبيق الماركسية اللينينية يختلف عما هو عليه في بلدان أوروبا الصناعية البرجوازية أو روسيا القيصرية، وبهذا فإن التطبيق الخلاق لنظرية ماركس وإنجلز ولينين يعني، بالضرورة، تطويرًا للماركسية اللينينية في ميادين عديدة، فيما يتعلق بالثورة المسلحة والشروط الواجب توفرها لنجاحها وكذلك بالنسبة لسمات الوضع الثوري[6].

سوف تتضافر هذه الأفكار من خط الجماهير، وإعطاء الوعي والبنى الفوقية الفكرية ما يناسبها من اهتمام، والتركيز على الممارسة، والبحث في السمات الثورية الخاصة بكل بلد، لتؤدي في وقت لاحق دورًا هامًا في التخلص من الماركسية والانتقال إلى الإسلام.

إن ثمة انحيازًا واضحًا لماوتسي تونغ، يبدو في نصوص هذه المرحلة من العام ١٩٧١ إلى العام ١٩٧٣، حتى إن منير شفيق خصص ملحقًا كبيرًا من ٨٣ صفحة للرد على فرانز ماريك في كتابه "فلسفة الثورة العالمية"، الذي كشف بحسب منير شفيق عن "تحيز مسبق، أو قلة أدب ضد ماركسي عظيم مثل ماوتسي تونغ هو لينين عصرنا"[7]. لم يكون فرانز ماريك في رد منير شفيق بمنأى عن اتهامه بالتحريفية[8] على عادة الماركسيين في خلافاتهم المعروفة.

لا بد إذن، وأن منير شفيق كان ماويًا، بصرف النظر عن رأيه في هذه التسمية في ذلك الوقت، أو اعتقاده حينها بأن الماوية هي

---

[1]. سعد وأبو خالد، **أفكار ثورية في ممارسة القتال**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨).

[2]. منير شفيق، **موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٧): ص٣٧– ٦٥.

[3]. برنامج كل الحكاية، مصدر سابق، الحلقة١١.

[4]. منير شفيق، **الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري**، مصد سابق، ص١٨٧.

[5]. منير شفيق، **الماركسية اللينينية والثورة المسلحة**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢): ص٨٩.

[6]. المصدر السابق، ص٩٣.

[7]. من النقد الذي قدمه منير شفيق على فرانز ماريك. انظر:

فرانز ماريك، **فلسفة الثورة العالمية**، ترجمة منير شفيق، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢): ص١٥٦.

[8]. المصدر السابق، ص١٢٣.

نفسها الماركسية، كما أن انحيازه لماوتسي تونغ أخذ طابعًا عصبويًا إلى حد ما، ولذلك لا عجب أن يصفه أحد أصحاب التجربة في التيار بـ "الماوي الفتحاوي"[1]، إلا أن الحساب مع الماركسية، وبالضرورة مع الماوية لم يطل، إذ لم يكد العام ١٩٧٦ يشرف على الانتهاء حتى كان كل من أبو حسن قاسم وحمدي التميمي ومعهما عدد من المنتسبين لهذا التيار[2] قد أخذوا يصفّون الحساب مع الماركسية اللينينية تمامًا، وكانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير سقوط تجربة الثورة الثقافية في الصين[3]. سيكون ماوتسي تونغ عاملاً هامًا في التحول نحو الإسلام، إن في أفكاره التي تبناها شفيق في أوج الماوية والتي دفعت لاحقًا نحو الاقتراب من الجماهير والبحث عن نظرية ثورية تنبعث من رحمها وتحمل سماتها، أو في فشل ثورته الثقافية.

هذا بالنسبة لمنير شفيق، فماذا يقول بقية منتسبي التيار من أصحاب الروايات المتاحة؟

من جهته يؤكد سعود المولى أنهم كانوا ماركسيين ماويين، وبأن الماوية كانت سببًا في الانتقال إلى الإسلام، وبأن مفاهيم خط الجماهير وضرورة الاقتراب من الجماهير والاستماع إلى الجماهير وإعادة تشكيل إدراكات الجماهير عبر العمل وسط الجماهير؛ قادتهم إلى مغادرة أحزابهم وحركاتهم اليسارية الخاصة بهم لإنشاء شيء آخر، ثم كانت الأفكار الفلسطينية والقومية الثورية لدى منير شفيق، والتي كانت أفكارًا ماوية مع مبدأ خط الجماهير، هو الذي قادهم في عام ١٩٧٣ إلى الانضمام إلى حركة فتح[4].

لقد كان سعود المولى مع مجموعة من منتسبي منظمة العمل الشيوعي ماويين ينتمون إلى خط ماوتسي تونغ ضمن الحركة الشيوعية العالمية، وكانوا يروا أنه يجب الالتزام بتيار الثورة الفلسطينية الرئيسي، أي حركة فتح، وليس بيسارها المرتبط بموسكو. ويذكر المولى في هذا السياق أيضًا، أن جماعات ماوية أخرى كانت من روافد تيار الكتيبة الطلابية منها مجموعات عصمت مراد الذي كان رئيس الماويين في تولوز الفرنسية[5]. إن سعود المولى واضح وقاطع في حديثه عن انتسابه إلى الماوية في ذلك الوقت إلى جانب مجموعات أخرى شكلت روافد لتيار الكتيبة الطلابية.

أما أنيس النقاش، فيؤكد على أنه لم يكن ماويًا، ولكنه استفاد من الفكر الماوي وتجربته العملية. فماوتسي تونغ حسب النقاش كان عمليًا جدًا. ثم جاء بعد ذلك منير شفيق الذي بلور فكرة التناقضات التي تكلم فيها ماوتسي تونغ وطبقها على الواقع العربي الفلسطيني. وكانت مدرسة التناقض الرئيسي التي كتب عنها منير شفيق مهمة جدًا كما يرى أنيس النقاش[6].

بالنسبة لرواية فتحي البس، فقد تحدث عن تعمقه في قراءة ماوتسي تونغ بهدف فهم الصراع بين الصين والاتحاد السوفييتي، دون أن

---

[1]. سعود المولى، "سعود المولى: شبه سيرة ذاتية"، مصدر سابق.

[2]. وبالضرورة منير شفيق. بيد أنه في كتابه **شهداء ومسيرة**، لا يتحدث عن نفسه وإنما ينسب الإنجاز النظري والسياسي والقتالي كله إلى أبو حسن قاسم وحمدي التميمي وعدد من أعضاء التيار.

[3]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٢٢.

[4]. من مقابلة سعود المولى التي ألحقها نيكولات دوت بوبار في دراسته اليسار المتحول للإسلام، مصدر سابق، ص٢٧-٢٨

[5]. سعود المولى، "سعود المولى: شبه سيرة ذاتية"، مصدر سابق.

[6]. صقر أبو فخر، **أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار**، مصدر سابق، ص٤٧.

يؤدي ذلك به إلى التحول للماركسية، فقد عقد العزم، كما يقول، على ألا يرهق نفسه في ملف لا يحتاجه[1]، لكن فيما يتعلق بالتيار، فإنه يذكر بأن التنظيم الطلابي في العام ١٩٧٣ بدأ بترتيب دورات ثقافية، يجري اختيار محاضريها بعناية من "خط الشعب، خط الجماهير وأفكار ماوتسي تونغ"، وممن لا يتبنون هذه الأفكار لغاية إثراء النقاش[2]، وفي هذه الدورات بدأ الحديث عن الاتحاد السوفييتي كقوة هيمنة إمبريالية، على خلاف الصين التي تقدم دعمًا غير مشروط وتناصر القضية الفلسطينية على كل الصعد. لقد كان هذا الطرح ضروريًا لخلق توازن مع الاتجاه اليساري الفلسطيني المندفع صوب الاتحاد السوفييتي[3].

لكنّ شفيق الغبرا يتحدث بصورة أشمل، لا عن اتجاهاته الخاصة فحسب، ويوضح أن الكتيبة والتيار الشبابي الفتحاوي عبرا عن أفكارهم بحرية. حكموا عقولهم في تجاربهم، واصطدموا في مراحل مع الإيديولوجية اليسارية التي انبثقوا منها. إن الأفكار بالنسبة لهم اجتهاد، ولا مقدسات لا في فكر ماوتسي تونغ ولا في فكر منير شفيق[4]، أما خليل النبتيتي فإنه يركز في روايته على الجهد العسكري الذي بذلته الكتيبة الطلابية دون كثير من التوسع فيما يتعلق بالتيار وأفكاره، سوى إشارة عابرة إلى النقاش المستفيض الذي لفت نظره حول كتاب منير شفيق "الثورة بين النقد والتحطيم"، وإلى تأثره بكتابات منير شفيق عمومًا[5] دون إشارة إلى مسألة الماوية.

بينما يشرح قائد الكتيبة الطلابية الذي استلم قيادتها بعد استشهاد سعد جرادات؛ بأنه لا يستطيع القول بأنه كان ماويًا على طريقة ميشال نوفل[6]، أو إدي زنانيري[7]، لكن قطاعًا لا بأس به من الكتل اليسارية كأفراد أو مجموعات دخلوا إلى التيار، وكان هؤلاء بالمئات، والتقوا مع منير شفيق الذي أدى دورًا أساسيًا في تكريس منطلقات "فتح" وبتطبيق خاص للماركسية، من خلال كتابه الشهير "حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية"، وأعماله عن بعض التجارب التي خاضها ماو تسي تونغ، والثورة الصينية، والثورة الفييتنامية، أما على مستوى السرية الطلابية أو الكتيبة الطلابية، أي على مستوى التشكيل العسكري، فلم تكن النقاشات النظرية حول الماوية والثورة الثقافية، أو حتى مسألة إمبريالية الاتحاد السوفييتي، مطروحة، إلا أن هذه الموضوعات كانت محل نقاش لدى المنحدرين من المجموعات الماوية، وفي بيروت والخط السياسي للتيار، بالرغم من أن الكتاب الأحمر[8] كان موجودًا في جميع مواقع الكتيبة، ولدى المقاتلين كلهم، كما أن الكتيبة الطلابية كانت تملك مكتبة متنقلة وتهتم بالجانب النظري دون أن يعني ذلك الاستغراق في الجدل الإيديولوجي. وباختصار إن الأفكار التي صاغها التيار وكانت مشتركة حتى بين مقاتلي الكتيبة تناسب الأوضاع الفلسطينية وليست

---

[1]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص١٣٢-١٣٣.

[2]. المصدر السابق، ص١٤٣.

[3]. المصدر السابق، ص١٤٤.

[4]. شفيق الغبرا. **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٣٥١.

[5]. خليل النبتيتي، **في الطريق إلى فلسطين: سيرة نضالية**، مصدر سابق، ص١٨-١٩.

[6]. المحاور الثاني لمعين الطاهر إلى جانب إلياس خوري في رواية معين الطاهر لتجربة الكتيبة الطلابية. كان ميشال نوفل واحدًا من منتسبي التيار، وكان ماويًا كما يتضح من كلام معين الطاهر.

[7]. كان أحد قيادات التنظيم الطلابي في لبنان ومنتسبي التيار، أصبح لاحقًا أمين سر الإقليم لحركة فتح في أستراليا.

[8]. كتاب شهير لماوتسي تونغ.

هي عين أفكار ماوتسي تونغ التي وضعت للأوضاع الصينية[1].

الخلاصة في ماوية التيار:

يمكن القول إن منير شفيق كان ماويًا بالفعل حتى العام ١٩٧٣ على الأقل، وربما كان الانجذاب صوب ماوتسي تونغ نابعًا من الموقف النقدي تجاه الاتحاد السوفييتي الذي بات يكشف عن نزعات إمبريالية فضلاً عن اعترافه المبكر بالكيان الصهيوني وعمله على الترويج للحل السلمي في صفوف الفلسطينيين. بينما اهتم منير شفيق بنظريات ماوتسي تونغ حول خط الجماهير، والتي كانت ذات دور فعال في تقديم ممارسة نضالية ومسلكية ثورية متميزة للتيار وطليعته المقاتلة. وأما نظرية ماوتسي تونغ حول التناقضات فكانت حاسمة في تمييز الممارسة السياسية للتيار والتي اتسمت بالسعي لتجنب الصراعات الداخلية سواء داخل فتح أو مع القوى الفلسطينية والعربية الأخرى، وتركيز الجهد على تعزيز القتال ضد العدو الصهيوني[2]. إضافة إلى ذلك كانت أفكار ماوتسي تونغ الثورية حول تكييف النظرية الثورية بما يناسب الأوضاع الخاصة معينًا لمنير شفيق ورفاقه على إجراء عمليات نقدية صارمة والمضي بمحاولة تكييف الماركسية مع خصوصية الأوضاع الفلسطينية، وذلك بالتضافر مع خط الجماهير، وبالتحرر من الأرثذوكسية الماركسية بعد إيلاء الاهتمام بجانب الوعي، أي إلى مسألة الأفكار أو البنية الفوقية، وقد أنتج ذلك فكرًا خاصًا بأوضاع الثورة الفلسطينية انتهى إلى الانتقال إلى الإسلام.

لفت منير شفيق أيضًا نظريات ماوتسي تونغ حول الممارسة والاعتماد على العامل الذاتي، وعدم الانعزال عن الجماهير والتعلم منها، واهتم شفيق بكتابات ماوتسي تونغ حول حرب الشعب[3] والتنظير الثوري[4]، كما كان ماوتسي تونغ يبدو لمنير شفيق أكثر عقلانية

---

[1]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[2]. كان تطبيق منير شفيق لهذه النظريات محل نقد من طرف ماركسيين آخرين، كما ظهر مثلاً في نقد جلال صادق العظم في حينه، وكما يذهب أسعد أبو خليل الآن الذي يعتبر أن هذه النظرية سوغت لياسر عرفات عدم تثوير الأوضاع العربية، وسهلت للأنظمة العربية تآمرها ضد الثورة، إلا أن هذا النقد اختزالي ويحمّل الثورة الفلسطينية فوق طاقتها وقدرتها أساسًا، فالمشكلة لم تكن في امتناع الثورة الفلسطينية عن تثوير الأوضاع العربية، ولكنها تعلقت من ناحية بإمكانات الثورة بالفعل، ومن ناحية ثانية بطبيعة الظروف الموضوعية والتعقيد الذي تعلق بعلاقة الثورة بالعرب، والذي تناولت هذه الدراسة جانبًا منه في فصولها المتقدمة.

[3]. اهتم شفيق كذلك بالكتابة في موضوعات الحرب، كما في كتاب فن علم الحرب الآتي في هامش قادم، وكذلك في كتيب "بعض القوانين العسكرية في الثورة الفلسطينية"، والذي ضم مقالتين عن معركة الكرامة ومعركة العرقوب سبق له نشرهما في مجلة شؤون فلسطينية. انظر: منير شفيق، **بعض القوانين العسكرية في الثورة الفلسطينية**، ([د.م]، [د.ن]، ١٩٧٦).

وترجم كتبًا حول هذه الموضوعات، مثل **دليل الحرب الثورية** لكوامي نكروما والذي تضمن أفكارًا تعزز مفهوم خط الجماهير مثل قواعد المسلكية والانضباط وخدمة الشعب والتحلي بالأدب والحرص على ممتلكات الجماهير. انظر: كوامي نكروما، **دليل الحرب الثورية**، ترجمة: منير شفيق، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢).

وكذلك ترجم بالتعاون مع ناجي علوش كتاب "حرب المقاومة الشعبية" للزعيم الفيتنامي جياب، وفي هذا الكتاب يلفتان النظر إلى أنه ليس من هدف الترجمة إقناع القارئ العربي بأن يقلد تجارب الآخرين أو ينقلها، إنما الهدف هو التعريف والتمثيل فقط. فتجارب الأمم الأخرى في الكفاح المسلح يجب أن تنال اهتمام الفلسطينيين والعرب، ولكن يجب ألا تبهر ولا تعمي العرب والفلسطينيين عن خصائص ظروفهم الموضوعية. وهذا النص من أقدم نصوص منير شفيق التي وقعت بين يدي الباحث، إذ تأتي الطبعة الثالثة من هذا الكتاب في العام ١٩٦٩، وهو ما يشير إلى حضور نزعات الاستقلالية والموضوعية والتحرر من الأرثذوكسية الماركسية واليسارية الطفولية لدى منير شفيق في وقت مبكر. انظر: نغوين فون جياب، **حرب المقاومة الشعبية**، ترجمة ناجي علوش ومنير شفيق، (بيروت: دار الآداب، ١٩٦٩): ص٤.

[4]. اهتم منير شفيق بدراسة الثورات العالمية، وكتب عددًا من المقالات عن بعض تلك الثورات في مجلة دراسات عربية في العام ١٩٧١، وفي مجلة شؤون فلسطينية في العام ١٩٧٥، وجمعها مؤخرًا في كتاب سماه "تجارب ست ثورات عالمية". انظر: منير شفيق، **تجارب ست ثورات عالمية: مع مقدمة حول الثورات عمومًا**، (بيروت: نيسان للنشر والتوزيع، ٢٠١٤).

وأقل اختزالاً في فهم الصراع البشري حيث أضاف إلى صراع الطبقات صراع الأمم والدول والمجموعات السياسية[1]، وهو ما يقترب مع التصور الإسلامي الذي لا يحصر الصراع، والذي يسميه التدافع[2]، في شكل معين، والذي قد يبدو مناسبًا لتحليل الصراعات التي لا تنطبق عليها النظرية الماركسية التي وجدت أصلاً في ظروف المجتمعات الصناعية الأوروبية.

لقد التقت أفكار منير شفيق مع النزعة العملية لبعض العاملين في القطاع الغربي[3] وشؤون الأردن والميليشيا والقوات، كما التقت مع مجموعات لبنانية يسارية ماوية رأت أن خط الجماهير يحتم عليها الالتحاق بالثورة الفلسطينية، وقد اتسمت هذه المجموعات بنشاط ثقافي وجد أن مكانه الطبيعي في التيار ذي الشعبية بين صفوف التنظيم الطلابي وفي طليعته المقاتلة، الكتيبة الطلابية. إن أرضية منير شفيق الماوية، ونقده المستمر هو وتياره على الاتحاد السوفييتي، والأفكار التي أنتجها التيار وتبدو متأثرة بمفاهيم ماوتسي تونغ، وانحياز المئات من المجموعات الماوية اللبنانية إلى التيار، جعل تسمية الماوية لصيقة به، رغم أن التيار مر بمراحل تطور متعددة، ولم يكن كل منتسبيه بالضرورة ماويين. إلا أن هذا الالتقاء أخرج حالة نضالية مميزة قدمت " قدوة في العمل الثوري الدؤوب والنظيف والنقي والنزيه والجاد"[4].

٣. عودة إلى المعارك:

- **ثلاث ملاحظات أولية:**

أولاً– لن يغطي هذا القسم من الدراسة جميع المعارك، كما لن يتناول تفاصيلها الدقيقة من حيث حصر كل المعارك، وتحديد كل الأسماء، والوصف الدقيق للأماكن، ومجريات المعارك، والخطط الحربية. ذلك لأن الدراسة تأخذ السرية الطلابية ثم الكتيبة الطلابية كجزء من التيار الواسع الذي تتناوله بالبحث، ومن ثم فهذه التفاصيل قد تعني المهتم بالتأريخ العسكري للسرية الطلابية.

ثانيًا– تتناول الدراسة على وجه الخصوص معارك السرية الطلابية ثم الكتيبة الطلابية على أساس اختصاصها بدراسة التيار الذي ينتمي إليه هذا التشكيل المقاتل، فليست غاية الدراسة التأريخ للحرب الأهلية اللبنانية، أو للثورة الفلسطينية في لبنان، فتناول ذلك بالبحث يخرج بالدراسة عن حدها كثيرًا وبما لا تحتمله طبيعتها، ولذلك ينبغي التنويه إلى أن أدوار السرية الطلابية في الحرب الأهلية ثم الكتيبة

---

[1]. منير شفيق، **الإستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب: من السيف والدروع.. إلى الصاروخ والأنفاق**، (بيروت: الدار العربية للعلوم والنشر، ٢٠٠٨): ص١٨. والكتاب طبعة جديدة كتبت في المرحلة الإسلامية للطبعة القديمة التي كتبت في المرحلة الماركسية في العام ١٩٧١، ولذلك فإن شفيق يضيف نقدًا على ماو حتى في هذه المسألة، حيث يعود ماو ويتورط في الاختزال مجددًا حينما يقول إن هذه الأشكال من الصراع قد وجدت منذ منذ بزوغ الملكية الفردية وتكون الطبقات. نفس المصدر.

[2]. الآيات القرآنية: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} سورة البقرة، آية ٢٥١. {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ} سورة الحج، ٤٠. {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} سورة هود، ١١٨.

[3]. أبرزهم أبو حسن قاسم وحمدي التميمي.

[4]. أسعد أبو خليل، "المقاومة الفلسطينيّة والحرب الأهليّة اللبنانيّة"، مصدر سابق.

الطلابية (كتيبة الجرمق) في جنوب لبنان، تندرج في إطار الجهد الفلسطيني العام الذي مثلته مجمل قوى الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية. كما أن حركة فتح كانت تضم العديد من التشكيلات العسكرية سواء في صفوف الميليشيا أو القوات.

ثالثًا– إن العرض التالي لجانب من مساهمات السرية الطلابية ثم الكتيبة الطلابية في المعارك، لا يعطي صورة كاملة عن أحداث الحرب الأهلية بتداخلاتها الفلسطينية واللبنانية والإقليمية، كما لا يعطي صورة كاملة عن التصدي للغزو الصهيوني إن في العام ١٩٧٨ أو في العام ١٩٨٢، فالكتيبة الطلابية كانت واحدة من تشكيلات فلسطينية عديدة تتبع لفتح ولغيرها من المنظمات الفدائية الفلسطينية، كما أن التحولات المتسارعة في الأحداث تتجاوز بكثير الجهد العسكري للسرية الطلابية.

أ. جانب من مساهمة السرية الطلابية في معارك الحرب الأهلية

- **الموقع الأول.. الشهيد الأول.. القائد الأول**

استلمت السرية الطلابية ضمن مهماتها القتالية، موقع البرجاوي الإستراتيجي شديد الخطورة، والملاصق للأشرفية في بيروت، والذي يشكل بوابة منطقة رأس النبع الكبيرة المكتظة بالسكان المسلمين اللبنانيين السنة، وقد أشرف على تحصينه قيادات التيار والسرية مثل أبو حسن قاسم وحمدي التميمي وأبو خالد جورج ونذير الأوبري وعلي أبو طوق ومعين الطاهر، واستشهد فيه أول شهداء السرية الطلابية في الحرب اللبنانية، بقصف استهدف مركز قيادة الحي، وهو شاب لبناني من رأس النبع واسمه أحمد القرى[1].

في هذا الموقع حصلت مجموعة من المعارك، منها معركة الطبية، قرب برج الناصرة، الواقع ضمن منطقة الأشرفية التي تتولاها السرية الطلابية. فقد هاجمت مجموعات من القوات اللبنانية في كانون أول ١٩٧٥ كلية الطب التابعة لجامعة القديس يوسف قرب برج الناصرة حتى تمكنت من احتلالها، فاضطرت السرية الطلابية إلى تنظيم هجوم معاكس لاستعادة الموقع بقيادة قائد السرية سعد جرادات ونائبه أبو الراتب وعلي أبو طوق. تمكنت السرية من استعادة الموقع، وفي هذه المعركة استشهد عزمي إبراهيم، القادم من فلسطين المحتلة عام ٤٨، وكان يعمل في قسم الأمن والمعلومات نظرًا لإتقانه اللغة العبرية[2].

وفي هذا الموقع سيستشهد في وقت لاحق أول قائد للسرية الطلابية، سعد جرادات، فبعد أن انقلب الموقف السوري ضد الحركة الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية[3]، ستقود قوات الكتائب[1] والأحرار[2]، في ٢٥ حزيران ١٩٧٦، هجومًا واسعًا باتجاه الموقع نتج عنه سقوط

---

[1]. في ٢٢ أيلول ١٩٧٥، وكان قبله قد استشهد من الكتيبة مجاهد الضامن أثناء تدريبه عناصر من حركة أمل. عن هذا الموقع انظر: شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص١٥٢. ومعين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص٢٣١.

[2]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٢٢–٢٣. وشفيق الغبرا، حياة غير آمنة، ص١٥٦–١٥٧.

[3]. انتقل الموقف السوري من داعم للحركة الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية إلى موقف الوسيط الذي يرغب بترسيخ شكل من السلام اللبناني الداخلي على نحو رأته الحركة الوطنية اللبنانية على حساب مصالحها، ورأت فيه قيادة فتح إمكانية أن يحد من قدرتها على اتخاذ سياسات دبلوماسية مستقلة عن سوريا. وأما سوريا من طرفها فكانت تعتقد بأن فتح تسعى للدخول في

عدة أبنية، في حين كانت عناصر السرية الطلابية خارج الموقع في مهمات أخرى، الأمر الذي اضطر سعد جرادات إلى شن هجوم مضاد بالتعاون مع مقاتلين آخرين من فتح وتنظيمات أخرى لاستعادة المواقع وضمن الجهد لفك الحصار عن تل الزعتر[3]. تقدم سعد

مسار أنور السادات وخاصة بعد توقيع اتفاق سيناء في أيلول ١٩٧٥، كما كانت تخشى من تعريب النزاع اللبناني وتأييد قيادة فتح لهذا التعريب. كان الصدام المسلح السوري الأول بمنظمة التحرير في أواخر كانون ثاني بالوكالة بواسطة منظمة الصاعقة الفلسطينية المؤيدة لسوريا، التي شنت هجومًا على صحيفتين بيروتيتين مؤيدتين لمنظمة التحرير. من جهتها أيضًا كانت معظم التنظيمات الفدائية وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية تخشى من أن التحول السوري قد جاء بتفاهم ضمني مع الولايات المتحدة الأمريكية. استمرت الخلافات تتراوح صعودًا وهبوطًا حتى انشق ضابط سني برتبة ملازم أول يدعى أحمد الخطيب من الجيش اللبناني، وأسس جيش لبنان العربي، ثم حصلت محاولة انقلابية دبرها اللواء عزيز الأحدب، ثم حصل بعد ذلك انشقاق ماروني في الجيش، واقتنعت سوريا بأن الأحداث الأخيرة من تدبير فتح. قامت سوريا بإغلاق الكلية العسكرية لفتح في دمشق، واعتقلت بعض كوادر القطاع الغربي في فتح، كما أمرت الصاعقة بالتصدي لجيش لبنان العربي. ومع ذلك فإن سوريا حاولت بواسطة بعض المنظمات الفدائية المؤيدة مثل الجبهة الشعبية القيادة العامة توجيه ضربة للقوى المارونية بما يسهّل عليها فرض الحل الذي تراه. اتجه تحالف اليسار الفلسطيني، بما في ذلك الاتجاه السوفييتي في فتح، مع الحركة الوطنية اللبنانية نحو حسم عسكري تعاظمت فيه انتصاراتهم دون رغبة ياسر عرفات الذي رأي في ذلك تجاوزًا للخط الأحمر السوري. أفشل تحالف اليسار كل محاولات ياسر عرفات للتهدئة مع سوريا. كان تحالف اليسار يعتقد بأن الاتحاد السوفييتي ينظر إلى الصراع اللبناني كجزء من الصراع مع الولايات المتحدة. كانت سوريا تخشى دائمًا من تدويل أو تعريب النزاع ومن اقتراب الفلسطينيين من أنور السادات. تطورت الأحداث حينما فرضت سوريا في ٣ نيسان حظرًا على ميناء طرابلس الذي تتزود منه منظمة التحرير بالإمدادات، وفي ١٠ نيسان أدخلت سوريا لواءين مدرعين وكتيبتي مشاة إلى سهل البقاع. دعمت الأردن سوريا، بينما أبدت كل من السعودية والعراق ومصر وليبيا نقدها المكشوف للإجراء السوري. بدأت القوات السورية باعتقال عناصر القوات المشتركة في البقاع فانسحبت فتح من بعض مناطق البقاع تجنبًا للاشتباك مع السوريين. جرت محاولات كثيرة للتهدئة من طرف ياسر عرفات الذي يبدو وكأنه فقد السيطرة على حركته بسبب النفوذ الكبير للتيار اليساري فيها. وتطورت أحداث كثيرة حتى أعلنت منظمة التحرير في ٣١ أيار أن المدفعية السورية ومدفعية الصاعقة تقصف مقراتها ومخيمات اللاجئين المحيطة ببيروت. قامت منظمة التحرير في ٥ حزيران بشن هجوم استباقي سيطرت فيه على معظم المكاتب والمفارز التابعة للصاعقة والمنظمات المؤيدة في سوريا، وذلك بعد علمها بنية سورية توسيع هجومها في بيروت بالاعتماد على تلك المنظمات. ردت سورية في ٧ حزيران بهجوم واسع على القوات المشتركة في كل لبنان، وبهذا يدخل لبنان مرحلة جديدة. انظر: يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٤٠-٥٦١.

وعلى أيّ في إن كلمة السرّ في تحولات الأسد في هذه المرحلة نحو إضعاف الحركة الوطنية اللبنانية وحلفائها الفلسطينيين تكمن في كمال جنبلاط الذي عجز الأسد عن إخضاعه لإرادته، وكانت الدوائر البعثية فب دمشق ترى في كمال جنبلاط شخصًا خطيرًا سيورط سوريا في حرب مع "إسرائيل"، بينما كان جنبلاط مصممًا على منع تحول بلده إلى تابع يدور في فلك الأسد. انظر: حنّا بطاطو، مصدر سابق، ص٥٣٩- ٥٤٤.

[1]. أحد أبراز الأحزاب المارونية، والذي حمّل في البداية المسؤولية عن مجزرة عين الرمانة. لكن تبين فيما بعد بحسب رواية صلاح خلف أن القاتلين ينتميان إلى حزب الوطنيين الأحرار وتسللا إلى صفوف حزب الكتائب للتمويه على الجريمة والتي كانت نتيجة خطة محكمة أبرمها المكتب الثاني في الجيش اللبناني (الاستخبارات العسكرية) مع حزب الوطنيين الأحرار بقيادة كميل شمعون. بعد تفكك الجيش اللبناني وضع ضباط لبنانيون من المكتب الثاني بين يدي صلاح خلف الوثائق التي تثبت ذلك، وهو ما أكدته المخابرات السورية لصلاح خلف بعد تحسن العلاقات بين الطرفين. وقوف كميل شمعون رئيس الجمهورية السابق خلف الحادثة شكل صدمة للفلسطينيين لقدرته على تضليلهم بحسب رواية صلاح خلف الذي يعتقد أن كميل شمعون عمل في البداية على تأمين صورته كزعيم وطني يستجيب لمطالب الوطنيين والفلسطينيين كي يعود في مرحلة تالية رئيسًا مكان سليمان فرنجية. انظر: صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصدر سابق ص١٨٢-١٨٤.

وحزب الكتائب أسسه بيير الجميل. وشكّل "الجبهة اللبنانية" مع حزب الوطنيين الأحرار بقيادة كميل شمعون، وحراس الأرز، والتنظيم؛ في مواجهة الحركة الوطنيية اللبنانية أثناء الحرب الأهلية، وأسست هذه الجبهة القوات اللبنانية كذراع عسكرية لها، ثم بدأت القوات بالاستقلال تدريجيًا عن الجبهة لتصبح حزبًا مستقلاً فيما بعد.

[2]. أسسة الرئيس اللبناني السابق كميل شمعون، وشكّل "الجبهة اللبنانية" إلى جانب حزب الكتائب. وبحسب تقديرات صلاح خلف، فإن علاقة كميل شمعون وبعض ضباط المكتب الثاني اللبناني مع الكيان الصهيوني كانت سابقة على علاقة حزب الكتائب به، ولذلك دبر حزب الوطنيين الأحرار مجزرة عين الرمانة وعمل على جر حزب الكتائب إلى المعركة. وعلى أية حال فإن تحالف أحزاب الجبهة اللبنانية مع الكيان الصهيوني طوال الحرب الأهلية لم يكن سرًا، وهو ما اعترفت به حكومة بيغن عام ١٩٧٧، كما واعترف به قادة الأحزاب المارونية. انظر: صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصدر سابق، ص١٩٥-١٩٦. إلا أن بعض المصادر ترجع علاقة بعض القوى المارونية بالكيان الصهيوني إلى زمن متقدم منذ العام ١٩٤٨. انظر: عز الدين المناصرة، **الثورة الفلسطينية في لبنان: ١٩٧٢-١٩٨٢**، مصدر سابق، ص٨٥.

[3]. بدأ حصار تل الزعتر في ٢٠ حزيران ١٩٧٦، وفشلت كل محاولات فك الحصار عنه، وكان للتدخل السوري الأثر البالغ في تحجيم قدرات الثورة الفلسطينية وحلفائها اللبنانيين في فك الحصار. انتهى الحصار باتفاق في ١٢ آب من العام نفسه، يقضي بألا يتعرض حزب الكتائب للفلسطينيين الذين يستسلمون إلى ممثلي قوة الأمن العربية. بيد أن الكتائبيين لم يتلزموا بذلك وقتلوا عددًا يتراوح ما بين ١٠٠٠- ٢٠٠٠ فلسطيني ومثلوا بجثثهم، وبعد ذلك تم تجريف المخيم بالكامل. وكان عدد الضحايا الذين قضوا طوال فترة النزاع حول المخيم ٤٢٨٠ قتيلاً. انظر: يزيد الصايغ، مصدر سابق، ص٥٦٤- ٥٧٢. لكن العقيد سعيد مراغة (أبو موسى) يرجح بأن قيادة فتح لم تكن جادة بفك الحصار رغبة منها بحصول هولوكوست فلسطيني تستجلب به تعاطف العالم. انظر: أبو موسى، برنامج كل الحكاية، مصدر سابق، حلقة ١٩. أراد ياسر عرفات إسكان الناجين من تل الزعتر في بلدة الدامور المسيحية التي كانت حركة فتح قد احتلتها من قبل. عارض محجوب عمر، المقرب من السرية الطلابية، رغبة ياسر عرفات هذه. كان محجوب عمر يرى أن هذه الخطوة تعني سرقة أملاك سكان البلدة الأصليين، وستفاقم الانقسام اللبناني، إلا أن إرادة عرفات هي التي تغلبت في النهاية. انظر: شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص١٩٢.

جرادات بمسدسه متوغلاً في المنطقة المحتلة[1] لرفع معنويات القوات المشتركة التي صدمها تقدم الأحزاب المارونية في هذا الموقع. أسقطت كثافة النيران سعد جريحًا، ثم أسرته قوات الكتائب وربطته بسيارة عسكرية وسحلته وهو حي. ولم يعثر أحد على جثته بعد ذلك[2].

جرى اختيار معين الطاهر قائدًا للسرية الطلابية بعد استشهاد سعد جرادات، وعلي أبو طوق نائبًا للقائد بعد حادث سيارة يودي بحياة النائب السابق أبو الراتب. كانت السرية موجودة في محاور التماس في القسم الغربي من بيروت، نظرًا لسكن منتسبيها في هذه المناطق، لكن وجودها لم يقتصر على هذه المحاور أو على موقع البرجاوي، ولكنها شاركت في القتال في العديد من المواقع الأخرى كلما دعيت إلى ذلك[3].

- **ضمير فتح في معركة الدامور**

ردًا على اجتياح المليشيات المارونية لمخيم الضبية ليلة ١٤ كانون ثاني ١٩٧٦؛ شن الفدائيون في ٢١-٢٣ كانون ثاني، هجومًا نهائيًا على الدامور التي كان يتحصن فيها كميل شمعون، وانتهت المعركة بإجلاء سكان المنطقة مع كميل شمعون. وجرت عدة حالات من القتل والاغتصاب بعد سقوط الدامور، وقام القرويون اللبنانيون من إقليم الشوف ورجال الحركة الوطنية اللبنانية والفدائيون الفلسطينيون وفدائيون قدموا من بيروت بنهب البيوت المهجرة وتدميرها[4].

كانت السرية الطلابية قد شاركت بفصيل منها في هذه المعركة، بقيادة نائب قائدها أبو الراتب، والذي تفاجأ بعمليات القتل والنهب التي استهدفت العائلات التي بقيت مسالمة في بيوتها ولم تخرج من البلدة، وهو ما استدعى تدخلاً من أبو الراتب مع قائد الهجوم العقيد سعيد مراغة (أبو موسى) وطالبه بوقف هذه الأعمال التي تستهدف المدنيين والعزل. وحينما استمرت هذه الممارسات دون تدخل من أبو موسى لوقفها انسحبت السرية الطلابية من الموقع[5]، بعد أن بذلت جهودًا كبيرة لحماية الأسر المسيحية في المنطقة[6].

اتهم أبو موسى فصيل السرية بالفرار من المعركة، وهددتهم القيادة بتقديمهم إلى محاكمة عسكرية[7]، فاستدعاهم صلاح خلف وسألهم عما جرى بالفعل، ولما شرحوا له أنهم أدوا واجبهم على أكمل وجه، واحتلوا المنطقة التي كلفوا بها، قال لهم صلاح خلف أنتم ضمير

---

[1]. فعل سعد ذلك رغم القرار الذي اتخذته قيادات التيار والسرية بألا يشارك سعد في معارك برج الناصرة. انظر: خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٣٨.

[2]. وفي الشهر نفسه قتل جواد أبو شعر قائد قوات الميليشيا، والذي كان مقربًا من تيار الكتيبة الطلابية. انظر: شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص١٧٧.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[4]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٣٧-٥٣٨

[5]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٢٣-٢٤.

[6]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص١٧٩.

[7]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصد سابق، ص٢٤٦

"فتح"، وقد نُشرت هذه الرواية على نطاق واسع[1].

عززت أطروحات خط الجماهير لدى مقاتلي السرية القناعة بأن النضال على المستوى الأخلاقي جزء من النضال على المستوى السياسي والفكري، فالخط السياسي الصحيح، بحسب التعليمات التي روجها التيار في أوساط مقاتليه، يحمل أخلاقه، والخط الفكري الثوري يحمل أخلاقه، والتجربة الثورية مع فتح تفيد بأن عددًا من القيم هي من شروط انتصار حرب الشعب، وهذه القيم هي انتصار لتراث ثوري تاريخي للأمة العربية. إنه لا يمكن للثوار حملة البنادق أن يخدموا الثورة والجماهير إلا بالاهتمام اللازم بالأخلاق الثورية[2].

يعبر سلوك السرية الطلابية هذا في معركة الدامور عن إيمان مبكر بتعليمات الخط أو التيار الذي يعتقد بأن الصراع في ميدان الأخلاق جزء لا يتجزأ من الصراع ضد العدو، ،وكذلك الصراع الداخلي[3] ضد الخطوط السياسية والفكرية الخاطئة والمنحرفة، ودن هذا النضال في ميدان الأخلاق فإنه لا يمكن السير بالقضية الثورية حتى النهاية[4].

بدأ في وقت مبكر في صفوف التيار، وقبل اندلاع الحرب الأهلية التأكيد على مفهوم "حب الشعب"، فالثورة، بحسب هذا المفهوم، لا ينبغي أن تتأسس فقط على الحقد، الحقد على الأعداء، ولكن الأساس الآخر الذي تقوم عليه الثورة هو حب الشعب، وهو ما يخلص الثائر من النزعات الأنانية والمصلحة الذاتية ويربط مصيره بمصير الشعب. وحب الشعب ليس ادعاءًا لفظيًا ولا مفهومًا ذهنيًا مجردًا، ولكنه انعكاس عملي في ممارسات الثوار، وهو يقضي باحترام تقاليد الشعب وأخلاقه، وبضرورة الإصغاء له والاهتمام بتقييمه للممارسات الثورية وعلى النحو الذي يحول دون التسلط عليه. إن حب الشعب يعني التعلم من الشعب بالتفاعل الحيوي مع أفكاره[5].

كانت هذه الممارسة الثورية نتيجة تثقيف مستمر، قام على الإنتاج الذاتي، وعلى ترجمة أفضل الأعمال الثورية، والتي تضمنت تعاليم ثورية تلح على ضرورة احترام الناس ومصالحهم، كما في "دليل الحرب الثورية" الذي ترجمه منير شفيق، ووجه الثوار بألا يأخذوا إبرة أو خيطًا من الجماهير، وأن يعيدوا كل ما يستولون عليه، وأن يتكلموا بأدب، وأن يدفعوا ثمن ما يشترونه، وأن يعيدوا ما يستعيرونه، وأن يدفعوا ثمن ما يتلفونه، وأن يمتنعوا عن التسبب بالأذى للناس وإن حتى بالشتائم، وألا يتلفوا المزروعات، ولا يتحرشوا بالنساء، وأن يكونوا باختصار خدمًا للشعب[6].

---

[1]. خليل النبتيتي، المصدر السابق. معين الطاهر: **تأملات في تجربة الكتيبة الطلابية**، مصدر سابق. وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص١٧٩. وفتحي البس، **اثنيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص٢٤٦. ومنير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٧٤- ٧٥. ويضيف منير شفيق بأن صلاح خلف قال لهم: "إنكم بالرغم من خلافي معكم وربما كرهي لكم أقول أنكم تعبرون بهذا عن ضمير فتح".

[2]. مثل هذه التعليمات موجودة في كتاب "أفكار ثورية في ممارسة القتال" الذي كتبه التيار ونشره باسم سعد جرادات وأبو خالد جورج، تكريمًا لهم. انظر: سعد وأبو خالد، **أفكار ثورية في ممارسة القتال**، مصدر سابق، ص١٥-١٦.

[3]. المقصود بالصرع هنا، مواجهة الأفكار الخاطئة بالتعبير عن الأفكار الصحيحة، ومواجهة الممارسات الخاطئة بالتزام المسلكيات الثوية الصحيحة.

[4]. المصدر السابق، ص١١٦.

[5]. منير شفيق، **موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية**، مصدر سابق، ص٥٧-٦٥. والتأثر بمفهوم التعلم من الشعب لدى ماوتسي تونغ واضح تمامًا هنا.

[6]. كوامي نكروما، **دليل الحرب الثورية**، مصد سابق، ص١٣.

- **في عينطورة.. الخلاف حول سوريا.**

شنت الكتيبة الثانية بقيادة موسى العملة (أبو خالد) هجومًا من أجل احتلال قرية عينطورة في ٣١ آذار ١٩٧٦، بتعمليات من أبو جهاد، وقد وافق ذلك رغبة يسار فتح والمنظمة إضافة إلى كمال جنبلاط[1]، وقد شاركت السرية الطلابية في هذا القتال[2]. طالبت سوريا الفلسطينيين بالانحساب من عينطورة، وهو ما رفضه كمال جنبلاط، حتى أصبح الاحتفاظ بعينطورة عنوان الصمود سواء بالنسبة إلى اليسار اللبناني والفلسطيني، أو بالنسبة للاتجاه السوفييتي في حركة فتح، وذلك بخلاف رغبة ياسر عرفات الذي لم يكن يريد التورط أكثر في الحرب أو المزيد من توتير العلاقة مع سوريا، وقد حاول عرفات التفاهم مع حزب الكتائب بخصوص عينطورة إلا أن كلاً من الطرفين لم ينجح في تسويق الاتفاق لدى جمهوره، كما أن عرفات لم ينجح في تنفيذ اتفاق آخر عقده مع قائد سلاح الجو السوري للانسحاب من عينطورة، وهكذا شنت القوات السورية هجومًا في ٢٨ أيلول ١٩٧٦ اضطر القوات المشتركة إلى إخلاء المنطقة[3].

بعد احتلال الفلسطينيين لعينطورة؛ رحب موسى العملة قائد الهجوم بالسرية الطلابية، وألقى خطابًا، أثناء زيارته لموقعهم، أقسم فيه بأن يجعل من جماجم الجيش السوري جسورًا يعبر عليها الفلسطينيون، فرد عليه أبو حسن قاسم قائلاً بأن معركة الفلسطينيين محصورة في الصراع مع العدو الصهيوني فحسب، وأن القتال ضد السوريين ليس أصيلاً وإنما هو لغرض الدفاع عن النفس فقط، ومن ثم لن يعبر الفلسطينيون إلى وطنهم على جماجم السوريين أبدًا[4].

أوضحت هذه المحاورة الخلاف في طبيعة رؤية الصراع ما بين تيار السرية الطلابية والاتجاه السوفييتي في حركة فتح. كان الاتجاه السوفييتي يسمي هذه المنطقة بالجيب الأحمر، ويعتبر أن لبنان ساحة صراع بين أمريكا والاتحاد السوفييتي، وبأن هذا الأخير سيحوّل لبنان إلى كوبا أخرى،[5] وبذلك فإن المعركة بالنسبة للاتجاه السوفييتي في فتح تمتد من صوفر إلى موسكو[6]، بينما كان تيار السرية الطلابية يتخذ في الأساس موقفًا متحفظًا من الاتحاد السوفييتي، ويدير مواقفه على أساس نظرية التناقضات التي تجعل التناقض مع العدو الصهيوني هو التناقض الرئيسي، ومن ثم فالخط الصحيح يقضي بألا تُواجه القوى العربية الأخرى بالقتال إلا دفاعًا عن النفس.

بعد سقوط عينطورة في وقت لاحق، سيضعف ضغط الحركة الوطنية اللبنانية، وبالتالي يسترد ياسر عرفات سيطرته على القوات[7]، فقد كان موسى العملة أبرز الخاسرين من نتائج المعركة، بعدما رفض الانسحاب السلمي من عينطورة طوال الفترة الماضية، مؤكدًا بأن الفدائيين في عينطورة قادرون على الصمود شهرًا كاملاً في وجه هجوم رئيسي. إلا أن النتيجة لم تغضب قيادة فتح التي كانت تريد

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٤٨.

[2]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٢٧.

[3]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٤٨-٥٧٨.

[4]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٢٧-٢٨.

[5]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٥٤٩.

[6]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[7]. المصدر السابق.

التخلص من أزمة عينطورة، وقد وجدت هذه القيادة النتيجة العسكرية فرصة لإعفاء العملة من مهامه القيادية وتعيينه في منصب شكلي في غرفة العمليات المركزية لمنظمة التحرير[1]. بالنسبة للسرية الطلابية فكانت قد انسحبت من جبهة صينين – عينطورة قبل سقوطها بأسبوعين[2].

- **صنين: صمود وعملاء!**

بعد نجاح الفلسطينيين في احتلال عينطورة صعدت مجموعات من السرية الطلابية، بتوجيهات من أبو حسن قاسم، إلى قمم جبال صنين، بهدف فتح جبهة جديدة لتخفيف الحصار عن تل الزعتر،[3] خاصة وأنها تشرف على مدينة زحلة من جهة الجنوب الشرقي وعلى عيون السمال – فاريا من الشمال، وجونية وبكركي من جهة الشمال الغربي[4]، كان أبو حسن قاسم وحسن صالح[5]، يشرفان على إدارة الإجراءات الكفيلة بتأمين التموين لمواقع تمركز السرية الطلابية، ونقل مصابيها في حال حدوث اشتباكات[6].

يروي خليل النبتيتي، أن أحد الأفراد ممن انضم للمجموعة في صنين كان يعمل مخبرًا للعدو داخل فلسطين المحتلة، وقدم من هناك للالتحاق بالثورة في لبنان، ورغم ذلك فإن السرية الطلابية أعطته فرصة للتدريب والتوبة بتوجيهات من أبو حسن قاسم الذي نبه المجموعة إلى الحذر منه وضرورة الانتباه الدائم إليه. كان هذا المخبر قد اعترف بنفسه لأبو حسن قاسم دون أن يتعرض لأي شكل من التعذيب؛ بعمله مخبرًا للمخابرات الصهيونية داخل الأرض المحتلة وبأنه سلم لها إحدى المجموعات المقاتلة هناك. ولا يتضح من رواية النبتيتي المصير النهائي لهذا المخبر، الذي افتعل المشكلات، وادعى بأن السرية الطلابية اتهمته ظلمًا بالعمالة للصهاينة، إثر إحدى هذه المشكلات التي انتهت بتقييده واحتجازه بانتظار قرار أبو حسن قاسم[7].

أهمية هذه القصة تأتي في سياق مشروع آخر للسرية الطلابية كان يعمل عليه بشكل أساسي أبو حسن قاسم وحمدي التميمي من موقعهم داخل القطاع الغربي، لتدريب عناصر مقاتلة من داخل الأرض المحتلة في معسكرات السرية في لبنان ثم إرجاعها إلي الأرض المحتلة للقيام بعمليات ضد الصهاينة. فحتى أبو الراتب نائب قائد السرية جاء إلى لبنان لهذا الغرض وكان يجري إعداده وتدريبه مع مجموعة أخرى لهذه الغاية.

قامت مليشيات حزب الكتائب والأحرار بالتعاون مع منشقين من الجيش اللبناني بشن هجوم مستمر على نقاط تمركز السرية الطلابية في مرتفعات صنين. يروي شفيق الغبرا قائد موقع صنين بتكليف من أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، أن بضعة أفراد من السرية

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ٥٧٨.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، ص٢٥٧. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص١٨٠

[4]. خليل نبتيتي، مصدر سابق، ص٣٢.

[5]. أحد قادة التنظيم الطلابي، ومنتسبي التيار.

[6]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٣٣.

[7]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٣٣.

صدوا الهجوم العنيف للقوات المارونية المهاجمة في اليوم الأول للهجوم، وتمكنوا من استرداد المواقع التي كانت تلك القوات قد سيطرت عليها. وفي هذا الهجوم سوف يصاب شفيق الغبرا، ويستلم أبو خالد جورج بنفسه قيادة الموقع، وفي هذا الموقع في ٣ آب ١٩٧٦ سيستشهد أبو خالد جورج بقنبلة منثارية كانت قد أطلقتها قوات الكتائب[1]. وستفقد السرية الطلابية عددًا آخر من الشهداء في معارك صنين[2].

كان معين الطاهر قد أصبح قائد السرية الطلابية منذ استشهاد سعد جرادات في معركة برج الناصرة في البرجاوي، ونظرًا لسقوط هذا العدد من الشهداء للسرية، طلب من خليل الوزير استبدال قوات السرية في صنين، والإذن لهم بتجميع قوات السرية في معسكر بيصور[3] الذي أقامته السرية خصيصًا كمقر للمقاتلين وموقع للتدريب. وعين أبو الراتب قائدًا للمعسكر وحسن صالح مفوضًا سياسيًا له، وبدأت السرية بالتدريبات البدنية اليومية الشاقة، وترتيب المحاضرات الثقافية والفكرية، ودراسة حروب الغوار، وبعض المهارات في الابتكار والتصنيع والاختفاء والتمويه والتعرف على الألغام، إضافة إلى دراسة النظريات العسكرية، والتدرب على كافة الأسلحة الرشاشة، والتعرف على المدافع ومضادات الدروع[4].

أراد معين الطاهر لكتيبته أن تلتقط أنفاسها، وتعيد تنظيم صفوفها، استعدادًا لمعركة قادمة مع السوريين. يقول معين الطاهر: "كان ضرورياً أن نعيد تنظيم الكتيبة في ظل تقدير للموقف أن ثمة معركة قادمة مع السوريين، ولا بد من خوض هذه المعركة كي نتمكن من فرض وقف لإطلاق النار يتبعه وقف للحرب الأهلية، وأن معركة أُخرى ستليها، لكن هذه المرة في الجنوب".[5] يعيد معين الطاهر هنا رؤية السرية لخوض الحرب الأهلية: "خوص الحرب لوقف الحرب".

كانت الثورة الفلسطينية، قد خسرت عددًا من الكوادر الذين سقطوا شهداء في هذه المعارك، رأي فيهم منير شفيق روح الشعب والجماهير العربية، بل وروح الأجداد والآباء العظام الذين قاتلوا في بدر وأحد، وفي القادسة واليرموك، وفي حطين وميسلون، وفي يعبد والقسطل[6]. كتب منير شفيق ذلك في العام ١٩٧٧ بعد استشهاد كل من جواد أبو شعر، والحاج حسن، وسعد جرادات، وأبو خالد جورج، ومحمد علي (أبو يعقوب). كان محمد علي الوحيد من بين هؤلاء الذي سقط في معركة في جنوب لبنان مع القوات الصهيونية وقوات سعد حداد. من الواضح إذن في هذا النص أن ثمة عودة إلى الذات لدى منير شفيق، وهي عودة قديمة جدًا إلى بدر وأحد. لقد كان شفيق قد غادر الماركسية في هذه المرحلة لكنه لم يعتنق بعد الإسلام، وإن كان قد وضع أقدامه على أرضه التعبوية متلمسًا

---

[1]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص١٩١.

[2]. انظر: خليل النبيتي، مصدر سابق، ص٣٩، وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص١٨٠-١٩٢، وفتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصد سابق، ص٢٥٧-٢٧٦.

[3]. قرية لبنانية ترتفع عن سطح البحر ١٠٠٠ متر، في واحدة من غاباتها أقامت السرية معسكرها. كان معسكر السيطرة يستقبل مقاتلين للتدريب من الحزب التقدمي الاشتراكي الذي يقوده كمال جنبلاط. انظر: فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، ص٢٥٧-٢٥٨.

[4]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٢٩.

[5]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[6]. منير شفيق، **دروس من تجربة الشهداء الخمسة**، ([د.ك]، [د.ن]، ١٩٧٧): ص٤.

الجانب الثوري والحضاري فيه دون أن يلج بعد إلى عمقه العقائدي وظاهره الشعائري.

- **العامل المساعد في بحمدون**

بدأ الاستعداد لمعركة مع السوريين في بحمدون[1]، بإشراف مباشر من خليل الوزير. أشرف محمود العالول وهلال رسلان وأبو حسن قاسم على تنفيذ خطة لتحصين مواقع السرية بالتحصينات الهندسية وزرع الألغام وإقامة السواتر الترابية. وضمت السرية في هذه المعركة من ٦٠ إلى ٧٠ من عناصرها، إضافة إلى اللجان الوطنية في الجبل[2].

اقتنعت السرية بأن المعركة مع سوريا مؤقتة، وبأن الانخراط فيها ينبغي أن يكون بهدف إيقافها[3]، وفرض معادلة تخرج الثورة الفلسطينية من الحرب الأهلية، وتهيء لها الظروف المناسبة للتفرغ لقتال الصهاينة وجيش سعد حداد في الجنوب. كانت السرية الطلابية قبل بحمدون قد رتبت جولة لاستطلاع الجنوب اللبناني، وتبين لها أن الجيب الحدودي الذي يقوده سعد حداد قد بدأ يتوسع[4]، فوضعت تصورًا بضرورة الخروج من الحرب الأهلية سريعًا والنزول إلى الجنوب.

بدأت السرية تستعد لمعركة بحمدون منذ النصف الثاني من آب، وخلال هذه الفترة وحتى بدء المعارك نجحت في كسب ثقة السكان. قامت بحمايتهم من سرقات الفصائل الأخرى، وامتنعت عن قبول الدعوات إلى المنازل، وعن قبول الهدايا، إلا في حدود بسيطة، خشية من تفسير ذلك بأنه استغلال للنفوذ. واهتم شباب السرية بالتواضع للناس ومحاورتهم في كل المجالات التاريخية والسياسية والأدبية والاقتصادية. وكانت المسلكيات الثورية التي يعلمها خط الجماهير أوضح ما تكون في حماية السرية الطلابية لكنيس يهودي من اعتداءات الفصائل الفلسطينية، والتي من بينها منتسبون إلى حركة فتح. وقد تمكن شباب السرية من بناء علاقات جيدة مع حاخام الكنيس[5].

شنت القوات السورية المتقدمة بالدبابات هجومها على بحمدون في ١٠ تشرين الأول ١٩٧٦، وخاضت السرية الطلابية في مواجهتها معارك عنيفة إلى جانب أحزاب من الحركة الوطنية اللبنانية، مدة يومين ونصف. فبحسب معين الطاهر كانت قيادة التيار ولا سيما منير شفيق وأبو حسن قاسم، قد قدرت أن الصمود في بحمدون لمدة تتراوح ما بين ٢٤– ٤٨ ساعة من شأنها أن تفرض على

---

[1]. بلدة لبنانية تقع في منطقة عاليه في لبنان، ضمن محافظة جبل لبنان.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص١٩٤.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق..

[5]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص١٩٦–٢٠٠.

السوريين وقفًا لإطلاق النار نظرًا لحصول قمة عربية في الرياض في هذه الفترة[1]. أرسل معين الطاهر هذا التقدير الذي اتفق عليه مع التيار إلى أبو جهاد الذي أعطى بدوره أوامره لتنفيذ ما يقتضيه تقدير الموقف الذي قدمه التيار[2].

في ١٦ تشرين أول ١٩٧٦ اجتمع في الرياض ملك السعودية وأمير الكويت وكل من حافظ الأسد وياسر عرفات وأنور السادات والرئيس اللبناني إلياس سركيس، واتفقوا على وقف إطلاق النار، واحترام تطبيق اتفاق القاهرة ١٩٦٩، وعلى إعادة التأكيد على الدعم العربي لمنظمة التحرير، واستبدال الجيش السوري بقوة ردع عربية[3]، وأعلن عن سريان مفعول وقف إطلاق النار اعتبارًا من ٢١ تشرين أول، وصادق على هذا الاتفاق مؤتمر قمة عربي كامل انعقد في القاهرة في ٢٥ و٢٦ تشرين أول[4].

كانت حصيلة معارك ثمانية عشر شهرًا من الحرب الأهلية ٩٠٠ شهيد لكل من حركة فتح وجيش التحرير الفلسطيني، ومثلهم لبقية الفصائل الفلسطينية الأخرى مجتمعة، وسقط للقوات المارونية ما يقارب ٣٠٠٠ قتيل، بيما لا تعرف خسائر السوريين. أما القتلى المدنيون فقد بلغوا ١٤٠٠٠ قتيل، قتل الماورنة منهم ما بين ٩٠٠٠ و١١٠٠٠، بينما قتلت القوات المشتركة منهم ما بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠[5].

لقد كانت رؤية تيار السرية الطلابية أن فتح لا يمكن إصلاحها، كما أنه لا يمكن إيجاد البديل لها في ذلك الوقت من الزمن، ونظر إلى الأفكار الانشقاقية على أنها مشاريع تحطيمية للثورة الفلسطينية بالنظر إلى أن فتح العمود الفقري للثورة الفلسطينية، وبأنها لا تزال تتسع للنضال من داخلها رغم توجه قيادتها نحو التسوية، والتي بدأت بالظهور من بعد حرب تشرين ١٩٧٣، فنظر إلى نفسه كـ "عامل مساعد"[6]، لا يقدم نفسه بديلاً، ولا يقف على ضفاف الثورة مكتفيًا بالنقد أو متطلعًا إلى القيادة، وإنما يحاول تعظيم الجانب الإيجابي في فتح من خلال تدافع القوى داخل الحركة، وهي النظرية التي سماها بـ "قانون المحصلة"، وعبر عنها بـ "الحصوة التي تسند الجرة".

فانخرط هذا العامل المساعد نظريًا وقتاليًا، لتعزيز القتال، وتدعيم الأفكار الثورية، ونشر المسلكيات الأخلاقية بين منتسبي الثورة الفلسطينية، ولمحاولة فرض وقف للحرب الأهلية بما يناسب تطلعات الثورة الفلسطينية، ويضعها في مواجهة عنفية واحدة، هي مواجهتها مع التناقض الرئيسي الذي هو الكيان الصهيوني.

---

[1]. بحسب يزيد الصايغ، فإن ياسر عرفات هو الذي طلب في بداية المعركة الصمود من ٢٤ إلى ٤٨ ساعة لإعطائه فرصة كافية لتحريك التدخل الدبلوماسي العربي. وينسب صايغ ذلك إلى مقابلة أجراها مع معين الطاهر وعبد المعطي السبعاوي. انظر: يزيد الصايغ، مصدر سابق، ص٥٨١. بيد أن رواية معين الطاهر في **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، أو مقابلته مع الدراسات الفلسطينية والتي هي جزء من الرواية لا توضح ذلك. وبحسب رواية صلاح خلف فإن ياسر عرفات كان يخابر مختلف رؤساء الدول العربية أثناء الهجوم السوري ويرجوهم بالتدخل، إلا أن ولي عهد السعودية الأمير فهد استجاب لعرفات، وفي ١٤ تشرين أول أعلن عن عقد قمة في الرياض، وفي اليوم نفسه أوقف الأسد هجومه، وخلال ٤٨ ساعة تمكن ستة رجال: الملك خالد ملك السعودية، وأمير الكويت، وحافظ الأسد والسادات وعرفات والرئيس اللبناني سركيس. انظر: صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، مصدر سابق، ص٢١٨.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. صلاح خلف، مصدر سابق، ص٢١٨.

[4]. يزيد الصايغ، مصدر سابق، ص٥٨١.

[5]. المصدر السابق، ص٥٨٢.

[6]. أكرم حجازي، مصدر سابق، ص٢٧٧.

لقد نجح هذا العامل نسبيًا في الموازنة مع الاتجاه السوفييتي في فتح، والذي كان يدفع نحو مواجهة مستمرة ومفتوحة مع المارونيين والسوريين لحسم النزاع عسكريًا، والذي ضمَّ أيضًا مراكز نفوذ تتماهى مع الرؤية السوفييتية لحل الصراع في الشرق الأوسط. ونجح هذا العامل المساعد بإشراك الطلاب، ومجموعات واسعة من المثقفين والقوى والمجموعات اللبنانية والفلسطينية والعربية في الثورة الفلسطينية، ومن ثم دمج إطارات متعددة في الممارسة العملية على أساس من خط الجماهير الذي يدعو إلى الالتصاق بالناس والتعلم منهم وخدمتهم واحترام ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم واستنباط النظرية الثورية من عمقهم وعلى النحو الذي يحمل سماتهم وملامحهم.

في الحرب الأهلية رأى العامل المساعد أن يلقي بثقله فيها دفاعًا عن الثورة وعن الوجود الفلسطيني في لبنان، ولمحاولة خلق التوازن مع القوى الأخرى التي تدفع بالحرب نحو النهاية بالحسم المسلح، وللمدافعة ضمن قانون المحصلة في محاولة للوصول إلى تسوية فلسطينية لبنانية عربية تحافظ على مكاسب الثورة وتتيح لها النزول إلى الجنوب والتفرغ لقتال الكيان الصهيوني والميليشيات الجنوبية الموالية له.

إن أبرز نجاحات العامل المساعد في مرحلة الحرب الأهلية، كانت في تقديره للموقف السياسي المتعلق بالقتال المتوقع مع السوريين في بحمدون، ثم في تقديره السياسي بأن الصمود في بحمدون من شأنه أن يحقق وقفًا لإطلاق النار في القمة المزمع عقدها في الرياض. وتبدو في هذا الصدد أهمية هذا التيار، كعامل مساعد لافتة جدًا في وقف الحرب، وإعادة موضعة اتجاه الثورة الفلسطينية. بعد ذلك سيمضي التيار، أو مجموعته القيادية الأساسية، على ضوء هذه الرؤية التي يعرّف بواسطتها نفسه كعامل مساعد، تكون وظيفته تعظيم القوى الإيجابية، بعيدًا عن النزاع الداخلي أو الأفكار الانشقاقية أو أنماط التنافس المدمرة، وسوف تظهر آثار ذلك في وقت لاحق في الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وبدايات الحركات الإسلامية المقاومة في فلسطين.

وهكذا انتهت مرحلة مع الربع الأخير من العام ١٩٧٦، وبدأت مرحلة جديدة، كانت مؤشراتها الأولى في قمة الرياض ١٦ تشرين أول ١٩٧٦، ثم في مؤتمر القاهرة ٢٥ تشرين أول ١٩٧٦، اللذين أعلنا نهاية الصدام المسلح الفلسطيني السوري، وأكدا على اتفاقية القاهرة بين الثورة الفلسطينية والدولة اللبنانية. رأى التيار أن هذه النتائج، تعني من الناحية السياسية إنزال ضربة قاسية "بمخطط المؤامرة الأمريكية الصهيونية" في لبنان، وفتح الطريق أمام إعادة توحيد لبنان وتكريس عروبته. لكن تحقيق ذلك، بحسب ما يرى التيار، يتطلب الدخول في مرحلة جديدة من الصراع السياسي والعسكري، ولهذا سارعت قيادة فتح بالنزول إلى الجنوب لمواجهة توسع جيب حداد، متجاهلة بعض الآراء، في أوساط فتح والمنظمات الفلسطينية، التي رأت النزول إلى الجنوب مغامرة يبدد فيها الفلسطينيون قوتهم وتجعلهم بين المطرقة والسندان. كانت وجهة نظر التيار أن هذا التفكير قابع داخل عقل فترة العامين من ١٩٧٥– آخر ١٩٧٦، وعاجز عن رؤية سمات المرحلة الجديدة[1].

[1]. منير شفيق، "حرب آذار ١٩٧٨ عسكريًا"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٠٠، (آذار ١٩٨٠): ص٤١– ٥٤.

ب. النزول إلى الجنوب

- **بنت جبيل: سد الثغرة على أرض التحديات**

بعد انتهاء معارك بحمدون نزلت السرية الطلابية في ٢٥ تشرين أول ١٩٧٦ بتعداد بلغ ٢٠٠ [1]مقاتل إلى بنت جبيل، في وقت كان الشريط الحدودي وحتى مدينة صور خاليًا من قوات الحركة الوطنية اللبنانية ومن قوات الثورة الفلسطينية[2]. أغلق معسكر بيصور، وذهب بقية العناصر ممن لم ينزلوا إلى الجنوب، إلى دورة عسكرية بتوجيه من خليل الوزير وسعد صايل[3].ورفعت السرية الطلابية التي تمركزت في عدد من التلال في منطقة بنت جبيل، من معنويات أهالي المنطقة، مستعينة ببعض عناصر التيار ممن قاتلوا مع السرية في عدد من المواقع[4]. كان للحرب الأهلية اللبنانية وانغماس الفلسطينيين فيها دور كبير في إضعاف الوجود الفلسطيني على خط المواجهة مع الكيان الصهيوني في جنوب لبنان.

وجدت السرية الطلابية فراغًا عسكريًا واضحًا، فالقطاع الأوسط الذي تعود إليه مسؤولية منطقة بنت جبيل، كان قد غادر هذه المنطقة للتمركز شرق مدينة صيدا بسبب المعارك مع السوريين، بينما لم يكن لميليشيا المنطقة التي يترأسها أبو الفتح[5] وجود مسلح هناك، فرتبت السرية وجودها بالتنسيق مع قائد القطاع الأوسط (بلال)[6]، وقائد المليشيا أبو الفتح[7]. حيث بقيت السرية الطلابية وحدها في الموقع مدة أسبوعين ثم جاءت بعد ذلك قوات القطاع الأوسط وتلتها مجموعات أخرى من الفصائل الفلسطينية وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية[8].

حين وصول السرية الطلابية إلى بنت جبيل كانت قوات كل من سعد حداد ونائبه سامي الشدياق قد توسعت في جيبين تفصل بينهما بلدة بنت جبيل. ومثلت قرية مارون الراس التي يبلغ ارتفاعها ٩٤٠ مترًا أخطر القرى الفاصلة بين الجيبين، اللذين تفصل بينهما مجموعة من القرى أكثر سكانها من الشيعة، فكانت المهمة الأساسية للسرية الطلابية منع توسع قوات سعد حداد، والدفاع عن بنت جبيل التي هجرها أكثر سكانها بسبب القصف المستمر من قوات سعد حداد[9].

تحولت السرية الطلابية إلى كتيبة، وعرفت بين الأهالي بـ "كتيبة الطلاب"، وصارت تضم عددًا من السرايا، وانضم إليها عدد من

---

[1]. يذكر شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصد سابق، أنهم كانوا ١٥٠. انظر: ص٢١٧.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٤٤٠٤٥.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. ذياب العلي. أصبح لاحقًا من أهم قيادات الكتيبة الطلابية، وعاد مع السلطة الفلسطينية إلى داخل الأرض المحتلة، وأصبح قائدًا لجهاز الأمن الوطني.

[6]. محمود السمودي، وقتل أثناء الغزو الصهيوني للبنان في العام ١٩٨٢.

[7]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[8]. المصدر السابق.

[9]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢١٧-٢٢٠.

المقاتلين من غير الطلاب، وبهذا تحولت السرية الطلابية إلى تشكيل عسكري نظامي تابع لقوات العاصفة، بالرغم من أن هذا لم يكن مخططًا له لدى السرية وقيادة التيار. كانت السرية تود أن تطبق النموذج الذي سبق لها وأن اتفقت عليه مع قائد الميليشيا السابق جوادأبو شعر، والذي يقضي بأن تبقى طليعة مقاتلة للتيار والتنظيم الطلابي محافظة على طابعها كسرية مستقلة وتقاتل في إطار إحدى الكتائب الملحقة في الجنوب، إلا أن قيادة إقليم لبنان رفضت المقترح[1] وخيرتها بين الالتحاق بالميليشيا أو بالقوات، فاختارت السرية القوات، وأصبح عدد من مقاتليها مفرغين فيها كعسكريين محترفين، وتحول اسمها إلى "كتيبة الجرمق" نسبة إلى أعلى جبال فلسطين[2]. وانضمت الكتيبة الجديدة إلى كتائب قوات القسطل، إلى جانب كتائب القطاع الأوسط وشهداء أيلول وبيت المقدس. وبدأت كتيبة الجرمق بإرسال منتسبيها إلى دورات عسكرية احترافية في الصين والجزائر وفيتنام وروسيا وكوريا وألمانيا الشرقية والباكستان إضافة إلى كلية فتح العسكرية[3].

كان واضحًا أن ثمة حاجزًا يفصل الطليعة المقاتلة للتيار عن القوات النظامية بوجه عام، وعن الاتجاه السوفييتي في حركة فتح بوجه خاص، فقد سبق وأن قلص موسى العملة (أبو خالد) تموين السرية في صنين[4]، وها هو العقيد سعيد مراغة (أبو موسى) يفعل الشيء ذاته معهم في الجنوب[5]، إلا أن حاجزًا آخر تمثل في عنصرين: الأول دخول السرية الطلابية وقياداتها إلى القوات من خلفية طلابية لا من خليفة عسكرية، فمعين الطاهر قائد الكتيبة البالغ من العمر ٢٥ عامًا كان أصغر قادة القوات سنًا، وكذلك نائبه مروان كيالي. وأما العنصر الثاني فهو الفكر العسكري التقليدي للقوات الذي كان يرفض طريقة السرية الطلابية في القتال على النحو الذي قدمته في البرجاوي وصنين وبحمدون، على أساس أنه ينطوي على مغامرة كبيرة لاختلال موازين القوى بين الطرفين[6]. إلا أن كتيبة الجرمق تمكنت تاليًا من بناء علاقة مميزة مع بلال قائد القطاع الأوسط بعد علاقة ارتياب كان السبب فيها العقيد أبو موسى، كما يروي معين الطاهر. وكان من الخلفيات الأولية في البداية ذلك الموقف المنفتح الذي أبدته الكتيبة الطلابية تجاه حركة أمل على نحو يخالف الموقف السائد لدى اليسار الفلسطيني واللبناني في ذلك الوقت. لاحقًا سوف تتداخل الكتيبة الطلابية مع كتائب القطاع الأوسط في عدد من المعارك في مواجهة سعدد حداد أو في مواجهة القوات الصهيونية[7].

حددت كتيبة الجرمق لنفسها أربع مهمات أساسية عاجلة. الأولى: وقف تقدم قوات سعد حداد، والثانية: نيل ثقة سكان المنطقة، وخاصة بلدة بنت جبيل، وحماية المنطقة من تجاوزات فصائل الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، والثالثة: تحويل الكتيبة من قوة

---

[1]. يفسر معين الطاهر ذلك، بأن قيادة الإقليم لم تكن مرتاحة لنمو ظاهرة التيار وطليعته المقاتلة.

[2]. شفيق الغبرا، مصدر سابق، ص٢٢١.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[4]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٣٥.

[5]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٢٨.

[6]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٢٢.

[7]. ميعن الطاهر. **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

متطوعين إلى قوة محترفين، والرابعة: الاندماج في القوات وتجاوز الحواجز التي سبق ذكرها، وقد نجحت الكتيبة في ذلك كله[1]، وقدمت أداء جديدًا على مستوى الفكر القتالي والمسلكية الثورية.

منع وجود الكتيبة الطلابية سعد حداد من احتلال بنت جبيل، واستعادت منه الكتيبة الطلابية، إلى جانب معظم قوات العاصفة الموجودة في المنطقة، عددًا من البلدات التي سبق له واحتلها، واصطدمت تلك القوات أيضًا بالقوات الصهيونية التي حاولت مساعدة قوات سعد حداد، بعد نجاح القوات الفلسطينية في استعادة بلدات تل شلعبون والطيبة ورب تلاتين، وشن هجوم ناجح لاستعادة بلدة الخيام، حتى وصلت القوات الفلسطينية إلى مشارف مرجعيون[2].

لقد بدأت الكتيبة الطلابية ومنذ أن وصلت بنت جبيل، بالعمل على رفع معنويات سكان المنطقة، وإحداث التغيير المطلوب معنويًا وعسكريًا؛ بتنظيم سلسلة من الدوريات والغارات على عدد من مواقع سعد حداد، إضافة إلى عمليات زرع العبوات وضرب السيارات العسكرية[3]، إلا أن الجهد السياسي المستند إلى خط الجماهير والموازي للجهد العسكري لم يكن يقل أهمية عن ذلك الجهد العسكري، فقط وجدت الكتيبة الطلابية نفسها أمام عدد من التحديات.

كان التحدي الأول بالنسبة للكتيبة الطلابية بناء العلاقات مع السكان الذين كانت لهم خبرة سلبية مع المنظمات الفلسطينية وأحزاب الحركة الوطنية، ومن هنا بدأت قيادات الكتيبة بالتواصل والتفاعل مع مخاتير القرى، ومع السكان عمومًا. إضافة إلى ذلك فإن أحزاب الحركة الوطنية والمنظمات الفلسطينية كانت قد افتححت لها مراكز في بنت جبيل وعززت وجودها في القرى الجنوبية، وهو الأمر الذي ضاعف من أعباء الكتيبة من جهة حماية حقوق الناس من تجاوزات تلك الأحزاب والمنظمات، ومن جهة إعادة دمج العائلات التي كانت قد عزلها تحالف قوى الثورة الفلسطينية مع الحركة الوطنية اللبنانية بتهمة الرجعية أو تصنيفها ضمن الإقطاع السياسي، أو بتهمة الانحياز للحكومة اللبنانية أثناء الحرب الأهلية. [4]

بدأت علاقات الكتيبة تتعمق مع شخصيات مركزية في المنطقة، بعضها محسوب بحسب التصنيفات اليسارية الرائجة على اليمين الديني. من تلك الشخصيات المفتي الجعفري عبد الأمير قبلان[5]، والذب كان له دور ممتاز في معاونة الكتيبة في التصدي لمحاولة سعد حداد والصهاينة في اختراق بعض قرى الجنوب أمنيًا[6]، وهاني فحص[7]، الذي نقل لقادة الكتيبة شعور الناس بالتغيير الذي أحدثته

---

[1]. المصدر السابق.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٢٤-٢٢٦.

[4]. المصدر السابق، ص٢٢٩.

[5]. يشغل الآن نائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى.

[6]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[7]. أحد الشخصيات اللبنانية الشيعية الدينية التي ارتبطت بعلاقات هامة ومميزة مع فتح، ولا سيما مع ياسر عرفات وخليل الوزير والكتيبة الطلابية، وكان له دور بارز في وصل فتح بالخميني. كان مما قاله عن الكتيبة الطلابية: "وجدت نفسي في تعاملي مع السرية الطلابية/ كتيبة الجرمق في مكان أصلي فيه من دون أن يقول أحد لي لماذا تصلي. وجدت أناسًا غير مشغولين بالبحث عن جمهور يصفق لهم، بل بالبحث عن مسلكيات يبحث عنها الجمهور. وجدت أناسًا يكرهون الخطأ لكن لا يكرهون صاحبه، وجدت مجموعة تسعى الى التغيير من

الكتيبة في الجنوب، وكذلك عبد اللطيف بيضون الذي كان نائبًا عن بنت جبيل ونبههم إلي التجاوزات والانحرافات التي كانت قد أحدثها العمل الفدائي في الجنوب[1].

الرجل الأهم بالنسبة لسكان بنت جبيل من بين الشخصيات التي نسجت الكتيبة الطلابية علاقات وثيقة معها؛ كان عبد الرؤوف فضل الله، وهو رجل دين شيعي كبير يحمل لقب آية الله[2] التي تدل على الوصول إلى رتبة الاجتهاد في التراتبية الدينية لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وهو والد المرجع الديني المعروف محمد حسين فضل الله.

وجد رجل الدين الكبير في الكتيبة الطلابية سعة للمطالبة بحماية الناس في ممتلاكاتهم وأرواحهم وقيمهم، وتقليص المواجهات العسكرية بما يتيح للمهجرين العودة إلى مناطقهم، والامتناع عن ضرب المناطق المدنية لدى الطرف الآخر (المسيحيين). وقد نجحت الكتيبة خلال فترة قصيرة في تنفيذ كل طلباته. ونظرًا لهذه العلاقة الوثيقة التي ربطت بعض شباب الكتيبة برجل الدين فضل الله، فإن بعضهم قد بدأ بالصلاة خلفه بانتظام بدعوة منه. كانت الصلاة خلف فضل الله تجمع مقاتلين من السرية من السنة والشيعة على السواء[3]. ظهر أن خط الجماهير ينفتح على وضعين متلاحمين؛ الأول: الاقتراب من الجماهير والالتصاق بها وحمايتها وخدمتها، والثاني: الاقتراب من قيمها وعاداتها وتقاليدها على النحو الذي سيصل بعدد لا بأس به من أصحاب التجربة إلى الانتقال إلى الإسلام.

وبهذا؛ توزع نشاط الكتيبة الطلابية على عدد من المهام اليومية، من الانضباط العسكري في المواقع والمقرات والمعسكرات، إلى المواجهات القتالية العنيفة مع قوات سعد حداد والصهاينة، مرورًا بدور يومي مستمر في التواصل مع الناس، وحمايتهم من تجاوزات الفصائل الفلسطينية وأحزاب الحركة الوطنية المستمرة، إلى حل الخلافات التي نشبت بين أحزاب الحركة الوطنية وبين حركة أمل بعدما بدأت تتسع الأخيرة على حساب تلك الأحزاب. وقد توثقت علاقات الكتيبة بالجماهير إلى درجة لجوئهم إليها لحل مشاكلهم الخاصة.

طورت الكتيبة رؤية جديدة تنسجم مع خط الجماهير بخصوص التعامل مع التجاوزات المستمرة من قبل المنظمات الفلسطينية؛ تقضي بالامتناع عن تعذيب أي سجين ممن تقوم الكتيبة باعتقالهم على خلفية تجاوزاتهم. جاء هذا القرار بعدما قام عدد من شبانها بضرب

خلال آليات المجتمع لا في مواجهته ورفضه. وجدت أناسا لم ينحرفوا عن أهدافهم وهم في أصعب المراحل. لقد ظل البعد الإنساني أساسيا في تجربة الكتيبة.. لم يكن للجماعة شخص مؤسس، بل ظاهرة فيها تكامل بين عدد من المناضلين، لم يكن قائد الكتيبة ديكتاتورًا بل جزء من كوادر وقياديين لكل منهم دوره وعطاؤه. الهيكلية لم تكن مفروضة بل تلقائية.. أما يساريتها ومأويتها الفكرية، فلم تكن أساسية، بقدر ما كانت رفضًا للنمط السلطوي لليسار الروسي/ السوفييتي في العالم. لقد سمح هذا للسرية الطلابية وتيار الشبان بأخذ بعض إيجابيات الفكر الماوي في جانب أساسي مرتبط بتعامل الثوريين الصينيين المنفتح مع المجتمع في زمن الثورة قبل انتصارها. هذا البعد الشرقي والإنساني جعل التيار أقرب إلى نموذج مستقل يسعى إلى التعلم من تجارب الثورات الأخرى من دون أن يكون ملتزمًا بعقائدها. إن لا عقائدية التيار ساعدت على نشوء ليبرالية وسيطة تتقبل الآخرين.". نقلاً عن شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص٣٨٧. وقد أدلى فحص برأيه هذا في الكتيبة الطلابية في مقابلة أجراها الغبرا معه في ٢٣ أيلول ٢٠٠٩.

[1]. المصدر السابق، ص٢٣٣.

[2]. المصدر السابق، ص٢٣١.

[3]. المصدر السابق، ص٢٣١- ٢٣٣..

أحد المنتسبين لحركة فتح على خلفية إساءته لسكان المدينة[1]. كان التحدي الأمني الداخلي المتعلق بمنع السرقات وحماية الناس من استغلالهم والاعتداء عليهم باسم العمل الفدائي من أكبر التحديات التي واجهت الكتيبة في الجنوب، ونظرًا لذلك فقد ارتبطت الكتيبة بعلاقات جيدة مع قوات الأمم المتحدة في الجنوب لتسهيل مهمات هذه الأخيرة[2].

كثفت الكتيبة في هذه المرحلة من اهتمامها بعنصري الثقافة والأخلاق، ولا سيما بعد انضمام أعداد كبيرة ترغب بالتطوع في صفوفها، فقد مر عليها من المتطوعين من ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ متطوع[3]. وفي هذا الإطار ركز نشاطها التثقيفي على تعزيز مفهوم تغيير الذات[4]، وهو المفهوم الذي اهتم به منير شفيق في عدد من كتاباته التي اعتمدت داخل المناهج التثقيفية للتيار عمومًا والكتيبة خصوصًا. لقد اهتم التيار ومنذ بدايات تشكله بهذا المفهوم محولاً الشهداء والشخصيات الفريدة المعروفة في أوساطه إلى نماذج ملهمة، فهؤلاء الشهداء الذين "تكثفت فيهم فتح الأصيلة مشربة بأفضل ما يمكن أن تحمله جماهير شعبنا ومقاتلو ثورتنا من خصال حميدة، ورؤية سياسية وفكرية سديدة.. لم يتركوا أنفسهم تسير على سجيتها كما شكلت عبر المنشأ والحياة التي عاشها قبل دخوله الثورة وفي أثنائها. وإنما عمل بها صقلاً وتهذيبًا وتطويرًا من خلال النقد الذاتي والتعلم المستمر، والتقييم. ومن التصميم الحديدي للتغلب على السلبيات والتحلي بالصفات الإيجابية. إنها عملية الجهاد الأكبر ضد النفس الموروثة من المجتمع... وهنا نجد، بالضبط، الشيء الذي يجب أن نتعمله من هؤلاء الشهداء النموذجيين."[5].

من التحديات الأخرى التي واجهتها الكتيبة الطلابية في الجنوب، الجهود الأمنية التي قام بها سعد حداد بإشراف ضباط مخابرات صهاينة للضغط على أهالي عدد من القرى أبرزها مارون الراس للانضمام إلى الشريط الحدودي الذي يقوده سعد حداد. كان ثمة خلافات عائلية يتمظهر بعضها في انحيازات متناقضة للعائلات ما بين التعاون مع الحركة الوطنية أو التعاون مع سعد حداد، إضافة إلى الوضع الاقتصادي القاسي لسكان الجنوب، وقرب الأراضي الزراعية من الجنوب ما قد يسهل مهمة ضباط المخابرات الصهاينة في ابتزاز المزارعين، فهذه العوامل كانت تضاعف من خطورة الاختراقات الأمنية في المنطقة[6].

في المقابل قامت الكتيبة الطلابية بجهود مكثفة لطمأنة تلك القرى بأن الكتيبة لن تتموضع فيها ولن تعطي الذريعة لقوات حداد أو للصهاينة لقصفها. وحثتهم الكتيبة على القيام بمقاومة مدنية لدفع الضغوط التي يقوم بها سعد حداد، وبالفعل بات الأهالي يتصدون

---

[1]. المصدر السابق، ص٢٣٥-٢٣٦.

[2]. في هذا الصدد يروي الغبرا قصة طريفة، وهي قيام شبان الكتيبة بتعقب مجموعة من اللصوص سرقوا سيارة ضابط أمريكي كبير كان يعمل ضمن قوات الأمم المتحدة في الجنوب، حتى أعادت الكتيبة هذه السيارة للضابط. انظر: شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص٢٣٧-٢٣٧.

[3]. . منير شفيق، برنامج كل الحكاية، حلقة ١٠، مصدر سابق.

[4]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٣٧.

[5]. منير شفيق، **دروس من تجربة الشهداء الخمسة**، مصدر سابق، ص٤-٦.

[6]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص٢٥١-٢٥٤.

بأنفسهم لمحاولات سعد حداد الدخول إلى قراهم[1].

هذه السياسة التي استخدمتها الكتيبة الطلابية وضعتها في مواجهة بعض المنظمات الفلسطينية التي كانت تتأهب لضرب القرى التي تدخلها قوات سعد حداد ويتصدى لها أهالي تلك القرى بمقاومتهم المدنية[2]. إلا أن الكتيبة الطلابية كانت تعمل وفق رؤية إستراتيجية لإبطال مفعول الابتزاز الذي تقوم به القوات الصهيونية في العادة، والذي كان يتمثل في ابتزاز الدولة التي تقاتل على أرضها الثورة الفلسطينية وتحميلها المسؤولية، وضرب القرى والمخيمات والمدن بقصد تأليب الجماهير ضد العمل الفدائي. كانت خطة الكتيبة الطلابية تقوم وفقًا لتلك الرؤية على استنفار المشاعر القومية وواجب الدفاع عن الوطن، ورفع مستوى العمل السياسي بين الجماهير وكسب أوسع الصداقات، بالإضافة إلى الدعم المادي والتعويض والمساعدة في إعادة البناء، من أجل البقاء في الأرض وضد التهجير. وكان التيار الذي تمثله الكتيبة الطلابية يرى بأن تحويل الجماهير إلى قوى مقاومة ممكن في حال اتبعت الثورة الخط السياسي الصحيح[3].

تعرض نجاح الكتيبة الطلابية لضربة من قيادة القوات، فبعد نجاحها سياسيًا في اكتساب ثقة الجماهير، وعسكريًا في القيام بعدد من العمليات والمعارك التي استعادت ثقة الجماهير بقدرات المقاومة الفلسطينية، يأتي قرار من قيادة القوات[4]، بنقل الكتيبة الطلابية إلى منطقة أخرى تقع فيها بلدة قانا، وإحلال كتيبة شهداء أيلول التابعة لحركة فتح مكان الكتيبة الطلابية في بنت جبيل. شعرت الكتيبة الطلابية بالغبن نتيجة القرار الذي لم يراع نجاحاتها في منطقة بنت جبيل. وقد كانت نتيجة هذا القرار عكسية بالنسبة لبنت جبيل مع حلول كتيبة شهداء أيلول فيها، فهذه الكتيبة تتشكل من عسكريين محترفين مضى عليهم أكثر من عقد في صفوف قوات الثورة ولا يحسنون التعامل مع الجماهير، فبدأت إنجازات الكتيبة الطلابية بالتهاوي مع عودة التجاوزات والسرقات وحصول هجرة معاكسة من المدينة. بينما عادت الكتيبة الطلابية لتمارس مهماتها على ضوء خط الجماهير في المنطقة الجديدة التي حلت بها، واكتشفت فيها ذات المشكلات التي خبرتها في بنت جبيل، إضافة إلى تراجع ثقة سكان المنطقة بالمقاومة الفلسطينية جراء التجاوزات والمخالفات التي باتت معهودة[5].

في المنطقة الجديدة التي نقلت إليها الكتيبة، ستقوم أيضًا بذات الأدوار التي احترفتها في منطقة بنت جبيل، من إقامة علاقات متوازنة مع العائلات المتصارعة التي تستند كل واحدة منها إلى منظمة لبنانية أو فلسطينية تحتمي بها، وفض النزاعات بين العائلات، ومحاولة منع أعمال المقاومة الفردية الارتجالية التي تقوم بها بعض المنظمات الصغيرة وغير المعروفة والتي تستدعي ردود أفعال مدمرة على القرى اللبنانية ومصالحها الاقتصادية المرتبطة أساسًا بالزراعة. إضافة إلى جعلت الكتيبة الطلابية من مهامها فض النزاعات بين أحزاب الحركة

---

[1]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق

[2]. المصدر السابق.

[3]. منير شفيق، **بعض القوانين العسكرية في الثورة الفلسطينية**، مصدر سابق، ص٢٩-٣٠.

[4]. أصبح الحاج إسماعيل جبر قائد القوات في الجنوب بعد العقيد سعيد مراغة (أبو موسى).

[5]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٦٣- ٢٦٥.

الوطنية والقوى الإسلامية الشيعية في منطقة الجنوب.[1]

ج. جانب من معارك الكتيبة الطلابية في مرحلتها الجنوبية الأولى

- **معركة تلة شلعبون وتلة مسعود**

في ٢٨ شباط ١٩٧٧ حاولت قوات تابعة لسعد حداد، ومدعومة صهيونيًا، احتلال تلة مسعود وتلة شلعبون المشرفتين على بنت جبيل، ونجحت قوات الكتيبة المرابطة في التلتين إلى جانب متطوعين من حركة أمل في صد الهجوم، إلا أن القوات المهاجمة نجحت بعد ذلك في احتلال تلة شلعبون. قامت الكتيبة الطلابية بعشرة مقاتلين منها ومن القطاع الأوسط بشن هجوم مضاد تمكن من إخراج قوات سعد حداد، وقدمت القوة الفلسطينية في هذا الهجوم شهيدًا وجريحين، بينما تفاعل أهالي بنت جبيل مع هذه المعركة التي ردت إليهم معنوياتهم، وانتشرت بينهم الادعاءات عن قتال الملائكة إلى جانب الفدائيين[2].

- **معركة الطيبة**

كانت قوات سعد حداد قد احتلت في ٥ نيسان ١٩٧٧ قريتي رب ثلاثين والطيبة ولم يكن في القريتين قوات من الكتيبة الطلابية. قدرت الكتيبة الطلابية أن هذا التقدم لقوات سعد حداد خطير جدًا على صعيد ثقة السكان بقدرات المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية على حمايتهم، فقررت قيادات فتح العسكرية الموجودة في المنطقة استرجاع القريتين، وشنت بالتعاون مع قوات من الحركة الوطنية اللبنانية هجومًا، نجح في موجة هجوم ثانية، بعد فشله في الأولى، في استرداد القريتين، وكعادتها قامت القوات الصهيونية بعد ذلك بقصف القرى الجنوبية، وفي هذه المعركة أصيبت الدبابة التي تقل سعد حداد الذي بقي خلف قواته التي تركته وحيدًا وانصرفت، وقد حاولت القوات الصهيونية، على إثر ذلك، استعادة بلدة رب ثلاثين بنفسها، إلا أنها أوقفت الهجوم بعد هجوم ناجح معاكس لقوات فلسطينية لبنانية مشتركة تمكنت فيه من تحرير بلدة الخيام[3].

كان لهذه المعارك أثر بالغ في استرداد ثقة الأهالي بالفدائيين، ورفعت من معنوياتهم وعززت تلاحمهم مع الثورة الفلسطينية. ورأى التيار أن هذه النتائج بالغة الأهمية على مستوى المعركة السياسية التي اعتبرها الوجه الأهم للصراع في ميدان لم يتوقف فيه القصف والقتال، ومن هنا أمكن للتيار القول بأن العمل السياسي بين الجماهير، وصحة الشعارات السياسية التي تطرح في الجنوب، شكل الشرط الأساسي لإحباط "المؤامرة الصهيونية- الأمريكية- الانعزالية"، وهكذا تظهر العلاقة بين العمل مع الجماهير والقتال ضد العدو، فالصمود العسكري ممتنع دون عمل سياسي بين الجماهير وشعارات سياسية صحيحة، والعمل السياسي بشعاراته الصحيحة ممتنع بدون قتال فعال، فالقتال الرديء والضعيف سوف يؤدي بالضرورة إلى عمل رديء مع الجماهير، وإلى الأخطاء السياسية وكثرة

---

[1]. المصدر السابق، ص٢٦٣-٢٧٥.

[2]. معين الطاهر، الكتيبة الطلابية: **تأملات في التجربة**، مصدر سابق. وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٤٦- ٢٤٩.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٤٩- ٢٥١.

التجاوزات والاستقواء بالسلاح[1].

وبحسب التحليل العسكري لمنير شفيق، فقد أدت معارك تلة شلعبون التي احتلت واستردت في نفس اليوم، ثم الطيبة ورب ثلاثلين، إلى كسر شوكة هجوم سعد حداد المعززة بالإمداد والقصف الصهيونيين، ثم انكفائها إلى الدفاع بقية من العام ١٩٧٧[2].

- **معركة مارون الراس**

عادت الكتيبة الطلابية مجددًا إلى منطقة بنت جبيل بعدما كانت قد أبعدت عنها إلى قانا، لتواجه بعد عودتها تحديًا قاسيًا تمثل في قيام سعد حداد مدعومًا بالقوات الصهيونية باحتلال بلدة مارون الراس في ٢ آذار ١٩٧٨، وهو الأمر الذي دفع الكتيبة الطلابية لشن هجوم واسع من عدة محوار مدعومة بقوات من الجبهة الشعبية وأحزاب من الحركة الوطنية اللبنانية، وقد تكلل الهجوم بالنجاح ولم تخسر فيه القوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة مقاتلاً واحدًا بينما أفادت مصادر مختلفة بأن قوات سعد حداد قد فقدت ١٨ مقاتلًا، إضافة إلى أسير واحد، أعدمه مسؤول في الحزب القومي السوري الاجتماعي خلافًا لتعليمات الكتيبة الطلابية، واستمرارًا في التجاوزات التي اجتهدت الكتيبة في محاولات وقفها. واستولت الكتيبة على عدد من الدبابات والمدرعات قامت بإهدائها إلى جيش لبنان العربي، وبهذه المعركة أصبح شمال فلسطين على مد النظر، فقد كانت مارون الراس قبل ذلك منطقة محايدة لا يدخلها أي من الطرفين، وبهذه المعركة أيضًا انسحب سامي الشدياق إلى داخل الكيان الصهيوني وخرج من المشهد تمامًا[3].

د. في عين العاصفة: من دلال المغربي إلى اجتاح ١٩٧٨

- **دلال المغربي ونذر الاجتياح**

بات واضحًا بعد معركة مارون الراس أنه لا يمكن لقوات سعد حداد توسيع الشريط الحدودي دون تدخل صهيوني، فقد قلبت نتائج المعركة الموازين كلها. وفي الأثناء، وتحديدًا في ١١ آذار قادت دلال المغربي برفقة عشرة فدائيين هجومًا على ساحل حيفا وسيطروا على حافلة "إسرائيلية" وقادوها في اتجاه تل أبيب، ما أدى في النتيجة إلى معركة استشهد فيها ٩ فدائيين من بينهم دلال، بينما قتل ٣٦ صهيونيًا. فقام الجيش الصهيوني وفي عملية انتقامية واسعة بشن هجوم كبير بدأ في منتصف ليلة ١٤ آذار، بواسطة وحدات مؤللة ومدرعة بلغت ما بين ٢٥٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ جندي، تدعمهم ٣٠٠ دبابة في مواجهة ٢٠٠٠ فدائي في المنطقة المستهدفة، بالإضافة إلى ٢٠٠٠ آخرين في بقية الجنوب، ونحو ٣٠٠٠ من عناصر المليشيا الفلسطينية الموزعين في المدن الرئيسية والمخيمات[4].

---

[1]. منير شفيق، "حرب آذار ١٩٧٨ عسكريًا"، مصدر سابق.

[2]. المصدر السابق.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٨١-٢٨٩. مجموعة مؤلفين، **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، مصد سابق، ص٤٤٨- ٤٤٩. ويزيد الصايغ، مصدر سابق، ص٦٠٥.

[4]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٦٠٥.

كانت دلال من منتسبات التيار الناشطات في بيروت[1]، كما كانت من عناصر التنظيم الطلابي في الثانويات بقيادة علي أبو طوق[2]، وشاركت في معارك بيروت وانتقلت مع السرية من معسكر بيصور إلى بنت جبيل حيث تحولت السرية إلى كتيبة، التي لم تخل من العنصر النسائي، إلا أن دلال كانت ترغب بالعمل في الصفوف الأولى على الجبهات وفي الكمائن والدوريات، وقد قامت بواجباتها العسكرية في المواقع التي كلفت بها بالفعل، إلى أن بدأ معين الطاهر قائد الكتيبة يتحفظ على وجودها في الصفوف الأمامية وحيدة بين ١٥ مقاتلًا[3].

والواقع أن ثمة اختلافًا قد حصل ما بين بيروت والجنوب، ففي بيروت كان عناصر السرية شبانًا وشابات يرابطون مجتمعين في المواقع، لكن تقاليد أهل الجنوب لم تكن تسمح بهذا النمط، وهو الأمر الذي كان على الكتيبة أن تراعيه انطلاقًا من خطها الذي انتهجته بالتقرب إلى الجماهير واحترام قيمهم وعاداتهم، ومن ثم فإن دلال المغربي لم تقنع بالعمل الإداري في المستوصف الذي تديره مجموعة مقربة من الكتيبة الطلابية، وتستخدمه لتقديم الخدمات الطبية لبنت جبيل والقرى الحدودية أيضًا، بما فيها الخاضعة لسعد حداد، وبالتالي، إمكان استخدامه كنطقة اتصال ونقطة أمنية أيضًا إضافة إلى وظيفته الطبية[4].

ثمة أمر آخر بالإضافة إلى الواقع الجنوبي المحافظ دفع الكتيبة الطلابية لفصل شابات الكتيبة عن شبابها متعلق بالرؤى الفكرية التي باتت تنتشر بين صفوف التيار بفعل كتابات منير شفيق المتعلقة بالمرأة العربية، التي ركزت على وحدة قضيتها مع الرجل العربي، أي قضية الثورة والتحرر من الاستعمار، وهي بهذا لا تملك قضية خاصة بها، ولا تنطوي علاقتها بالرجل على أي قدر من التناقض، سوى تناقض ثانوي يتمثل في تبعيتها الاقتصادية للرجل، وهو تناقض ثانوي بالنظر إلى التناقض الأساسي في مواجهة العدو الصهيوني[5].

بيد أن اشتراكها في الثورة ينبغي أن يقوم على أساس من الاتساق مع خط الجماهير، وعلى نحو وسط بين الاتجاهات المنسلخة عن خط الجماهير تحت شعارات يسارية طفولية محورت الصراع ضد التقاليد أو ضد الدين أو ضد المؤمنين ممن يحملون هذه التقاليد أو ضد غالبية الشعب، وبين الاتجاهات المحافظة التي أدت إلى تبطيء التقدم الجماهيري العفوي الفعلي لجماهير النساء على طريق النضال. وبهذا فإنه يجب أن تشارك المرأة في النضال في إطار قيم وتقاليد وأفكار الشعب بعد التمييز بين ما هو دخيل على الثقافة العربية والإسلامية وغريب عن أطروحات الإسلام من أفكار وتقاليد وقيم تسللت إليها في عصور الانحطاط، وبين ما هو إيجابي في تقاليد وقيم وأفكار الشعب، ومن هنا فإن أكثر المقترحات المتعلقة بسبل إشراك المرأة في النضال تتجه إلى العمل السياسي والإداري

---

[1]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص٢٥٢.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٣٨-٢٣٩.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. منير شفيق، "موضوعات حول نضال المرأة"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٦٢، (كانون ثاني ١٩٧٧): ص٢٠٠-٢٢٧

والإنتاجي وإسناد الرجل إن كان زوجًا أو ابنًا أو أخًا أو أبًا وتشجيعه على القتال[1].

- **مسار الاجتياح وقتال الكتيبة**

بعد أن بدأ الهجوم بقصف جوي عنيف وإلقاء القنابل الضوئية، قاتلت الكتيبة الطلابية بضراوة شديدة في منطقة مارون الراس وفي بقية المناطق التي تعرضت للاجتياح، ونفذت خطة عسكرية لتجنب القصف الصهيوني تقوم على التقدم إلى الأمام باتجاه الحدود الفلسطينية كلما قصفت القوات الصهيونية المواقع الفلسطينية، بما يخالف تكتيك التراجع المعهود حين القصف، وبهذالم يصب أحد في القصف[2].

حينما دخلت القوات الصهيونية مارون الراس، وجدت مواقع الكتيبة الطلابية فارغة، الأمر الذي هيأ الفرصة لعناصر الكتيبة لشن هجوم على تلك القوات، وإيقاع ٨ قتلى بين صفوفها، وهو ما تكرر أيضًا في عدد من المواقع الأخرى التي اعتمدت هذه الخطة العسكرية، والتي كان من ضمن عناصرها امتصاص الصدمة الأولى، والصمود فترة في الموقع ثم الانسحاب إلى موقع يشكل عقدة قتالية أكبر، وبهذا يستمر الصمود ثم الانسحاب ثم تشكيل عقدة أكبر من عدد المجموعات بشكل متوالي، بما يوفر الفرصة الدائمة لمفاجأة القوات المتقدمة[3].

استمرت الكتيبة الطلابية إلى جانب القطاع الأوسط بتنفيذ خطتها ٨ أيام هي طول فترة الحرب وصولاً إلى آخر نقتطين انتهت فيهما الحرب وهما جويا والعباسية التي اقترف فيها الصهاينة مذبحة كبيرة[4]، وقد أدى هذا التكتيك القتالي إلى إقناع الصهاينة بأن تقدهم نحو صور والمخيمات سيوقع في صفوفهم خسائر أكبر، فمنعت هذه الخطة الصهاينة من الوصول إلى الليطاني، فحافظت على طريق صور– صيدا مفتوحة، وأبقت المخيمات الفلسطينية خارج الاحتلال[5].

في هذه المعركة فقدت الكتيبة الطلابية عددًا كبيرًا من مقاتليها، لم تكتشف جثثهم إلا بعد تحرير جنوب لبنان في عام ٢٠٠٠، وقد شهد رئيس الأركان الصهيوني مردخاي غور في مؤتمر صحفي لمقاتليها موضحًا أن المجموعات التي قاتلتهم في بنت جبيل ومارون الراس تختلف عما خبروه في المعارك السابقة مع الفلسطينيين، وبدا غور في هذا المؤتمر الصحفي مهتمًا بما وجدته قواته في مواقع الكتيبة من نشرات تثقيفية ودروس تستخلص النتائج من المعارك، ما جعله يقول إنهم واجهوا نوعًا مختلفًا من المقاتلين[6].

انتهت الحرب وقد بلغ عدد القتلى المدنيين من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ لبناني وفلسطيني، بينما تسبب الاجتياح بفرار ٢٥٨٠٠٠ من

---

[1]. المصدر السابق.

[2]. الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. المصدر السابق. وانظر أيضًا: "حرب آذار ١٩٧٨ عسكريًا"،

[4]. في اليوم الأخير للقتال كثفت الطائرات الصهيونية من قصفها على العباسية قبل صدور قرار وقف إطلاق النار رقم ٤٢٥ عن مجلس الأمن، واستهدفت الطائرات منازل البلدة ومسجدها الذي اجتمع فيه الناس، وقتلت ١٨٠ مدنيًا.

[5]. الطاهر، الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة، مصدر سابق.

[6]. المصدر السابق، وانظر أيضًا: مجموعة مؤلفين، **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، مصدر سابق، ص٤٤٩. وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٩٢– ٣١٦.

المدنيين ولجوئهم إلى المدارس والمجمعات الرياضية ومباني البلدية في صور وصيدا. وأما عسكريًا فقد قُتل من الصهاينة ٢١ جنديًا مقابل ٦٥ فدائيًا. وسياسيًا نص القرار ٤٢٥ على انحساب "إسرائيلي" كامل من الجنوب ونشر قوة سلام دولية على طول الحدود وإعادة سيطرة الحكومة اللبنانية على المنطقة، وسلم الصهاينة لقوة الأمم المتحدة ٢٣ قرية من أصل ٣٧ قرية[1]. بعد هذا الاجتياح المدمر لمناطق الجنوب، بدأ المزاج الشيعي يتحول ضد الوجود الفلسطيني في لبنان[2]، وبهذا حقق الاجتياح مكسبًا سياسيًا هامًا على حساب الثورة الفلسطينية.

هـ. ما بعد عاصفة وقبل أخرى

بعد انتهاء الحرب انتشرت الكتيبة الطلابية على الخط الساحلي، ثم اتخذت قرارًا إلى جانب القطاع الأوسط وكتيبة أبو يوسف النجار بالتسلل إلى قرى وبلدات الجنوب التي ستستلمها القوات الدولية من القوات الصهيونية، وبهذا فإن القوات الدولية وجدت القوات الفلسطينية التي سبقتها إلى تلك المناطق أمرًا واقعًا فيها، أرادت منه قوات الثورة فرض وجودها كأمر واقع، ولمنع قوات سعد حداد من التسلل إليها، وانبنى على هذه الحقيقة ضرورة وجود هيئة ارتباط بين القوات الفلسطينية والقوات الدولية، وقد نجحت الهيئة بعد تشكيلها في بناء علاقات جيدة مع القوات الدولية، وصلت في بعض الحالات إلى حد التعاون في نقل أسلحة وذخائر إلى داخل الأرض المحتلة بترتيب من أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، وبتنفيذ من الرائد محمد تمراز أحد ضباط جيش التحرير الفلسطيني[3].

في هذه الفترة أقامت الكتيبة الطلابية معسكرًا للتدريب استوعب مئات المقاتلين والمتطوعين، وهو الأمر الذي عظم من حجم وقوة الكتيبة، وكان يشرف عادة أبو حسن قاسم، قائد التيار الفعلي، ورفيقه حمدي التميمي على إرسال المتطوعين، في سياق خطة التيار لتأهيل الكوادر وإرسالها إلى داخل الأرض المحتلة، وفي خضم هذه الصراع لم تتوان المخابرات الصهيونية عن محاولات التسلل إلى هذه المعسكرات بواسطة بعض المتطوعين مستغلة رؤية التيار التي تقبل كل قادم من داخل الأرض المحتلة بهدف التدريب.

ومن مفارقات هذا الصراع التي تروى، قيام الكتيبة بتدريب شاب أرسله أبو حسن قاسم بعدما حذرهم من احتمال تعامله مع المخابرات الصهيونية، فبعد إنهاء هذا الشاب تدريبه وعودته إلى داخل الأرض المحتلة، قامت الكتيبة على الفور بتغيير مكان قيادتها وإدارتها إلى موقع آخر، وبعد ذلك بـ ٤٨ ساعة قام الطيران الصهيوني بالإغارة على مقر قيادة الكتيبة ودمره تدميرًا كاملاً[4]. بطبيعة الحال لم تكن هذه الغارة الوحيدة، فغارات الطيران الصهيوني لم تنقطع عن جنوب لبنان طوال تلك الفترة.

ولم تكن هذه هي حالة الاختراق الوحيدة، فقد استمر الاستهداف الصهيوني ذو الطابع الأمني للكتيبة الطلابية التي يعج مقر قيادتها

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٦٠٦.

[2]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٣١٩.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[4]. خليل النتبيتي، مصدر سابق، ص٦٥.

بالفدائيين القدامين من المحاور والقوات المشتركة وبالوفود القادمة من بيروت، ومن ذلك إرسال سيارة مفخخة إلى مقر قيادة الكتيبة الطلابية في شهر تشرين ثاني ١٩٨٠ ردًا على عملية الدبويا[1] التي تدرب مقاتلوها داخل معسكرات الكتيبة الطلابية. وبحسب خليل النبتيتي فقد صرح رئيس الأركان الصهيوني لإذاعة مونتكارلو بأن "المخربين" نجحوا في تفكيك العبوة وتفجيرها بعيدًا عن موقع قيادتهم[2]. وكان هذا الأسلوب متبعًا من طرف المخابرات الصهيونية في استهداف كوادر الثورة الفلسطينية، فمن ذلك أيضًا تفجير سيارة مفخخة أمام مركز التخطيط الفلسطيني أدى إلى جرح عدد من الكوادر منهم محجوب عمر، وزوجة معين الطاهر، بينما كان منير شفيق قد غادر المركز قبل الانفجار[3].

نظمت الكتيبة الطلابية تشكيلاتها في عدد من الوحدات المقاتلة إضافة إلى وحدة الإدارة المسؤولة عن التموين والنقليات والتسليح، ونظمت معسكرها الذي اتسم بالانضباط العسكري اليومي التقليدي من طابور الصباح إلى التدريبات اليومية وتوزيع الحراسات، والتدريب على الأسلحة الحديثة والمتوسطة والثقيلة، وإخراج الدوريات. وكانت الكتيبة قد بدأت في هذه المرحلة في تنظيم دوريات استطلاع خلف خطوط القوات الدولية[4].

واستطاعت الكتيبة بسياستها هذه أن تمنع أي شكل من الانتشار لقوات سعد حداد داخل منطقة القوات الدولية، وكانت ترسل لتلك المنطقة مجموعات بزي مدني تكمن فيها بين الأهالي وتقيم في بيوتهم وتأخذ تموينها من الأهالي لفترات قد تصل إلى ٤ شهور، وبهذا لم تكن الكتيبة بحاجة إلى إرسال تموين أو قوات عسكرية فاستطاعت بذلك تجنب المراقبة إلى حد كبير[5]، وقد عبرت هذه الإجراءات عن نجاحات جديدة لخط الجماهير الذي تبنته الكتيبة الطلابية.

ولم تخل هذه الفترة من الاشتباكات المسلحة، ومن ذلك تصدي الكتيبة لعملية إنزال بحري قامت بها القوات الصهيونية على السواحل اللبنانية في منطقة الصرفند[6]، خسرت فيها القوات الصهيونية زورقين مطاطيين وعددًا من القتلى والجرحى الذين لم تستطع إخلاءهم إلا بعد تدخل الطيران الحربي، أما الكتيبة ففقدت اثنين من عناصرها[7].

والواقع أن الأعوام منذ اجتياح العام ١٩٧٨ والذي سمي بـ "عملية الليطاني" وحتى نهاية العام ١٩٨٠، شهدت واحدة من أعنف مراحل الصراع بين الثورة الفلسطينية والقوات الصهيونية، فقد كثفت الأخيرة عمليات القصف من البر والبحر والجو على كافة المناطق التي تتمركز فيها قوات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، ففي العام ١٩٧٩ شن الكيان الصهيوني أكثر من ٢٣٠ عملية قصف

---

[1]. سيأتي الحديث عنها.

[2]. خليل النتبيتي، مصدر سابق، ص٩٠- ٩٢. و معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**.

[4]. خليل النتبيتي، مصدر سابق، ص٥٩- ٧٠.

[5]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[6]. حصلت في ١٩ نيسان ١٩٨٠.

[7]. خليل النتبيتي، مصدر سابق، ص٧٠- ٧٢. ومعين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**.

على الساحل اللبناني، وأما في العام ١٩٨٠ فبلغت عميات القصف ٣٦٠ عملية، وأما عمليات الإنزال البحري فقد أفشلت المقاومة الفلسطينية أكثرها، بينما استخدمت الرشاشات الثقيلة والقصف المدفعي للتصدي لعمليات التسلل البري [1]، وكانت مواجهة عمليات الإغارة والإنزال والتسلل من أهم واجبات الكتيبة الطلابية اليومية في هذه الفترة.

في ١٩ آب ١٩٨٠ شنت القوات الصهيونية هجومًا واسعًا من عدة محاور على منطقة النبطية التي تقع فيها قلعة الشقيف الشهيرة، تصدت له كتيبة بيت المقدس المرابطة في هذه المنطقة إلى جانب بقية الفصائل الفلسطينية والأحزاب اللبنانية المرابطة في نفس المنطقة، وكبدت القوات الصهيونية خسائر كبيرة في عدد من المواقع في منطقة النطبية، وفي المقابل فقدت القوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة ٢٥ مقاتلاً منهم ١٦ من حركة فتح وحدها[2].

بعد هذه المعركة تقرر نقل الكتيبة الطلابية إلى منطقة النطبية وتسليمها المنطقة، فحلت قواتها في جميع مواقع كتيبة بيت المقدس في منطقة النطبية مثل قلعة الشقيف وأرنون وحرش النبي طاهر وكفر تبنيت[3]، ووجدت الكتيبة الطلابية القلعة مدمرة بالكامل وخالية من أي خندق أو تحصين، إضافة إلى ذلك كانت مدينة النبطية تعاني من فقدان الأمن وانتشار البؤر الإجرامية والعصابات، فاشتغلت الكتيبة في خطين متوازيين، الأول: القضاء على بؤر الإجرام، والثاني: تحصين موقع قلعة الشقيف، وهو ما نجحت فيه بالفعل[4].

لتحصين القلعة قامت الكتيبة بتجهيز عنابر حديدية كمنامات للمقاتلين ودفنها في الأرض وحمايتها بآلاف الأكياس الرميلة التي كانت تقوم على تعبئتها من على شاطئ البحر منتسبات التيار من طالبات الثانويات والجامعات في بيروت وصيدا. وقام مجموعة من طلاب الهندسة بالعثور على مخطط هندسي قديم للقلعة وجدوه في مكتبة الجامعة مكن المقاتلين والمتطوعين معهم من معرفة أسرار القلعة والحفر في الأماكن المناسبة. وبن عنابر المقاتلين حفرت خنادق تصل بينها، وجهزت حمايات للأسلحة من الأسمنت المسلح، وحفر نفق أسفل القلعة للحماية من القصف الجوي[5].

كانت تشكو الكتيبة دائمًا من تسليحها الذي اقتصر على الأسلحة الخفيفة، إلا أن دورها الجديد في النبطية بات يتطلب تسليحًا أفضل، وملابس عسكرية تحتمل مهمات الحفر المستمر طوال عامين في القلعة، وهو ما وفره لهم ياسر عرفات بعد شكوى من أحد مقاتلي الكتيبة أثناء زيارة قام بها عرفات إلى موقع الكتيبة في القلعة، وكذلك أمدهم قائد جيش التحرير الفلسطيني بالكمية الأكبر من

---

[1]. عبد العزيز أبو فضة، **قلعة الشقيف: قلعة الصمود**، (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨٢): ص١٥– ٢٦.

[2]. انظر: المصدر السابق، ص٧١– ١١١. ويمكن اعتبار هذه المعركة معركة قلعة الشقيف الأولى، وهي غير معركة قلعة الشقيف المشهورة التي حصلت أثناء غزو العام ١٩٨٢، والتي سيأتي تناولها في الصفحات القادمة من هذه الدراسة.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[4]. المصدر السابق.

[5]. المصدر السابق. خليل النبيتي، مصدر سابق، ص٧٥. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، ص٢٣٤– ٢٣٨.

التسليح النوعي[1].

طوال هذه الفترة بعد اجتياح العامن ١٩٧٨ سواء في المواقع الأولى التي اتخذتها الكتيبة على الخط الساحلي، أو في منطقة النبطية؛ مارست الكتيبة الطلابية دورها المعتاد المنبثق عن خط الجماهير، من بناء العلاقات الوثيقة مع السكان، واحترام مشاعرهم وقيمهم، وحمايتهم من تجاوزات الفصائل الفلسطينية والأحزاب اللبنانية، ومن اللصوص والعصابات الإجرامية.

ساعد الكتيبة على القيام بهذا الدور، امتناعها عن تصنيف العائلات على أسس حزبية أو إيديولوجية، وإقامة علاقات متوازنة مع العلائات، واحترام المصالح الاقتصادية للسكان، وإقامة الخدمات المتعددة لسكان المناطق ولا سيما الخدمات الطيبة كإقامة مستوصف في بنت جبيل وإنشاء عيادة أسنان، وتشغيل مستشفى مهجور في النبطية[2]، وإقامة علاقات جيدة مع كل قوى المجتمع اللبناني بما في ذلك القوى الإسلامية الناشئة، ولا سيما في منطقة الجنوب، والتي تمثلت بداية بحركة المحرومين التي أسسها موسى الصدر ثم تحولت إلى حركة أمل[3]، إضافة إلى الشيخ راغب حرب ضمن مجموعة كبيرة ممن أطلق عليهم في تلك الفترة الحجاج وأكثرهم أصبحوا من مؤسسي حزب الله فيما بعد[4]. كانت تيار الكتيبة الطلابية قد أقام علاقات جيدة في وقت مبكر مع حركة المحرومين، وساهم مقاتلوه في تدريب كوادر الحركة العسكرية، وقتل في معسكرات حركة أمل أول شهداء التيار[5]، بانفجار لغم داخل معكسر التدريب السري.

كانت علاقات التيار المنفتحة على قوى وأطياف الشعب اللبناني المتنوعة تتعارض مع سياسات اليسار الفلسطيني، بما فيه يسار حركة فتح، وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية، التي باتت ترى بأن تمدد حركة أمل يأتي على حساب رصيدها الجماهيري، إلا أن هذه العلاقات ساعدت الكتيبة على فض الكثير من النزاعات بين حركة أمل وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية، والتي وصلت في بعض الأحيان إلى حد الاشتباك المسلح. لقد كانت الكتيبة الطلابية حاسمة في منع الاقتتال الداخلي في مواقعها وفي الخطوط الأمامية[6]، إلا أن هذا الجهد الذي بذلته الكتيبة كان على حساب دورها الأساسي في الاستعداد والتيقظ الدائم لمواجهة القوات الصهيونية، فمثلاً اضطرت الكتيبة

---

[1]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[2]. المصدر السابق.

[3]. ومع ذلك فإن علاقات حركة أمل، والجمهور الشيعي عمومًا، مع الثورة الفلسطينية بما فيها فتح بدأت تسوء نتيجة مجموعة من الاعتبارات، منها تبلور هوية سياسية شيعية خاصة بالجمهور الشيعي مع تنامي حركة أمل، والتي باتت ترى أن مصالح الجمهور الشيعي لا تتطابق بالضرورة دائمًا مع الفلسطينيين، وقد عززت "الثورة الإسلامية" في إيران هذا الشعور بالهوية الخاصة لدى الجمهور الشيعي والذي بدأ يعبر عن مواقفه الخاصة بصراعه مع القوى التي أيدت العراق في حربها مع إيران. نزاع حركة أمل مع المنظمات الفلسطينية اليسارية وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية، وتفاقم ممارسات "التعالي والسرقة وفرض الخوات وإلحاق الضرر بالأملاك وعدم دفع الإيجارات والإيذاء الجسدي" بالإضافة إلى شعور الجمهور الشيعي بأنه المتضرر الأكبر من ردود الأفعال الصهيونية على عمليات المقاومة الفلسطينية، كلها أسباب انتهت إلى انحسار الحاضنة الشعبية الجنوبية عن الثورة الفلسطينية. انظر: يزيد الصايغ، مصدر سابق، ص٦٩٦-٦٩٩. وبكلمة أخرى بدأت الثورة الفلسطينية تفقد حاضنتها الشعبية، وقد أخذت قاعدتها الآمنة في الجنوب اللبناني تتهاوى من تحتها مع انفضاض الجمهور الشيعي من حولها. كانت جهود الكتيبة الطلابية كبيرة في ذلك لكنها لم تكن كافية للتصدي لتيار جارف مثلته أكثر الفصائل الفلسطينية وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية، بيد أنه لا يمكن تحميل الفلسطينيين المسؤولية وحدهم. لقد كانت الأسباب مركبة دائمًا، فثمة فلسطيني وجد نفسه على أرض عربية استقلت مع نكبته، ولا أحد يريد احتمال نتائج مقاومة هذا الفلسطيني كي يرجع إلى أرضه. إن تنامي النزعات الوطنية والطائفية كانت دائمًا في مواجهة الفلسطيني، ورغم الأثر الهام للمسكليات الخاطئة التي اقترفها الفلسطينيون فإن الظروف الموضوعية كانت أكبر منهم.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. مجاهد الضامن.

[6]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٩٢- ٩٥.

إلى نقل سرية كاملة مهمتها حماية خط القلعة الخلفي كي تفك الاشتباكات بين أمل وخصومها في أحد المواقع، فاستلغت القوات الصهيونية الفراغ الذي خلفه نقل السرية للعبور صوب قلعة الشقيف أثناء غزو العام ١٩٨٢[1].

تميز العام ١٩٨١، بحرب الاستنزاف[2]، التي استمرت من ١٠ تموز إلى ٢٤ تموز، وقد اتسمت هذه الحرب بالقصف المتبادل، وإن كان ميزان القوة يرجح وعلى نحو فادحة لصالح القوات الصهيونية التي وظفت طائراتها ومدفعيتها وبحريتها في هذه المعركة الطويلة.

وفي هذا الصدد كان للكتيبة الطلابية دورها الطبيعي في التصدي للطائرات الصهيونية، وفي قصف القوات الصهيونية الواقعة في مرمى نيرانها، إضافة إلى قصف المستوطنات في شمال فلسطين المحتلة براجمات الصواريخ ذات الدور الفعال في التأثير على الاقتصاد الصهيوني وإجبار سكان تلك المستوطنات على النزوح عنها إلى مناطق الوسط والجنوب[3]، وفي هذه الحرب صمدت التحصينات التي أقامتها الكتيبة الطلابية في قلعة الشقيف، فحافظت على سلاح الكتيبة ومقاتليها[4].

انتهت حرب الاستنزاف، أو "حرب المدفعية"[5]، باتفاق لوقف إطلاق النار بدأ سريانه في ٢٤ تموز ١٩٨١، بعدما دخل الكيان الصهيوني تجربة غير مسبوقة حينما قامت مدفعية القوات الفلسطينية بتهجير ٤٠٠٠٠ مستوطن من شمال فلسطين المحتلة[6].

و. الاجتياح الكبير.. الخروج الكبير

منذ وقف إطلاق النار والمنظمات الفلسطينية تستعد لعمل عسكري صهيوني كبير ضد وجودها في لبنان، ولم تتفق التقديرات على المدى الذي يمكن أن يصل إليه الاجتياح الصهيوني، وإن كان ياسر عرفات قد توقع أن تصل بالفعل إلى مداخل بيروت الجنوبية، وعليه فإنه وضع قواته في وضع استعداد منذ نهاية شباط، إلا أن ثمة تقديرات سادت في أوساط منظمة التحرير الفلسطينية بأن الضغوط الدولية ووجود القوات الدولية في الجنوب سيكبح جماح الهجوم الصهيوني المتوقع، بينما بالغت المنظمات الفلسطينية اليسارية وأحزاب

---

[1]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[2]. أو حرب الجليل، وهي" سلسلة من المعارك المتصلة، التي خاضتها الجماهير الفلسطينية و(اللبنانية)، في جنوب لبنان، وفي بيروت، طوال خمسة عشر يومًا، أي من ١٩٨١/٧/١٠ وإلى ١٩٨١/٧/٢٤" انظر: بدر عبد الحق وغازي السعدي، **حرب الجليل: الحرب الفلسطينية الإسرائيلية الخامسة– تموز ١٩٨١**، (بيروت/ عمان: المؤسسة العربية للنشر/ دار الجليل، ١٩٨١): ص١٣. ويرى المؤلفان بأن هذه الحرب "انتهت إلى توجيه ضربة عسكرية قوية للكيان الصهيوني، وإلى إصابة هذا الكيان، بهزة سياسية.. في نفس الوقت الذي أدت فيه تلك الحرب، إلى تحقيق انتصار عسكري إستراتيجي (عسكري وسياسي) لمنظمة التحرير الفلسطينية..و«حرب الجليل» بذلك يمكن أن تضاف، وربما بمستوى أكبر من الأهمية، إلى علامات فارقة أخرى، في تلك المسيرة، وفي أوضاع المنطقة، مثل معركة الكرامة، ومعارك تل الزعتر..." المصدر السابق، ص١٣-١٤.

[3]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٨٥– ٨٦.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٧٠٩.

[6]. المصدر السابق، ص٧١١.

الحركة الوطنية اللبنانية في تقدير الدعم المتوقع من الاتحاد السوفييتي[1].

كان ياسر عرفات وخليل الوزير وسعد صايل[2]، يستعدون لما هو أسوأ، ولم يلتفتوا إلى التقديرات التي استبعدت احتمال الاجتياح الكبير، فأمر عرفات ببناء مواقع قيادية بديلة في بيروت الغربية، وبربط غرف العمليات تحت الأرض بشبكة هاتف ميدانية وبشبكة اتصالات لاسلكية، وكانت غرف العمليات على اتصال مباشر بكل الوحدات العسكرية في أنحاء لبنان. وقامت الوحدات العسكرية بتخزين الذخيرة والوقود والطعام والدواء، وجهزت المخازن في بيروت لتكفي حصارًا يمتد إلى ستة شهور، كما وحفرت الآبار الارتوازية في بيروت وفي مدن الجنوب، وحاولت منظمة التحرير الفلسطينية تجنب أي عمل من شأنه أن يعطي الصهاينة ذريعة تبرر غزو لبنان[3].

بالنسبة للتيار، فقد كان تقديره ومنذ زيارة السادات إلى القدس في ١٩ تشرين ثاني ١٩٧٧، ثم توقيع اتفاق كامب ديفيد في ١٧ أيلول ١٩٧٨، بأن الوجود الفلسطيني في لبنان بات مؤقتًا، وأن انتهاءه مسألة وقت لا أكثر، ذلك لأن اتفاقية القاهرة ١٩٦٩ هي التي منحت هذا الوجود شرعيته، بقوة ونفوذ جمال عبد الناصر، ثم بقوة ونفوذ مصر، بيد أن صعود العراق في مرحلة خروج مصر من الصراع العربي الصهيوني، منح الوجود الفلسطيني بعض الوقت الذي بدأ بالتلاشي مع دخول العراق في العام ١٩٨٠ حربه مع إيران[4].

في ٣ حزيران ١٩٨٢ أطلق مسلحون ينتمون إلى جماعة أبو نضال المنشقة عن حركة فتح النار على السفير الصهيوني في لندن وأصابوه بجروح. استخدم الكيان الصهيوني هذه العملية ذريعة لشن حرب كان يستعد لها منذ فترة طويلة، وبالفعل ففي ٤ حزيران بدأ الطيران الصهيوني بشن هجوم كبير على بيروت ومنطقة النبطية وعلى شريط يمتد من صور إلى بيروت، وردت فصائل منظمة التحرير بإطلاق ما يزيد على ١٠٠٠ صاروخ وقذيفة على ٢٠ مستعمرة في شمال فلسطين المحتلة، وفي ٦ حزيران بدأ الهجوم البري الصهيوني[5].

كان الغزو الصهيوني قد بدأ بهدف معلن، وهو احتلال مسافة ٤٠ كيلومترًا في عمق الأرض اللبنانية المتاخمة للحدود مع فلسطين المحتلة، بهدف إبعاد القوات الفلسطينية ومدافعها عن منطقة الجليل ومستوطناتها، إلا أن هذا الهدف المعلن قد ربطه الكيان الصهيوني بهدف أبعد وهو القضاء على البنية العسكرية لمنظمة التحرير، ثم ما لبث هذا الهدف المعلن أن تلاشى، كما ستثبت مجريات الأحداث، فقد تبين أن الهدف من الغزو أكبر من ذلك وأوسع، وينطوي على أهداف إستراتيجية أشمل، تطمح إلى تغيير كامل للخارطة السياسية في المنطقة[6].

---

[1]. المصدر السابق، ص٧٢٣– ٧٢٥.

[2]. كان ضابطًا في الجيش الأردني، والتحق بالثورة الفلسطينية أثناء أحداث أيلول، انتقل مع الثورة الفلسطينية إلى لبنان، وأصبح عضوًا في اللجنة المركزية لفتح في انتخابات المؤتمر الرابع، وقائدًا لغرفة العمليات المركزية للثورة الفلسطينية، وقتل في ٢٧ أيلول ١٩٨٢ بعد زيارته للفدائيين في القواعد والمعسكرات في منطقة تسيطر عليها القوات السورية.

[3]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٧٢٧– ٢٧٨. وانظر أيضًا: فيصل حوراني، "حرب الشهور الثلاثة والرقم الذي استحال شطبه"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٢٩، ١٣٠، ١٣١ (آب، أيلول، تشرين أول ١٩٨٢): ص٥– ١٨.

[4]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، مصدر سابق، حلقة ١٢.

[5]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٧٣٤.

[6]. بلال الحسن، الأهداف الحقيقية للغزو الإسرائيلي، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٢٨، (تموز ١٩٨٢): ص٤–٨.

تضمنت قوة الغزو الصهيونية ما بين ٧٥٠٠٠ و٧٨٠٠٠ عسكري، و١٢٤٠ دبابة، و١٥٢٠ ناقلة جند مدرعة، بينما بلغ عدد العسكريين المتفرغين لدى منظمة التحرير الفلسطينية ١٥٠٠٠ عسكري، منهم في الجنوب ٦٠٠٠، يبلغ عدد النظاميين منهم ٤٥٠٠، يملكون ٦٠ دبابة لا يقدر أكثرها على الحركة، وبين ١٠٠ إلى ٢٠٠ قطعة مدفعية[1].

رغم تقديرات ياسر عرفات وغيره من القيادات الفلسطينية حول المدى المتوقع للاجتياح، فإن ثمة عددًا من المفاجآت لم يتوقعوها سلفًا، أهمها دخول الجيش الصهيوني من مناطق القوات الدولية دون أي عرقلة أو مقاومة من طرف هذه القوات، ثم اجتياح منطقة الشوف بسهولة ودون مقاومة تذكر حتى تمكنت من السيطرة على طريق دمشق بيروت بعد اشتباكات لم تدم طويلاً مع الوحدات السورية الموجودة هناك كقوة ردع عربية، وبهذا قطع الجيش الصهيوني خط الإمداد الذي تتمون منه القوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة. والمفاجأة الثالثة تمثلت في عدم تنفيذ الدول العربية وعودها التي تعهدت بالدعم حتى اضطرت القوات المشتركة إلى القتال بأدواتها البسيطة في مواجهة هذا الجيش الجرار، ،هذا السبب الأخير كان الأكثر فاعلية في صياغة أسلوب القتال التراجعي الذي سبقت تجربته في اجتياح آذار ١٩٧٨، والذي يقوم على الصمود في المواقع المستهدفة أطول فترة ممكنة، وبذل الجهد في محاولة عرقلة تقدم القوات الغازية وإيقاع أكبر قدر من الخسائر في صفوفها[2]، ثم الانتقال إلى عقدة عسكرية أخرى، وهكذا.

- **ملحمة "الجرمق" في قلعة الشقيف.**

بالنسبة للكتيبة الطلابية فقد تعرضت مواقعها للقصف العنيف في يومي ٤ و٥ حزيران دون أن تفقد أحدًا من مقاتليها بسبب تحصيناتها التي اشتغل مقاتلوها على إحكامها طوال سنتين من وجودهم في المنطقة وفي قلعة الشقيف. وفي يوم ٦حزيران أسقط مقاتلو الكتيبة طائرة سكاي هوك بصاروخ ستريلا وأسروا طيارها أهرون أبخعازي[3]، وسلم علي أبو طوق الطيار إلى الأمن العسكري في بيروت[4]. وفي معارك قلعة الشقيف أسقطت أيضًا طائرة هليكوبتر قتل فيها خمسة من كبار الضباط الصهاينة[5].

اصطدم فصيل من الكتيبة الطلابية في معركة غير متكافئة بالقوات الغازية على أطراف بلدة جبشيت، وتمكن مقاتلو الفصيل من تدمير ٣ دبابات وناقلتين للجنود، في حين دمرت القوات الغازية سيارات الفصيل الأربع المحملة بالرشاشات ومضادات الدروع، واستشهد واحد من مقاتليه، وجرح ١٤ مقاتلاً، وفي محور آخر تصدت الكتيبة الطلابية لهجوم في كفر تبنيت، وتمكنت من تدمير ٣ دبابات، وشكلت جميع مواقع الكتيبة شبكة نارية متكاملة لتعزيز الدفاع عن أرنون وقلعة الشقيف، وكانت حصيلة الجولة الأولى من الهجوم تدمير عدة آليات للقوات المعتدية، وإصابة قائد وحدة المظليين وقائد الهجوم الصهيوني بجروح خطرة، دون أن تتمكن القوات المهاجمة

---

[1]. يزيد الصايغ، مصدر سابق، ص٧٣٥.

[2]. فيصل حوراني، "حرب الشهور الثلاثة والرقم الذي استحال شطبه"، مصدر سابق.

[3]. أطلق هذا الطيار لاحقًا في صفقة الخروج من بيروت.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. المصدر السابق. ويفيد خليل النبيتي بأنها كانت يوم ٦ حزيران. انظر: خليل النبيتي، مصدر سابق، ص١٠٢.

من تجاوز مواقع الكتيبة الطلابية في أرنون[1].

بعد ذلك دفعت القوات الغازية بوحدة غولاني لتعزيز وحدة المظليين، وتقدمت آليات الوحدة نحو القلعة في الوقت الذي كانت فيه الاشتباكات مستمرة في أرنون، غير أن الآليات لم تتمكن من مواصلة التقدم، وتوقفت في منتصف الطريق بين أرنون والقلعة، فلجأت القوات الصهيونية إلى الإسناد الجوي المباشر، وقصفت القلعة والمواقع المحيطة بها عدة مرات لإسكات نيران الكتيبة، وفي الأثناء قرر قائد الوحدة الصهيوني ترك الآليات المدرعة، والتقدم مشيًا على الأقدام والتسلل للسيطرة على موقع المطار في القلعة، وعلى أبواب هذا الموقع قتل قائد الهجوم هذا[2].

فصيل الكتيبة في حرش النبي طاهر والمعزز بمجموعة هاون ترابط أسفل الحرش أطلق ما لايقل عن ٤٠٠ قذيفة خلال الهجوم البري على القوات المتقدمة في اتجاه أرنون والقلعة من دون أي خسائر في مدافعهم، فقد كانت المدافع تنقل بعد القصف بسرعة من موقع إلى آخر. وجرى تعزيز الفصيل بدبابتين من طراز "ت ٣٤" من كتيبة شهداء أيلول[3].

قاتلت الكتيبة في جميع مواقعها من النبطية وأرنون والحرش وكفر تبنيت وقلعة الشقيف، وفي القلعة كان هناك ٣ مواقع رئيسية، وفي كل منها مجموعة: المجموعة الأولى شرقي القلعة في منطقة المطار، وهذه المجموعة استشهد جميع أفرادها[4] في قتال ضار وصل حد الاشتباك بالأيدي، وهناك قتل قائد الهجوم من وحدة غولاني، وقد استغرق احتلال هذا الموقع أكثر من ١٢ ساعة من القتال المتواصل، عدا يومين من القصف التمهيدي، أما المجموعة الثانية في الوسط فاشتبكت مع القوات المتقدمة من أرنون، والمجموعة الثالثة غربي القلعة، وكان في كل مجموعة ما يقارب ٨ أفراد[5].

كان يتم الهجوم على القلعة على موجات متعددة، كلما تمكنت الكتيبة من كسر هجوم تشن القوات الصهيونية هجومًا جديدًا، وبعدما كسرت الكتيبة أربع محاولات للهجوم احتشدت الدبابات الصهيونية ومدرعاتها على أبواب القلعة بعد استشهاد جميع مقاتلي الكتيبة في الموقع الشرقي فقامت راجمات الصواريخ التابعة للكتيبة بإطلاق صواريخها على الدبابات والمدرعات المحتشدة على أبواب القلعة، بتوجيه من ضابط سوري كان في القلعة ضمن وحدة استطلاع تابعة للجيش السوري، وقد أصابت الصواريخ عددًا من الآليات أدت إلى انسحاب القوات الصهيونية، فتمكن بعض المقاتلين من الانسحاب في اتجاه نهر الليطاني حاملين معهم بعض الجرحى، بينما اشتبك المتبقون وقتلوا، وكان يتخلل الفترة ما بين هجوم وآخر قصف جوي ومدفعي عنيف استخدمت فيه ذات مرة غازات سامة.

---

[1]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[2]. المصدر السابق.

[3]. المصدر السابق.

[4]. قائد هذه المجموعة يمني ويدعى عبد القادر الكحلاني.

[5]. الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

كانت مهمة الكتيبة التمسك بالقعلة حتى آخر مقاتل[1].

استشهد من الكتيبة الطلابية في القلعة ٣٤ مقاتلاً بعضهم سوى الفلسطينيين من أصول لبنانية ويمنية ومصرية وأتراك، وكان من بين الشهداء قائد القلعة يعقوب سمور (راسم)، ويروي عن هذه الملحمة قائد الكتيبة معين الطاهر يقول: "وعندما جاء بيغن وشارون إلى القلعة فوجيء الأول بحجم الخسائر الإسرائيلية في أول اشتباك لهم في الجنوب اللبناني، وانزعج كثيرًا. وعندما صعد إلى الطائرة لم تمض ثوان حتى اكتشف الإسرائيليون أن مقاتلاً فلسطينيًا لا يزال في قيد الحياة، إذ تحرك هذا المقاتل الجريح وأطلق النار عليهم من بندقيته من دون أن يصيب أحدًا على ما قالوا، فأطلقوا عليه الرصاص واستشهد"[2].

وعن راسم قائد المجموعة يقول أحد مقاتلي الكتيبة: "أصيب راسم فيما بعد بلغم آخر بتر رجله، فحاول الشباب مساعدته ونشله لكنه رفع السلاح بوجههم وقال لهم: أنقذوا أنفسكم ولا تنقذوني.. بعد ذلك علمنا باستشهاده من خلال رؤية صورة في إحدى الصحف تظهره ميتًا في أرضه.[3]"، ويروي معين الطاهر أن راسم قال لياسر عرفات في إحدى زياراته للقلعة: "لا أعدك بأن الصهاينة لن يمروا من هنا، ولكن أعدك بأنهم لن يمروا إلا على أجسادنا."[4]

أما قائد الكتيبة معين الطاهر فقد أصيب في قصف جوي في ٦ حزيران أثناء انتقاله سيرًا على الأقدام إلى غرفة عمليات جديدة في النطبية، وكانت إصابته في قدمه، ودخلت شظية في طحاله. قام الطبيب "يانو"[5] وهو كندي الجنسية، يوناني الأصل، بعمل علاج أولي له، ثم نقل إلى أحد المستشفيات في صيدا، ثم نقله حمدي التميمي إلى بيروت، عبر طريق مقطوعة وغير آمنة، بمساعدة فصيل للرشاشات من الكتيبة الطلابية يرابط في صيدا شن هجومًا معاكسًا تمكن فيه من فتح الطريق لوقت وجيز لنقل معين الطاهر إلى بيروت[6].

بلغ عدد شهداء الكتيبة الطلابية ٥٠ مقاتلاً من مواقعها كلها في القلعة وأرنون وكفر تبنيت والنبطية وجبشيت، إضافة إلى عدد من الجرحى، ولم يقع منها أسرى. انسحبت بعد ذلك بقية مجموعات الكتيبة الطلابية بالتدريج من مواقعها في النبطية والنبي طاهر وكفر تبنيت عبر إقليم التفاح، وأثناء ذلك نصبوا كمينًا لأرتال الجيش الصهيوني دمروا فيه آليتين، وتمكنت الكتيبة من الحفاظ على اتصال مجموعاتها ببعضها وتنظيم الانسحاب بفضل تمكنهم من إخفاء جهاز لاسلاكي في بيت إحدى السيدات التي احتلت بلدتها من قبل

---

[1]. المصدر السابق.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. عبد الهادي خليل أبو جودة، "مذكرات فدائي (1).. من مقاومة العدو في «شقيف» إلى قتال الإخوة في طرابلس"، مصدر سابق.

[4]. معين الطاهر، "قراءة في رواية العدو الإسرائيلي لمعركة الشقيف"، *مجلة الطليعة الإسلامية*، العدد ٢١ (أكتوبر ١٩٨٤): ص٨-٢٢.

[5]. الدكتور كريس يانو، كندي الجنسية يوناني الأصل، رافق الكتيبة الطلابية في عدد من تجاربها الهامة، منها أنه أدار المستشفى المهجور الذي افتتحته الكتيبة في النبطية، إلا أن أصعب تجاربه بقاءه مع علي أبو طوق في مخيم شاتيلا أثناء حرب المخيمات. انظر: كريس يانو، برنامج زيارة خاصة، مقدم الحلقة: سامي كليب، موقع قناة الجزيرة على شبكة الإنترنت. والمادة بنشورة بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٨. واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٣/١ http://goo.gl/6sCN4y وقد خضع الدكتور يانو لتحقيق قاسي في صيدا من قبل المخابرات الصهيونية كي يدلهم على مكان معين الطاهر.

[6]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

الصهاينة، واستمرت عملية الانسحاب ما بين ٤ إلى ٥ أيام وصولاً إلى منطقتي الجبل والبقاع[1].

بالنسبة للرواية الصهيونية؛ فإن الاعتراف جاء متأخرًا[2] بعد ٣١ عامًا في فيلم وثائقي بثته القناة العاشرة الصهيونية في العام ٢٠١٣ وسمته "الجرح الأخضر المفتوح"، وقد أفادت هذه الرواية بأن القوة التي شاركت في الهجوم على القلعة ومواقع الكتيبة الطلابية المحيطة ضمت ١٢٠٠ جندي تقريبًا، قاتلوا مدة ٧٢ ساعة في مواجهة ٢٧ مقاتلاً كانوا في القلعة واستشهدوا كلهم، وبقي من بينهم اثنان قاتلا لوحدهم عشر ساعات إلى حين استشهادهم. الرواية التي تعترف بوقوع عدد من القتلى والجرحى بين الجنود والضباط[3] لم تحدد هذا العدد، متجاهلة كذلك إسقاط طائرة سكاي هوك وأسر طيارها، وإسقاط مروحية ومقتل الضباط الذين أقلتهم، وتحدثت الرواية الصهيونية أيضًا عن شراسة القتال، وانكسار موجات الهجوم المتتابعة، ووصول القتال إلى الالتحام المباشر من خندق إلى خندق وفي الخندق الواحد[4].

تحدثت الرواية الصهيونية باهتمام عن المقاتلين الذين قتلوا جميعًا ولم يبد أحد منهم رغبة في الاستسلام، وكان من ضمن الذين أدلوا بشهادتهم في هذا الفيلم غابي إشكنازي الذي أصبح فيما بعد رئيس الأركان، وكان يوم المعركة قائد قوات غولاني المكلفة باحتلال القلعة، وكان مما أفاده في شهادته قوله: "قضينا ساعات طويلة ونحن لا نعرف من أين يطلقون النيران، كانت النيران تأتي من كل مكان"، بينما يقول أحد الجنود: "لم تكن المعركة متكافئة غير أن أحدًا لم يحاول الاستسلام"[5].

بعد ذلك تقدم حمدي التميمي ومحمود العالول باقترح لخليل الوزير لتنظيم المقاومة في منطقة الجبل، بينما أصبحت المهمة الجديدة لشباب الكتيبة في البقاع استيعاب المتطوعين الجدد وتدريبهم، وتعزيز منطقة الجبل، وإمداد بيروت، والشروع في عمليات خلف خطوط العدو، وهكذا بدأت مهمات شباب الكتيبة الجديدة والتي افتتحت بأول عملية دونها علي أبو طوق في يومياته في ٢٣ حزيران.

ز. المقاومة خلف خطوط العدو

بدأت الكتيبة الطلابية في تنظيم صفوفها وإقامة تدريباتها منذ الأيام الأولى لوجودها في البقاع، بمساهمة أساسية من علي أبو طوق وأبو الفتح، وبعض قادة الوحدات والفصائل، وجرى توزيع الوحدات والفصائل على مزارع وبساتين البقاع، وشرح علي أبو طوق للمقاتلين

---

[1]. المصدر السابق.

[2]. كان معين الطاهر قائد الكتيبة الطلابية قد نشر مقالة بعنوان "قراءة في رواية العدو الإسرائيلي لمعركة الشقيف"، نقلتها مجلة الطليعة الإسلامية في العام ١٩٨٤ عن البلاد، وعاد الباحث إلى هذه المقالة في مجلة الطليعة الإسلامية، وفيها سرد الطاهر روايات عدد من جنود وضباط صهاينة شاركوا في المعركة بيد أنه لا يذكر في هذه المقالة مصادر تلك الروايات. انظر: معين الطاهر، "قراءة في رواية العدو الإسرائيلي لمعركة الشقيف"، مصدر سابق.

[3]. يذكر خليل النبتيتي بأن خسائر الصهاينة بلغت ٢٧ قتيلاً و٥٠ جريحًا منهم ١٠ جنود بترت أقدامهم، وهو يحيل إلى جريدة دافار في ملخصها الأسبوعي في ١٩٨٣/٦/٣. انظر: خليل النبيتي، مصدر سابق، ص١٠٥– ١٠٦.

[4]. معين الطاهر، "معركة قلعة الشقيف ١٩٨٢ ... روايتان"، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، العدد ١٠١، (شتاء ٢٠١٥): ص١٤٦– ١٥٥.

[5]. المصدر السابق.

الذين أعيد تجميعهم وتنظيمهم[1] مهماتهم التي تشمل القيام بعمليات ضد "العدو" في المناطق التي احتلها، والتسلل خلف خطوطه للقيام بعمليات تساهم في تخفيف الحصار عن بيروت ورفع معنويات المواطنين، وكانت الأولوية تقضي بالإسراع في التدريب وبدء التجهيز لهذه العمليات[2].

وقد أصبح مروان كيالي في هذه الأثناء قائد الكتيبة الطلابية الجديد بعد عودته من دورة عسكرية في الاتحاد السوفييتي، وأخذ يستقبل المتطوعين الفلسطينيين الذين أتوا من بلاد مختلفة، ودخل الجميع في سباق مع الزمن للتحضير والانتقال إلى العمل المسلح خلف خطوط القوات المحتلة، فتم الاتصال بعناصر التيار والكتيبة الذين بقوا في مناطقهم لترتيب العمل المقاوم[3]، كما وشاركت الكتيبة الطلابية من خلال علي أبو طوق في تأسيس نواة المجموعات القتالية والخلايا السرية المسلحة اللبنانية والفلسطينية في مناطق صور وصيدا والنبطية[4].

وفي سنة واحدة قامت الكتيبة بتنفيذ ٤٢ عملية[5] غطت مناطق الاحتلال كلها على النحو التالي: ١٥ عملية في الجبل، ٢ في بيروت، ٣ في البقاع، ١ في الدامور، ٧ في صيدا، ١ في الزهراني، ٤ في النبطية، ٨ في صور، وواحدة على مستوطنات الجليل[6]، وقد استهدفت العمليات دوريات عسكرية ومواقع عسكرية وحافلات "إيجد" وتصفية عملاء وقصف مستوطنات والتصدي للمروحيات وتوزيع منشورات سياسية، واستخدمت فيها الصواريخ والألغام المضادة للدروع والأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية ومضادات الطائرات[7].

ويقدر معين الطاهر بأن خسائر الصهاينة في هذه العمليات في الفترة من أواسط أو نهاية حزيران ١٩٨٢ وحتى نهاية سنة ١٩٨٣، كانت أكبر من خسائرهم في الاجتياح كله، وأن خسائرهم في سنة ١٩٨٣ توازي خسائرهم في جميع عمليات المقاومة لاحقًا حتى انسحابهم من لبنان، والسبب أن جنودهم كانوا أهدافًا سهلة نسبيًا بعدما أخذتهم نشوة الانتصار، فانتشروا على مساحة واسعة جدًا

---

[1]. يذكر يزيد صايغ أن الكتيبة الطلابية (كتيبة الجرمق) التي استعادت روحها المعنوية بفضل الإسراع إلى تنظيم صفوفها ومهاجمة "القوات الإسرائيلية"؛ تدنى تعدادها إلى ٩٠ رجلاً فحسب. انظر: يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٧٨٥.

[2]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص١٢٣– ١٢٤.

[3]. المصدر السابق.

[4]. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، موقعها على شبكة الإنترنت، http://www.wafainfo.ps/persons.aspx?id=488

[5]. يذكر معين الطاهر أن علي أبو طوق دون دفترًا فيه تقويم لأكثر من ٤٠ عملية خلف الخطوط قام بها مقاتلو الكتيبة وإخوانهم في مختلف المناطق، وشملت هذه العمليات مناطق البقاع والجبل والشوف والجنوب، وهذا عدا عما قامت به الوحدات الأُخرى.

[6]. محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤،** (عمان: المركز العربي للدراسات الإستراتيجية والعسكرية، ودار الجيل، ١٩٨٥): ص٢٠٠. وانظر أيضًا: سعود المولى، "حتى لا ننسى بطولات الكتيبة الطلابية / كتيبة الجرمق"، موقع دنيا الوطن على شبكة الإنترنت. نشر بتاريخ ٢٠١١/١١/١٦، واسترجعه الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٤/١٠.
http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2011/11/16/242818.html

[7]. محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤،** مصدر سابق: ص٢٠٠– ٢٠١. ويضع في الكتاب إحصاء بعمليات الكتيبة الطلابية في الفترة الواقعة بين ٢٣ حزيران ١٩٨٢ و٢٠ تموز ١٩٨٣، حيث يسجل في جدول مناطق العمليات ٤٢ عملية، وفي جدول الأهداف ٤٠ هدفًا، وفي جدول طرق وأساليب التنفيذ ٤٤ عملية، وأما العمليات التي يسميها ويفصل في أحداثها فقد بلغت ٢٧ عملية. انظر المصدر: ص١٩٧– ٢١٧.

من لبنان دون ترتيب يناسب حجم الانتشار أو التهديد[1]. كانت العمليات العسكرية تجري يوميًا، ويتكبد الصهاينة فيها خسائر فادحة، وباتت الكتيبة عامل جذب للفدائيين من خارجها، والذين رحب بهم علي أبو طوق، ووزعهم على مناطق مختلفة من لبنان[2].

وبحسب شفيق الغبرا فإن المقاومة التي أطلقتها الكتيبة الطلابية في هذه الفترة اندرجت ضمن ما عرف بـ "جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية– جمول"[3]، وهي إطار جبهوي أعلن عن نفسه في ١٦ أيلول ١٩٨٢[4] في بيان وزع في بيروت ودعا إلى انتظام جميع الوطنيين اللبنانيين على اختلاف انتماءاتهم في جبهة المقاومة اللبنانية ضد "الاحتلال الإسرائيلي"، وضمت الجبهة الحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل الشيوعي وحزب العمل الاشتراكي العربي وتعاون معها مقاتلو فتح ومن بينهم مقاتلو الكتيبة الطلابية إضافة إلى الجبهتين الشعبية والديمقراطية[5]، وكانت أولى عملياتها في ٢٠ أيلول ١٩٨٢[6]، وأشهرها "عملية اليمبي" في ٢٤ أيلول ١٩٨٢[7]، بينما كانت أول عمليات الكتيبة الطلابية في ٢٣ حزيران ١٩٨٢[8] وهو ما يؤكده معين الطاهر[9] وسعود المولى[10].[11]، إلا أنه ثمة التباسًا غشي عمليات تلك المرحلة بالفعل، حيث نسبت أغلب العمليات إلى جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، دون الإشارة إلى مسؤولية قوات الثورة الفلسطينية، والسبب غالبًا هو امتناع الفلسطينيين عن تبني العمليات باسم تشكيلاتهم[12]، بناء على ترتيب نظمته الثورة

---

[1]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[2]. عبد الهادي خليل أبو جودة، "مذكرات فدائي (٢).. من مقاومة العدو في «شقيف» إلى قتال الإخوة في طرابلس"، وكالة وطن للأنباء على شبكة الإنترنت، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٣/٣٠. واسترجعه الباحث بتاريخ ٢٠١٥/٦/١. http://www.wattan.tv/ar/news/89684.html

[3]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٣٧١.

[4]. موقع جمول، البيان التأسيسي لجبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، موقع جمول على شبكة الإنترنت، نشر في ١٩٩٩/١١/٣٠، واسترجعه الباحث في ٢٠١٤/٦/١٦. http://jammoul.net/index.php?option=com_content&view=article&id=284&Itemid=72. وانظر كذلك: يوسف المقدح، تقارير: جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٢٣ و١٣٣، (تشرين الثاني، كانون الأول: ١٩٨٢) ص١٢٦– ١٢٩

[5]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ٨١٣.

[6]. إلا أن جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية كانت قد أصدرت بيانًا في ١ كانون أول ١٩٨٤ لتوضيح بعض الملابسات المتعلقة بعمل المقاومة في لبنان، ذكرت فيه أن أول عملياتها كانت في ١٣ حزيران ١٩٨٢. انظر: محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، مصدر سابق: ص١٥٥.

[7]. موقع جمول، عمليات ١٩٨٢، موقع جمول على شبكة الإنترنت، المادة منشورة بتاريخ ١٩٩٩/١١/٣٠. واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٦
http://jammoul.net/index.php?option=com_content&view=article&id=398&Itemid=72

[8]. محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، مصد سابق، ص١٩٩.

[9]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[10]. سعود المولى، "حتى لا ننسى بطولات الكتيبة الطلابية / كتيبة الجرمق"، مصدر سابق.

[11]. يتحدث خليل النبتيتي عن ٢١ حزيران كأول عملية للكتيبة الطلابية من بعد الاجتياح، انظر: خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص١٢٤– ١٢٥. وهو مخالف للمصادر الأخرى.

[12]. يروي خليل النبتيتي مشادة حصلت بينه وبين عرفات في اجتماع في الجزائر بعد الخروج من طرابلس، حينما قال لهم عرفات أن أكثر من ٩٥٪ من العمليات التي تجري في جنوب لبنان تقف خلفها فتح. فطالبه خليل النبيتي بأن تتبنى فتح هذه العمليات. وقد تدخل خليل الوزير في النقاش وأخبر النبتيتي بأت تقريرًا وصلهم يفيد بأن كتيبة واحدة نفذت في شهرين ٦٢ عملية، يقصد كتيبة الجرمق (الطلابية)، وهنا طالبه النبتيتي مرة أخرى بالإعلان عن تلك العمليات. انظر: خليل النبيتي، مصدر سابق، ص١٥٦.
وعن هذا الموضوع يقول حنّا بطاطو إن مقاتلي الجبهتين الشعبية والديمقراطية وفتح شاركوا "مشاركة فاعلة في المقاومة السرية المسلحة التي حولت جنوب لبنان إلى «مصيدة قاتلة» للجنود الإسرائيليين"، الأمر الذي دفع عرفات للتأكيد على أن "المقاومة في جنوب لبنان كانت فلسطينية أولاً ومن ثم لبنانية"، وقد بين عرفات أن سبب تبني العمليات الفلسطينية باسم لبناني يعود إلى قرار سابق اتخذته اللجنة المركزية لمنظمة التحرير، في العام ١٩٨٢، وبحضور عدد من قادة الحركة الوطنية اللبنانية، "أملاً في تعزيز موقف الشعب اللبناني". انظر: حنا بطاطو، مصدر سابق، ص٥٦٧.

الفلسطينية مع بعض القوى الوطنية والإسلامية لأجل عدم إعطاء الصهاينة الذريعة لاستمرار احتلالهم للبنان، وتحسبًا لردات الفعل الانتقامية من أجهزة الأمن اللبنانية وبعض الميليشيات المعادية للوجود الفلسطيني والتي اختل ميزان القوى لصالحها بعد خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان، وللحفاظ على أمن وسلامة المخيمات[1].

إلا أن المجموعات الفلسطينية المقاتلة التي تنفذ هذه العمليات اضطرت لاحقًا للإعلان عن بعض عملياتها تخوفًا من شعارات بعض القوى الصاعدة التي باتت تنادي بـ "لبننة" المقاومة المسلحة، والتصدي للغرباء، كما أن جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية ولحسم اللغط حول هذا الموضوع أصدرت بيانًا في ٢١ كانون أول ١٩٨٤، أكدت فيه "أن من له وجود فعلي وميداني في المقاومة الوطنية في الجنوب يعلم جيدًا، ما هو دور منظمة التحرير الفلسطينية، وقائدها أبو عمار في مجال الدعم المادي والنجدات والأسلحة إضافة إلى المشاركة العملية في تنفيذ المعمليات وما أكثرها"[2].

وهنا ينبغي التأكيد على أن عدة مجموعات فلسطينية قامت بالمساهمة الفاعلة في العمليات في هذه الفترة، ولم تكن الكتيبة الطلابية وحدها في الميدان، إضافة إلى مجموعات لبنانية متعددة لم تنضم إلى جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، وبعض تلك المجموعات اللبنانية كانت تضم مقاتلين فلسطينيين، إلا أن حدود الدراسة لا تسمح بتناول كل ما تعلق بالمقاومة في لبنان في فترة الدراسة، فضلاً عن أنها لا تسمح بتناول الحدث اللبناني عمومًا في فترة الدراسة. وثمة ضرورة أيضًا للتنبيه إلى أن ما سيذكر من عمليات قامت بها الكتيبة الطلابية ليس أكثر من نماذج محدودة، فليست غاية الدراسة التأريخ العسكري الشامل لفعاليات الكتيبة الطلابية، وإنما التعريف بها كجزء من تيار أوسع، وبما ينسجم مع خطة الدراسة من حيث التأكيد على أهمية العوامل الصغيرة في صناعة الأحداث الكبيرة، أو الإضافة إلى ظاهرة كبيرة. وستهتم الدراسة بالعمليات التي تحدث عنها أعضاء الكتيبة الطلابية في مذكراتهم بالدرجة الأولى، ثم توثيقها من مصادر أخرى، نظرًا لافتقار المعلومات المسترجعة بواسطة الذاكرة إلي التفاصيل الدقيقة.

- **عملية طريق عميق في سهل البقاع**

هذه هي العملية الأولى التي وقعت في ٢٣ حزيران ١٩٨٢، وكانت كمينًا نصب لدورية مؤلفة من ٣ آليات، استهدفت بالقذائف الصاروخية والرشاشات والقنابل اليدوية بما أدى إلى تدمير آليتين وإعطاب الثالثة، وقتل وجرح كل من كان بداخل الدورية، بينما عادت المجموعة الفدائية إلى قواعدها بسلام[3].

- **عملية رويسة البلوط**

---

[1]. محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، مصدر سابق، ص١٠٦.

[2]. المصدر السابق، ص١٥٥.

[3]. محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، مصدر سابق، ص٢٠٢. ويشير معين الطاهر بأن هذه العملية هي أول عملية دونما علي أبو طوق في مذكراته. انظر: معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

في ٥ أيلول ١٩٨٢ قامت مجموعة من الكتيبة الطلابية بأسر ٨ جنود صهاينة كانوا في حالة استرخاء في حرش رويسة البلوط[1]، بعد محاصرتهم ثم اقتيادهم دون إطلاق رصاصة واحدة، ونظرًا لسوء العلاقات بين فتح والنظام السوري في ذلك الوقت، قامت المجموعة الآسرة بالاتفاق مع الجبهة الشعبية القيادة العامة لنقلهم بسيارات الجبهة إلى البقاع حيث قوات العاصفة والكتيبة الطلابية، وقد وافقت الجبهة على ذلك شريطة أن تأخذ منهم جنديين أسيرين، وهذا ما حصل بالفعل، وقد نقلت أسيريها إلى دمشق بينما احتفظت فتح بالبقية[2].

كان الاحتفاظ بـ ٦ جنود صهاينة مشكلة كبيرة بالنسبة لفتح، في وقت كانت الكتيبة محاصرة في مساحة لا تتعدى ٢ كيلو متر، محاصرة بـ "الانشقاق"[3] والجيش السوري الذي قد يرغب بأخذ الأسرى، وبالقوات الصهيونية التي تريد أسراها، فلم يكن ثمة إمكانية لاحتجازهم في مكان محدد يحتاج تزويده بالحراسة والطعام والعلاج إن لزم الأمر، ولذلك احتجزوهم عند الأهالي، ووزعوهم على البيوت، وبحسب معين الطاهر: "عدنا إلى خط الشعب، خط الجماهير.. فكانوا يقيمون في غرفة ويأكلون من طعام البيت ولا أحد يأتي عندهم ولا أحد يتفقدهم بانتظام، وإذا لاحظ الجيران شيئاً نغيّر أماكنهم، ونبحث عن مكان آخر. خبأناهم أكثر من عام، وهذه فترة ليست قصيرة، لكن الدائرة بدأت تضيق علينا كثيرًا، والبقاع لم يعد منطقة آمنة، لذلك هرّبنا الستة إلى طرابلس على الرغم من وجود الحواجز الكثيفة، هرّبناهم واحدًا واحدًا، وأخرجناهم إلى طرابلس.[4]".

قبل الخروج من طرابلس، وفي ٢٣ تشرين ثاني ١٩٨٣ جرت عملية التبادل بالجنود الستة الذين لدى فتح، مقابل الإفراج عن جميع الأسرى الذين احتجزهم الكيان الصهيوني في معسكر أنصار بعد غزو العام ١٩٨٢، إضافة إلى ١٠٠ أسير في الداخل الفلسطيني، وأما الجبهة الشعبية القيادة العامة فقد قامت في ٢٠ أيار ١٩٨٥ بمبادلة الجنديين الذين لديها بـ ١١٥٥ أسيرًا فلسطينيًا.

- **عملية عاليه**

قامت مجموعة من الكتيبة الطلابية في ٤ تشرين أول ١٩٨٢ بمهاجمة باص يقل جنودًا صهاينة في منطقة عاليه، استخدمت في الهجوم الأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية وقذائف الآر بي جي، وأدى ذلك إلى تدمير الباص بشكل كامل وقتل وجرح من كان فيه، وانسحب المنفذون إلى قواعدهم بسلام، واعترف الصهاينة بتسعة قتلى و٣٩ جريحًا[5].

---

[1]. تقع رويسة البلوط في قضاء بعبدا أحد أقضية محافظة جبل لبنان.

[2]. خليل النبتيتي، المصدر السابق، ص١٢٩- ١٣٠.

[3]. انشقاق العام ١٩٨٣، فتح الانتفاضة.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. ولم يذكر محمد حمزة في كتابه حرب الاستنزاف، هذه العملية في القسم الذي خصصه لعمليات الكتيبة الطلابية، وإنما جعلها في قسم عمليات الأسر دون أن يشير إلى اسم المجموعة التي أسرتهم، انظر: محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، مصد سابق، ص٣٨٨- ٣٠٩.

[5]. . المصدر السابق، ص٢٠٣-٢٠٤. وخليل النبتيتي، مصدر سابق، ص١٣٠- ١٣٢، ويذكر النبيتي بأنها وقعت في ٥ تشرين أول. وأما معين الطاهر فيقول إنها أوقعت ٦٠ إصابة. انظر: معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

- **عملية قبر شمون**

قامت مجموعة من الكتيبة الطلابية في ٧ كانون ثاني ١٩٨٣ بمهاجمة باص يقل جنودًا صهاينة بحماية سيارتين عسكريتين. دمرت المجموعة السيارتين بقذاف آر بي جي، بينما دمر الباص بقذائف آر بي جي والقنابل اليدوية والأسلحة الرشاشة، واستشهد أحد منفذي العملية، وأسر آخر يدعى كمال نعلاوي أثناء محاولته أسر جندي في العملية. قام كمال نعلاوي مع أربعة أسرى آخرين بحفر نفق من سجن أنصار والهروب منه إلى خارج السجن، لكنه وقع في كمين في منطقة الجبل واستشهد فيه. في هذه العملية اعترف الصهاينة بمقتل ٣ جنود وجرح ٥ آخرين، بالرغم من أن بقية المجموعة التي تمكنت من الانسحاب أفادت بأنها قامت بتدمير الباص والآليتين المسلحتين بشكل كامل وقتل وجرح كل من كان فيها[1].

- **عملية عين زحلتا**

قامت مجموعة منحدرة من عدد من كتائب فتح من بينها الكتيبة الطلابية في ٥ نيسان ١٩٨٣ بشن هجوم على دورية مؤللة بقذائف آر بي جي والأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية. انسحب المقاتلون بسلام بعدما دمروا آليتين، وقتلوا وجرحوا عددًا من أفراد الدورية قدروا ما بين ١٠ و١٥ جنديًا[2].

كان هذا جانبًا بسيطًا من عمليات الكتيبة الطلابية[3] التي نفذتها بالتعاون مع مجموعات أخرى من حركة فتح وأحزاب لبنانية، ولم تحظ عمليات المقاومة هذه بالرغم من اتساعها كمًا ونوعًا بالتأريخ المناسب. ويقدر معين الطاهر بأن تجاهل هذه العمليات متعلق بالرغبة في إخراج الفلسطينيين من لبنان، وللتغطية على "الانشقاق" الذي حصل في العام ١٩٨٣، إذ يضعف مبررات الانشقاق وجود عمليات مميزة لفتح كمًا ونوعًا. ويضيف الطاهر بعبارة مبهمة في سياق تفسيره للتعتيم على عمليات الفلسطينيين داخل لبنان في هذه الفترة: "المقاومة في لبنان يجب أن تقدم نمطًا خاصًا، ولا يجوز أن تتكلم على مقاومة من نمط آخر غير هذا النمط الخاص! فكان أكثر ما

---

[1]. محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، ويحدد موقع العملية بالتلال المشرفة على خلدة بالقرب من بلدة كفر سيل، مصدر سابق، ص٢٠٦-٢٠٧ وص٢١٧- ٢١٩. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص١٣٢- ١٣٤. إلا أنه يسمي العملية باسم عملية قبر شمون، ويسجل أنها حصلت في ٢٠ آذار ١٩٨٣. أما معين الطاهر وعبد الهادي أبو جودة فيسميان العملية باسم عرمون ولا يذكران تاريخها. انظر: معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. وعبد الهادي خليل أبو جودة، "مذكرات فدائي (٢).. من مقاومة العدو في «شقيف» إلى قتال الإخوة في طرابلس"، مصدر سابق. بينما يسجل سعود المولى أنها حصلت في ٧ كانون ثاني ١٩٨٣، انظر: سعود المولى، "حتى لا ننسى بطولات الكتيبة الطلابية / كتيبة الجرمق"، مصدر سابق. وهو ما يتفق مع سجل عمليات "جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية" كما يسجل موقع جمول على شبكة الإنترنت. انظر: موقع جمول، "عمليات ١٩٨٣"، موقع جمول على شبكة الإنترنت، المادة منشورة بتاريخ ١٩٩٩/١١/٣٠. واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٦

http://jammoul.net/index.php?option=com_content&view=article&id=406&Itemid=72

[2]. محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، مصدر سابق، ص٢٠٩- ٢١٠. وموقع جمول أيضًا. انظر: موقع جمول، "عمليات ١٩٨٣"، مصدر سابق. ويتحدث خليل النبتيتي عن عملية وقعت في هذه المنطقة في ١٣ أيار ١٩٨٣، انظر: خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص١٣٥- ١٣٦. موقع جمول أيضًا. انظر: موقع جمول، "عمليات ١٩٨٣"، مصدر سابق.

[3]. للاطلاع على المزيد عن عمليات الكتيبة يرجى الرجوع إلى كتاب محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، مصدر سابق، ص١٩٧- ٢١٩. وهي مسجلة باسم "كتيبة الجرمق" والذي هو الاسم الرسمي للكتيبة الطلابية منذ نزولها إلى الجنوب اللبناني من بعد توقيع اتفاقية الرياض ووقف الاقتتال مع السوريين.

يجري الحديث عنه هو عملية الويمبي"[1]. وعملية الويمبي هذه نفذها أحد أعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي في ٢٤ أيلول ١٩٨٢، فكأن الطاهر يلمح إلى مسؤولية السوريين عن التعتيم المتعمد على عمليات المقاومة الفلسطينية في هذه الفترة نظرًا لرغبتهم في إنهاء ظاهرة المقاومة الفلسطينية في لبنان، بينما تتحدث المصادر الأخرى التي حاولت التأريخ لهذه العمليات عن النزعة الطائفية التي كانت تحاول "لبننة" المقاومة المسلحة وتشير إلى الفلسطينيين بالغرباء، وهو ما كان متزامنًا مع صعود حركة أمل التي ساءت علاقتها بحركة فتح، وأصبحت في موقع المعارضة للمقاومة الفلسطينية في لبنان[2].

ح. وليس آخرًا.. الخروج والانشقاق

- **بيروت: الملحمة والمأساة**

استمرت القوات الصهيونية في اندفاعها، وقد أدركت قيادة منظمة التحرير في ٩ حزيران أن الغزو يستهدف بيروت، وفي اليوم التالي ألقت الطائرات الصهيونية بيانات تدعو فيها المدنيين والعسكريين الفلسطينيين والسوريين إلى مغادرة المدينة، ووصلت القوات الغازية في ١٤ حزيران إلى مثلث خلدة واحتلته بعد قتال مرير صمدت فيه قوات من فتح مدة ٦ أيام مكنت فيها القيادة في بيروت من تهيئة المدينة لمواجهة عملية اقتحام. وفي ١٧ حزيران تمكنت القوات الصهيونية من احتلال الـ ٥٠٠ متر التي تفصلها عن مدرج مطار بيروت الشرقي، إلا أن زحفها توقف بعدما قامت قوات فلسطينية بصد عملية إنزال بحري في منطقة الأوزاعي. وفي ٢٤ حزيران تمكنت القوات الصهيونية من احتلال بلدة بحمدون بعد معركة قاسية تكبدت فيها القوات الغازية خسائر فادحة. وبهذا كانت بيروت قد أصبحت محاصرة منذ ١٣ حزيران، وذلك بعد يومين من توصل المبعوث الأمريكي فيليب حبيب إلى ترتيب وقف لإطلاق النار بين الكيان الصهيوني وسوريا لم يشمل الفلسطينيين[3].

وضعت غرفة العمليات المركزية لمنظمة التحرير خطة دفاعية، قسمت على ضوئها بيروت الغربية وضواحيها الجنوبية إلى سبعة قطاعات عينت لكل قطاع منها قيادته ووحداته القتالية، ووفرت له شبكات اتصال، ومخازن أسلحة وذخيرة، ومراكز توزيع طعام، وكان أكثر المقاتلين ينتمي إلى فتح وجيش التحرير الفلسطيني الموالي للمنظمة، والموالي للسوريين، إضافة إلى مقاتلين من الحركة الوطنية ومن حركة أمل في بعض الأحياء، وتألفت القوة الفلسطينية من ٨٠٠٠ مقاتل، كانت ترتكز بشكل أساسي على ٣٥٠٠ مقاتل، وحفر المهندسون والمتطوعون الخنادق، وأقاموا السواتر الترابية وزرعوا الألغام، بينما أقام الهلال الأحمر الفلسطيني المستشفيات الميدانية، في الوقت الذي توزعت فيه أجهزة مدنية تنظم عمليات توزيع الطعام والماء والخدمات الأخرى[4].

---

[1]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[2]. محمد حمزة، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، مصد سابق، ص١٥٥.

[3]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٧٣٩– ٧٤١.

[4]. المصدر السابق، ص٧٤١– ٧٤٢.

بعد سلسلة من المعارك العسكرية والجهود الدبلوماسية، ومع موقف عربي هزيل، وموقف لبناني داخلي يؤيد خروج القوات الفلسطينية، أعدت منظمة التحرير الفلسطينية مع الحكومة اللبنانية مسودة اتفاقية الجلاء عن بيروت في ٣ آب، وصادق مجلس الوزراء الصهيوني على اتفاقية الجلاء في ١١ آب، وبدأ جلاء القوات الفلسطينية في ٢١ آب إلى سبع دول عربية، وهي: سوريا والعراق والأردن والجزائر وتونس والسودان واليمن الشمالي واليمن الجنوبي، وسلمت أسلحتها لكل من الحركة الوطنية اللبنانية والجيش اللبناني، وفي ٢٣ آب وصل بشير الجميل رئيس حزب الكتائب إلى رئاسة الجمهورية، لكنه قتل لاحقًا في ١٤ أيلول بانفجار أودى به وبعدد كبير من أفراد حزبه، فدخل الجيش الصهيوني بيروت في ١٥ أيلول بحجة حماية المدنيين الفلسطينيين من انتقام الموارنة[1].

في ١٥ و١٦ أيلول رتب الصهاينة مع مسؤول استخبارات القوات اللبنانية إيلي حبيقة وضباط موارنة آخرين دخول مخيم صبرا وشاتيلا الفلسطيني، وهو ما تم في ١٦ أيلول بمساعدة الجيش الصهيوني الذي قام بنقل مئات من رجال الميليشيا المارونية إلى شاتيلا، وأمدهم بالذخيرة ووسائل الاتصال والطعام والإنارة على مدار ٤٨ ساعة، حتى انتهت المجزرة باستشهاد ٢٧٥٠ مدنيًا فلسطينيًا بحسب إحصاء بعثة دولية مستقلة[2].[3]

لم تكن منظمة التحرير تملك القدرة الكافية للإصرار على البقاء في بيروت بعد فقدانها قدرًا من حاضنتها الشعبية اللبنانية لأسباب مركبة، منها التجاوزات التي طبعت سلوك الكثير من عناصر الثورة، والتي صبت بدورها في خدمة الخلافات التي توسعت مع حركة أمل على خلفية انحياز المنظمات الفلسطينية لأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية ضد أمل، بالإضافة إلى الأسباب الخاصة بأمل من حيث تعاظم الشعور بالهوية الطائفية فضلاً عن طبيعة علاقاتها الإقليمية في حينه، كما أن الصمود في بيروت لم يعد قرارًا فلسطينيًا مع ضيق السكان بعمليات القصف الصهيوني الواسعة، وفي المقابل فإن الحلفاء التقليديين للثورة الفلسطينية من قيادات الحركة الوطنيّة اللبنانيّة والقيادات الإسلاميّة السنيّة والشيعيّة دفعوا نحو خروج الفلسطينيين، بينما كان الموقف العربي في غاية الرداءة، في وقت لم يكن فيه الاتحاد السوفييتي قادرًا على خلق التوازن في مواجهة الدعم المطلق الذي قدمته إمريكا للحكومة الصهيونية في غزوها على لبنان، وهذا كله فضلاً عن وجود جزء لا يستهان به من القوى اللبنانية متحالف مع القوات الصهيونية كما هو الحال مع حزب الكتائب والقوات اللبنانية التي اقترفت مجزرة صبرا وشاتيلا بتدبير صهيوني.

- **قتال الإخوة**

إلا أن ثمة بقية من القوات الفلسطينية ظلّت في بعض مناطق لبنان مثل البقاع والهرمل وبعلبك والشمال، وكان من ضمن هذه القوات، بعض من مقاتلي الكتيبة الطلابية الذين كانت لهم مساهمة كبيرة في عمليات المقاومة ضد الغزو الصهيوني، بينما رجعت بعض القوات

---

[1]. المصدر السابق، ص٧٥٤- ٧٥٦.

[2]. المصدر السابق، ص٧٥٧.

[3]. وقدر مجموعة باحثين فلسطينيين العدد بـ ٣٠٠٠ ضحية. عن مجزرة صبرا وشاتيلا، راجع التقرير الموسع: مجموعة باحثين، مجزرة صبرا وشاتيلا: نتائج بحث ميداني، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٣٨- ١٣٩، (أيلول- تشرين الأول ١٩٨٤): ص٦٣- ٩٨.

إلى لبنان بعدما كانت قد غادرت باتجاه سوريا، وفي الأثناء كانت حكومة أمين الجميل، الرئيس اللبناني الجديد، قد شرعت بمفاوضات مع الكيان الصهيوني بشأن ترتيبات أمنية ومعاهدة صلح، الأمر الذي خلق حالة عداء متبادلة بين سوريا والجميل الذي لم يراع مصالح سوريا في تفاهماته مع الصهاينة، ومن ثم تولدت شكوك سورية تجاه فتح التي لم تشجب تلك المفاوضات رغبة منها في الحفاظ على حوارها مع السلطات اللبنانية التي قامت بدورها بإبعاد واعتقال مئات الفلسطينيين بهدف الضغط على منظمة التحرير الفلسطينية لسحب بقية قواتها، دون أن تتخذ فتح أيضًا موقفًا حادًا إزاء ذلك. وبهذا تراجعت علاقات فتح مجددًا بسوريا، فعززت الأخيرة من علاقاتها مع المعارضة الفتحاوية والتي يمثلها أساسًا نمر صالح وسميح أبو كويك وسعيد مراغة (أبو موسى) وموسى العملة (أبو خالد)، أي تلك الشخصيات التي عُرفت في وقت ما بالاتجاه السوفييتي في فتح[1].

استغلت سوريا وليبيا المواقف الفلسطينية المعارضة لسياسة ياسر عرفات منذ الخروج من بيروت، ولا سيما بعد إعلان مؤتمر القمة في فاس في ٦ أيلول ١٩٨٢ والذي نص على وضع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت إشراف الأمم المتحدة إلى حين إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية، وهو الإعلان الذي عارضته ليبيا، ثم سحبت سوريا موافقتها عليه لاحقًا بعد تصاعد خلافاتها مع فتح، بسبب سعي عرفات لتحسين العلاقات بمصر، وإحياء الحوار الأردني الفلسطيني وظهور مقترحات الاتحاد الكونفيدرالي الفلسطيني الأردني، وتنسيق الملك حسين مع عرفات بشأن مشروع السلام المقدم من الرئيس الأمريكي ريغن[2].

كانت للمعارضة الفلسطينية أسبابها الأخرى المتمثلة بمطالب الإصلاح الداخلي الجذري من بعد الخروج من بيروت، وعابت على قيادة فتح إهمالها القاعدة التنظيمية والعسكرية من بعد الخروج من بيروت، وعدم قدرتها، أو عدم رغبتها، في إرجاع القوات الفلسطينية إلى بيروت[3]، وللتأكيد على هذه المسألة فإن سعيد مراغة وبعد فترة وجيزة من الخروج من بيروت اصطحب صلاح خلف، ويحيى يخلف[4]، إلى بيروت لزيارة المخيمات الفلسطينية والقوات المتبقية وإثبات استمرار الوجود الفلسطيني في لبنان[5].

كانت قيادة فتح على علم بتحركات المعارضة فيها فجمدت عضوية نمر صالح وسميح أبو كويك، ورغم توقف محادثات عرفات مع الملك حسين، فإن التيار اليساري استمر في إعداده للتمرد بعدما فشلت جهوده في فرض برنامجه السياسي على دورة المجلس الوطني الفلسطيني السادسة عشرة التي عقدت في شباط ١٩٨٣ في الجزائر، وقد التقت جهود هذا الترتيب مع الاستياء الواسع في صفوف القاعدة التنظيمية ولا سيما بعد مجزرة صبرا وشاتيلا. وقد تفاقم هذا الاستياء بعد اغتيال قائد القوات سعد صايل في ٢٧ أيلول

---

[1]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٧٨٧- ٧٨٠.

[2]. المصدر السابق، ص٧٣٧- ٧٨٠

[3]. المصدر السابق، ص٧٨٠.

[4]. كان أمينًا عامًا لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين سنة ١٩٨٠، ومحسوبًا على الاتجاه اليساري في فتح، وشارك مع أبو موسى في البداية في "انتفاضة- انشقاق" ١٩٨٣، لكنه ترك حركة أبو موسى، وعاد مع السلطة الفلسطينية إلى داخل الأرض المحتلة وأصبح وزيرًا للثقافة.

[5]. سعيد مراغة (أبو موسى)، برنامج مراجعات، حلقة ٢٥، حاوره: عزام التميمي، قناة الحوار. المادة المصورة نشرت على موقع youtube بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/٢٠. واسترجعها منه في ٢٠١٤/٦/١٠. https://www.youtube.com/watch?v=zomeNjLm1PI

١٩٨٣ تاركًا القوات في حالة من الشعور بعدم الأمان، إلا أن تغيير قيادة عرفات لموقفها من موضوع إرجاع القوات إلى لبنان، حيث باتت تتبنى مثل هذه الفكرة وتعمل عليها، فاقم من الموقف العدواني السوري تجاه فتح، في موقف مناقض تمامًا للأسباب التي قدمها المعارضون ممن تدعمهم سوريا. وغالبًا فإن سوريا كانت متخوفة من ردود فعل صهيونية على العمليات التي تقوم بها هذه القوات، ولذلك فإن الجيش السوري أمر مقاتلي فتح في جبال المتن بالتوقف عن العمليات ضد القوات الصهيونية وتسليم أسلحتهم، ومنعت القوات السورية سيارات التموين والعتاد العسكري من الوصول إلى مقاتلي فتح في قواعدهم بعدما رفضوا أوامرها[1].

رغم إجراءات عرفات المتعددة لمنع حركة التمرد، فإن هذه الأخيرة قد أعلنت عن نفسها في ٨ أيار ١٩٨٣، معتمدة بشكل أساسي على كل من سعيد مراغة (أبو موسى) وموسى العملة (أبو خالد) اللذين ألفا نواة "الانتفاضة" الحقيقية مع ضباط الجيش الأردني السابقين الذين التفوا حولهما، وكانت ليبيا قد وعدت المعارضين بمساعدة قدرها ٥ ملايين دولار شهريًا، في حين اتفق نمر صالح وسميح أبو كويك مع قادة الجبهة الشعبية– القيادة العامة وجبهة النضال الشعبي على "تصحيح مسار الثورة"، بينما كانت سوريا قد أمدتهم بـ ٦٠ طنًا من الأسلحة كانت قد صادرتها من مستودعات المنظمة سابقًا، وبهذا استولى سعيد مراغة في ٩ أيار على الكتيبتين الأولى والثانية في قوات اليرموك، وأيده عدد من الضباط الكبار الذين نشروا بيانًا في ١٣ أيار يوضح أسباب حركتهم تضمن عددًا من الاتهامات كان من أبرزها اتهام عرفات بالعمل على إخراج الثورة من لبنان. بعد ذلك جرت أحداث كثيرة بين الطرفين تراوحت بين الحوار ومحاولات الإصلاح واحتواء الأزمة وبين قتال الإخوة الدامي[2].

كان معين الطاهر قد عاد من علاج إصابته إلى دمشق قبل حركة "الانشقاق" بأربعة أيام ثم توجه إلى البقاع حيث مقر قيادة الكتيبة الطلابية. حاولت قيادة الكتيبة الطلابية أن تتوسط بين الطرفين، لكن محاولتها لم تنجح، ثم انقلب الحال إلى دخول قوات الكتيبة في الصراع المسلح ضد قوات "الانتفاضة" لحماية قيادة قوات اليرموك التي هاجمتها قوات "الانتفاضة"، وأعادت قيادة الكتيبة الطلابية تشكيل جميع الوحدات الموجودة في منطقتها من القوات الموالية لعرفات لتجنب أي محاولة اختراق، وفي الأثناء كانت مواقع الكتيبة في الجبال مستمرة في عملياتها خلف خطوط "العدو" دون أن تتأثر بالصراع الجاري في البقاع، وبالتالي أوقفوا التمدد العسكري لحركة "الانتفاضة" تجاههم بعدما صدوا هجومًا في قرية جديتا، لتنهي معركة جديتا إمكان الحسم العسكري لحركة "الانتفاضة"، وهنا يؤكد معين الطاهر: "كان موقفنا دفاعيًا دومًا ولم نبادر إلى الهجوم قط. لقد أنهت معركة جديتا إمكان الحسم العسكري للانشقاق، وبعد ذلك انتهى تمدد الانشقاق العسكري في تجاهنا."[3].

- **التيار والقيادة: وجهة نظر**

---

[1]. يزيد الصايغ، مصدر سابق، ص٧٨٠– ٧٨٦.

[2]. المصدر السابق، ص٧٨٦– ٧٩٥.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

وهنا تأتي ضرورة الحديث عن موقف التيار وطليعته المقاتلة الكتيبة الطلابية من القيادة وأسباب الموقف الذي تبناه من حركة "الانتفاضة– الانشقاق"، فقد تبنى التيار مواقف متعارضة تمامًا مع التوجه السياسي لياسر عرفات وخطه المتنفذ في حركة فتح ومنظمة التحرير، ابتداء من الخلاف حول مشروع المرحلي ومن ثم النقاط العشر والتي تطورت في اتجاهات تسووية واضحة، مرورًا بجملة من المواقف[1]، منها التحفظ على قرارات قمة الرباط[2] حول الممثل الشرعي والوحيد، لاعتقاد التيار بأن التمسك بفكرة التمثيل سيقود إلى تصفية الثورة طلبًا لدولة هزيلة في أحسن الأحوال، وطلبًا لمجرد تمثيل في المعادلة العربية والدولية ومقعد في مشاريع التسوية، إضافة إلى جملة قضايا أخرى كانت محل خلاف مع قيادة فتح، منها الموقف من الحرب العراقية والإيرانية، والموقف من الاحتلال السوفييتي لأفغانستان[3].

كما أن الموضوع اللبناني كان محل خلاف دائم، فمن ناحية عارض التيار سلسلة من السياسات التي اتخذتها القيادة أدت إلى الانخراط العميق في الحرب الأهلية، وهنا تبدو المفارقات التي شكلت قدر هذا التيار ما بين معارضة الحرب الأهلية والانخراط فيها، ومن ناحية ثانية بات واضحًا لدى التيار أن قيادة فتح ومنظمة التحرير وبدلاً من اتخاذ لبنان قاعدة وممرًا للمقاومة اتخذته رهينة لضمان الوجود على خريطة الشرق الأوسط وللتفاوض عليه لاحقًا[4]، بل وحتى في فكرة العودة إلى لبنان، وهي التي عادت وتبنتها قيادة فتح، بعدما كانت من ذرائع حركة "الانتفاضة" القوية، فإن التيار قد رأى أولوية التركيز على الأرض المحتلة[5]، إلا أن هذا التوجه داخل التيار لم يكن محل إجماع، حتى لو كان التوجه الأساسي[6]، فجزء أساسي في التيار دفع نحو العودة[7]، وهنا تبدو مفارقة أخرى تتلبس موقف التيار؛ إذ إن مقاتلي الكتيبة كانوا من أبرز من بقي في لبنان بعد الاجتياح وقاد المقاومة فيه، ثم نظموا العودة إليه بعد الخروج من طرابلس[8]، في الوقت الذي كان يرى فيه أبو حسن وحمدي ألا يعاد بناء كتيبة الجرمق، والتفرغ لإحياء المقاومة داخل الأرض الحتلة، وإن كان لا بد من وجود في لبنان فينبغي أن يكون ثانويًا ومقتصرًا على مقاومة الغزو الصهيوني[9]، وهو ما يشير إلى تناقض في الموقف حول هذه المسألة، لكن ينبغي الأخذ بعين الاعتبار بأن التيار ليس حزبًا حديديًا يتبنى رأيًا واحدًا يستغرق كل أفراده، فلا شك أن ثمة تفاوتًا في الرأي في هذه الموضوعات ولا سيما بين منظر التيار منير شفيق من جهة وعدد من مقاتلي الكتيبة من جهة أخرى، والكتيبة الطلابية وإن كانت جزءًا من التيار فإنها تتبع تنظيميًا قيادة القوات التابعة لياسر عرفات، كما أن أكثر كوادرها كان موقعهم الوحيد داخل الكتيبة، بيد أن التيار بالفعل اشتغل على الخطين؛ فمن ناحية اهتم أبو حسن قاسم وحمدي التميمي بالعمل على بناء

---

[1]. سيأتي الوقوف عند بعضها مما لم يذكر في هذا الفصل في الفصل القادم.

[2]. عقدت في تشرين أول ١٩٧٤.

[3]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصد سابق، ص٢٧.

[4]. المصدر السابق، ص١٦.

[5]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصد سابق، ص٢٧.

[6]. المصدر السابق، ص٦٠.

[7]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[8]. سيأتي الحديث عنه.

[9]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصد سابق، ص٦٠

المجموعات المقاتلة داخل الأرض المحتلة، ومن ناحية ثانية استمرت الكتيبة الطلابية تقاتل داخل لبنان، وذلك كله على قاعدة الممارسة، وسد الثغرة، و"حمل الكتف"، وإسناد الجرة، وبكلمة مختصرة: القيام بالواجب.

ورغم أن الانطباع السائد عن التيار عمومًا، والكتيبة الطلابية خصوصًا، بأنهما جزء من حالة "الاستزلام" ومراكز النفوذ داخل قيادة فتح، حيث اتجه أكثر من كتب في الموضوع إلى احتسابهما على القيادة المتنفذة وعلى خليل الوزير تحديدًا، فإن منير شفيق يقدم صورة مختلفة تمامًا ومركبة من عنصرين:

الأول؛ أن التيار وإن كان بعض رموزه قد فقدوا ثقتهم بالقيادة منذ الخروج من الأردن في تموز ١٩٧١[1]، وإن عارض سياسات القيادة المتعلقة بمشروع التسوية والبحث الدائم عن التمثيل بما يشكل انحرافًا عن الكفاح المسلح ومنطلقات فتح الأولى؛ فإنه لا يرى القيادة خائنة أوعميلة، وإنما هي قيادة وطنية تحكمها عقلية براغماتية تجعلها قابلة للدخول في مسارات وخيارات متعددة بما في ذلك الخيارات التي تحمل التنازلات عن بعض المنطلقات والمبادئ، فهذا النمط من القيادات يتوقف مسار اتجاهها على معادلة موازين القوى والظروف الإقليمية والدولية[2]، وبالتالي وبدلاً من تقييم القيادة على أساس ما يمكن أن تصل إليه في المستقبل، ينبغي التقدم للقيام بفعل راهن يراعي طبيعة فتح التي لا يمكن إصلاحها إلا بتغييرها بالكامل وهذا مستحيل.

ولأن البديل الحقيقي غير موجود، ولأن فتح لا تزال تمارس المقاومة بما يجعل التقاطع مع قيادتها ممكنًا، فإن الخيار الراهن الصحيح هو تعظيم الخط النضالي والسياسي الصحيح من داخلها وفق قانون المحصلة، فمحصلة فتح في النهاية هي نتيجة تدافع عدة قوى واتجاهات داخلها[3]، ومن ثم فإن الخيار الصحيح هو البقاء فيها لتعظيم محصلة الكفاح ضد "العدو"، وإنقاذ الكوادر الذين يمكن إنقاذهم من اليأس، والحفاظ عليهم في الثورة، والحفاظ على قيمهم الثورية وأخلاقهم الحميدة، ووضعهم في اتجاه محصلة الكفاح ضد العدو، والمساهمة في وقف التدهور وإبقاء شعلة المقاومة مستمرة قدر الإمكان[4].

ويستدل اليوم أصحاب هذا الرأي على صحة موقفهم بأن قيادة فتح بقيت في موقع القتال، وبالتالي إمكان التقاطع معها، حتى العام ٩٣، أي استمرت منذ الجدل على الحل المرحلي ٢٠ عامًا في مواقع القتال[5]. ويستذكر منير شفيق حوارًا دار بينه وبين صبري البنا في العام ١٩٩٤، قال فيه الأخير: "ألم أقل لك أنهم سيبيعون القضية"، فرد عليه شفيق: "لكنك غبت ٢٠ سنة عن النضال"[6]، فالقيادة التي من المرجح أن تفرط بالقضية استمرت في مواقع القتال ٢٠ عامًا، بينما خرج من القتال من انشق عنها.

---

[1]. المصدر السابق، ص٢٨.

[2]. المصدر السابق، ص٣٥.

[3]. المصدزر السابق، ص٣٢.

[4]. المصدر السابق، ص٦٥.

[5]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[6]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، الحلقة ١٠، مصدر سابق.

ورغم كل ما يمكن أن يقال عن الأخطاء الذاتية لفتح، وعقلية القيادة ونمط تفكيرها وممارساتها واتجاهاتها، فإن التيار ورغم معارضته الشديدة لخيار التسوية، وتمسكه بمنطلقات الفتح الأولى، قد اتسم بواقعية كبيرة في التحليل السياسي، إذ يضع الأسباب الذاتية في سياق الظروف الموضوعية، ففلسطينيًا ينبغي أخذ حجم الدور الذاتي الفلسطيني ضمن معادلة علاقته بالوضع العربي والدولي، وهذا يتيح فهمًا صحيحًا لأبعاد المشكلة الكاملة، وبالتالي اختيار المقاربات الصحيحة للتعامل مع الأزمات الفلسطينية[1].

والعنصر الثاني في صورة العلاقة المركبة بالقيادة، هو موقف القيادة الحقيقي من التيار، وهو الموقف الذي ينافي كل التصورات الرائجة التي تفيد بوجود علاقة تبعية تجمع التيار بتلك القيادة، إذ يؤكد منير شفيق بأن القيادة حاربت التيار حربًا لا هوادة فيها[2]، وأعطت الضوء الأخضر لأنصارها للتحريض ضد التيار وتشويهه وتقليمه وتحجيمه والتضييق عليه، فهي لم تكن تتفهم وجود تيار داخل فتح يتبنى موقفًا مستقلاً عنها، ولذلك اتهمته ببناء تنظيم داخل التنظيم وبالتحضير للانشقاق[3]. وحتى فيما يتعلق بكتيبة الجرمق، فإنها كانت تعاني من شح إمكاناتها وتقليص مخصصاتها التموينية[4]، ويروي معين الطاهر كيف أن أحد مقاتلي الكتيبة في قلعة الشقيف شكا لياسر عرفات من نقص التسليح، ومن تدني نوعية الملابس العسكرية، وقال له "فدائية الـ ١٧ فدائية وإحنا مش فدائية؟"[5].

ويمكن من هذا التحليل استنتاج الأسباب التي جعلت قيادة فتح تستبقي هذا التيار في داخلها رغم الخلاف العميق وعدم الارتياح الدائم، فهي من ناحية كانت بحاجة إليه للموازنة مع التيار السوفييتي الذي كانت تخشى من نفوذه الكبير، ومن ثم فإن قاعدة "فخار يكسر بعضه" صالحة للاستخدام في هذا الموضع[6]، ولأن التيار لم يكن ينافس القيادة، فإن الابقاء عليه في داخلها بما يتيح استمرار مراقبته وتحجميه أفضل من إخراجه، خاصة ومع الحاجة إلى تضحياته التي يمكن أن تصب في صالح فتح، لا سيما وأنه يتجنب الصراعات الداخلية ولا يشارك في الحملات ضد فتح وقيادتها وليست له ارتباطات بأي دولة عربية أو أجنبية[7].

لقد سادت هذه القراءة رؤية التيار حتى استشهاد قادته أبو حسن قاسم وحمدي التميمي في العام ١٩٨٨، وكانت حاضرة في الموقف من "الانشقاق" ومن ثم الممارسة إزاءه. فالخلاصة أن "الانشقاق سيؤدي إلى إضعاف المقاومة الفلسطينية وإخراجها من ساحة الصراع ضد العدو في لبنان، بمن فيهم المنشقون أنفسهم."[8]

---

[1]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصد سابق، ص٣٠.

[2]. يقول فتح البس عن علاقة التيار باللجنة المركزية ومراكز النفوذ فيها: "تميز عن كل اتجاهات فتح، بأنه مستقل تمامًا. علاقته بأعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح فيها مد وجزر. يرضى عنه أبو إياد وأبو صالح إذا تقاطعت المواقف، ويسنده أبو جهاد بحساب دقيق للتوازن داخل الحركة، ويتعامل أبو عمار معه بمنتهى الحذر، أما بقية الأعضاء فلم يثيروا أية مشكلة في وجه هذا التيار." فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص١٤٥.

[3]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصد سابق، ص٣٨.

[4]. المصدر السابق، ص٧٦.

[5]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[6]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصد سابق، ص١٤.

[7]. المصدر السابق، ص٣٢، ٤٨.

[8]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

- **وماذا بعد "الانشقاق"؟!**

حاولت قيادات الكتيبة الطلابية، بوساطة من الجبهتين الشعبية والديمقراطية، فتح حوار مع سعيد مراغة (أبو موسى) وموسى العملة (أبو خالد)، تضمن مقترحًا لتفكيك الحجة الأساسية التي تتبناها حركة "الانشقاق" وهي اتهام ياسر عرفات بالرغبة في الخروج النهائي من لبنان، فعرضت قيادة الكتيبة الطلابية تشكيل كتيبة مشتركة تستمر في الكفاح المسلح، بحيث يكون قائدها من جماعة أبو موسى ونائبه علي أبو طوق من الكتيبة الطلابية، وفي حال تم الاتفاق تصدر هذه الكتيبة بيانًا تعلن فيه انتهاء الأزمة، ووحدة قوات العاصفة، وتوحيد الجهود ضد "العدو"، واستمرار القوات في الساحة، ودعوة بقية القوات إلى العودة، مع الدعوة إلى عقد مؤتمر عاجل لحل كل المشكلات الداخلية ضمن سقف زمني محدد. إلا أن هذه الجهود باءت بالفشل[1].

بعد انسحاب الصهاينة من منطقة الجبل، قررت الكتيبة الابتعاد عن أرض "الانشقاق" في البقاع إلى الجبل، لقتال القوات الصهيونية وتعقبها، حيث نجحت في نقل ٢٠٠ مقاتل إلى الجبل وانشأت قوة مشتركة مع الجبهتين وجبهة التحرير الفلسطينية، بينما تحالفت جماعة أبو موسى مع الجبهة الشعبية القيادة العامة، ثم عملت الكتيبة على نقل كل قوات اليرموك من البقاع إلى الجبل، وأثناء ذلك وفي قرية قبر شمون اعترضها اللواء الرابع في الجيش اللبناني فحصلت معركة دامية قتل فيها ٧٠ عنصرًا من الفلسطينيين ودمر اللواء الرابع بالكامل، وحينئذ شعر عرفات بأن الأوضاع بدأت تسير لصالح قواته في لبنان فجاء إلى طرابلس، وهنا شعر حافظ الأسد في المقابل بأن الأوضاع بدأت تفلت من يديه فأخذ قرارًا بحصار القوات الفلسطينية التي تبقت في البقاع ولم تتمكن بعد من إتمام انسحابها. على ضوء ذلك حصلت مفاوضات بين قيادة الكتيبة من جهة ورئيس الاستخبارات العسكرية السورية غازي كنعان من جهة ثانية طلب فيها الأخير منهم الانسحاب إلى طرابلس، وهو الأمر الذي وافقت عليه الكتيبة بعدما وجدت نفسها محيرة بينه وبين الاشتباك مع السوريين في معركة خاسرة عسكريًا، ورغم محاولات الحصار والاعتراض السورية فقد وصلت القوات إلى طرابلس أخيرًا.[2]

تجمع في منطقة طرابلس ما يزيد على ٤٠٠٠ مقاتل وعنصر ميليشيا، لتبدأ معركة طرابلس يوم ٢ تشرين الثاني ١٩٨٣، وتستمر حتى اتفاقية جلاء القوات الفلسطينية عن طرابلس حيث خرجت أول دفعة منها، تقل جرحى منظمة التحرير، في ١٧ كانون أول ١٩٨٣، بينما خرج ٤٧٠٠ شخص في ٢٠ كانون أول، ووزعت فتح مخزونها من الأسلحة حين خروجها على حركة التوحيد الإسلامية وحركة أمل وحزب الله، وفي حصار بيروت، وبالتحديد في ٢٤ تشرين ثاني، جرى التبادل على الجنود الستة الذين سبق للكتيبة الطلابية أن أسرتهم، وكان أول عمل قام به عرفات بعد خروجه من طرابلس أن نزل في القاهرة في ٢١ كانون أول للقاء مبارك. لقد خرج عرفات من معركة طرابلس قويًا بما فيه الكفاية ليمضي هذه المرة في مشروع التسوية[3].

---

[1]. المصدر السابق، وخليل نبيتي، مصدر سابق، ص١٣٧.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٧٩٨– ٨٠٤.

بعد ذلك بدأ عدد من كوادر الكتيبة الطلابية بالعودة إلى لبنان، وفي مقدمتهم مروان كيالي وعلي أبو طوق وأبو الفتح، وكان هدفهم حماية المخيمات الفلسطينية حتى لا يتكرر نموذج مجزرة صبرا وشاتيلا، وإضافة إلى ذلك عملوا على تنظيم المقاومة في لبنان، كما أعادت فتح بناء قدراتها العسكرية في لبنان داخل المخيمات الفلسطينية[1]، أثار ذلك قلق سوريا[2]، كما أثار خشية حركة أمل من أن تكون عودة فتح سببًا في إطالة أمد الاحتلال الصهيوني للجنوب الشيعي، ومن أن تحيي فتح تحالفاتها مع القوى السنية في صيدا وبيروت، وقد كانت أمل تراهن على وحدة الدولة اللبنانية لتحقيق مكاسب للطائفة الشيعية، فشنت أمل من ١٧– ١٩ نيسان ١٩٨٥ هجومًا على حركة "المرابطون" الناصرية المؤيدة لفتح، ثم هاجمت مخيمي صبرا وشاتيلا في ١٩ أيار مفتتحة حرب المخيمات، التي استمرت ثلاث سنوات، استشهد فيها علي أبو طوق في مخيم شاتيلا في ٢٧ كانون ثاني ١٩٨٧.

كان ياسر عرفات يغذي حرب المخيمات لاعتقاده بأنها ورقة قوية بيده بينما كان علي أبو طوق وغيره من كوادر الكتيبة الطلابية يسعون إلى وقفها. ولكن علي أبو طوق استشهد في النهاية، ووثقت التحقيقات اعترافات مصورة لاثنين قالا أنهما كلفا من موسى

---

[1]. خليل النبتيتي، ص١٥٩– ١٦٢.

[2]. لا تبدو رواية فاروق الشرع، الذي كان وزيرًا لخارجية سوريا في ذلك الحين واضحة بخصوص الدور السوري في حرب المخيمات، وهي أحدث ما صدر عن مسؤول سوري أثناء إعداد هذه الدراسة، إذ إنّه يلمّح إلى مسؤولية بعض أعضاء القيادة السياسية والعسكرية عن حرب المخيمات، متحدثًا عن دوره في معارضة تلك القيادات قائلاً: "كنت أُعبّر وأكرر بلا جدوى أمام بعض أعضاء القيادة السياسية والعسكرية، أن حرب المخيمات تتعارض مع مصالح سوريّة الأساسيّة، ومع مبادئ سياستنا الداخلية والخارجية. فيجب أن نميز بين خلافنا مع عرفات، وإن كنا على حق فيه، وبين التزام سوريّة القضيّة الفلسطينية، فهي قضيتنا المركزيّة قبل كل شيء". انظر: فاروق الشرع، **الرواية المفقودة**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٥): ص١٢٢. دون حديث صريح حول الموقف السوري وأسبابه وأبعاده، وإن كان أوضح ما يكون في تحميل المسؤولية لعبد الحليم خدام، نائب الرئيس السوري حافظ الأسد حينها، إذ يقول: "كنت أدرك جيدًا أن ترك هذا الموضوع لخدام واستحواذه عليه يعني أن الاقتتال لن يتوقف بين الفلسطينيين وحركة أمل." المصدر السابق. لكن ثمة إشارة في روايته إلى موقف الأسد بقوله: "وكانت عودة عرفات بعد أقل من سنة على الخروج من بيروت متخفيًّا إلى طرابلس بمنزلة «صب الزيت على النار»، وتحديًّا غبيًّا لسلطة الرئيس الأسد.." المصدر السابق، ص١٢٣. وإن حاول الشرع تزيين الانتقام السوري من عرفات بادعائه أن أصل الموقف ناجم عن خروج عرفات "من بيروت المحاصرة إلى أماكن بعيدة عن ساحة المواجهة، على الرغم من صدور قرار من القيادة السورية بأنها على استعداد لاستضافة الفصائل الفلسطينية الراغبة في القدوم إلى دمشق." المصدر السابق. وهذا الادعاء لا يبدو متماسكًا أمام سير الأحداث منذ دخول القوات السورية إلى لبنان، فالمشكلة لدى السوريين في استقلال عرفات عنهم، وفي رغبتهم في التحكم المطلق بساحة المواجهة القريبة التي ساهموا في إخراج الفلسطينيين منها. وكان الشرع في موضع سابق من روايته قد تحدث عن ثلاثة أخطاء سياسية كبيرة لعرفات، كسر فيها الجرّة مع سوريا، حين خروجه من بيروت بعد غزو العام ١٩٨٢، قائلاً إنّ عرفات خصّ بالشكر الرئيس المصري حسني مبارك "الذي كان مستمرًا بدعم اتفاقيات كامب ديفيد، بينما تعمّد ألا يذكر اسم سوريا". وهو ما عُدّ من طرف السوريين "جحودًا كبيرًا تجاه المقاتلين السوريين الذين دافعوا ببسالة عن بيروت". ثم إن عرفات بحسب الشرع: "قلب ظهر المجن حين ذهب إلى اليونان ومنها إلى تونس وليس إلى دمشق المكان الطبيعي له، حيث كانت القيادة السورية قد اتخذت قرارًا باستضافة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ومكاتبها التي ترغب في ذلك." المصدر السابق، ص٨٢.

وفي تاريخية علاقات الشكّ والارتياب بين الأسد وعرفات، والمرارات الدفينة، وفضلاً عن ضرب القوات السورية لمنظمة التحرير وحلفائها اللبنانيين في بدايات الحرب الأهلية اللبنانية، يضيف حنّا بطاطو مجموعة من العوامل، تراكمت حتى تسببت بقطيعة علنية بين الأسد وقادة فتح، منها: تعاظم مكانة عرفات بعد خروجه من بيروت بعد اجتياح العام ١٩٨٢، ونقد عرفات العلني للدعم السوري غير الكافي للمقاومة الفلسطينية أثناء الحرب، وميل عرفات إلى خيار دبلوماسي في إطار سعيه لتحقيق دولة للفلسطينيين، وامتناعه عن استبعاد مبادرة ريغان للسلام التي أعلنت في ١ أيلول ١٩٨٢ دون أن تأخذ في الحسبان مخاوف الأسد، ثم رفض عرفات إقامة مقرّ قيادته في سوريا، وأخيرًا محاولات الأسد تحطيم سلطة عرفات ونفوذ فتح. انظر: حنا بطاطو، مصدر سابق، ص٥٥٥. وكانت قد سيطرت على الأسد فكرة أن هدف الغزو "الإسرائيلي" للبنان تحويل المقاومة الفلسطينية من مشكلة لـ "إسرائيل" إلى مشكلة لسورية. المصدر السابق، ص٥٥٧.

وفي الأسباب المباشرة، كانت مبادرة السلام الأردنية الفلسطينية المشتركة التي أعلن عنها كل من ياسر عرفات والملك حسين في ١١ شباط ١٩٨٥، وتضمنت انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧، وهو الأمر الذي اعتبره الأسد محاولة لتنحية سورية، ثم يأتي أيضًا في الأسباب المباشرة تمكن عرفات من إعادة بناء قاعدة نفوذه في المخيمات الفلسطينية بلبنان، واستفادته من الخلاف السوري العراقي، وصراع أمل وحزب الله، وقد رأى الأسد في ذلك كله تهديدًا لنفوذه الإقليمي فأطلق يد أمل على المخيمات الفلسطينية في بيروت وقرب صور وصيدا، وقد كانت أمل تملك أسبابها الخاصة كذلك، منها خشيتها على نفوذها المحلي، ومن انتقام "الإسرائيليين" من تصاعد نفوذ الفلسطينيين في لبنان، مما قد يزيد من معاة الجمهور الشيعي. انظر: حنّا، بطاطو، مصدو سابق: ص٥٦٧– ٥٦٩.

العملة (أبو خالد) باغتياله، إلا أن معين الطاهر الذي شاهد الاعترافات مع ياسر عرفات يثير قدرًا من الشك حولها، ويقول إنهما قررا (هو وعرفات) إغلاق الموضوع للحفاظ على الوحدة الفلسطينية في حرب المخيمات التي اصطف فيها كل الفلسطينيين في مواجهة أمل[1].

وفي مكان آخر في الأردن، كان أبو حسن قاسم وحمدي التميمي يعملان على إدخال الدوريات إلى الأرض المحتلة، وزرع مجموعات مسلحة ثابتة فيها، وتلك قصة أخرى.

٤. صوب الأرض المحتلة

لم يبدأ التوجه صوب الأرض المحتلة مع أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، كما أنه لم يقتصر على فتح، والتي تجلت بداياتها المسلحة المتواضعة في محاولة القيام بعمليات تسلل إلى داخل الأرض المحتلة، وقد أعلنت فتح عن انطلاقتها المسلحة في واحدة من هذه العمليات، سمتها "عملية عيلبون"، وقدمت فيها أول شهدائها، أحمد موسى الدلكي، بينما اعتقل الصهاينة محمود حجازي أول أسير من فتح في ٧ كانون ثاني ١٩٦٧، ورغم تواضع هذه البدايات وافتقار فتح إلى الخبرة وإلى المقاتلين المتمرسين[2] فإنها كانت في طريق التقاط اللحظة التاريخية التي ستجعلها في صدارة الحركة الوطنية الفلسطينية فترة طويلة من الزمن.

وبعد هزيمة العام ١٩٦٧ بدأت فتح باستئناف المقاومة من داخل الأرض المحتلة، حينما قاد ياسر عرفات في أوائل آب ١٩٦٧فريقًا من ٣٠ رجلاً إلى الضفة الغربية، وأقام مقر قيادته في مدينة نابلس، وقد أطلقت فتح على خلاياها المسلحة تلك اسم "التعشيش"، ونظمت عصبًا فدائية جوالة أطلق عليها "الدوريات المطاردة"، وباتت فتح تتصور إمكان قيام تمرد عام داخل الضفة الغربية على غرار ما حصل في ثورة ١٩٣٦، لكن آمال فتح تبددت بعدما قام الكيان الصهيوني بتفكيك تلك الخلايا، ثم حاولت مرة أخرى في كانون ثاني من عام ١٩٦٨ إرسال مجموعات قيادية إلى الضفة الغربية، وادعت أنها نقلت كل قواعدها العسكرية إلى داخل الوطن المحتل، إلا أن الجهود الصهيونية الأمنية قضت على كل هذه المحاولات[3]، بيد أن فتح كانت مرة أخرى بمبادرتها قد عززت من إمساكها باللحظة اللتاريخية، وانسجامها مع الإيديولوجية الضمنية للشعب الفلسطيني فيما بعد النكبة، وهو ما ستظهر آثاره الكبرى لصالح فتح من بعد معركة الكرامة في ٢١ آذار ١٩٦٨.

---

[1]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

وكذلك يشير فاروق الشرع، إلى أن القوى الفلسطينية كلّها، بما فيها حلفاء سوريا، كالجبهة الشعبية– القيادة العامّة، بقيادة أحمد جبريل، وحركة فتح "الانتفاضة"، وحركة فتح "المجلس الثوري"، كانت قد توحّدت في مواجهة حصار حركة أمل. انظر: **الرواية المفقودة**، مصدر سابق، ص١٢٢.

[2]. يصف درويش ناصر صاحب كتاب "عملية الدبويا" ومحامي الدفاع عن منفذيها؛ أول أسرى فتح بأنه كان مطأطئ الرأس منحني الظهر يبدو يائسًا وبائسًا ومرتعشًا وخائفًا لا يعرف ماذا يريدون منه. ويقارن بينه وبين منفذي عملية الدبويا للتأكيد على التطور الذي بلغته فتح منذ تلك العمليات الأولى البدائية وصولاً إلى الدبويا. انظر: درويش ناصر، **عملية الدبويا كما يرويها منفذوها**، (القدس: الناشر المؤلف، ١٩٨٣): ص٩– ١٠. ويتحدث يزيد الصايغ أن ياسر عرفات في تلك المرحلة قام بتجنيد المتسللين المخرضمين من عملاء أجهزة الاستخبارات العربية السابقين، لقاء أجر يدفعه لهم، فكان أداؤهم ضعيفًا وإخلاصهم وقدرتهم على التحمل في أدنى حالاتها. يزيد صايغ، ص٢٠٠.

[3]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٢– ٢٥٥، ٢٦٧– ٢٦٩، ٢٧٢.

بعد معركة الكرامة وتصاعد النفوذ الفلسطيني في الأردن بدأت فتح في إرسال الرجال والسلاح إلى منطقة الخليل وغزة من الأردن عبر صحراء النقب، وكانت عمليات تسلل أخرى تتم من لبنان وأقل منها من سوريا، وهنا بدأت فتح مجددًا تكتشف أن أرض فلسطين غير ملائمة لحرب العصابات، وأن المقارنة مع الجزائر غير ممكنة لا من حيث المساحة ولا من حيث عدد السكان والتركيبة الديمغرافية لكل من المستعمِرين والمستعمَرين، ولهذا ظلت المقاومة المسلحة في الضفة متواضعة، بينما كانت الأوضاع في غزة مختلفة إلى درجة أنه وبحلول عام ١٩٧٠ كانت التنظيمات الفدائية تسيطر على قطاع غزة ليلاً، وتصدّر تلك التنظيمات قوات المقاومة الشعبية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إلا أن أحداث أيلول ١٩٧٠ انعكست على أوضاع المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة، حينما تمكن الكيان الصهيوني من ضرب التنظيمات الفدائية حتى توقفت أعمال المقاومة بالكامل في كانون أول ١٩٧١[1].

بعد الانتقال إلى لبنان، كانت أوضاع المقاومة في غاية السوء، إلى درجة أن المنظمات الفدائية التي انتقلت إلى لبنان كانت عاجزة عن إنزال دوريات إلى داخل الأرض المحتلة[2]. وكانت هذه اللحظة فارقة في بداية تكون تيار الكتيبة الطلابية حينما التقى منير شفيق مسؤول القسم السياسي في القطاع الغربي، وأبو حسن قاسم الذي سيصبح من كوادر "لجنة التنظيم ٧٧" في القطاع الغربي، وسينضم إليه لاحقًا حمدي التميمي، ليبدأ العمل على تشكيل تيار لا يكتفي بنقد القيادة ولا يعفي نفسه من المسؤولية في حال قصرت القيادة، وسوف تتبلور بعد ذلك نظرية العامل المساعد، أو سد الثغرة، وسينشأ عن ذلك كله ثلاثة خطوط أساسية:

الأول. ميليشيا مقاتلة تتكون أساسًا من الطلاب كطليعة مقاتلة للتيار، وستعرف هذه الميليشيا بداية بالسرية الطلابية ثم بكتيبة الجرمق بعد نزولها إلى جنوب لبنان وتحولها إلى كتيبة نظامية تابعة لقوات العاصفة في فتح، وميدانًا لاجتذاب آلاف المتطوعين من الفلسطينيين واللبنانيين والعرب وغير العرب. وستشتهر تاليًا باسم الكتيبة الطلابية.

والثاني. خط سياسي عريض يتمتع برؤية فكرية وسياسية يجري إنضاجها بجهد جماعي، وتقوم في الأساس على التمسك بمنطلقات فتح الأولى، وبتطوير مستمر لنظرية خط الجماهير يرافقه نقد دائم للماركسية واهتمام متعاظم بالممارسة واختبار الثقافة بالميدان والنظريات في الواقع، بالإضافة إلى تحديد للتناقضات الرئيسية والثانوية في الساحة الفلسطينية بما يركز النضال ضد "العدو الصهيوني"، مع رؤية قومية خاصة تنطلق من شعار فتح القديم "تحرير فلسطين طريق الوحدة العربية". وهذا التيار يتوزع على عدد كبير من قطاعات وأجهزة وتنظيمات فتح، أبرزها التنظيم الطلابي، ويستقطب عددًا من الكوادر اللبنانية والعربية، من أبرزها تلك الكوادر المنحدرة من مجموعات ماركسية ماوية.

والثالث. خط المقاومة داخل الأرض المحتلة، وقد تولى قيادة هذا الخط أبو حسن قاسم ومعه حمدي التميمي، وإن كان أبو حسن قاسم هو القائد الميداني للتيار، الذي شارك في تنظيمه وترتيباته وشهد معاركه في الحرب الأهلية اللبنانية والمواجهات مع السوريين، كما ربط

---

[1]. المصدر السابق، ص٢٧٩، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣١٣، ٣١٦-١٧، ٣٢٠- ٣٢٢.

[2]. منير شفق، المصدر السابق، وانظر أيضًا: برنامج كل الحكاية الحلقة ٩. ومنير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٣٣.

أبو حسن قاسم وحمدي بين عملهم في لجنة التنظيم في القطاع الغربي وقيادتهم للتيار وبين الكتيبة الطلابية التي شكلت حاضنة لآلاف المتطوعين بمن فيهم المرشحون لتنفيذ العمليات داخل الأرض المحتلة.

حمل التيار منذ بدايات تبلوره في العام ١٩٧٥ مشروعًا لإطلاق انتفاضة كبيرة داخل الضفة الغربية، يشارك فيها رجال مسلحون يكمنون في الجبال ويختبؤون في المدن والمخيمات[1]، واستمر يدفع نحو المشروع متشكلاً كعامل مساعد يطمح إلى الإسهام في خلق هذه الحالة الكفاحية، حتى كانت انتفاضة العام ١٩٨٧، فلقد كانت إقامة نقاط ارتكاز داخل الأرض المحتلة مشروعًا أزليًا للتيار، وهاجسًا دائمًا، يعبئ مقاتلي الكتيبة بأن "المناضل الأفضل والكادر الأفضل والأصلب والأكثر لياقة والأكثر قدرة، هو الذي يهيئ نفسه للذهاب إلى الأرض المحتلة"[2]، وعلى هذا الأساس ضمت الكتيبة العديد من المقاتلين الذين كان يجري إعدادهم للدخول إلى الأرض المحتلة، ومن أبرزهم أبو الراتب نائب قائد السرية الطلابية في مراحل تشكلها الأولى[3]، وكان في فترة ما من عمل الكتيبة يجري إعداد علي أبو طوق للنزول إلى داخل الأرض المحتلة[4].

وعمل التيار على الاستفادة من التنظيم الطلابي في تكليف الطلاب الفلسطينيين القادمين من الأردن للدراسة في لبنان بإنشاء نقاط ارتكاز لتخزين السلاح واستيعاب الدوريات المتجهة إلى الأرض المحتلة، وتمكن بالفعل من إقامة قواعد ارتكاز في الأغوار وفي عمان وعلى الحدود، كما وأقيمت مراكز تدريب للقادمين من الأرض المحتلة في الأردن وفي دول أجنبية ولا سيما بعد الخروج من بيروت[5].

واستفاد أبو حسن قاسم وحمدي من الكتيبة الطلابية للتعاون مع بعض منتسبي القوات الدولية من بعد العام ١٩٧٨ لنقل الأسلحة والذخائر، كما واستفادوا أيضًا من أفراد فرقة الاستطلاع السورية التي رابطت مع الكتيبة في قلعة الشقيف لتهريب الأسلحة من لبنان ثم إلى سوريا ثم إلى الأردن. وطوال هذه الفترة اللبنانية كان أبو حسن قاسم وحمدي يتناوبان على الذهاب إلى الأردن لإقامة قواعد ارتكاز هناك بالتعاون مع الحاج حسن ومحمود العالول وآخرين كثيرين[6].

ومن عمليات الدوريات تلك، كانت الدورية التي نزل فيها مروان زلوم عام ١٩٨١ لإدخال السلاح إلى داخل الأرض المحتلة، ولكنها وبعد نجاحها في مهمتها اضطرت للاشتباك قرب بلدة تياسير مع قوات صهيونية، انتهت بأسر أفرادها بعد نفاد ذخيرتهم. بعد ذلك سيفرج عن مروان زلوم في صفقة تبادل الأسرى في العام ١٩٨٥، ثم سيعود مع السلطة الفلسطينية، ويساهم في تأسيس كتائب شهداء

---

[1]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص١١٥.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[3]. يذكر منهم معين الطاهر مجموعة أخرى في مواضع متفرقة من روايته، بعضهم بأسمائهم وبعضهم بكناهم مثل: أبو رحمة وأبو حديد و عبد الرحيم وسعيد وحسنين وأحمد منتصر، المصدر السابق. وأحمد منتصر كان من أبرز كوادر الكتيبة واستلم قيادتها بعد اغتيال علي أبو طوق. اغتالته جماعة أبو نضال على مدخل مخيم القاسمية في ٩ آذار ١٩٩٣.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[6]. المصدر السابق، وشفيق الغبرا **حياة عير آمنة**، ص١١٥.

الأقصى في الانتفاضة الثانية[1]، إلى حين استشهاده بعد ذلك في ٢٢ نيسان ٢٠٠٢.

واستمر هذا التناوب على تنظيم العمل المقاوم داخل الأرض المحتلة والإشراف على التيار في لبنان بما فيه السرية الطلابية ومن ثم الكتيبة طوال النصف الثاني من السبعينيات وبهذا حصل التكامل ما بين العمل على تفعيل المقاومة داخل الأرض المحتلة، والقتال في جنوب لبنان بواسطة كتيبة الجرمق، وصولاً إلى العام ١٩٨٢، حينما التحق حمدي بالكتيبة في قتال متواصل من الجبل حتى البقاع، ثم أخذ أبو حسن موقعه كقائد ميداني في المدينة الرياضية أثناء الهجوم الصهيوني على بيروت[2].

كانت رؤية التيار تقضي بتجاوز الواقع الفتحاوي والفلسطيني عمومًا الذي ألقى بكل ثقله في الحرب الأهلية اللبنانية، على نحو شل العمل العسكري في الداخل، إلى درجة أن القطاع الغربي بأغلبيته كان يُستدعى للمشاركة في الحرب الأهلية، وكذلك فإن تبني البرنامج المرحلي أعطى أهمية متزايدة للعمل السياسي في الداخل على حساب العمل العسكري، وإضافة إلى ذلك فإن الضفة الغربية كانت تعاني من فقر في الكوادر المؤهلة والمدربة بسبب الاعتقالات التي لا تمنح المناضلين الفرصة الكافية لاكتساب الخبرة ومراكمة التجربة ونقلها إلى آخرين[3].

ولتجاوز هذه الإشكالية الأخيرة، وضمان فاعلية أكبر للمقاومة داخل الأرض المحتلة، بدأ أبو حسن قاسم وحمدي يعملان على زرع كوادر مقاتلة تختبئ في الجبال، وتحافظ على نفسها أطول فترة ممكنة، وكان من ضمن هذه المحاولات تلك التي قادها أبو خلدون (خالد صابر الديك) الذي توجه إلى جبال رام الله ونابلس، ومكث فترة داخل الأرض المحتلة[4]، ليستشهد أخيرًا في اشتباك مع القوات الصهيونية[5].

إلا أن المحاولة التي تكللت بعملية "الدبويا" الشهيرة كانت من أنجح تلك المحاولات، وقد أشرف أبو حسن قاسم على هذه المحاولة إشرافًا كاملاً، بينما قادها أحد المدربين المهمين في معسكرات الكتيبة الطلابية وهو عدنان جابر، والذي انضم إلى حركة فتح في الأردن في العام ١٩٦٩، وانتقل مع قوات الثورة من الأردن إلى لبنان، وأرسلته حركة فتح في دورة عسكرية إلى الاتحاد السوفييتي، وعاد مدربًا في معسكرات الكتيبة الطلابية وكادرًا في القطاع الغربي[6].

عنصر المجموعة الآخر كان ياسر زيادات، واسمه الحركي عزيز. من بلدة بني نعيم في جبل الخليل، كان متعاطفًا مع جماعة الإخوان المسلمين، وانضم إلى فتح لأسباب قومية ودينية، واعتقل في العام ١٩٧٣، ثم بعد خروجه من السجن توجه إلى بيروت، وتدرب في

---

[1]. خليل النبتيتي، مصدر سابق، ص٨٨. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[2]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٧٩– ٨٠

[3]. المصدر السابق، ص٧٩.

[4]. ٦ شهور كما يذكر منير شفيق. المصدر السابق، ص٧٩، وسنة كما يذكر معين الطاهر. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. السابق.

[6]. درويش ناصر، **عملية الدبويا كما يرويها منفذوها**، (القدس: الناشر المؤلف، ١٩٨٣): ص٢١– ٢٦.

معسكرات فتح، ثم عاد إلى الأرض المحتلة، ليصبح مطاردًا فور عودته، ويبدأ بتقديم المساعدة لخلايا فتح في الخليل. يذكر من تلك الخلايا، واحدة ضمت خمسة مقاتلين، نجحت في عبور البحر الميت مدججة بالأسلحة النارية والصواريخ والمتفجرات، فاستقبلهم ياسر، ونفذ عملية على مستوطنة "كريات أربع" ببعض الصواريخ التي جاؤوا بها، أما الخلية فقد نفذت عددًا من العمليات الأخرى. عاد ياسر بعد ذلك إلى بيروت والتحق بكتيبة الجرمق والتقى هناك بعدنان جابر[1].

في حزيران ١٩٧٩ عاد الإثنان إلى الأرض المحتلة، عابرين النهر، والتقوا في قرية تياسير بحسن علي جابر، واسمه الحركي لؤي، فكمنوا في إحدى مغارات القرية فترة، ثم اقتادهم عمر الحروب إلى الخليل حيث كمنوا أيضًا في إحدى مغارتها. عمرو الحروب، واسمه الحركي جميل، من قرية الخضر قرب بيت لحم، وسبق له أن تدرب في معسكر لفتح قرب بيروت، ثم عاد بتكليف إلى داخل الأرض المحتلة. قام عمر الحروب وبتكليف من أبو حسن قاسم بضم تيسير أبو سنينة من مدينة الخليل ليحدد لهم موقع العملية. أبو سنينة، واسمه الحركي ماهر، كان ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين قبل تجنيده لصالح فتح في دمشق عام ١٩٧٨، ثم ضم تيسير أبو سنينة إلى المجموعة محمد الشوبكي، واسمه الحركي مجاهد، والذي كان قد انضم إلى فتح مبكرًا ونفذ عددًا من العمليات بمفرده. كان أبو حسن قد رتب آليات التقاء أفراد المجموعة ببعضهم، ومراسلتهم، وتمويلهم، من موقعه في الأردن[2].

في ٢ أيار ١٩٨٠، أمطرت المجموعة بالأسلحة النارية والقنابل اليدوية مجموعات المستوطنين بالقرب من بناية تدعى "الدبويا" في قلب الخليل، كان مستوطنو كريات أربع قد استولوا عليها. قتل ٦ مستوطنين وجرح ١٦ آخرين. عاد عدنان وياسر إلى المغارة، ورجع البقية إلى بيوتهم. في ١٢ أيلول ١٩٨٠ اعتقل عدنان وياسر أثناء محاولتهم قطع النهر عائدين إلى الأردن.

حينما حصلت عملية الدبويا، كان التيار وفي القلب منه منير شفيق وأبو حسن قاسم وحمدي، قد أتموا انتقالهم إلى الإسلام، وبحسب منير شفيق، حاول أبو حسن قاسم وحمدي التميمي "أن يعطيا لعملية الدبويا الشهيرة اسمًا إسلاميًا كرمز لوحدة العمل الإسلامي والوطني الفلسطيني في ذلك الوقت من عام ١٩٨٠، وهي المرحلة التي كانت تواجه فيها الثورة الفلسطينية مفترق طرق. وكانت إحداها تدل على صحوة إسلامية كبيرة"[3]. في السنوات القادمة سينجحان في تأسيس "سرايا الجهاد الإسلامي"، لتكون بدورها عاملاً مساعدًا آخر للنهوض بالمقاومة الإسلامية في فلسطين وصولاً إلى الانتفاضة الأولى دون أن يغادرا مواقعهما في فتح، فكيف حصل التحول من الماركسية إلى الإسلام؟ وما هي "سرايا الجهاد الإسلامي"؟

٥. ملخص في الفكر والممارسة

قدم هذا الفصل، والذي سبقه إلى حد ما، صورة تاريخية للأفكار التي عبر عنها تيار الكتيبة الطلابية على مستوى التنظير، وعلى

---

[1]. المصدر السابق، ص٢٧- ٣٢.

[2]. المصدر السابق، ص٢٦- ٤٩.

[3]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٢١.

مستوى الممارسة، مع إرجاء جانب من أفكار التيار للفصل القادم، وخاصة فيما تعلق ببدايات طرحه الإسلامي، وانفتاحه على الاتجاهات الإسلامية اللبنانية وغير اللبنانية، وتفاعله مع التطورات الكبرى التي ملأت الفضاء المشرقي في أواخر سبعينيات القرن الماضي، كالثورة الإيرانية، فالصورة التاريخية للأفكار، حتى للمرحلة التي غطاها هذا الفصل، لا تكتمل إلا بالفصل القادم.

بالرغم من أن التيار لم يكن حزبًا ينهج تبني المعتقدات الملزمة لأفراده، ومع أنه ضم أعدادًا كثيرة من المتحمسين لتجربته وأطروحاته، كانت تتباين فيما بينها الآراء والمعتقدات، فإن نمطًا عامًا يطبع عموم التجربة في بعديها النظري والعملي، وهذا النمط تبين في موضوعات وممارسات عرضتها الدراسة بقدر من التفصيل في الصفحات السابق، بيد أن هذه الخاتمة للفصل ستقوم بتكثيف أهم الموضوعات والممارسات التي تناثرت على كامل صفحات التجربة، وتعيد صياغتها باختصار شديد، مع التوسع قليلاً فيما لم يأخذ حظه من البسط فيما سبق من هذه الدراسة، لا سيما قضية الوحدة العربية، خاصة وأن الإنتاج النظري للتيار في هذه القضية كبير وواسع نسبيًا.

أ. على مستوى الفكر

- **فلسطين والأمة العربية والكفاح المسلح**

رغم تمسك التيار بالكفاح المسلح وإصراره عليه وممارسته له عبر تجربتين رائدتين، الأولى في لبنان منخرطًا في المعارك كلها، إن في الحرب الأهلية وضد التدخل السوري، أو في مواجهة الكيان الصهيوني والميليشيات اللبنانية التابعة له، والثانية في إحياء المقاومة داخل الأرض المحتلة، وعلى نحو ترك له بصمات تاريخية محفوظة في الميدانين، فإنه لم يعتبر أن السلاح وحده عامل حاسم في تحقيق الانتصارات، ولكن كميات السلاح وأعداد الرجال، أدوات في يد الخط السياسي والخط الفكري، وهذان الخطان هما العامل الحاسم، فالسلاح لا يقاتل بدون الرجال، والرجال لا يقاتلون إلا وفق السياسات التي يحملونها والأفكار التي يتبنونها[1].

ومن هنا بلور التيار نظرية فكرية وسياسية، يأتي في أساسها منطلقات فتح الأولى، ولا سيما التأكيد على مركزية القضية الفلسطينية، في سياق رؤية عروبية ووحدوية ثابتة، ترفع شعار فتح القديم "تحرير فلسطين طريق الوحدة العربية" لا بقصد السجال مع العروبيين، ولكن إيمانًا بوحدة النضال العربي، والعلاقة التبادلية ما بين الكفاح المسلح في فلسطين بما هو رافعة للأمة، وحاجة فلسطين إلى التغيير العربي والوحدة العربية[2]، فلا يمكن تحرير فلسطين دون انخراط العرب في مشروع التحرير، ولا يمكن تحقيق التغيير العربي أو النهضة العربية بدون تصفية الكيان الصهيوني، فهي عملية جدلية تبادلية معقدة.

وعليه فقد رأى التيار أن النضال ضد الكيان الصهيوني، في تلك المرحلة، هو الأساس الذي يجب أن ينبني عليه النضال الثوري العربي

---

[1]. سعد وأبو خالد، **أفكار ثورية في ممارسة القتال**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨): ص٦٠- ٦١.

[2]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص١٠.

العام، وهذا يختلف عن اعتبار أن النضال في كل قطر في تلك المرحلة بالأهمية نفسها، والأولوية نفسها، ومن ثم فأي قوة ثورية عربية تضع نضالها القطري على قدم المساواة مع النضال الفلسطيني تكون قد أخلت بالمسألة المركزية للنضال العام، وغالبًا ستنتهي إلى جعل نضالها القطري فوق النضال الفلسطيني، إلى الدرجة التي قد تستخدم فيها النضال الفلسطيني لخدمة نضالها القطري[1].

إذا لم تكن الأولوية للنضال الفلسطيني، فإن النضال العربي القطري نفسه سوف يختل، لأن التجاوز عن أولوية النضال الفلسطيني يعفي الأنظمة العربية من الإدانة، بينما وحينما تطرح هذه الأولوية فإن الأنظمة التي لا تساهم في الصراع ستوضع تحت النيران نقدًا، أو وفضحًا، أو إسقاطًا، حسب كل حالة. ومن جهة أخرى فإن تحديد الأولويات لكل قطر بناء على وضعه الخاص يتنكر لسمة الأمة الواحدة، بينما وحينما يجعل النضال ضد الكيان الصهيوني هو الأولوية فإن هذا يسهل لكل قطر وضع أولوياته الخاصة في ضوء الأولوية للنضال العام[2].

إلا أن وحدة النضال لا تعني وحدة السياسات، وإنما تكامل السياسات[3]، ومن هنا تأتي السياسات الخاصة بالثورة الفلسطينية، من حيث عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، واتخاذ مواقف استقلالية إزاء المحاور العربية، ووضع القضية الفلسطينية فوق الخلافات العربية، وتوجيه كل البنادق نحو "العدو الصهيوني".

لقد كانت هذه هي خلاصات التيار بالنسبة للبحث عن نظرية العمل للثورة العربية على مستوى المسار العام، في المرحلة التي وضع فيها سنة ١٩٧٩، فإن النضال العربي القومي ينتقل عبر مراحل ينتقل فيها مركز الثقل في نضال الجماهير وقواها السياسية المنظمة، بصورة متنوعة من مرحلة إلى أخرى، ولكل مرحلة سماتها، ومركز الثقل فيها، والقوانين التي تحكم النضال القومي العام، في عملية تاريخية طويلة الأمد تتطلب من الفكر العربي الثوري أن يكون شديد النفاذ إلى جوهر الواقع العربي وهو يعالج المسار العام للعملية التاريخية للثورة العربية أو على مستوى كل مرحلة من مراحل تطور تلك العملية التاريخية[4].

وبناء على موقع الثورة الفلسطينية من النضال العام، وعلى ضوء وحدة النضال وتعدد السياسات، تبلورت طبيعة التناقضات في الساحة الفلسطينية، والتي ترى أن أن الكيان الصهيوني هو البؤرة القوية الرئيسية للنفوذ الإمبريالي التي ركز فيها قوته العسكرية والسياسية الضاربة الرئيسية، وبسبب ظروف تاريخية عديدة أصبح مصير الإمبريالية العالمية في الوطن العربي، إن لم يكن في العالم بأسره، مرتبطًا كليًا ببقاء الكيان الصهيوني، أو على الأصح بمصير المعركة المسلحة مع الكيان الصهيوني، وهذا يؤدي إلى استنتاج بأن تحرير فلسطين يعني الدخول في معركة رئيسية فاصلة مع النفوذ الإمبريالي في المنطقة كلها، ستقرر نتيجتها لا بقاء الكيان الصهيوني وحسب ولكن

---

[1]. منير شفيق، **في الوحدة العربية والتجزئة**، ط٣ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨١): ص١٢٦– ١٢٨.

[2]. المصدر السابق، ص٢٩– ٣٠.

[3]. المصد السابق، ص٣٠.

[4]. منير شفيق، **نظرة في تناقضات الوضع العربي العام**، (بيروت: دار تشرين، ١٩٧٥): ص٦– ٧.

بقاء الإمبريالية كلها، إلا أن تصفية الوجود الإمبريالي في بلد عربي ما، سوى فلسطين، لن يؤدى إلى إنهاء النفوذ الإمبريالي في المنطقة[1].

وإذن فإن استمرار الكفاح المسلح، ورفض مشاريع التسوية، شرط ضروري لا لتحرير فلسطين وحسب، ولكن لتحرير المنطقة العربية كلها، إلا أن هذا يفرض على الثورة الفلسطينية سياسات خاصة، توجه فيه سلاحها وكامل نشاطها ضد "العدو الصهيوني"، ثم تجنب الحصار العام وتجنب سحق الثورة وتأمين تصعيدها بالامتناع عن التدخل في شؤون الدول العربية، فدور الثورة الفلسطينية في تصعيد المناخ الثوري العربي العام بكفاحها ضد "العدو الصهيوني"، وليس في القيام بأعمال محدودة غير مؤثرة سوى في جلب الحصار والسحق لنفسها[2].

اعتقد التيار بأنه منسجم مع منطلقات فتح الإستراتيجية الأساسية التي طرحتها وترجمتها عمليًا في كانون ثاني ١٩٦٥، وتمثلت في أولوية تحرير فلسطين، واتباع أسلوب الكفاح المسلح لتحقيق الهدف، والانطلاق من النضال المسلح القطري الفلسطيني لتوحيد نضال الجماهير العربية، ولذلك أولى التيار هذه المنطلقات الاهتمام النظري لأن دراسة تلك المنطلقات يساعد على رؤية مدى صحة جوهر تلك المنطلقات في مواجهة مختلف اتجاهات الاستسلام والخيانة أو الإصلاحية والهروب والتخلي عن الثورة[3].

ومن هنا، كان لا بد من التصميم على القتال، إذ لا توجد طريقة أخرى لحل التناقض مع "العدو" غير الكفاح المسلح، ولا خيار آخر للشعب وللثوار، فهذا قانون حتمي لا مفر منه. وهذا القتال هو وحده الذي يبطل إجراءات "العدو" التعسفية التي تهدف إلى سحق الثورة، إذ لا قيمة لهذه الإجراءات إلا إذا خضع الثوار والشعب لها، وهذا القتال لا ينبغي أن يتوقف حتى لو وقعت انتكاسات وهزائم، فالكفاح المسلح وحده القادر على النهوض بالجماهير مجددًا وصنع الانتصارات تاليًا، ولا شكل للوفاء لدماء الشهداء وقضية الشعب إلا بمواصلة القتال[4].

لقد عمل التيار على تحويل مقولاته هذه إلى ممارسة عملية، برفض الحل المرحلي والوقوف في وجهه والتظير ضده، ومواجهة اقتراب فتح من الاتحاد السوفييتي لاعتقاد التيار بأن مشروع الحل المرحلي هو مشروع سوفييتي يهدف إلى السيطرة على منظمة التحرير، إذ لا يمكن لهذه السيطرة أن تتم دون أن تتبنى المنظمة الرؤية السوفيتية للصراع في الشرق الأوسط[5]، ثم انتقل التيار إلى الممارسة العملية لتعزيز القتال والدفع بالكفاح المسلح إلى الأمام في كل أطواره، إن في المرحلة اللبنانية أو في مرحلة ما بعد الخروج من بيروت.

وفي السياق نفسه، فإن ثمة مسارًا ثالثًا مزامنًا يشكل ثلاثي النضال العربي، الذي يقوم في الأساس على أولوية النضال الفلسطيني، ثم

---

[1]. منير شفيق، **حول التناقض والممارسة في الساحة الفلسطينية**، مصدر سابق: ص٢٠– ٢١.

[2]. المصدر السابق، ص٤٨– ٤٩.

[3]. منير شفيق، **بين استراتيجية التحرير الكامل واستراتيجية "الحل السياسي"**، مصدر سابق، ص٨٩، ٩٢، وانظر: منير شفيق، "منطلقات أساسية لاستراتيجية الثورة الفلسطينية"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٧، (كانون ثاني ١٩٧٣): ص٥– ١٤.

[4]. سعد وأبو خالد، **أفكار ثورية في ممارسة القتال**، مصدر سابق: ص٢٣– ٢٤.

[5]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص١٢– ١٩.

تحديد الأولويات القطرية على ضوئه. هذا المسار الثالث هو العمل على تحقيق الوحدة العربية، على أساس من الاعتقاد بأنها لا تقبل المساومة، ولا يمكن القبول بنقيضها، ذلك لأنها تدخل في مقومات الوجود العربي، ومن هنا تحمس التيار لمحاولات الوحدة المتعددة، بصرف النظر عن الأنظمة، وعن مضمون الحكم، فحتى لو لم تفض الوحدة إلى الديمقراطية والمساواة فلا ينبغي التفريط فيها، فقضية الوحدة هذه معيار للتفريق بين القوى الثورية الحقيقية التي اصطفت مع الجماهير الكادحة المؤيدة للوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ والمعارضة للانفصال عام ١٩٦١[1]. لقد طرح هذا الموقف أسئلة كبيرة حول مفهوم التحرر لدى التيار في تلك المرحلة التي كان يقدم فيها التحرر الوطني والقومي على ما سواه، لاعتقاده بأن التجزئة في البلاد العربية مفروضة من الاستعمار، ولم تنجم عن تطور طبيعي، وبالتالي فلا يمكن تحليل الحالة العربية بأدوات التحليل الماركسية الغربية التي اشتقت من التاريخ الغربي، فالتطور العربي يأتي في ظلال الوحدة[2] ، ومن ثم فإن المسألة ليست مفاضلة بين قيم الديمقراطية والمساواة وبين الوحدة العربية، فالأنظمة التابعة لأمريكا كانت أشد بطشًا وديكتاتورية، ولم يكن هناك مناخ عالمي للديمقراطية، ومع ذلك فإن النضال كان يمكن أن يستمر في ظل دولة الوحدة في المطالبة بالحريات وتشكيل الأحزاب والعمل الشعبي، وضمن مفهوم أشمل يتمثل في التحرر من الاستعمار والهيمنة الأجنبية[3].

لقد أفضى الاتصال بين نظرية التناقضات وبين الإيمان بالوحدة العربية، إلى ظهور نظرية التضامن العربي لدى التيار من بعد حرب تشرين ١٩٧٣، حينما وقف مؤسسو التيار إلى جانب تلك الحرب واعتبروها إنجازًا هامًا جدًا، بخلاف بعض "تقدميي فتح" الذين قسموا، امتدادًا لسياسات الاتحاد السوفييتي، الوضع العربي إلى تقدمي ورجعي، بينما وقف مؤسسو التيار مع التضامن العربي الذي تجلى في حرب تشرين وفي حظر النفط، ومع خط المواجهة والقتال، وقد أثار هذا الموقف انقسامات في حينها أدت إلى خروج ناجي علوش، واتهام التيار بالتبعية مرة لسوريا وأخرى للسادات، وتسميته بـ "جماعة التضامن العربي"[4].

وعلى أية حال، فإن التمسك بالكفاح المسلح، ورفض مشروع التسوية، والانخراط الواسع في القتال، رافقه سياسة براغماتية في التعامل مع الدولة العربية، كما تعبر عنه أفكار نظرية التناقضات والتضامن العربي، وفي العلاقة بقيادة فتح بعيدًا عن التبعية لقياداتها أو الصراع معها، بالرغم من أن التيار متهم تاريخيًا بالتبعية لخليل الوزير على وجه الخصوص ثم لياسر عرفات، كما تبنى التيار أدوات تحليل سياسي تأخذ العامل الذاتي في سياق العوامل الموضوعية، ومن هنا لم يتبن موقفًا عدوانيًا من قيادة فتح، كما نظر إلى حجم فتح وقوتها ومسؤوليتها الذاتية في سياق العوامل العربية والدولية، وهو توجه تحليلي لا يبتعد عن المقولة الماوية التي تهاجم ارتحالية اليسار الذي

---

[1]. منير شفيق، **في الوحدة العربية والتجزئة**، مصدر سابق، ص١٥٤– ١٥٥. ومنير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص١٠.

[2]. المصدر السابق.

[3]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، ح٥، مصدر سابق.

[4]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٤٧– ٤٩. يقول نزيه أبو نضال عن هذه القضية: "وهناك تجربة منير شفيق عسل الذي أضحى الآن «منير شفيق» والذي كان شيوعيًا سوفييتيًا وصار في سجن الجفر ماويًا، ثم داعية ومروجًا لمقولة التضامن العربي بين الجماهير والأنظمة العربية بما فيها نظامي كامب ديفد في مصر والنظام السعودي، وبعدها صار خمينيًا إسلاميًا، ثم شكل ما يسمى بالكتيبة الطلابية مع محجوب عمر وشقيقه الشهيد جورج شفيق عسل (أبو خالد) ومعين الطاهر، ملتحقًا بصيغة تحالف مع أبو جهاد وأبو عمار ومنهيًا بذلك تحالفه مع ناجي علوش وأبو داود وأبو نضال البنا". انظر: نزيع أبو نضال، **من أوراق ثورة مغدورة**، مصدر سابق، ص١٥٠– ١٥١.

يتجاهل العوامل الموضوعية والذاتية بما هو مضر للغاية بالحرب الثورية[1].

وقد شرح منير شفيق منهج التيار المعتدل بأن "الشعارات المعتدلة والمواقف المرنة التي تبناها التيار في كثير من المواقف السياسية اليومية فلسطينيًا ولبنانيًا وعربيًا كانت تقوم على أساس متين من الالتزام الشعبي الجماهيري الثوري. فالمرونة لم تنبع من ميوعة، والاعتدال لا ينبع من انتهازية، والنظرة التي تجمع بين متناقضين لا تصدر عن تلفيقية، والتركيز على أولوية ما لا يعني بيع ما عداها. فقد كان انتماء أصيلاً وحازمًا للجماهير العريضة وللثورة والتغيير"[2].

ب. في النظريات التأسيسية:

- **خط الجماهير**

يمكن القول إن خط الجماهير هو العمود الفقري لمسار تيار الكتيبة الطلابية وصولاً للتحول إلى الإسلام، متداخلاً مع نظرية التناقضات ومنسجمًا معها، ويبدو التداخل بين خط الجماهير ونظرية التناقضات في الكف عن تصنيف الجماهير إلى تقدمي ورجعي، والانفتاح على الجماهير كلها، حتى على مستوى المصطلح فقد راح التيار يستخدم صفة الجماهيرية والثورية والخط الصحيح تمييزًا لنفسه، لا من ناحية الشكل فحسب، وإنما أيضًا من ناحية المحتوى عن المفهوم الماركسي التقليدي (السوفييتي واليسراوي والماوي) للبروليتاريا، فالمفهوم الذي استخدمه التيار يعبر عن الجماهير الشعبية العريضة في البلاد العربية[3].

وذلك بالرغم من أن خط الجماهير مستدعى من المفهوم الماوي، إلى حد التطابق أحيانًا بين تعبيرات ماوتسي تونغ، وتعبيرات منير شفيق[4]، إلا أن هذا الخط الذي يدفع في الأساس لمحاولة تبييء الماركسية، أو تكييفها مع بيئة أخرى غير تلك التي ظهرت فيها، أوصلهم إلى ترك الماركسية بعد إخضاعها لعملية نقد طويلة ومستمرة وصولاً إلى الإسلام.

لقد كان مفهوم خط الجماهير حاضرًا دائمًا فيما سبق من صفحات وموضوعات هذا الفصل، بما يغني عن العودة إلى بسطه مجددًا، بيد أنه كان لا بد من تركيز أهم الأفكار في خاتمة الفصل، علمًا بأن هذا المفهوم سيبقى حاضرًا حتى نهاية الدراسة.

---

[1]. منير شفيق، **الماركسية اللينينية والثورة المسلحة**، مصدر سابق، ص٩١.

[2]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص١٢.

[3]. منير شفيق، شهداء ومسيرة، مصدر سابق، ص١١.

[4]. قارن بين قول ماو: "إن كل قيادة صحيحة في كل عمل من أعمال حزبنا لا بد أن تكون من الجماهير وإلى الجماهير. وهذا يعني تجميع آراء الجماهير (الآراء المبعثرة غير المنسقة) وتركيزها (تحويلها إلى آراء مركزة منسقة عن طريق البحث والدراسة)، ثم إعادتها إلى الجماهير لنشرها وتوضيحها حتى تتبناها الجماهير"*، وقول منير شفيق: "وهذه العملية التي تسمى تطبيق خط الجماهير هي القادرة على تسلحنا بمنهج صحيح في التعلم من الشعب، وهي القادرة لأن تعيد للشعب أفكاره المبعثرة والجزئية وتجاربه المشتتة والجزئية على صورة موضوعات متماسكة نسقت جيدًا وارتفعت إلى مستوى التعميم بعد أن عزلت الأفكار الخاطئة، وفرزت الأفكار الصحيحة."**

* ماوتسيتونغ، **مؤلفات ماوتسيتونغ المختارة**، ج٣، مصدر سابق، ص١٦٢.

** منير شفيق، موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية، مصدر سابق، ص٦٣.

ج. في المسلكية الثورية:

إن مسلكية التيار الثورية، منبثقة عن المفهومين السابقين: خط الجماهير، والتناقضات، ويضاف إليها نظرية الثغور والعامل المساعد. فمن جهة التناقضات، خرج التيار من الصراع الداخلي في فتح، سواء في العلاقة مع القيادة التي اتخذ منها موقفًا نقديًا دون أن يتحول إلى خطاب تخويني أو ممارسة عدائية أو اتجاه انشقاقي، أو فيما تعلق بالاتجاه السوفييتي داخل حركة فتح، والذي عارضه في جملة موضوعات نظرية وسياسية.

فنظريًا عارض التيار بشدة الارتباط بالاتحاد السوفييتي وركز على فكرة الاستقلالية، كما عارض نمط التحليل اليساري الأوروبي، وإسقاطاته التعسفية على البلاد العربية، وكان هذا الطرح المتحرر من الأرثوذكسية الماركسية حاضرًا بقوة في كل أدبيات التيار بما في ذلك الكتابات الأولى لمنير شفيق والتي ورغم ماركسيتها الواضحة كانت تتلمس طريقها صوب التحرر من هيمنة النموذج الماركسي ابتداء من التأكيد على عدم صحة استنساخ الثورات، مرورًا بالبحث عن التناقضات الخاصة بالثورة الفلسطينية، وبالبحث عن سمات الثورة في البلاد العربية، إلى تحليل التاريخ العربي بأدوات مشتقة من التاريخ العربي نفسه وليس بأدوات التحليل الماركسية التقليدية.

وسياسيًا عارض التيار الاتجاه السوفييتي في الموقف من الحرب الأهلية، بما في ذلك عزل حزب الكتائب، وفي القتال ضد السوريين، على أساس من تركيز التناقض مع الكيان الصهيوني، وبما يحمي الثورة الفلسطينية من الحصار أو السحق، ومن هنا فإن قتال التيار ضد اللبنانيين والسوريين كان فقط لحماية الثورة، ولمحاولة فرض وقف لإطاق النار بما يلبي حاجات الثورة الفلسطينية ويضمن استمرارها.

كما عارض تصنيفات الاتجاه السوفييتي للجماهير العربية على أساس التصنيف التقليدي (رجعي، وتقدمي)، فانتفح التيار على كل القوى والشرائح المجتمعية، وبالذات القوى والشرائح الإسلامية السنية والشيعية، وسعى في مقابل سلوك الاتجاه السوفييتي، وبقية القوى اليسارية الفلسطينية واللبنانية إلى إعادة دمج هذه الجماهير في المقاومة، بتقديم مسلكية ثورية مختلفة، تحرص على مصالح الجماهير الاقتصادية، وتحترم ثقافتهم، وتقيم علاقات متوازنة مع تكويناتهم الاجتماعية والسياسية.

ومن هنا، اهتم التيار ببناء الذات، بما يمكن اعتباره في الأدبيات الإسلامية مناهج تربوية، فسوف يلاحظ المتتبع لأدبياته؛ التركيز على عناوين تربوية واضحة، مثل: القدوة والمثل، وحب الشعب، واحترام الشعب، والتعلم من الشعب، والمثابرة والنفس الطويل، والتفاؤل، وقوة التحمل، وضد الثرثرة، وضد القوقعة، وضد الاتكالية، والثقة بالإخوة، وأن نغير أنفسنا ونعيد صياغتها، والموقف الأخلاقي، والتخلص من العادات السيئة، و أن نذهب حيث المهمات الأصعب.. الخ..[1] وقد انعكست مثل هذه التوجيهات، في ضوابط أخلاقية تراعي معتقدات الناس، من عدم المجاهرة بالإفطار في رمضان، ومنع شرب الخمر، ومنع معاكسة الفتيات، ومنع لعب الورق في القواعد والمعسكرات، وقد تطورت هذه المسلكية إلى التزام بعض المقاتلين بالصلاة مع الناس في مساجدهم، والتزام صوم رمضان.

---

[1]. راجع العناوين في: سعد وأبو خالد، **أفكار ثورية في ممارسة القتال، مصدر سابق**. ومنير شفيق، **موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية**، مصدر سابق.

ثم انعكست هذه المسلكية في القتال، فإذا صح اعتبار الكادر الأساسي في التيار من المثقفين، فإن أهم سمات هؤلاء المثقفين هي الممارسة، في حالة وسط ما بين المثقف المنعزل عن الجماهير، المتعالي عليهم بإحساس امتلاك المعرفة[1]، وبين الممارسة الاستعراضية التي تحتقر الثقافة[2]. فكان التيار بالفعل حالة فكرية قتالية، ولم يكن المثقف في التيار منفصلاً عن المقاتل حتى من جهة ممارسة القتال نفسه، فالموضوعات التي كانت تنشر باسم منير شفيق هي نتاج جهد جماعي يشترك فيه المقاتلون والقادة الميدانيون، فضلاً عن انتماء عدد كبير من طلبة الجامعات إلى التيار، وحرص الكتيبة على امتلاك مكتبة في قواعدها ومعسكراتها.

بيد أن نظرية سد الثغور، أو العامل المساعد، كانت من أهم مرتكزات التيار النظرية، فاتجه للبحث عن مسؤوليته الذاتية تجاه الثغرات في الثورة، واندفع لسدها بعيدًا عن التذمر السلبي، أو نزعة التأكيد على الذات بالنقد المجرد من الممارسة، دون أن يكون لدى التيار طموح في منازعة القيادة، أو التحول إلى ظاهرة مستقلة خارج فتح، مستندًا بالإضافة إلى الدافع المبدئي، إلى تحليل خاص بحركة فتح ضمن المرحلة، من جهة انعدام القدرة على إصلاحها إلا بتغييرها كاملة من أسفل قاعدتها إلى رأس هرمها وهذا مستحيل، ومن جهة أن الانشقاق محكوم بالفشل ضمن الظروف الموضوعية التي حكمت تلك المرحلة وهو ما يمكن الاستدلال عليه بتجربتي أبو نضال وأبو موسى، ومن جهة أن تدمير فتح في الوقت الذي لا تزال فيه العمود الفقري للثورة هو تدمير للثورة ذاتها، ولذلك لا سبيل ضمن هذا الظرف الموضوعي إلا محاولة تعظيم الخط الفكري والسياسي الصحيح في داخلها بالدخول في تدافع مع قوى وتيارات الحركة، وبتدعيم القتال المسنود بخط صحيح ومسلكية ثورية رفيعة.

---

[1]. سعد وأبو خالد، **أفكار ثورية في ممارسة القتال**، مصدر سابق، ص٢٦

[2]. منير شفيق، **موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية**، مصدر سابق، ص٩٧- ١٠١.

الفصل الرابع:

التحول: من خط الجماهير إلى الإسلام

ما انتهى اجتياح العام ١٩٧٨ حتى بدأ تيار الكتيبة الطلابية يدخل في تحولات كبرى، انتقل فيها عدد كبير من منتسبيه والقريبين منه عقديًا ونظريًا وفكريًا وسياسيًا من الأرضية اليسارية ذات الطابع الماوي، إلى الموقع الإسلامي، في عملية انتقال شبه جماعي لأعداد كبيرة من الأفراد ذوي الخلفيات الدينية والمذهبية والقومية والثقافية والحضارية المختلفة[1].

لم يكن هذا الانتقال الجماعي، وبما ينزع عنه سمة المعاناة الذاتية الشخصية كما يقول منظر التجربة منير شفيق[2]، بمستوى واحد بين منتسبي التيار. في الأساس وحّد التيار بين مجموعات منحدرة من اتجاهات فكرية وسياسية متعددة، فضلاً عن منابتها الاجتماعية الدينية والطائفية. وفي عملية تحول كبيرة بهذا المستوى والعمق، فإن التشظي سيصيب التيار، ابتداء في الموقف من التحولات وبعد ذلك في خيارات ما بعد التشظي.

حينما وصلت المناقشات بين رموز التيار الأساسية إلى أن سمات الثورة في البلاد العربية هي سمات إسلامية وأن أحشاء المجتمع العربي لا تحمل شيئًا غير النظام الإسلامي؛ بدأت التحولات في اتخاذ مسارات فردية وخاصة ومتباينة، فالأغلب في أول الأمر اقتنع بهذه الحقيقة دون أن يكون اقتنع بالثورة الإسلامية، أو كان متعاطفًا مع الجانب السياسي والحضاري في الإسلام، والبعض وجد أنه غير مستعد للمساعدة على ولادة ثورة تنزل من أحشاء المجتمع وهي تهتف "الله أكبر"، فآثر الابتعاد والاهتمام بأموره الخاصة بعد أن اقتنع بعدم وجود ثورة أخرى في تلك الأحشاء، ومن هنا بدأت المسيرة الجديدة حتى انتهت بعدد لا بأس به إلى الاقتناع الضميري الذاتي بالعقيدة أيضًا. ووقف هذا البعض على أرض الإسلام وقوفًا خالصًا إيمانًا بعقيدته وانطلاقًا من قناعة بصحته. وهناك بعض آخر حسم قناعته بأن "لا ثورة في بلادنا إلا الثورة الإسلامية"، وهو يتعامل مع الموضوع تعاملاً حضاريًا فقط، وهناك بعض استمروا يجادلون ويناقشون ويطرحون التساؤلات[3]. هكذا شرح أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، لرفاقهم في السجن من المعترضين والمتسائلين على عملية التحول؛ صورة التحولات الجارية حينها.

يشرح شفيق الغبرا الذي رافق التحولات في صفوف التيار والكتيبة، ولا يبتعد كثيرًا عن توصيف أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، فقد بدأ عدد من الشباب والشابات يعلنون أن اليسار والماركسية والتقدمية والعلمانية وفصل الدين عن الدولة وشعار الدولة العلمانية، كلها لن تكون ممكنة في العالم العربي. كان ثمة مجموعات في بيروت ومناطق أخرى من لبنان تقول أن الإسلام هو طريق فلسطين وهو طريق

---

[1]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٢.

[2]. المصدر السابق.

[3]. محمد محمد بحيص ومحمد باسم سلطان، **اسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان**، مصدر سابق، ص٢٩.

التغيير والثورة في العالم العربي، وتعامل بعض آخر مع الإسلام تعاملاً برغماتيًا بصرف النظر عن الإيمان بعقائده والتسليم بصحة مناهجه، فإذا كان الإسلام هو ضريبة تحرير فلسطين بما في ذلك الحجاب والحدود فمرحبًا به، وآخرون نظروا إليه كقوة روحية تعبوية لا كنظام سياسي، وآخرون لم يجدوا لهم مكانًا في التحولات الجديدة[1].

الأمر نفسه يشرحه معين الطاهر، فلم يكن التحول في البداية إيمانيًا بقدر ما كان سياسيًا من حيث رفد الصراع مع الكيان الصهيوني بطاقة ثورية كبيرة، بعدما اتضح بالثورة الإيرانية أن الإسلام لا يمثل شيئًا رجعيًا، وإنما ينطوي على طاقة ثورية هائلة. لم يكن هناك تحولات واضحة في الكتيبة، فالقيم السائدة بين مقاتلي الكتيبة والقواعد الأخلاقية الضابطة لمسلكيتها الثورية لم تكن بعيدة في الأساس عن القيم الإسلامية، وإن كانت نسبة الالتزام بالشعائر قد زادت بين مقاتليها، إلا أن النقاشات الأعمق كانت تجري في بيروت وبين مثقفي التيار وفي الأوساط الطلابية المنتمية للتيار، ومن بعد العام ١٩٨٢ بدأت هذه التحولات تأخذ بعدًا إيديولوجيًا. معين الطاهر نفسه لم يكن بعيدًا عن الموضوع الإسلامي[2].

الكتابات التي تناولت التجربة، تحدثت عن الدور الحاسم للثورة الإيرانية في التحول. وأصحاب التجربة أنفسهم أولوا "الثورة الإسلامية" في إيران اهتمامًا كبيرًا في رصدهم للتحولات التي جرت، لكن منير شفيق من جهة أخرى يؤكد بأن تصفية الحساب النهائية مع الماركسية كانت في العام ١٩٧٦، وقد كان سقوط تجربة الثورة الثقافية في الصين القشة التي قصمت ظهر البعير[3]، أما التحول إلى الإسلام فقد تم عبر عملية تاريخية صاحبت التجربة وأفكارها وتنظيراتها ما يقارب العقد من السنين، فما حدث بحسب منير شفيق، كان مسارًا متماسكًا باتجاه اكتشاف الحقيقة لا الحقيقة الكونية فحسب وإنما أيضًا الحقائق التاريخية والاجتماعية والإيديولوجية والمفهومية. فقد اتسم التيار بالتوتر والقلق الدائم في البحث عن الحقيقة والموقف السياسي والإيديولوجي الصحيح، وهو ينفي بهذا أن يكون الانتقال تنقلاً في المواقف أو تقلبًا هوائيًا وعشوائيًا كما نظر إليه البعض[4].

هذه المعاناة التي امتدت عقدًا من الزمان يشرحها أبو حسن قاسم وحمدي التميمي بالقول إن موضوع الماركسية أخذ منهم معاناة كبيرة جدًا وتعقيدات كثيرة وحوارات طويلة حين توصلوا إلى قناعات بالتخلي عن أرضها ومناهجها[5].

فما الذي حصل طوال عقد من الزمان حتى انتهى إلى هذا التحول الكبير الذي اندفع بالثورة الإيرانية لكنه لم يتخلق في الأساس بفضلها، أو على الأقل هذا الذي يؤكده أصحاب التجربة أنفسهم، وأبرز من انتقل منهم إلى الإسلام بمضامينه الثورية والسياسية؟

---

[1]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٣٤٤- ٣٤٧.

[2]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. ويقول فتحي البس أنه وبعدما غادر لبنان وترك التيار، زاره أبو حسن قاسم وحمدي التميمي في عمان، وأخبراه أن الغالبية العظمى تبنت الموقف الجديد، والبقية غادرت الخط أو الكتيبة. انظر: فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص٣٠٩.

[3]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٢٢

[4]. المصدر السابق، ص٢١. يقول نزيه أبو نضال عن تحول منير شفيق: "واصل منير شفيق عسل تقافزه الفكري البهلواني باتجاه إسلامي خميني". نزيه أبو نضال، **من أوراق ثورة مغدورة**، مصدر سابق، ص٢١٣.

[5]. محمد محمد بحيص ومحمد باسم سلطان، **اسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان**، مصدر سابق، ص١٩.

١. التحولات المتزامنة.

بعد هزيمة العام ١٩٦٧ بشر جلال صادق العظم "أن الموقف الديني القديم الممتلئ بالطمأنينة والتفاؤل في طريقه إلى انهيار تام، لأننا نمر في طور نهضة مهمة، وبانقلاب علمي وثقافي شامل، وبتحويل صناعي واشتراكي جذري، لأننا تأثرنا إلى أبعد الحدود بأخطر كتابين صدرا في القرنين الأخيرين: «رأس المال»، و«أصل الأنواع». لقد ولى بالنسبة لنا الموقف الحازم الإيجابي نحو الدين ومشكلاته مع أشلاء المجتمع التقليدي الإقطاعي الذي مزقته الآلة ونخرت عظامه التنظيمات االاقتصادية والاجتماعية الحديثة"[1].

في العام الذي كتب فيه جلال صادق العظم كلامه هذا وتوفي فيه عبد الناصر؛ لم يكن من طلاب كلية العلوم في جامعة القاهرة من يصلي سوى طالبين جديدين[2]، على حصيرة متهالكة في مسجد الكلية، ويتساءلان: لماذا لا يأتي أحد للصلاة معنا؟[3]. لم يكن الواقع في الكلية كما صوره جلال صادق العظم: "تبين بعد هزيمة ١٩٦٧، أن الإيديولوجية الدينية على مستوييها الواعي والعفوي هي السلاح «النظري» والأساسي الصريح بيد الرجعية العربية في حربها المفتوحة ومناوراتها الخفية على القوى الثورية والتقدمية في الوطن"[4]، وإنما وجد الطالبان الجديدان مفاجأة مذهلة: "كانت مفاجأة لنا أن مجلات الحائط التي يعلقها اتحاد الطلبة تنتقد الإسلام وتخوض فيه بجرأة، ولم يكن يسلم من نقد بعضها بل سخريته أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم، وأذكر أنني حين كنت اقرأ هذه المجلات وما فيها من سب للإسلام كنت أشعر بالحزن وكنت أبكي، وكنت أتساءل: هل هذه هي الجامعة المصرية؟!"[5]

في الواقع لم يكن هناك وجود لجماعة الإخوان المسلمين، ففي ٢٦ تشرين أول ١٩٥٤ وقع حادث المنشية الشهير، واتهم الإخوان بمحاولة اغتيال الرئيس المصري جمال عبد الناصر، فاعتقلت السلطات المصرية الآلاف منهم، وصدر قرار بحل الجماعة ومصادرة ممتلكاتها وإيقاف نشاطاتها، واعتقلت مرشدها وأعدمت ٦ من قادتها[6]، وفي هذا العام أيضًا كان سيد قطب من بين المعتقلين، وحكم بـ ١٥ عامًا قضى أغلبها في مستشفى السجن الملحق به لسوء صحته، وفي هذا السجن سوف يؤلف سيد أهم كتبه، "هذا الدين"، "والمستقبل لهذا الدين"، و"معالم في الطريق". وفي العام ١٩٦٤ سيخرج سيد قطب بعفو صحي بعدما قضى ١٠ سنوات من حكمه، وبدأ على الفور قيادة تنظيم سري للإخوان كان قد شكله إخوان سابقون له في العام ١٩٥٩، إلا أن الاعتقال سيعاجله سريعًا مرة أخرى في العام ١٩٦٥ وسيحكم بالإعدام، ويعدم بالفعل في العام التالي[7].

ما يمكن وصفه بالإسلام السياسي، أو الثوري، لم يكن له وجود بعد على الأقل منذ العام ١٩٦٥، وهو على الأرجح لم يكن أكثر من

---

[1]. جلال صادق العظم، **نقد الفكر الديني**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠): ص٢٠– ٢١.

[2]. عبد المنعم أبو الفتوح، القيادي الإخواني السابق، وزميل له اسمه عبد الشافي صاوي.

[3]. عبد المنعم أبو الفتوح، **عبد المنعم أبو الفتوح: شهادة على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ – ١٩٨٤**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٢): ص٢٨.

[4]. جلال صادق العظم، **نقد الفكر الديني**، مصدر سابق، ص٩.

[5]. عبد المنعم أبو الفتوح، مصدر سابق، ص٢٩.

[6]. رفعت السيد أحمد، **النبي المسلح: (٢) الثائرون**، (لندن: دار رياض الريس للنشر، ١٩٩١): ص٧٢.

[7]. محمد حافظ دياب، **سيد قطب: الخطاب والإيديولوجيا**، (القاهرة: دار رؤيا، ٢٠١٠): ص١٥٢– ١٥٥.

تنظيم سري ضعيف حينما تأسس في العام ١٩٥٩، بينما أتاحت الدولة المجال لأنماط أخرى من التدين لا تهدد سلطانها، وتفتقر إلى أي شكل من إيديولوجيا التعبئة العامة، أو التصور السياسي للإسلام، كالطرق الصوفية والجمعية الشرعية وجمعية أنصار السنة المحمدية وجماعة الدعوة والتبليغ، ولكنها ومع ذلك ساهمت مساهمة هامة في عملية الإحياء الإسلامي التي ستشهدها الجامعات المصرية خلال السنوات القادمة، فالصغار الذين تأثروا بهذه الجمعيات والاتجاهات الدينية وجدوا أنفسهم في موقع التحدي داخل الجامعات المصرية.

في السنة التالية ارتفع عدد المصلين في كلية الطب في جامعة القاهرة، وبدأ الطلاب الجدد يحاولون الرد على اليساريين المتمرسين في العمل النضالي والنقابي والسياسي. كانت بداياتهم بسيطة وساذجة في مجلات الحائط التي عرضتهم لصدامات مع القوى التي سبقتهم إلى الجامعة واستحوذت على مجالها العام. ولم يكن لهم من ملجأ يكافئ التحدي الذي وجدوه في الجامعة فكريًا وسياسيًا، فالجمعيات والاتجاهات الدينية القائمة لا تصلح للقيام بهذا الدور. لم يجدوا سوى الشيخ محمد الغزالي ملجأ لهم[1].

كان الغزالي عضوًا في جماعة الإخوان المسلمين، واختلف معها حول الموقف من نظام عبد الناصر في العام ١٩٥٤. اشتهر الغزالي بقدرته على الخطابة المؤثرة، وكتاباته الغزيرة، واتسمت آراؤه بالاهتمام السياسي والتجدد ومحاولة استيعاب متغيرات العصر، وبسبب خلافه مع الإخوان المسلمين احتفظ بعلاقات جيدة بجمال عبد الناصر، وتمكن بفضل ذلك من إعادة تأهيل جامع عمرو بن العاص، أول مساجد مصر وأكبرها، والذي صار قبلة للآلاف في خطب الجمعة[2].

لجأ الطلاب الجدد إلى الشيخ الغزالي، وإلى المكتبات، بحثًا عن الكتب التي تعينهم في الرد على اليساريين، ومع الوقت بدؤوا بتنظيم حلقات القرآن وحفظه في مسجد الكلية، ثم تنامى اهتمامهم سريعًا للاتجاه إلى تنظيم عملهم، وحالوا توسيع نشاطهم الذي لم يتجاوز حلقات تلاوة القرآن، وكتابة بعض التوجيهات الدينية، وطباعة بعض الأحاديث النبوية، مع مسحة سياسية بسيطة تمثلت في التفاعل مع حرب الاستنزاف والدعوة للصمود أمام الصهاينة[3].

انتشر التوجه الجديد سريعًا بين الطلاب، واتسع جمهور النشاط الديني، وتحول إلى مصادمات مع القوى اليسارية المحتكرة للعمل الطلابي، ولتجاوز الصراع على الشرعية والقانونية قرر الاتجاه الجديد في العام ١٩٧٣ الدخول في انتخابات اتحاد طلبة كلية طب القصر الديني، باعتبارها مركز ومعقل العمل الإسلامي الجديد وقتها، وترشحوا لجميع اللجان الست، وكانت المفاجأة أنهم فازوا بخمس لجان منها، وفاز باللجنة السادسة مجموعة من الطلاب المستقلين الذين لم يتبنوا موقفًا معاديًا من الاتجاه الجديد[4].

في ذات الوقت؛ ما حصل في كلية الطب كان يحصل في غيرها من كليات جامعة القاهرة، وما حصل في جامعة القاهرة كان يحصل في

---

[1]. عبد المنعم أبو الفتوح، **عبد المنعم أبو الفتوح: شهادة على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ – ١٩٨٤**، مصدر سابق، ص٢٩.

[2]. بشير نافع، **الإسلاميون**، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، بيروت: الدار العربية للعوم، ٢٠١٠): ص١٠٨.

[3]. عبد المنعم أبو الفتوح، **عبد المنعم أبو الفتوح: شهادة على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ – ١٩٨٤**، مصدر سابق، ص٣٣.

[4]. المصدر السابق، ص٤١– ٤٢.

بقية الجامعات، وبدأ الجمهور الإسلامي في جامعات مصر كلها يكبر وينمو، في وقت متزامن مع الاستعداد لحرب تشرين ١٩٧٣، ما ولد لديه خطابًا نضاليًا ومعاديًا للكيان الصهيوني وللهيمنة الاستعمارية، وواكب ذلك توسع في النشاطات، وإعادة طباعة كتب حسن البنا، وأبو الأعلى المودودي، وسيد قطب، ومحمد متولى الشعراوي، وابن القيم، والألباني، وإقامة المخيمات الصيفية، وبيع الزي الشرعي، ثم أطلق على هذا الاتجاه الجديد اسم "الجماعة الإسلامية" تأثرًا بأبو الأعلى المودودي[1].

وفي العام ١٩٧٤ أسست الجماعة الإسلامية مجلسًا لأمراء الجماعة الإسلامية في كليات جامعة القاهرة، وفي العام ١٩٧٧ تجمع أمراء الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية تحت اسم "الجماعة الإسلامية في مصر"، وكانت الجماعة الإسلامية في العام ١٩٧٦ قد نظمت صلاة العيد في أرض استاد الإسكندرية وحضرها نحو ٤٠٠٠٠ مصل، وفي القاهرة في ميدان عابدين وحضرها أكثر من ٥٠٠٠٠، وكتبت صحيفة "مونيتور" عن "عودة الإخوان"[2]، بينما في الحقيقة لم يكن للإخوان علاقة بذلك كله.

كانت الجماعة الإسلامية تنظيمًا عفويًا مفتقرًا إلى المرجعية الفكرية، وينهل من عدة مصادر متباينة: حسن البنا، وسيد قطب، وأبو الأعلى المودودي، ومحمد الغزالي، ويوسف القرضاوي، وسيد سابق، والجمعية الشرعية، وأنصار السنة المحمدية، وأدبيات الوهابية السعودية التي كانت تأتي من السعودية وتوزع مجانًا بالآلاف، وساهمت رحلات العمرة التي ينظمها اتحاد الطلاب في حضور الفكر الوهابي لدى هذه الجماعة. لقد كانت جماعة واحدة بمرجعيات متعددة[3].

بقي الحال كذلك إلى أن بدأ اتصال الإخوان بعد خروجهم من السجن بهذه الجماعة في العام ١٩٧٤، وبدأت العلاقة تترسخ تدريجيًا بين الإخوان والجماعة، حتى خرجت من السر إلى العلن في العام ١٩٨٠، إلا أن تعدد المرجعيات داخل الجماعة أدى إلى انقسامها إلى ثلاث مجموعات، اتجهت فيها الكبرى إلى مبايعة الإخوان المسلمين، بينما استقلت الثانية في صورة اتجاه سلفي في الإسكندرية، والثالثة احتفظت باسم الجماعة الإسلامية في المنيا وأسيوط، واتجهت لاحقًا إلى العنف والصدام مع الدولة[4]. وهكذا كان التأسيس الثاني لجماعة الإخوان المسلمين، وهكذا بدأت قصة الإحيائية الإسلامية الثانية في مصر.

إذن أصبحت الجماعة الإسلامية القوة السياسية المهيمنة في الجامعات المصرية، وصورة الرفض الأبرز لنظام الحكم في مصر وسياساته بخصوص السلام مع الكيان الصهيوني، ووسعت من نشاطها في العام ١٩٧٨ في مهاجمة النظام عبر المؤتمرات والنشرات والمظاهرات، واتخذت موقفًا متعاطفًا مع الثورة الإيرانية[5]. كان استقبال الطلاب الإسلاميين للثورة الإيرانية معقدًا جدًا كما يشرح عبد المنعم أبو الفتوح أحد مؤسسي الجماعة الإسلامة: "أيدناها ورحبنا بها ورأينا فيها نموذجًا يحتذى، لكن كونها ثورة شيعية كان سببًا في الحد من

---

[1]. المصدر السابق، ص٤٣- ٤٨.

[2]. المصدر السابق، ص٤٨- ٥١.

[3]. المصدر السابق، ص٦٧- ٦٨.

[4]. المصدر السابق، ص٧٥- ٩٠.

[5]. رفعت السيد أحمد، **النبي المسلح: (٢) الثائرون**، مصدر سابق، ص٨٨.

الانفتاح عليها والتفكير في الاقتراب منها والتأثر المباشر بها، كانت السلفية الوهابية حاضرة بقوة في تكويننا الفكري وقتها فأقامت حاجزًا بيننا وبين هذه الثورة.. ورغم تأثرنا بالفكر السلفي ووقوعنا في دائرة الدعاية الرسمية المضادة فقد استقبلنا الثورة الإسلامية في إيران بحماس شديد، واعتبرناها نصرًا للمشروع الإسلامي وأعلنا رفضنا للموقف الرسمي المناهض لها وانتقدنا موقف الرئيس السادات واستقباله للشاه المخلوع في القاهرة.. وأذكر أننا حركنا المظاهرات المناهضة لموقف السادات واستقبال الشاه في مصر والمؤيدة لإيران.. أما على مستوى القيادات الكبرى في الإخوان فقد كان موقفهم متوازنًا؛ فاعتبروها ثورة إسلامية يجب الحرص على التواصل المباشر مع قادتها .."[1].

لقد دفع هذا العقد إلى المستقبل أبرز قيادات الإخوان المسلمين، وتشكلت في رحمه جماعات الدعوة السلفية، والجماعة الإسلامية، والجهاد، وفي منتصفه كانت أول محاولة عسكرية إسلامية لقتل الرئيس المصري والانقلاب على الحكم، ففي ١٨ نيسان ١٩٧٤، قاد صالح سرية هجومًا مسلحًا على مبنى الكلية الفنية العسكرية، بالاتفاق مع بعض طلبة الكلية من أعضاء التنظيم، بهدف الاستيلاء على مخازن السلاح والسيارات والمدرعات من الكلية الفنية العسكرية بمساعدة إخوانهم الطلبة داخل الكلية مستغلين صلاحياتهم كقادة مناوبين أثناء الليل، ثم التوجه بما حصلوا عليه إلى مقر الاتحاد الاشتراكي لمهاجمة السادات وأركان حكمه أثناء اجتماعهم. أجهض الجيش المصري الهجوم واعتقل قياداته، بعد اشتباك طويل أدى إلى مقتل ٢٤ من المهاجمين، وجرح ٦٥ من الحراس[2].

صالح سرية فلسطيني الأصل، هاجر إلى العراق، وأصبح ضابطًا في جيش التحرير الفلسطيني الذي انشأه عبد الكريم قاسم، وانتمى لجماعة الإخوان المسلمين العراقية، ودخل كلية الشريعة بوساطة رئيس الجماعة محمد الصواف والذي كان يرأس أيضًا جمعية إنقاذ فلسطين، فقد كانت القوانين العراقية تمنع دخول الأجانب الجامعة، وشارك في عدة محاولات انقلابية في العراق. وبحسب اعترافاته فقد كان أحد مؤسسي جبهة التحرير الفلسطينية، وكان شاهدًا على محاولات توحيد الجبهة مع حركة فتح، ولتمويل نشاط جبهته خطط للسطو على المصالح التجارية اليهودية في العراق، بالاتفاق مع المفتي أمين الحسيني[3]، وحاز على شهادة الدكتوراة في التربية من جامعة

---

[1]. عبد المنعم أبو الفتوح، **عبد المنعم أبو الفتوح: شهادة على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ – ١٩٨٤**، مصدر سابق، ص١٠٤

[2]. رفعت السيد أحمد، **النبي المسلح: (٢) الثائرون**، مصدر سابق، ص٨١. وبشير نافع، **الإسلاميون**، مصدر سابق، ص١١١. وسعود المولى، **الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١٢): ص٥٦٧– ٥٧٣. وأكرم حجازي، **الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة من الداخل**، مصدر سابق.

[3]. ليس من الواضح إن كانت هذه الجبهة هي تلك التي قادها أحمد جبريل واندمجت في فتح ثم انفصلت عنها، لتندمج في الجبهة الشعبية ثم تعود للانفصال عنها باسم الجبهة الشعبية– القيادة العامة، ثم لتنفصل عنها في العام ١٩٧٧ مجموعة جديدة تحمل الاسم القديم بقيادة محمد عباس (أبو العباس). وعلى الأرجح فإن عدة مجموعات فلسطينية ظهرت بهذا الاسم كما يقول سعود المولى: "وليس صدفة أن تولد في تلك الأجواء نواة حركة القوميين العرب على يد شبان فلسطينيين يدرسون في بيروت.. أو أن تنشط مجموعات كثيرة داخل الجيوش العربية (وجيش التحرير الفلسطيني) حملت كلها إسم جبهة تحرير فلسطين أو جبهة التحرير الفلسطينية (أبرزها مجموعات الضباط عثمان حداد وعبد اللطيف شرورو وعلي بشناق وأحمد جبريل في سوريا، وأحمد زعرور وعبد الله العجرمي وعصام السرطاوي في مصر، وصالح سرية في العراق، إضافة إلى مجموعة شفيق الحوت ومحمد الشاعر في لبنان، وإلى القوميين العرب المستقلين أحمد السعدي وبهجت أبو غربية وصبحي غوشة في الأردن والضفة الغربية)"*، وإن كان سعود المولى يقول في مصدر آخر: "جبهة التحرير الفلسطينية نشأت في سوريا بقيادة أحمد جبريل ومن ضباط فلسطينيين كانوا في الجيش السوري ولعل سرية كان على اتصال بالضباط والجنود الذين شكلوها"**، والمصادر التي تتحدث عن دور صالح سرية وعلاقته بالحركة الوطنية الفلسطينية نادرة، وأكثر ما يشار إليه بانتمائه إلى حزب التحرير، وهي معلومة لا يبدو أنها صحيحة بالنظر إلى اعترافاته. وأما علاقته بأمين الحسيني، فإن الشخصية الإخوانية زهير الشاويش يقول: "كان الأخ صالح سرية صاحبي، وأنا عرَّفتُه إلى الحاجّ أمين الحسيني؛ إذ كان ينزلُ في بيتي حين يزور بيروت"***.

* سعود المولى، "فلسطين بين الإخوان «وفتح»"، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، العدد ٩٣، (شتاء ٢٠١٣): ص١٣٨– ١٧١.

عين شمس في العام ١٩٧٢، وعمل في الجامعة العربية في القاهرة في منظمة التربية والثقافة والعلوم، واتصل بجماعة الإخوان المسلمين التي كان قداتها قد بدؤوا يخرجون من السجن، إلا أنه اختلف مع الإخوان وكتب لمرشدهم حسن الهضيبي مذكرة يبين فيها آراءه، وهكذا مضى صالح سرية في تشكيل تنظيمه الذي حمل اسم الهجوم الفاشل في "الفنية العسكرية"[1].

كان النص الأبرز الذي تركه سرية هو "رسالة الإيمان" التي قال عنها صاحبها: "أول رسالة من نوعها في تشخيص الكفر الذي وقع فيه المسلمون عن علم أو عن جهل بسبب الظروف الجديدة التي وقعوا فيها، ودراستها في نظري أهم ألف مرة من دراسة قضايا العقيدة التي كتبت في الماضي، لأن تلك القضايا لا وجود لها اليوم، ولا تشكل خطرًا كبيرًا على المسلمين فإنما الخطر ينبع من هذه الردة الجماعية التي لا عصام منها إلا الله"[2].

وكانت هذه الرسالة قد طبعت في العام ١٩٧٦/١٩٧٧ بعد إعدام صالح سرية من قبل طلبة اتحاد كلية العلوم بجامعة القاهرة، وفي هذه الفترة ستظهر جماعة التكفير والهجرة، التي سمت نفسها "جماعة المسلمين"، وجماعة الجهاد[3] وهكذا أصبحت الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية، وفي الشارع المصري، تضم العديد من التيارات والأفكار، بما يؤكد تشظي المرجعية الإسلامية، وتعدد الأصوات والجماعات الناطقة بالإسلام، وبالتالي تعدد مناهج العمل والبرامج السياسية، وبما يؤسس لمشهد العقود التالية حتى اليوم ما بين اتجاهات الثورة الشعبية، والانقلاب العسكري، ومقاومة الاحتلال الأجنبي، والعنف الداخلي، والعنف العالمي العابر للحدود، والعمل السياسي الديمقراطي[4].

لقد كان عقد السبعينيات، لحظة تأسيسية في تاريخ الإسلام المعاصر، ولحظة انبعاث جديد سيشتهر غالبًا باسم الصحوة الإسلامية، وستصبح كلمة "الصحوة" في السعودية ذات دلالة على حركية إسلامية شاملة غطت المجتمع السعودي، وبدأت بالانبعاث مع نهاية

** سعود المولى، **الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين**، مصدر سابق، ص٥٦٩.

** أيمن بن أحمد ذو الغنى، "من ذكريات الشيخ زهير الشاويش مع العلامة البانى"، موقع الألوكة الإلكتروني، المادة منشورة بتاريخ ٢٠١١/٨/٢٢، واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠. http://www.alukah.net/culture/0/34119

[1]. انظر: سعود المولى، الجماعات الإسلامية والعنف، مصدر سابق، ص٥٦٧– ٥٧٣. وينقل سعود المولى اعترافات صالح سرية عن مختار نوح، جريدة المصريون، ٢٠٠٩/١٠/١٩، ولم يتمكن الباحث من الوصول إلى هذا العدد من الصحيفة. وانظر: بشير نافع، الإسلاميون، مصدر سابق، ص١١١. وأكرم حجازي، مصدر سابق. و رفعت السيد أحمد، **النبي المسلح: (٢) الثائرون**، مصدر سابق، ص٨١.

[2]. هذا الوصف من نفس متن رسالة الإيمان، وللاطلاع عليها انظر: رفعت السيد أحمد، **النبي المسلح (١) الرافضون**، (لندن: دار رياض الريس للنشر، ١٩٩١): ص٣١– ٥٠.

[3]. نشأ تنظيم الجهاد كجماعات عنقودية منفصلة عن بعضها البعض، بدأت بالتشكل في أواخر الستينيات، وبقيت هذه المجموعات معزولة عن المسار العام للحركة الطلابية التي تأسست في إطارها الجماعة الإسلامية، ويمكن القول إنه نبت من خارج الجامعة للتأثير على الجماعة الإسلامية التي تشكلت في الجامعة. وقد اعتقل كل أعضاء هذه المجموعات في العام ١٩٧٩، لتعيد تشكيل التنظيم بعد خروجها من المعتقل وتتحالف مع القسم الجنوبي من الجماعة الإسلامية التي تشكلت في الجامعات، وتوجت هذا التحالف باغتيال السادات في ٦ تشرين أول ١٩٨١. انظر: كمال السعيد حبيب، "جماعة الجهاد: الأفكار والمسار والشخصيات"، في: *الفتنة الغائبة جماعة الجهاد في مصر*، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١٢): ص٩– ٦٩. ومن أهم أدبيات هذا التنظيم، والتي ساهمت إلى حد كبير في بلورة الاتجاهات الجهادية لاحقًا رسالة: "الفريضة الغائبة"، والتي قرر فيها كاتبها أن "قتل العدو القريب أولى من قتل العدو البعيد". للاطلاع على الرسالة انظر: رفعت السيد أحمد، **النبي المسلح (١) الرافضون**، مصدر سابق، ص١٢٧– ١٤٧.

[4]. بشير نافع، الإسلاميون، مصدر سابق، ص١١٣.

الستينيات، في خليط من مدرسة الإخوان المسلمين باتجاهيها البنائي[1] السياسي الذي يقوم على مناهضة الغرب الإمبريالي والحفاظ على الهوية الإسلامية، والقطبي[2] الذي يقوم على مناهضة الحداثة الغربية والأنظمة الجاهلية، وبين المدرسة الوهابية السعودية المشتغلة على مقارعة البدع والرجوع بالدين إلى فهم السلف وفق تصوراتها، إلا أن الاتجاه القطبي داخل المدرسة الإخوانية تغلب في اختراقه للحالة السلفية السعودية، وهكذا بدأت الحركية الإسلامية في السعودية بالتمدد منقسمة ومتشظية بدورها إلى اتجاهات علمية، وإصلاحية، وتربوية، وجهادية، مع بداية القمع الحكومي للحركة في العام ١٩٩٣[3].

في ٢٠ تسرين ثاني ١٩٧٩، اقتحمت مجموعة مكونة من ٦١ مسلحًا الحرم المكي، وتعود جذور هذا الهجوم إلى العام ١٩٦٥ حينما ظهرت مجموعات باسم "الجماعة السلفية المحتسبة"، تمارس "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" بنفسها، وبدأت بالتوسع منذ بدايات السبعينيات، وما أن جاء العام ١٩٧٦ حتى صار لها هيكل تنظيمي، وفروع في عدد من مدن السعودية، وبلغ اتساع الجماعة حدًا أنها سيطرت على أحياء بأكملها في المدينة. كانت الجماعة في بداياتها مهتمة بالفرد والعقيدة، متجاهلة الدولة والسياسة، وهي على هذا الأساس حظيت بدعم ورعاية عدد من الشيوخ المشهورين في البداية، مثل ابن باز والألباني، وكان قد انضم إليها في بداياتها شخصيات حظيت بدور كبير في المستقبل، كالمصري عبد الرحمن عبد الخالق الذي أسس واحدة من أهم الاتجاهات السلفية في الكويت ليتحول بعد ذلك إلى واحد من أشهر الرموز السلفية الحركية في العالم العربي، وعمر الأشقر الذي سيصبح واحدًا من رموز الجناح السلفي في الإخوان المسلمين[4]، وأول رئيس لمجلس شورى حركة حماس الفلسطينية[5].

وبسبب بعض الفتاوى الدينية المخالفة للخط الرسمي الوهابي في السعودية، انفض رعاة الجماعة عنها، وبدأت تظهر مواقف جهيمان العتيبي، أحد أبررز قادتها، حول شرعية الدولة السعودية. كان جهيمان متأثرًا بروايات المعارك التي جرت بين أجداده من "إخوان من طاع الله"[6] والملك عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية الثالثة، حتى تطورت جهود جهيمان وأصدر سلسلة من الرسائل التي تفصح عن خطاب الجماعة، إلا أن اللافت في كون هذه الرسائل قد طبعت في الكويت في مطابع جريدة الطليعة اليسارية، في تقاطع مصالح طريف وفريد. وهكذا، حتى رأى جهيمان أن رفيقه في الجماعة محمد القحطاني هو المهدي المنتظر، وكانت ملحمتهم المأساوية في الحرم

---

[1]. نسبة إلى حسن البنا.

[2]. نسبة إلى سيد قطب.

[3]. ستيفن لاكروا، **زمن الصحوة: الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، ترجمة:** عبد الخالق الزموري، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٢): ص٤٧-٧٥، ٣١٦

[4]. ستيفن لاكروا، مصدر سابق، ص٢٢٢- ٢٢٦.

[5]. انتخب الشيخ عمر رئيسًا لأول مجلس شورى لحركة حماس سنة 1989. راجع: محسن صالح، " قراءة في الدور الدعوي والحركي للعلامة الأشقر"، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات على شبكة الإنترنت، منشور بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢٢. واسترجعه الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٤.
http://www.alzaytouna.net/permalink/23121.html

[6]. بدو، جمعهم الملك عبد العزيز في قرى خاصة بهم وسميت الهجر، ولقنوا أفكار الوهابية السعودية، ليكونوا قوة ضاربة للملك في فتوحاته. تمردوا على الملك حينما أراد وقف توسعاته، وحصلت بينهم معركة فاصلة في العام ١٩٢٩.

الملكي[1].

في نفس العام يجتاح الاتحاد السوفييتي أفغانستان، بهدف معلن تمثل في حماية الحكم الشيوعي الذي كان قد انقلب على الحكم الملكي في العام السابق، لكن الهدف الحقيقي يأتي في سياق الحرب الباردة مع أمريكا، بعد هزيمة أمريكا في فيتنام، وخسارتها لإيران. برزت على إثر ذلك مقاومة إسلامية، متأثرة بتجربة الإخوان المسلمين في مصر، والجماعة الإسلامية في باكستان، وبرزت منها ثلاث قوى أساسية، الأولى الجمعية الإسلامية التي قادها دارس العلوم الإسلامية بالأزهر برهان الدين رباني، والثانية الحزب الإسلامي الذي قاده قلب الدين حكمتيار، والثالثة الاتحاد الإسلامي الذي قاده دارس العلوم الإسلامية في السعودية، عبد رب الرسول سياف[2].

في هذا الوقت دار نقاش طويل داخل قيادة الإخوان المسلمين المصريين الخارجين للتو من السجون حول الشكل الأنسب لدعم الجهاد الأفغاني، ليستقر رأيهم في النهاية على أن يقتصر دعمهم على الجوانب الإغاثية والإعلامية والمالية، إلا أن عضو جماعة الإخوان المسلمين الفلسطيني عبد الله عزام سوف يستقر في العام ١٩٨١ في بيشاور في باكستان، معتقدًا بأن في الجهاد الأفغاني فرصة لإخراج العالم الإسلامي من غيبوبته، مانحًا الحركة الإسلامية آفاقًا أخرى محتملة. كان عبد الله عزام أحد الشخصيات الإخوانية التي شاركت فيما عرف بمعسكرات الشيوخ التي أقامتها جماعة الإخوان المسلمين بالاتفاق مع حركة فتح في الفترة الواقعة ما بين ١٩٦٧– ١٩٧٠، وسوف يكون لعزام شأن آخر في المستقبل البعيد مع فتح[3].

في العام ١٩٨٤ يصدر عزام كتابه "الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان"، قال فيه أن القتال في فلسطين وأفغانستان فرض عين على المسلمين، مؤكدًا على وجوب تركيز الجهود على أفغانستان وفلسطين، لأنها قضايا مركزية.. "فمن استطاع من العرب أن يجاهد في فلسطين فعليه أن يبدأ بها، ومن لم يستطع فليذهب إلى أفغانستان"[4].

أثارت فتوى عبد الله عزام جدلاً واسعًا في الأوساط الإسلامية، بالرغم من حرصه على تصديرها بتقريظ من شخصيات دينية إخوانية وتقليدية، إلا أن رفع الجهاد إلى هذه المرتبة التي تتقدم على فروض الأعيان، ولا سيما وأن الوهابية السعودية تقدم قضايا العقيدة الجزئية على أي اعتبار آخر، فرد عليه بعضهم بأن ما يحتاجه الأفغان تعليمهم التوحيد الصحيح لا الجهاد، إلا أن مشروع عزام سيستقطب آلاف المتطوعين من غير الأفغان، وفي العام ١٩٨٦ سيخرج أسامة بن لادن من عباءة عبد الله عزام ويؤسس معسكرًا خاصًا بالمجاهدين العرب[5]، ومن هنا سوف تبدأ قصة القاعدة، وتحالف الجماعات الجهادية المصرية التي نشأت في عقد السبعينيات مع الثري السعودي أسامة بن لادن.

---

[1]. ستيفن لاكروا، مصدر سابق، ص١٢٥– ١٣٥.

[2]. بشير نافع، **الإسلاميون**، مصدر سابق، ص١٩٧– ١٦٩.

[3]. سيكون لعبد الله عزام علاقة بكل من أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، ومشروع سرايا الجهاد الإسلامي الذي سيأتي بحثه.

[4]. عبد الله عزام، **الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان**، ([د.م]: منير التوحيد والجهاد [د.ت]): ص١٦.

[5]. ستيفن لاكروا، مصدر سابق، ص١٤٩– ١٥٢.

في العام ١٩٦٩ اجتمع مجموعة من الطلاب التونسيين في باريس، ودارت نقاشاتهم حول هزيمة العرب في حزيران ١٩٦٧، وحول ثورة الطلبة في باريس عام ١٩٦٨. يقول الغنوشي: "لقد بدأت الثقة بالتوجه القومي تهتز إثر هزيمة الناصرية، وبدأ عدد من أفراد هذه المجموعة يضعون عددًا من علامات الاستفهام حول مصداقية وصحة التوجه القومي، أما بعضهم فاقتنع بالطرح الإسلامي خلال تلك الفترة، وبعضهم وصل إليه فيما بعد."[1]. في هذا العام نفسه قال عالم اجتماع تونسي مشهور[2]: "إن الحداثة في تونس بلغت من العمق والاتساع درجة لم يعد معها ممكنًا ظهور تيار إسلامي."[3]، وللمفارقة إن التيار الإسلامي التونسي ظهر في تلك السنة تحديدًا، متأثرًا بالأفكار الإخوانية القادمة إليهم من المشرق العربي.

اكتشف التيار الجديد في صراعهم مع الشيوعيين داخل الجامعات قضايا لم تكن مطروحة في أوساطهم، مثل قضايا الصراع الدولي بين الإمبريالية وقضايا التحرر في العالم وقضايا الصراع المجتمعي، واكتشفوا أن أبعاد الصراع لا تقتصر على البعد العقدي. ملأت جماهير الاتجاه الجديد المساجد وراح يصارع الشيوعيين في الجامعات والنقابات ويندد بسياسات الدولة الداخلية والخارجية، وفي العام ١٩٨٠ احتفلت الحركة لأول مرة بعيد العمال في أكبر مساجد تونس، وحضر الاحتفال حوالي ٥٠٠٠ شخص، وفي العام التالي ستعلن الحركة عن نفسها باسم "حركة الاتجاه الإسلامي"[4]. سوف تمر الحركة بتحولات عديدة من التأثر بسيد قطب، إلى التأثر بمالك بن نبي، إلى التعلم من الشيوعيين، والتفاعل مع الثورة الإيرانية، وفي العقود التالية سوف تصبح الحركة واحدة من علامات المشهد السياسي التونسي.

وفي الجزائر، في العام ١٩٦٩، ستبدأ مدرسة حركية جزائرية خاصة، متأثرة بأفكار مالك بن نبي، داخل مسجد الطلبة في الجامعة المركزية، وفي أواسط السبعينيات في قاعات ومدرجات جامعة قسنطينة ستبدأ مجموعة أخرى متأثرة بالفكر الإخواني المشرقي، بالتدريس والخطابة، وإقامة الندوات الأسبوعية، وتنظيم معرض الكتاب الإسلامي، وفي أواسط الثمانينيات سوف تنضم إحدى المجموعات الإسلامية المتأثرة بالفكر الإسلامي إلى التنظيم الدولي لجماعة الإخوان المسلمين[5]، بينما سيتحد عدد من المجموعات الإسلامية في العام ١٩٨٩ فيما عرف بـ "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" والتي ستكتسح انتخابات البلديات في العام ١٩٩٠، وانتخابات البرلمان في العام ١٩٩١، حينها سيقوم الجيش بإلغاء نتيجة الانتخابات وتدخل البلاد في مرحلة دموية مرعبة[6].

في سوريا، في ربيع ١٩٦٤، بدأت أولى الاحتجاجات على حكم البعث، وتحولت الاحتجاجات التي دعمها علماء الدين في حماة إلى حركة تمرد التجأ عناصرها إلى جامع السلطان، الذي حاصرته قوات الحكومة السورية وقتلت فيه ٧٠ من أعضاء جماعة الإخوان

---

[1]. راشد الغنوشي، **من تجربة الحركة الإسلامية في تونس**، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ٢٠١١): ص٣٠.

[2]. عبد الباقي الهرماسي.

[3]. المصدر السابق، ص٥١.

[4]. المصدر السابق، ص٥١– ٦٨.

[5]. الطاهر سعود، **الحركات الإسلامية في الجزائر: الجذور التاريخية والفكرية**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١٢): ص٤٤٤، ٤٨٦، ٥٢٢.

[6]. عبد العلي حامي الدين، "جبهة الإنقاذ من التأسيس إلى النكبة"، في: **الشعائر الدموية: جبهة الإنقاذ الجزائرية من التأسيس إلى النكبة**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١١): ص٩– ٥٧.

المسلمين، وقد أدى ذلك إلي موجة احتجاجات واسعة تحولت إلى حركة شعبية قوامها الطلبة والمهنيون والتجار وتمحورت مطالبها حول إعادة الحريات المدنية والسياسية، وإطلاق سراح المعتقلين، ورفع حالة الطوارئ التي فرضها البعث. تجددت المواجهات في العام ١٩٧٢ حينما نشر مجلس الشعب الجديد مشروع الدستور، من دون إشارة إلى الإسلام، عندها انطلقت التظاهرات في عدة مدن سورية، خصوصًا في دمشق وحماة. وقد شارك في هذه الحركة الشعبية أعضاء الإخوان المسلمين وأنصارهم، وقادها علماء دين كبار. ومرة أخرى تتجدد المواجهة في العام ١٩٧٦ على خلفية التدخل السوري في لبنان ضد القوى الفلسطينية والتقدمية والمسلمة. ستبقى المواجهات على حالها إلى أن يخرج من رحم الإخوان مجموعة تسمي نفسها "الطليعة المقاتلة". يقود المجوعة مروان حديد الشخصية الإخوانية التي تأثرت بأفكار سيد قطب، وتدربت وقاتلت في معسكرات فتح في الأردن. يموت مروان حديد في العام ١٩٧٦ في السجن في ظروف غامضة، ليقوم خلفاؤه في التنظيم في العام ١٩٧٩، وبدون علم الإخوان المسلمين الذين نفوا علاقتهم بتنظيم الطليعة، بارتكاب مجزرة في مدرسة المدفعية، قتل فيها أكثر من ٣٠ من ضباط الصف، كلهم علويون[1]، لتكون هذه الحادثة بداية حرب شاملة يشنها النظام ضد التيار الإسلامي بأكمله، إلى أن تصل ذروتها في معركة حماة الشهيرة في العام ١٩٨٢.

- **ملخص التحولات المتزامنة:**

ولدت الإحيائية الإسلامية الثانية من قلب المؤسسة العلمية الحديثة، على أيدي الشبان الصغار الذين دفعتهم المدارس الحديثة إلى ساحات الجامعات، بعضهم في مصر حمل معه تدينه البسيط الذي جاء به من المؤسسات الدينية غير المسيسة، وبعضهم عاش تحولات ما بعد هزيمة العام ١٩٦٧، ولسوف تتخذ هذه الهزيمة مكانتها في قلب تحليل ظاهرة الإحيائية الإسلامية، حتى لدى صناع الظاهرة أنفسهم.

مثل الميلاد تجربة معانة فريدة، سبق فيها الألم الولادة ورافقها. كان ثمة ألم جماعي من بعد هزيمة العام ١٩٦٧، واغتراب جماعي في ظل أجواء الهزيمة، واغتراب فردي خاص عاناه الباحثون عن الخلاص، أو الطلبة المتدينون الذي خرجوا من صدمة الاغتراب الأولى حينما وجدوا الإسلام غائبًا عن ساحات الجامعة، ومذمومًا في مجلاتها ونشراتها، ثم قاوموا ببسالة شعور الاغتراب، في حالة من الاستمرار والمثابرة المذهلة، إلا أن المواجهة المؤلمة التي خاضوها مع منافسيهم من اليساريين، شكلت رافدًا من روافدهم الفكرية، وإن لم يتمظهر أثر هذا الرافد بنفس الصورة في كل المواقع، فهو في تونس ليس كما في مصر. لكن المفاهيم الماركسية ستجد طريقها إلى الخطاب الإسلامي متمظهرة بمصطلحات جديدة، وسيكون للثورة الإيرانية دورها الهام لا في دفع الإحيائية الإسلامية الجديدة فحسب، ولكن أيضًا في إعادة صياغة مفاهيمها، كما سيكون للتجربة الماركسية، والتأثر بالمنظمات الفدائية الفلسطينية، والوصل مع تجربة حسن البنا وسيد قطب وأبو الأعلى المودودي، دور هام في تشكيل مجموعات تلك الظاهرة على نحو فعال، بعدما كانت تموج في بطنها وتطفو على سطحها مظاهر مشتركة وبواطن متباينة لعفوية النشأة وتعدد مصادر التأثير.

---

[1]. نجيب الغضبان، "الحركة الإسلامية السورية وآفاق التحول الديمقراطي"، في: **الإخوان المسلمون في سورية: ممانعة الطائفة وعنف الحركة**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١١): ص٦١– ٩٧.

اتسمت الظاهرة بسرعة الانتشار، وتجاوز الحدود، وتداخل المسارات وتخارجها، وعمليات القطع والوصل، والتأثير المتبادل، في المكان الواحد، وما بين البلاد العربية والإسلامية، ولسوف تتكرر نفس القصص في الجامعات المختلفة في العالم العربي، وسيفد إلى الجامعات طلاب صادرون عن نشأة دينية شعبية، أو متأثرون بجمعيات غير مسيسة، ليصطدموا بعالم الحداثة في الجامعات، وستدور حوارات متعددة حول هزيمة العام ١٩٦٧، والمقاومة الفلسطينية، والبحث عن الخلاص، والأولويات المستعجلة والمناهج وبرامج العمل، بيد أن الإسلاميين الجدد حينها في صيرورة تمايزهم، سيتكيفون ببراعة مع العالم الجديد ويحسنون استخدام أدواته.

تتزامن أحداث كبرى في وقت واحد؛ الثورة الإيرانية، واغتيال السادات، واحتلال أفغانستان، وخروج الثورة الفلسطينية من لبنان، والانتفاضة الإسلامية في سوريا، والمقاومة الإسلامية الشيعية في جنوب لبنان، مع أسئلة واحدة متشابهة وإجابات متعددة حائرة في كل مسجد كلية في كل جامعة في البلاد العربية، وبسرعة تتكاثر المظاهر الإسلامية، وتتعاظم المساجد، وتبدأ الكتل الطلابية الإسلامية بتغطية المجال الطلابي، حاملة معها إرث الإحيائية الإسلامية الأولى، المشبعة بسرديات الإسلام الكبرى، التي انبثق عنها القلق اللحوح على وجود الإسلام وميراثه وثقافته وبلاده، والحفاظ على الهوية الإسلامية في مواجهة حركات التحديث التي استلهمت النموذج الغربي، في وقت، كان فيه الاجتماع الأهلي قد بدأ ينهار، مع تفكك الدولة العثمانية وانحدار المخيال الجامع وسيطرة الاستعمار الحديث على البلاد العربية، بينما لم تكن المؤسسة الدينية التقليدية قادرة على مواجهة هذه التحديات الكبرى، وحينما هيمنت الدولة العربية الحديثة على المؤسسة الدينية، وأخضعت المجال الاجتماعي لسطوة السلطة السياسية، وجد الإسلاميون الأوائل أنفسهم حراسًا للهوية الإسلامية. لقد حمل الإسلاميون الجدد في الإحيائية الثانية ذلك القلق، وانبثقوا عن ذات السردية، ووصلوا لحظتهم بلحظة حسن البنا، إلا أنهم وصلوها أيضًا بعهد أقرب، بالعداء للاستعمار والغرب، وبذلك انتشروا سريعًا في الساحات التي ملأها الماركسيون من قبلهم، فحصلت عمليات انتقال فردية وجماعية من الماركسية إلى الإسلام، ليحمل الإسلاميون من الماركسيين شعلة النضال العالمثالثي[1]، وهم في ذلك كله، منذ انبثاق الشعلة الإسلامية العالمثالثية في السبعينيات إلى العقود التي تلتها لم يكونوا شيئًا واحدًا.

وبصرف النظر عن كل ما يمكن قوله من نتائج هذه الظاهرة، وإن كانت قد بعثت على انشقاقات عميقة في المجتمعات العربية والإسلامية، أو كانت تعبيرًا عن تلك الانشقاقات، وعن انهيار الإجماع حول القيم والمفاهيم، وعن قسوة عمليات التحديث الفوقية على المجتمعات العربية، ونشوء الدولة الحديثة في سياق استعماري قطع وصل التجربة العربية الإسلامية، وحرمها من تطوير تجربتها بإرادة ذاتية، وهي الدولة التي تخلقت نخبتها في رحمها، ومن صيرورة قيامها، وما كانت للتنازل عن مواقعها. بصرف النظر عن ذلك كله، فإن هذا النشوء العفوي للظاهرة، وتجاوزها للحدود القطرية، واتسامها بتداخل المسارات وعمليات الوصل والقطع المستمرة إن مع التاريخ أو مع الجغرافيا، وسرعة انتشارها؛ تصعب إحالتها إلى سبب واحد، ولا يمكن معالجته بأداة تحليل واحدة، فهذه الموجة الكبرى قد غطت وجه المنطقة العربية والإسلامية كلها، وما أشارت إليه الدراسة لم يكن سوى نماذج عابرة، لا يمكن القول إزاءها بأنها كانت صنيعة الرجعية العربية لمواجهة المد اليساري، فحين نشوء الظاهرة في بداياتها الساذجة، وفي قلب انبثاق الظاهرة، كان التعبير الأبرز عن

[1]. أوليفيه روا، **تجربة الإسلام السياسي**، (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤): ص١٣– ١٥.

الإسلام السياسي، وعن الإحيائية الحديثة الكبرى مجتثًا من المجال العام ومدفونًا في السجون، وإذا كانت الدولة في بعض البلاد تتسامح أو تشجع أنماطًا غير مسيسة من التدين، ساهمت في التنشأة الدينية لصناع الإحيائية الثانية، فإن النتائج جاءت على غير إرادة الدولة من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يكن هذا التسامح موجودًا في كل البلاد، ومن ناحية ثالثة حاولت الدولة نزع الشرعية عن هذه الظاهرة بمنافستها، إلا أن النتائج لم تكن بالضرورة لصالح الدولة.

ليست غاية هذا القسم من الدراسة تناول الإحيائية الإسلامية بالبحث الشامل، أو بالنقد، وإنما ملاحظة التزامن المذهل في تحولات كبرى تجلت على مستوى الاجتماع السياسي، والتدين الشعبي، والمظاهر الفردية، والنقلات الإيديولوجية، في كل البلاد العربية والإسلامية في وقت واحد، بما يحول دون ردها إلى أسباب اقتصادية مثلاً. كما أن سرعة انتقال الظاهرة بين البلاد العربية والإسلامية أو تزامنها في الوقت نفسه، تحيل إلى نمط مشترك جامع.

وبالرغم من القدرة على التقاط أسباب قابلة للتحول إلى هموم أو هواجس مشتركة ساهمت في إشعال الظاهرة، من قبيل هزيمة العام ١٩٦٧، وخيبة الرهانات على القوميات الناصرية أو البعثية المطعمة بنكهة ماركسية، وفشل الدولة الحديثة في الاستجابة لوعودها، وتفاقم التحدي الاستعماري، والتردي الاقتصادي المزمن؛ فإن السؤال يبقى قائمًا عن الدافع في العودة إلى البحث عن حل من عمق الذات، خاصة مع ملاحظة البدايات العفوية والانتشار السريع، وهو ما يحيل إلى نموذج ثقافي كامن في وجدان المنطقة، يخبو ولكنه لا يموت، ويبقى يتفاعل مع مجموع الأسباب والعوامل والظروف حتى يسترد مكانه مجددًا. إنها "استعادة بطيئة، لكن دائمة ومستمرة للثقافة الإسلامية الكلاسيكية، وتمثل قيمها كمرتكز لتماه جماعي تاريخي... واستعادة للوعي واعادة فهم وتقويم وتجديد للتراث والقيم والأفكار، بل للإيمان الديني نفسه، بعد حقبة الانحطاط والموت الطويلة للقلب والعقل الإسلاميين."[1].

لكن أين كانت فلسطين من تلك التحولات المتزامنة؟

٢. فلسطين: انبعاث الجهاديين

- **فتح والإخوان المسلمون: عقدان من المسارات المتداخلة**

يمكن القول إن نمطًا إسلاميًا خاصًا، تمكن تسميته بنمط ما قبل الإسلام السياسي، قد تشكل كممثل للمجتمع الفلسطيني ما قبل النكبة. فانهيار الدولة العثمانية، وما سبق ذلك من برامج تحديث عثمانية فوقية، وما تلاه من سياسات استعمارية بريطانية، لم يؤد إلى انشقاق إيديولوجي فلسطيني، فعمليات التحديث التي مورست على البنى الاجتماعية الفلسطينية كانت أقل بكثير من تلك التي

[1]. برهان غليون، **نقد السياسة، الدولة والدين**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣): ص٣١٢.

مورست على بلاد أخرى، وهو الأمر الذي أتاح للفلسطينيين الحفاظ على بناهم التقليدية خارج مجال الصراع الإيديولوجي، بحيث إن السؤال بقي متصلاً بما قبل الاستعمار، فالتحدي الاستعماري لم يتولد عنه سؤال الهوية إن على المستوى الديني أو على المستوى القومي، وإنما تولد عنه السؤال حول الأدوات الكفيلة بمعالجة الانتداب البريطاني وإرجاع الأوضاع قدر الإمكان إلى ما كانت عليه قبل الانتداب، ولذلك فإن التوجهات على المستوى السياسي لم تخرج عن تصورات الوحدة في سوريا الكبرى، أو مع الأردن، أو عن النظر إليها كجزء من المشكلة الإسلامية الشاملة. كما أن الصراعات بين الزعامات السياسية لم تتخذ طابعًا إيديولوجيًا وإنما سياسيًا كما كان الحال بين الحسينيين والنشاشيبيين[1].

وقد ساعد الخطاب العروبي الوحدودي، الذي مثلته شخصيات مثل عوني عبد الهادي، وعزة دروزة، بنزعتهم الإسلامية الإصلاحية، إضافة إلى قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية من قبل شخصية دينية تمثل التيار العلمائي وتنحدر من عائلة علمية عريقة، وهي شخصية محمد أمين الحسيني، الذي سبقه جده مصطفى ثم والده طاهر ثم أخوه كامل إلى منصب الإفتاء الذي تسلمه في آذار ١٩٢١[2]؛ على إرجاء الفرز الإيديولوجي، وتصدير الصراع مع المشروع الصهيوني، بما هو صروع وجود، كأولوية على أي شيء آخر. وطوال ذلك لن يكون الحزب الشيوعي الفلسطيني قادرًا على النهوض في وجه هذه الحالة. إلا أن نكبة العام ١٩٤٨ ستمنح الفلسطينيين وعيًا هوياتيًا يتأسس على كيفية مختلفة عن تلك التي تأسس عليها الوعي الهوياتي القطري العربي، فالعرب الذين قسمتهم نتائج الحرب العالمية الأولى في أقطارهم على أساس التنظيم الكولونيالي لحدودهم الدولانية، ستنبني هوياتهم الوطنية وإحساسهم المشترك على استقلالهم القائم على تلك الحدود، بينما ستنبني الهوية الوطنية الفلسطينية على أساس من حرمانهم من أرضهم واقتلاعهم منها وإقامة وظن قومي لغيرهم عليها. سيجد الفلسطيني نفسه مهجرًا إلى بلاد كانت بالأمس بلاده وصار اليوم أجنبيًا وهو عليها، وعلى هذا سوف تتأسس عقدة الفلسطيني الكبرى، وأزمة كفاحه المزمنة، ومن هنا سيبدأ الفرز الإيديولوجي فلسطينيًا.

إلى ذلك الحين، أي إلى العام ١٩٤٨، يمكن الحديث عن عدة علامات هامة فيما يخص تعالق الوطني والإسلامي على أرض فلسطين. أولى تلك العلامات هو المفتي محمد أمين الحسيني بما مثله، ثم بخطه الذي لم يعان فصامًا إيديولوجيًا ما بين الوطني الفلسطيني والوعي الإسلامي.

أما العلامة الثانية الفارقة، فهي حركة الشيخ السوري عز الدين القسام، القادم في العام ١٩٢٠ متنكرًا من قرية جبلة قضاء اللاذقية إلى حيفا. عمل القسام الذي كانت له سابقة جهادية ضد الفرنسيين في سوريا؛ على بناء حركة جهادية تواجه الانتداب البريطاني والمشروع الصهيوني في الوقت نفسه، داعيًا، كما يقول أحد أعضاء حركة القسام، إلى الجهاد "على أساس ديني والجهاد في سبيل الله واستخلاص الوطن ودفع الظلم عن المواطنين، ومفهوم الجهاد على أسس دينية لا يوجد به إشكالات ولا تعقيدات إيديولوجية أو نفسية ولا أعماق

---

[1]. بشير نافع، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠–١٩٨٠، مصدر سابق**، ص٧–٨.

[2]. عصام الغريب، **الحاج محمد أمين الحسيني ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية ١٨٩٧–١٩٧٤**، مصدر سابق: ص٢٩، ٦٧

ولا أبعاد، وكل ما يتعلق بالجهاد محكوم بآيات قرآنية معروفة"، [1] بما يعني أن حركته الجهادية كانت دينية بسيطة من نمط التدين الشعبي السابق على الإسلام السياسي، لكنها توسلت بأدوات التعبئة والتثقيف من موقعه كخطيب لجامع الاستقلال. وسوف يساهم القسام بتأسيس فرع لجمعية الشبان المسلمين في حيفا، بما يشير إلى بدايات قلق هوياتي مبعثه المخاوف من اختراق البنية الاجتماعية الفلسطينية ثقافيًا.

وعلى أية حال، فإن القسام الذي بدأ أول عملياته العسكرية سنة ١٩٣١؛ استشهد في ٢٠ تشرين ثاني ١٩٣٥، في معركة يعبد الشهيرة، لتشتعل بعد ذلك ثورة العام ١٩٣٦. وبالرغم من الأهمية التأسيسية لحركة القسام، وما انطوت عليه من مبادرة لافتة ووعي عميق وأسبقية مذهلة في تبني المقاومة المسلحة ضد الانتداب البريطاني والمشروع الصهيوني، فإنه لا يمكن القول بأنها كانت حركة أممية، ذلك أن الوعي الوطني لم يكن قد تبلور إلى ذلك الحين بصورته النهائية، ولم تكن بعد الهويات الجديدة قد اتخذت شكلها النهائي واستقرت، وإنما جمعت القسام بالفلسطينيين هوية واحدة.

وأما علاقة القسام بالمفتي، فإن المصادر مضطربة في تقدير حجم التعاون بينهما أو تعاطف المفتي مع حركة القسام، لكن الأرجح أن الحسيني لم يكن متعاطفًا مع حركة القسام، وفي أحسن الأحوال لم يكن متشجعًا لها[2]، كما أنه ليس من الراجح أن تكون جماعة الإخوان في مصر قد انضمت إلى حركته.

وأما العلامة الثالثة، فهي علاقة جماعة الإخوان المسلمين بالقضية الفلسطينية، ابتداء من اهتمام مؤسس الجماعة حسن البنا، مرورًا بتأسيس شعب الإخوان فيها، إلى مشاركة الإخوان في حرب العام ١٩٤٨.

أول ما يمكن أن يعثر عليه الباحث حول انتباه حسن البنا إلى مخاطر الحركة الصهيونية على فلسطين، هو مقالة كتبها في مجلة الفتح في العام ١٩٢٩، حذر فيها من اليهود الذين "تتنبه مطامعهم أمام غفلة المسلمين"[3]، وفي العام ١٩٣١ أرسل رسالة للمفتي محمد أمين الحسيني بمناسبة المؤتمر الإسلامي الأول، مرفقة بخطاب إلى المؤتمر قال فيها: "لقد علمنا أن الخطب لا تجدي ولا تسمع ، وترى الجمعية أن من واجب المؤتمرين أن يعالجوا: ١. مسألة شراء الأرض بفلسطين .... ٢. تأليف اللجان في كل البلاد الإسلامية للدفاع عن المقدسات"[4]. وقد ردي عليه المفتي الحسيني برسالة قال فيها: "فقد تلي بيانكم في مكتب المؤتمر الإسلامي العام فكان موضع التقدير والاعتبار، وستهتم اللجنة التنفيذية بما جاء فيه كل الاهتمام، وبهذه المناسبة فإننا نشكر لكم ما تبذلون من جهود لإعلاء كلمة

---

[1]. سميح حمودة، **الوعي والثورة: دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام ١٨٨٢م–١٩٣٥م**، مصدر سابق، ص٤٢– ٤٣.

[2]. عصام الغريب، **الحاج محمد أمين الحسيني ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية ١٨٩٧–١٩٧٤**، مصدر سابق، ص١٨١– ١٨٩.

[3]. إبراهيم البيومي غانم. **الفكر السياسي للإمام حسن البنا**، مصدر سابق: ص٤٦٠.

[4]. حسن البنا، الكتاب الحادي عشر من سلسلة تراث الإمام البنا: **مقالات حول القضية الفلسطينية**، تحقيق: محمد فتحي النادي وآخرون، مصدر سابق، ص٣٥– ٣٦، نقلاً عن: جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد ٧١٩، السنة الثالثة، ٥ سبتمبر ١٩٤٨.

الإسلام، ونأمل أن يكون منكم ومن فرع جمعيتكم الموقرة في الديار المصرية أكبر مساعد على تنفيذ قرارات المؤتمر ومشروعاته الطيبة."[1]

وقد جعل البنا بعد ذلك القضية الفلسطينية محورًا أساسيًا في نشاطات جماعته، في مستويات متعددة، فسياسيًا حرص البنا على التواصل المستمر مع القيادات الفلسطينية وأبرزها المفتي وعوني عبد الهادي، وفي الاتجاه الآخر حرص على مراسلة سفراء الدول الاستعمارية محتجًا على سياساتهم ومنددًا بوعد بلفور، كما وأرسل إلى الرئيس الأمريكي محتجًا على اعتراف بلاده بـ "الدولة الصهيونية"[2]، وراسل هيئة الأمم المتحدة، والجامعة العربية، والشخصيات الوطنية.. واللافت في هذه المراسلات دعم البنا الشديد للمفتي[3]. وكان من أفكار البنا المبكرة مقاطعة البضائع الأمريكية، مثل مشروب "الكاكولا"[4]، ومقاطعة إعلانات الطائفة اليهودية في مصر بسبب موقفها من قضية فلسطين حيث "أباحوا لأنفسهم أن يكونوا عونًا للصهيونية المعتدية الآثمة، بالمال والنفوذ وكل وسيلة ممكنة"[5].

وماديًا وإعلاميًا وتعبويًا، شكل البنا اللجان، وبدأ بجمع التبرعات للقضية الفلسطينية، وسير الجوالة والمظاهرات، وكثف الخطابات والمقالات، وتوزيع المنشورات والنداءات العامة، والتحريض على الجهاد، والتفاعل الكبير مع ثورة العام ١٩٣٦، وأرسل وفدًا لزيارة فلسطين في العام ١٩٣٥. وكون أول شعبة للإخوان في فلسطين في القدس عام ١٩٤٥[6]، إلا أن أهم محطة في هذه العلاقة كانت مشاركة الإخوان المسلمين في حرب العام ١٩٤٨.

بعد النكبة أعلنت الهيئة العربية العليا عن تشكيل حكومة "عموم فلسطين"، في مدينة غزة، إلا أن هذه الحكومة لم تعمر طويلاً، بسبب الموقف المصري منها وعدم دعم الجامعة العربية لها، وبهذا أصبح قطاع غزة خاضعًا للحكم المصري؛ الذي اتخذ قرارًا بحل جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وانسحب القرار على قطاع غزة، واستمر القرار إلى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢. وللتعويض عن حل الجماعة بادر ظافر الشوا إلى تأسيس جمعية "التوحيد الإسلامية"[7].

بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بمصر، أعاد الإخوان المسلمون في قطاع غزة تنظيم أنفسهم ونشر شعبهم، وركزوا نشاطهم على التعريف بالإسلام وفكر الإخوان المسلمين مستعينين بمحاضرين ومدرسين وخطباء ودعاة من الجماعة في مصر، بالإضافة إلى القيام بالأعمال الخيرية وخدمة المجتمع، من قبل الدروس المجانية للطلاب، وإغاثة سكان المخيمات، وتوزيع التبرعات القادمة من مصر،

---

[1]. المصدر السابق، ص٣٣.

[2]. هكذا سماها حسن البنا في رسالة وجهها إلى الرئيس الأمريكي ترومان، انظر: المصدر السابق، ص١٦٧.

[3]. لاحظ من عناوين المصدر السابق: رسالة المرشد إلى المفتي عام ١٩٣١، رد حضرة رئيس اللجنة المركزية للإخوان المسلمين على خطاب من سماحة المفتي الأكبر السيد أمين الحسيني، موقف فرنسا من سماحة مفتي فلسطين الأكبر، صورة المذكرة التي قدمت للسفير البريطاني بشأن فلسطين ومفتيها الأكبر، سماحة مفتي فلسطين الأكبر، من المرشد إلى المفتي، من فضيلة المرشد إلى سماحة رئيس المجلس الوطني ودولة رئيس حكومة عموم فلسطين.

[4]. المصدر السابق، ص١٩٤.

[5]. المصدر السابق، ص١٦٥.

[6]. راجع هذه المعلومات ومصادرها في المقدمة.

[7]. نهاد محمد الشيخ خليل، **حركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة 1967–1987**، (غزة، مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، ٢٠١١)، ص١٧– ٢٠

وممارسة الأنشطة الشبابية الترفيهية الهادفة من قبيل الرحلات البرية والبحرية والأعراس الإسلامية، والعمل الطلابي بتأسيس كتل طلابية في المدارس الثانوية[1].

بعد حادث المنشية الشهير في العام ١٩٥٤، وحل الجماعة بمصر، انسحب القرار على قطاع غزة الخاضع للحكم المصري، وبدأت جماعة الإخوان المسلمين في القطاع بالضمور وخسارة جماهيرها، لا سيما وأن جمال عبد الناصر كان يحظى بشعبية طاغية، فلم تكن الجماعة في غزة بقادرة على مواجهتها، أو استيعاب بطشها[2].

بالنسبة للضفة الغربية فقد ضمت إلى الأردن، وتابع الإخوان المسلمون نشاطهم فيها، متمددين عبر فروع جديدة، وبحسب بعض المصادر، فإن الإخوان المسلمين في القدس تدربوا على السلاح، وقاموا ببعض العمليات، بتوجيه من كامل الشريف أحد قادة كتائب الإخوان في حرب العام ١٩٤٨[3]، ويشرح عدنان مسودة أحد القيادات الإخوانية التي ساهمت في إطلاق حركة حماس عن النشاط الإخواني في مدينة الخليل في فترة الخمسينيات بأنه متعدد ومتنوع سياسيًا وتربويًا واجتماعيًا وطبيًا ورياضيًا وشمل إقامة معسكرات شبه عسكرية[4].

ويصف إبراهيم غوشة، أحد قيادات حماس بعد تأسيسها، النشاط الإخواني في القدس من بعد العام ١٩٤٨، بأنه انقسم إلى قسمين؛ واحد للطلاب، وآخر للعمال، وقسم العمال يشمل العمال والتجار،[5] وإلى حين صدام عبد الناصر بالإخوان في مصر عام ١٩٥٤، فإن إخوان الضفة الغربية الذين باتوا تابعين للتنظيم الإخواني الأردني كانوا الأقدر على كسب الأتباع في المخيمات، فقد استفادوا من حالة التدين الطبيعي لدى الفلاحين السابقين والمحافظين اجتماعيًا، وساهم الخطاب الجهادي للجماعة المطعم بنزعة عروبية وقيامها بأنشطة كشفية ورياضية وتدريب عسكري صوري، في جذب المزيد من الأتباع، إلا أن حزب التحرير شكل تحديًا حقيقيًا للجماعة وبدأ يستنزف منها أعضاءها[6]، إلى أن اصطدم الإخوان بعبد الناصر الذي تحول في وعي الجماهير إلى بطل قومي عربي وملتزم بتحرير فلسطين، فأدى ذلك إلى انحسار شعبيتهم[7]. وبقي الحال كذلك إلى أن جاءت هزيمة العام ١٩٦٧ ودخل الإخوان المسلمون في الضفة الغربية في مرحلة العمل السري، أما حزب التحرير فإن موقفه السلبي من النشاط الوطني أدى إلى عزوف الجماهير عنه.

وبصرف النظر عن مصير التنظيم الإخواني في قطاع غزة، فإن مرحلة الخمسينيات في القطاع تشكل الرحم الذي تخلقت فيه الثورة

---

[1]. المصدر السابق، ص٢٠- ٢٦.

[2]. المصدر السابق.

[3]. محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين**، مصدر سابق: ص١٥٨- ١٥٩.

[4]. عدنان مسودي، **إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس**، تحرير: بلال محمد، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٣): ص٣٨- ٤٠.

[5]. إبراهيم غوشة، **المنذنة الحمراء: سيرة خاصة**، مصدر سابق، ص٤٤

[6]. يقول إبراهيم غوشة: "فجأة وجدنا أن معظم المعلمين والمثقفين الذين كانوا معنا في إخوان القدس قد انضموا إلى حزب التحرير". المصدر السابق، ص٤١.

[7]. يزيد صايغ، مصدر سابق، ص١٠٢- ١٠٣.

الفلسطينية بصيغتها الوطنية، وللمفارقة فإن ذلك سيكون بواسطة حركة فتح ومن قلب الجماعة الإخوانية، فالنشاط السري للإخوان في بداية الخمسينيات والمؤسس على تجربة معارك العام ١٩٤٨ هو النواة الأولى لهذا الرحم، فلقد استقطب هذا النشاط خليل الوزير، ذلك الرجل الشغوف بالسلاح والتدريب عليه، حتى أصبح المسؤول عن هذا النشاط السري، ويجند من خلاله العناصر والكوادر لصالح الجماعة قائلاً لهم: "نحن نتدرب عندهم على السلاح، وهم يقولون أن فلسطين هي قضيتهم الأولى."[1]

تفاعلت الأحداث باستمرار ما بين قطاع غزة والطلبة الفلسطينيين في القاهرة، وشكل هذا التفاعل واحدة من الأنوية التي ستتطور عنها فتح، ففي حين انطلقت المظاهرات في قطاع غزة في ٢٨ شباط ١٩٥٥ ردًا على غارة صهيونية[2]؛ كان الطلاب الفلسطينيون في القاهرة ينظمون الإضرابات والمظاهرات ويدعون إلى إسقاط النظام المصري ويتقدمون بمطالبهم إلى السلطات المصرية لإلغاء تأشيرات الدخول المفروضة على الفلسطينيين في تنقلهم ما بين غزة والخراج، وإعادة المواصلات الحديدية بن غزة والقاهرة، وإقامة تدريب عسكري إجباري يتيح للفلسطينيين الدفاع عن أنفسهم، وقد استجاب عبد الناصر للمطالب، سوى المطلب الأخير الذي كانت استجابته له شكلية[3]. وفي هذا السياق تبرز أهمية "رابطة الطلاب الفلسطينيين"[4] في القاهرة، كصياغات أولى لمشروع نضالي فلسطيني يقوم على أساس من الوعي بالهوية الوطنية الفلسطينية، وإرادة تجاوز الواقع العربي القائم. كانت هذه الرابطة أيضًا من علامات الاتصال الوثيقة الأولى ما بين الإخوان الفلسطينيين وأنوية فتح الأولى حيث وصل ياسر عرفات[5] إلى رئاستها أول مرة سنة ١٩٥٣، بترتيب مع "الإخوان المسلمين"[6].

سيبرز هذا التواصل مرة أخرى في العام ١٩٥٦ مع "العدوان الثلاثي" على مصر عندما تنتظم مقاومة شعبية بقيادة سليم الزعنون (أبو الأديب) أحد الشخصيات البارزة في الأوساط الأخونية. سيأتي عناصر هذه المقاومة من اتجاهات فكرية وسياسية متعددة، ويؤازرهم من القاهرة الطلاب الفلسطينيون، المتأثرون بالتجربة الجزائرية، بالمال والسلاح وإدخال المناشير سرًا إلى قطاع غزة[7].

في العام ١٩٥٧ يعرض خليل الوزير على قيادة الإخوان داخل قطاع غزة إقامة تنظيم جديد يشرفون عليه إلى جانب تنظيمهم الإخواني، بحيث لا يرفع هذا التنظيم شعارًا إسلاميًا وإنما يرفع شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح، وعلى عتبات هذا التنظيم الجديد ينبغي أن تخلع العناصر الجديدة أرديتها الحزبية والإيديولوجية لترتدي ثيابًا فلسطينية فحسب، وأن يقف التنظيم الجديد موقفًا مستقلاً من الحكومات العربية، على أن يبدأ القتال حينما تكتمل العدة، ونوهت المذكرة التي طرح فيها خليل الوزير مقترحه، بأن

---

[1]. محمد حمزة، **أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله**، مصدر سابق: ص١٥٨.

[2]. صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية، مصدر سابق**: ص٤٩.

[3]. المصدر السابق.

[4]. تحولت فيما بعد وفي وقت مبكر "للاتحاد العام لطلاب فلسطين"

[5]. يتحدث إبراهيم غوشة عن علاقاته بنواة فتح الأولى في القاهرة، مبينًا أن الإخوان دعموا عرفات في رابطة الطلاب، وأن خليل الوزير كان مندوبًا لإخوان غزة في مصر، وأنهم في ذلك الوقت عام ١٩٥٧ بدؤوا يسمعون عن تنظيم فتح. انظر: إبراهيم غوشة، **المئذنة الحمراء: سيرة خاصة**، ص٦٨- ٦٩

[6]. سليم الزعنون، **السيرة والمسيرة: مذكرات سليم الزعنون «أبو الأديب»**، مصدر سابق: ص٤٢.

[7]. صلاح خلف، مصدر سابق، ص٥٠.

التنظيم الجديد سيفتح الأبواب المغلقة بين الإخوان الجماهير، ويفك عنهم الطوق الناصري، ويبقي القضية الفلسطينية حية ويقطع الطريق على محاولة تصفيتها، كما أنه سيجبر الدول العربية على خوض الحرب ضد الكيان الصهيوني[1].

لم يوافق الإخوان في غزة على مقترحات المذكرة، واعتبروها تخيلات غير واقعية، لن توصل إلى هدف التحرير، وستفتح معركة لن تكون القوى الأساسية مستعدة لها، وبحكم خبرة العام ١٩٥٦ فإن العمل المسلح قد يوفر للكيان الصهيوني الفرصة لاستكمال احتلال فلسطين. وقدم الإخوان في غزة من طرفهم مذكرة توضيحية بينت أنهم على استعداد لتجميد نشاطهم الإسلامي وتخصيص تنظيمهم لتحرير فلسطين إذا كانت خطة التحرير المقترحة مقنعة، ولا سيما وأن الأنظمة العربية المحيطة بفلسطين لن تسمح بنشاط عسكري من على أرضها، ومن جهة أخرى رفضت المذكرة الإخوانية مقارنة الحالة الفلسطينية بالجزائرية لاختلاف المساحة وعدد السكان والأوضاع القانونية، فالجزائري يقاتل على أرضه، لكن الفلسطيني سيقاتل من وراء الحدود. إلا أن التنظيم الجديد سيمضي على خطته مستنزفًا[2] الكوادر الأساسية من جماعة الإخوان المسلمين[3].

لا تتطرق مصادر الإخوان أو فتح لهذه الرواية كثيرًا، إلا أن رواية أخرى لشخصية قيادية إخوانية تعطي ملامح جديدة للرواية. يروي سليمان الحمد، أحد القيادات الإخوانية في غزة ثم في الكويت أن ياسر عرفات عرض على القيادات الإخوانية الفلسطينية الانضمام إلى التنظيم الجديد، وذلك في زيارة قام بها إلى الكويت بصحبة مجموعة كانت ناشطة في رابطة الطلاب الفلسطينيين في القاهرة بالإضافة إلى خليل الوزير ومحمد يوسف النجار.

وبحسب هذه الرواية، فإن تعاونًا قد نشأ بين المجموعتين، على أساس من اعتقاد الإخوان الفلسطينيين في الكويت بانتماء مجموعة ياسر عرفات إلى الإخوان، إلى أن اكتشفت المجموعة الإخوانية تعاون ياسر عرفات مع جهات أخرى غير إخوانية، وبناء على مشورة مع الجماعة في القطاع وفي مصر، اشترطت المجموعة الإخوانية على عرفات أن تعين هي قيادات التنظيم الجديد، فرد عرفات بالقول: "أنتم أربعة، وأنا واحد، فأربعة أخماس القيادة منكم"، وكان عرفات يقصد بالأربعة: "سليمان الحمد، ويوسف عميرة، وخليل الوزير، وعبد الفتاح حمود"، فاشترطت المجموعة الإخوانية على عرفات أن تقوم هي بتعيين قيادات التنظيم الجديد، فرفض عرفات كما رفض خليل الوزير، ورغم ذلك فإن الحمد استمر في الموقعين، في فتح والإخوان، مساهمًا في تحرير مجلة "فلسطيننا"[4]، وفي كتابة البيان الأول[5].

---

[1]. عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، مصدر سابق، ص٧١- ٧٢.

[2]. يروي إبراهيم غوشة أن الإخوان الفلسطينيين وبعدما أسسوا تنظيمهم الفلسطيني، لم تعد فتح قادرة على استقطاب كوادرهم، مستشهدًا بكلام لسليم الزعنون الذي قال لأحد الشخصيات الإخوانية: "يبدو بأن الإخوان المسلمين الفلسطينيين قد أصبح لهم تنظيم، لأننا لم نعد نستطيع أن ننتزع منهم أحدًا". انظر: إبراهيم غوشة، **المئذنة الحمراء: سيرة خاصة**، مصدر سابق، ص٧١.

[3]. عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية** مصدر سابق، ص٧٣- ٩٣.

[4]. امتياز مجلة فلسطيننا في الأصل لتوفيق حوري وهو شخصية لبنانية إسلامية لبنانية، وبحسب إبراهيم غوشة كان ينفق عليها الإخوان المسلمون الموجودون في الكويت. انظر: إبراهيم غوشة، **المئذنة الحمراء: سيرة خاصة**، مصدر سابق، ص٦٩.

[5]. سليمان الحمد، برنامج مراجعات، الحلقة، ٣، حاوره: عزام التميمي، قناة الحوار، مصدر سابق. وانظر: محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين**، مصدر سابق. ص١٥٩.

في العام ١٩٦٤ عرض ياسر عرفات، في رسالة نقلها كامل الشريف[1]، على التنظيم الفلسطيني للإخوان المسلمين الانضمام لفتح والمشاركة في قيادتها، لكن الإخوان رفضوا عرضه[2]، وذلك قبل انضمام التنظيم الفلسطيني، في العام ١٩٦٦، إلى المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في البلاد العربية، وقد طرح التنظيم المصري، في اجتماعات المكتب مجددًا فكرة التعاون مع فتح في المقاومة، فحتى ذلك الوقت كان الإخوان المصريون خاصة، ويشاركهم في ذلك الإخوان الكويتيون وبعض الإخوان الأردنيين من أصل فلسطيني يعتقدون أن فتح ليست أكثر من حركة إخوانية، بينما كانت علاقة التنظيم الفلسطيني بفتح تتسم بالتوتر بسبب النزيف الذي أحدثته الأخيرة لسنوات في الجسد الإخواني[3].

كانت فتح تحرص على استمرار هذا الاعتقاد الإخواني، وتستفيد من ذلك دعمًا ماديًا ومعنويًا، كما تحرص على استمرار العلاقات مع الشخصيات الإخوانية العربية غير الفلسطينية، بما في ذلك القيادي الإخواني السوري عصام العطار الذي كان رئيس المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في البلاد العربية، وصديقًا لخليل الوزير. وإذا كانت الدعوات الإخوانية في بعض البلاد العربية للتعاون مع فتح قد توقفت، فإنها تجددت بعد معركة الكرامة، وبات التنظيم الأردني يطالب بفتح معسكرات للتدريب وإقامة قواعد للمقاومة في الأردن على غرار ما لدى فصائل الثورة الفلسطينية، وفي النهاية أقر المكتب التنفيذي إقامة المعسكرات[4]، وستصبح هذه المعسكرات تحت مظلة فتح، حماية للإسلاميين من بطش المنظمات اليسارية[5].

يخوض الإسلاميون العرب، معارك كثيرة انطلاقًا من "معسكرات الشيوخ"[6] التي مثلت ذروة تعاون الإخوان المسلمين مع حركة فتح، ويقدمون مسلكًا متميزًا في العلاقة مع الجماهير، ومختلفًا عن مسلك المنظمات الفلسطينية السائد، وأثناء التجربة والتي استمرت حتى أحداث أيلول في العام ١٩٧٠[7]، يعاني "الشيوخ" من اعتداءات المنظمات اليسارية، بيد أن هذه التجربة تتصل بعد ذلك في تعاون فريد آخر بين عبد الله عزام، أحد رموز معسكرات الشيوخ، والجهاد الإفغاني بعد ذلك، وبين تيار يساري ينشأ في فتح ويتحول نحو الإسلام، في استمرار فريد لتداخل مسارات الكفاح الفلسطيني ما بين الحركتين الإسلامية والوطنية.

- **فلسطين في زمن التحولات**

---

[1]. صاحب كتاب الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، وأحد المشاركين في تلك الحرب.

[2]. : إبراهيم غوشة، **المنذنة الحمراء: سيرة خاصة**، مصدر سابق،

[3]. عبد الله أبو عزة، مصدر سابق، ص١٢٣– ١٢٦.

[4]. المصدر السابق، ص١٢٣– ١٤٨، ص٩٣.

[5]. أحمد نوفل، برنامج مراجعات، حاوره: عزام التميمي، الحلقة ٢، والمادة منشورة على موقع youtube بتاريخ ٢٠١٠/١/١٧، واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠. https://www.youtube.com/watch?v=ChH11ijAFeA

[6]. مثل: عملية "الحزام الأخضر" في ١٩٦٩/٨/٣١ بالتعاون مع فتح واستهدفوا فيها ثلاثة مستعمرات متقاربة، هي "يارونا"، "وبيت يوسف"، "وبيت يور". وعملية "دير ياسين" التي كانت بالاشتراك مع فتح أيضًا في الجولان ضد مستعمرة "ناحال هجولان" بتاريخ ١٩٦٩/٩/١٥.

[7]. محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين**، مصدر سابق، ص١٦٣– ١٦٥. و أحمد نوفل، برنامج مراجعات، حاوره: عزام التميمي، الحلقة ٢، مصدر سابق.

أ. الطريق إلى حماس

في غزة أعاد الإخوان المسلمون تنظيم أنفسهم، وشكلوا بعد العام ١٩٦٧ هيئة قيادية سموها "المكتب الإداري" واتصلوا بقيادة التنظيم الفلسطيني في الخارج، وبرز في هذه اللحظة عبد الفتاح دخان وأحمد ياسين، كان أحمد ياسين راغبًا بالبدء للإعداد العسكري، لكنه في النهاية التزم برأي التنظيم، ومنذ أواسط السبعينيات تجددت النقاشات حول المقاومة، وإنشاء المؤسسات، وتعزيز الشورى في التنظيم، فتأسس في العام ١٩٧٣ المجمع الإسلامي في غزة، بينما تأسست الجمعية الإسلامية في العام ١٩٧٦، والجامعة الإسلامية في العام ١٩٧٨، بكليتي الشريعة وأصول الدين، إلا أن المؤسسة الأهم بالنسبة للإخوان كانت المسجد، فمنه تجري إدارة المنطقة، ومنه تنبثق المكتبة والأنشطة الرياضية ودروس تحفيظ القرآن ودروس الفقه ودروس النساء ولجنة الزكاة ومعرض الكتاب الإسلامي ودروس التقوية لطلاب المدارس والمسابقات الثقافية والاحتفالات الدينية وتنظيم الزيارات الجماعية للمسجد الأقصى، والاعتكافات والإفطارات الجماعية في رمضان[1].

وحينما أشعلت الجماعة الإسلامية، ذلك التيار الطلابي المصري العفوي، شعلة الإحيائية الإسلامية الثانية في الجامعات المصرية منذ العام ١٩٧٠، كان الطلاب القادمون من جماعة الإخوان المسلمين في غزة إلى مصر يؤسسون تنظيمهم الطلابي الخاص بهم، فلهم لجنتهم القيادية الخاصة، وأسرهم التنظيمية الموزعة على أماكن تجماعتهم في المدن المصرية. كان تنظيمًا خاصًا بالطلاب الفلسطينيين، بلا مرجعية مصرية لأسباب أمنية، ودون اتصال بقيادتهم في غزة لصعوبة الاتصال، ولم تكن لهم صلة بخبرات تتقدمهم تجربة أو عمرًا، سوى اتصالات محدودة ببعض الشخصيات الإخوانية الأردنية التي تدرس في مصر، وهنا يبرز أحمد نوفل[2] أحد مؤسسي معسكرات الشيوخ، وفي هذه الأجواء يكتسب الجيل الجديد من الإخوان المسلمين في غزة خبرتهم، مشتبعين بروح الرفض، ومأخذوين بالوثبة الإسلامية المفاجئة والهائلة والصاخبة. سيعودون إلى غزة، وينطلقون إلى دول الخليج، لتأسيس الأنوية المتعددة التي ستلتحم في حركة المقاومة الإسلامية حماس، ومن بين هؤلاء ستخرج حماس قياداتها المستقبلية: موسى أبو مرزوق، وعبد العزيز الرنتيسي، وإبراهيم المقادمة، وإسماعيل أبو شنب...

في السبعينيات أيضًا؛ بدأ جيل جديد من الإخوان المسلمين بالعودة من دراسته الجامعية في الأردن وسوريا ومصر والسعودية ليستأنف الدعوة في الداخل، محملاً بالتحولات التي اجتاحت المجال الطلابي العربي، ومتأثرًا بأفكار سيد قطب، أو تجربة مروان حديد، أو متعلمًا على يدي أحمد نوفل وعبد الله عزام، ومن هنا ستشهد الضفة الغربية انقلابات عميقة، تلتقي مع نشاط أحمد ياسين ومجموعته في قطاع غزة. يقول عدنان مسودي أنه فور عودته من سوريا عام ١٩٧٠ إلى الخليل محملاً بالأفكار القطبية طالب قيادة الإخوان في الخليل والضفة بضرورة التحول إلى العمل العسكري، وهو الطلب الذي لم يجد آذانا صاغية وقتها[3]. لقد بدأت القيادات الجديدة

---

[1]. خالد نمر أبو العمرين، **حماس حركة المقاومة الإسلامية: جذورها نشأتها فكرها السياسي**، (القاهرة: مركز الحضارة زالعربية، ٢٠٠٠): ص١٨٠- ١٨١.

[2]. المصدر السابق، ص١٥٢.

[3]. عدنان مسودي، مصدر سابق، ص٧٢.

العائدة من الخارج تقود العمل الإسلامي في المدن، وتعيد تنظيم شباب الإخوان في الجامعات فيما عرف بـ "الكتلة الإسلامية"، التي عرفت أول مرة في تاريخ الجامعات الفلسطينية في جامعة بيرزيت في العام ١٩٧٨. خاضت الكتلة الإسلامية الانتخابات في العام ١٩٨٠ باسم "كتلة العمل الطلابي" في مقابل ""كتلة الوحدة" التي مثلت الكتل الطلابية المؤيدة لمنظمة التحرير، وحازت كتلة العمل الطلابي على ٤٢٪ من الأصوات[1].

لم تكن بدايات التشكل الطلابي الإسلامي سهلة، فمن الأمثلة على العقبات التي فرضت في طريق الكتلة الإسلامية، منعها في العام ١٩٨٠ من الإعلان على اللوحات العامة عن معرض تقيمه للكتاب في جامعة بيرزيت، فاضطر أفراد الكتلة الإسلامية إلى استخدام أجسادهم كوسيلة بديلة عن اللوحات العامة يعلقون عليها الإعلانات ويدورون بها في ساحات الجامعة، وفي العام ١٩٨٣ نظمت الكتلة الإسلامية مسيرة من مسجد بيرزيت إلى حرم الجامعة بمناسبة الذكرى الأولى للغزو الصهيوني على لبنان، لكن مسيرتها قوبلت بالمنع من إدارة الجامعة ومجلس الطلبة، وقد أدى ذلك إلي حصول اشتباكات بين الكتلة الإسلامية وفصائل منظمة التحرير من داخل الجامعة ومن خارجها، لكن تحولاً سوف يحصل في كانون الأول ١٩٨٦، حينما تشارك الكتلة الإسلامية في مظاهرات عنيفة ضد قوات الاحتلال، لتقدم صائب ذهب وجواد أبو سلمية كأول شهيدين في تاريخها، وذلك قبل الانتفاضة الفلسطينية الكبرى بعام واحد فقط[2].

أما في جامعة النجاح فقد تشكلت الكتلة الإسلامية في العام الدراسي ١٩٧٩/١٩٧٨، وخاضت الانتخابات في العام الدراسي ١٩٨٠/١٩٧٩ وفازت في أول انتخابات طلابية تشارك فيها بواقع ١٠ مقاعد من أصل ١١ مقعدًا، ثم ما لبثت أن حصدت جميع المقاعد في العام الدراسي الثاني، ولم تكن طريق الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح أيضًا مفروشة بالورود في علاقتها بالكتل المحسوبة على فصائل منظمة التحرير، ولا خالية من محاولات القمع والحصار[3].

وفي العام ١٩٧١ تأسست كلية الشريعة في الخليل، والتي بقيت كلية حتى تحولت إلى جامعة في العام ١٩٨٠، وفازت الكتلة الإسلامية في انتخابات أول مجلس طلبة للجامعة، وبرز من تلك المرحلة رائد صلاح الذي سيصبح لاحقًا رئيس الحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وفي جامعة القدس تأسست الكتلة الإسلامية في العام ١٩٨٢ مع تأسيس الجامعة[4].

ومنذ العام ١٩٧٠ يبدأ النشاط الإخواني بالتمدد من غزة والضفة الغربية إلى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وسيبرز في هذا الاتجاه كل من أحمد ياسين وحامد البيتاوي، وفي العام ١٩٨٠ تكشف المخابرات الصهيونية عن تنظيم جديد يدعى "أسرة الجهاد"، في قرى المثلث العربي في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، من قرى أم الفحم وكفر قاسم وقلنسوة وباقة الغربية، ويبرز من عناصره عبد الله نمر

---

[1]. دلال باجس، **الحركة الطلابية الإسلامية في فلسطين: الكتلة الإسلامية نموذجًا**، (رام الله: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠١٢): ص١٩.

[2]. المصدر السابق، ص٢٠- ٢١

[3]. المصدر السابق ص٢١- ٢٢.

[4]. المصدر السابق، ص٢٥.

درويش[1] الذي صار بعد ذلك رئيسًا للحركة الإسلامية في الداخل المحتل، وقاد فرعه في الحركة الإسلامية للدخول في الكنيست الصهيوني.

وفي الكويت، وهي البلد العربي الذي ظلت فيه قيادة التنظيم الفلسطيني في الخارج حتى العام ١٩٧٥، كما استمر فيه مركز العمل حتى بعد انتقال المراقب العام إلى السعودية[2]، بزغت لدى الإخوان الفلسطينيين فكرة تأسيس تنظيم طلابي خاص بهم في العام ١٩٧١، وهو الأمر الذي تحقق بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤، حتى خصص التنظيم الفلسطيني في العام ١٩٧٦ لصالح قسمه الطلابي ٧٥٪ من ميزانيته، وبعد ذلك سيظهر التنظيم الطلابي الإخواني في الكويت إلى الساحة الطلابية بذراعه النقابية "كتلة الحق"[3].

وعن هذه التجربة يقول خالد مشعل: "عام ١٩٧٧ تم تشكيل «قائمة الحق الإسلامية» كإحدى قوائم اتحاد طلبة فلسطين في جامعة الكويت, وكنت أول رئيس لها. وبعد مواجهة عوائق حالت دون مشاركتها في الانتخابات جرى الإعلان عن تحويل هذه القائمة إلى «الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين» في جامعة الكويت وذلك عام ١٩٨٠"[4]. ويكمل مشعل معددًا الاتحادات والروابط التي أقامها الشباب الإخواني الجامعي في بلاد العالم: "ونشأت في بريطانيا العام ١٩٧٩ «رابطة الشباب المسلم الفلسطيني», وتأسس في أميركا الشمالية وكندا «الاتحاد الإسلامي لفلسطين» عام ١٩٨١ وشارك الأخ موسى أبو مرزوق في هذا الاتحاد العام ١٩٨٣. وعبرت هذه الرابطات, التي نشأت في الخارج, عن بحث الشباب الفلسطيني في الشتات عن دور في ساحة العمل الفلسطيني."[5]

في العام ١٩٧٨ يندمج التنظيم الإخواني الفلسطيني بالتنظيم الإخواني الأردني في إطار تنظيم واحد أطلق عليه اسم "تنظيم بلاد الشام"، وانصهرت المجموعات الإخوانية الفلسطينية في غزة، والضفة الغربية، والكويت، والأردن، وأمريكا الشمالية، وأوروبا، في الجسم الجديد. بعد ذلك بعامين ترسل القيادة في الداخل بعض عناصرها للتدريب العسكري في الخارج[6]. وفي العام ١٩٨٣ يعقد "تنظيم بلاد الشام" مؤتمرًا داخليًا يحضره عدد من إخوان الداخل والخارج، ويقرر فيه المجتمعون تبني الجهاد في فلسطين، ونفي التعارض ما بين الجهاد وإقامة الدولة الإسلامية. ومن الناحية العملية قرر المؤتمر دعم كوادر الإخوان في الضفة والقطاع ماليًا، والاستعداد بالسلاح لأي ظرف مناسب لإطلاق المقاومة الإسلامية[7]. وبالفعل ترسل قيادة الخارج إلى الشيخ أحمد ياسين المال لشراء السلاح وتشكيل الجهاز

---

[1]. محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين**، مصدر سابق، ص١٦٥- ١٦٦.

[2]. خالد نمر أبو العمرين، **حماس حركة المقاومة الإسلامية: جذورها نشأتها فكرها السياسي**، مصدر سابق، ص١٥٣.

[3]. المصدر السابق.

[4]. خالد مشعل في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة ٢، صحيفة الحياة، ٢٠١٣/١٢/٥.

[5]. المصدر السابق.

[6]. محسن محمد صالح، "حركة المقاومة الإسلامية (حماس): قراءة في رصيد التجربة"، في: **حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة**، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٤): ص٢٣- ٦٠.

[7]. . إبراهيم غوشة، **المئذنة الحمراء: سيرة خاصة**، مصدر سابق، ص١٥٥- ١٥٦

العسكري، وهو الأمر الذي تم إلى أن اعتقل الشيخ أحمد ياسين في العام ١٩٨٤[1]، واستمر العمل بعد ذلك بين الداخل والخارج في التحضير لإطلاق مقاومة الإخوان المسلمين الخاصة في فلسطين، حتى إذا اجتمع المكتب الإداري للجماعة في الداخل، ضامًا قيادات من الضفة وغزة، بتاريخ ٢٣ تشرين أول ١٩٨٧ في بلدة دورا في الخليل، اتخذ القرار بالاستعجال في تأسيس المقاومة الإسلامية في فلسطين، على أن تعمل كل مدينة بالطريقة التي تراها مناسبة[2].

في ٨ كانون أول ١٩٨٧، وعلى حدود قطاع غزة مع الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨؛ يقوم سائق "شاحنة إسرائيلية" بدهس عدد من العمال الفلسطينيين، وعلى إثر ذلك تشتعل المظاهرات العارمة في قطاع غزة، وتتخذ قيادة الإخوان داخل القطاع قرار المشاركة في تلك التظاهرات، وتظهر حركة المقاومة الإسلامية "حماس" للوجود لأول مرة[3].

ب. الجماعة الإسلامية في السجون

قليلة هي الدراسات التي تأتي على ذكر "الجماعة الإسلامية" داخل السجون الصهيونية كلحظة تأسيسية في تاريخ الحركة الإسلامية الفلسطينية من بين لحظات أخرى عديدة ومتراكمة، بالرغم من أن هذا الكيان، أي الجماعة الإسلامية، هو التعبير الأول عن الوجود الإسلامي داخل السجون الصهيونية، وهو الحاضنة الأولى للمقاومين الذين اختاروا الانحياز للمرجعية الإسلامية، أو وجدوا في مثل هذا الكيان حلاً لتناقضاتهم مع فصائلهم التي كانوا ينتمون إليها ويعيشون في إطارها داخل السجون الصهيونية.

يقوم المعتقلون من التنظيمات الفلسطينية بتنظيم أنفسهم داخل السجون الصهيونية على أساس من انتماءاتهم التنظيمية خارج السجن، وعلى هذا الأساس تتحدد البرامج الإدارية والثقافية ونمط الحياة اليومي، وحتى بداية السبعينيات من القرن الماضي لم يكن ثمة وجود إسلامي داخل السجون الصهيونية كنتيجة طبيعية لغياب الإسلاميين عن ميدان المقاومة. وكانت المفارقة أن هذا التعبير الإسلامي المبكر عن المقاومة لم يصدر عن أي من الاتجاهات الإسلامية التي كانت قائمة في ذلك الوقت، وإنما بدأ يتشكل من مجموع مبادرات فردية لمناضلين لم يستطيعوا التوفيق بين تدينهم ونمط الحياة اليومي لدى الفصائل الفلسطينية التي يعيشون في إطارها داخل السجون.

نجمت معاناة هؤلاء المناضلين عن شعورهم بالاغتراب في الأجواء الاعتقالية السائدة في ذلك الوقت، كما يشرح محمد أبو طير[4] أحد مؤسسي الجماعة الإسلامية، حينما دخل سجن الرملة في العام ١٩٧٤: "عجيبة، تلك المرحلة فقد كان فيها الفكر الماركسي طاغيًا،

---

[1]. خالد مشعل في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة ٢، مصدر سابق.

[2]. . عدنان مسودي، **إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس**، تحرير: بلال محمد، مصدر سابق، ص٩٧– ٩٨.

[3]. محسن محمد صالح، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين**، مصدر سابق، ص١٦٩.

[4]. الشيخ محمد أبو طير، كان أحد الكوادر العسكرية لفتح، خرج من قريته "إم طوبا" في القدس إلى بيروت ودمشق واتصل بفتح هناك وتدريب في معسكراتها ثم عاد إلى القدس، اعتقل في العام ١٩٧٤، ويعتبر من مؤسسي الجماعة الإسلامية في السجون، ثم بعد ذلك من قيادات حركة حماس العسكرية. وأخيرًا أصبح نائبًا في المجلس التشريعي عن حركة حماس في القدس.

وكانت (فتح) بعلمانيتها مهزومة أمامه، وإن لم يكن في المقابل عقيدة تبدد هذا الوهم، فالوقتُ حليف الفكر الماركسي وأصحابه، أما العلمانية، فهي قنطرة لهؤلاء الملاحدة، و(فتح) كانت مخترقة بالفكر الماركسي، فيها شباب تدربوا في الصين وفي الدول الاشتراكية، وكُتُب إنجلز وماركس ولينين، تعج بها مكتبة السجن، ويقرأها الثوار قبل أن تقرأها شعوب الاتحاد السوفييتي، وعند كل فصيل مكتبة خاصة به، وأما القيِّم على المكتبة العامة فمناضل ماركسي، ويتدخل في الكتاب الذي يريده القارىء... وكان في غرفتي هذه عمر القاسم، عضو المكتب السياسي (للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين)، وكان عبد اللطيف غيث مسؤول (الجبهة الشعبية) في القدس، وكان يتفنن بالسخرية من كل شيء يرتبط بالدين.[1]"

ولم يكن محض الاختلاف الفكري، أو السخرية على قسوتها، هي السبب الوحيد في معاناة المعتقلين المتدينين في ذلك الوقت، ولكن نمط الحياة اليومي كان متناقضًا للغاية بما لا يمكن حله كما يضيف محمد أبو طير: "الغرفة الأولى التي نزلت بها عند وصولي إلى «سجن الرملة»، لم تكن مريحة أبدًا، تريد أن تباشر عبادتك، أن تقوم للوضوء صباحًا، والقوم لا يصلون وأية حركة تزعجهم، تريد أن تجهر بالصلاة صباحًا مشكلة، غربة للدين ما مثلها غربة، وكيف تكون الحال والرجل يعيّر بصلاته وصيامه كما تُعير العاهرة؟ ولقد والله عُيرنا بهذا، وصبرنا كما يقولون صبر الخشب تحت المناشير"[2].

إلا أن محمد أبو طير لم يقرر الانفصال إلا بعد أن قرأ كتاب "معالم في الطريق" لسيد قطب، وبعد أن يئس من فتح بسبب "تناقضاتها ومناكفاتها وعدم قبولها للغير"، ولأنها كانت "واجهة يختبئ خلفها اليسار في السجن في تنفيذ سياساته"، إلا أن أبو طير لم يكن هو المؤسس الأول للجماعة الإسلامية في السجون فقد سبقه إلى هذه الخطوة عدد من منتسبي "قوات التحرير الشعبية" المنبثقة عن "جيش التحرير الفلسطيني" وفي طليعتهم جبر عمار، بالإضافة إلى آخرين أبرزهم حافظ القموني من الجبهة الشعبية– القيادة العامة، وصبحي الوحوش الذي كان قائدًا عسكريًا لمنطقة جنوب الضفة الغربية في حركة فتح، وقد غلبت عليهم النزعة التكفيرية في بداياتهم، وظل حالهم كذلك إلى أن انتقل إليهم محمد أبو طير في العام ١٩٨٠، ثم جاءتهم مجموعات الإخوان المسلمين العسكرية الأولى في العام ١٩٨٤، وفيها الشيخ أحمد ياسين وإبراهيم المقادمة وعبد الرحمن تمراز[3].

وهكذا كانت الجماعة الإسلامية نتاج مبادرات فردية، لكل منها قصة مختلفة في كل سجن، وضمت المتدينين المنسحبين من فصائلهم، واستقبلت مجموعات الإسلاميين الأولى والتي تطورت فيما بعد إلى كل من حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وحركة الجهاد الإسلامي، واستمر هذا الكيان جامعًا للإسلاميين في السجون باتجاهاتهم الفكرية المختلفة أكثر من عقدين من الزمان، عانوا فيها أشكالاً من الحصار والتضييق من قبل فصائل منظمة التحرير التي لم تعترف بهم كيانًا مستقلاً.

---

[1]. محمد أبو طير، **سيدي عمر: ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة وثلاثين عامًا من الاعتقال**، تحرير: بلال محمد، نص غير منشور.

[2]. المصدر السابق.

[3]. محسن ثابت، **نشأة الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال الإسرائيلي**، ([د.م]: [د.ن]، [د.ت]): ص٢-٩.

ولأن الجماعة الإسلامية لم تكن ظاهرة حركية، وإنما تجمعًا عامًا للإسلاميين داخل السجون باتجاهات مختلفة، فقد قدمت للحركات الإسلامية فيما بعد عددًا من الكوادر القيادية التنظيمية والعسكرية، فإذا كانت قد استقبلت المعتقلين الإسلاميين الأوائل، من أسرة الجهاد، ومجموعة الشيخ أحمد ياسين، ومجموعة فتحي الشقاقي، فإنها فيما بعد أمدت كلاً من حماس والجهاد الإسلامي بكوادر قيادية وعسكرية هامة، مثل محمد أبو طير ونصر جرار[1] وأحمد الجعبري[2]، وأما حركة الجهاد الإسلامي فيمكن ملاحظة الأثر الهام للجماعة الإسلامية بالنظر إلى المجموعة العسكرية الأولى للجهاد والتي تكونت من ١٩ شخصًا منهم فقط واحد من الجهاد الإسلامي والبقية جاؤوا من خلفيات تنظيمية سابقة مختلفة[3].

ج. من الطلائع الإسلامية في مصر إلى الجهاد الإسلامي في فلسطين

مرّ فتحي الشقاقي مؤسس "حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين" في عدد من محطات التحول الهامة، والدالة في الوقت في نفسه، على مستوى التحولات الفلسطينية وعلى مستوى التحولات العربية، وعلى العوامل المتضافرة التي ساهمت في خلق تحولات كبرى، ويمكن ترتيب المحطات التي عبرها الشقاقي بالعوامل المؤثرة فيها، على النحو التالي:

التحول عن الناصرية

شكلت هزيمة العام ١٩٦٧ مفصلاً تاريخيًا هامًا لجيل كامل في المنطقة العربية كلها من أقصى شرقها إلى أقصى غربها، ومن النادر ألا تحضر هذه الهزيمة كعامل في التحولات التي غطت هذا الجيل، فهي حاضرة في أكثر سرديات التحول في فلسطين وسوريا ومصر وتونس والجزائر، وغيرها من البلاد العربية. هذا الجيل لم يصطدم بالنتيجة المتعارضة مع الدعاية الناصرية التي خلقت آملاً عريضة فحسب، وإنما عجز عن اكتشاف الإجابات لدى الناصرية حول الهزيمة، ولأن هزيمة ثقيلة من هذا النوع ستفتح آفاقًا واسعة للسؤال عن الذات بين الحاضر والماضي، بين هزيمة اليوم وانتصارات الأمس، عن الذات والهوية، فإن انتقالات فتحي الشقاقي بدأت تتجه نحو الإسلام، بفعل من هزيمة العام ١٩٦٧، والتي كانت، بحسب الشقاقي: "تحولاً دراماتيكيًا مذهلاً جمَّد كل شيء في مكانه لتصحو أمتنا على نعي مرحلة بأكملها.. نهاية قاسية قادت إليها مرحلة طويلة من التبديد والضياع."[4]، فالشقاقي يرى أن يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ هو اليوم

---

[1]. أحد القادة العسكريين لحماس في الضفة الغربية، كان قد أسس الجماعة الإسلامية في سجن جنين، واستشهد بتاريخ ١٤ آب ٢٠٠٢.

[2]. انتقل من حركة فتح إلى الجماعة الإسلامية داخل السجن، وأصبح قائدًا عسكريًا للجناح العسكري لحركة حماس، واستشهد بتاريخ ١٤ تشرين ثاني ٢٠١٢.

[3]. أنور أبو طه، **حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: الأصول– الإيديولوجيا– التحولات**، رسالة ماجستير غير متشورة، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٨.

[4]. عز الدين إبراهيم، "التاريخ لماذا؟"، *مجلة الطليعة الإسلامية*، العدد ١١، (نوفمبر ١٩٨٣): ص٥٨– ٦٨. علمًا بأن عز الدين إبراهيم هو اسم مستعار استخدمه الشقاقي في كتابة هذه الدراسة، والمنشورة أيضًا من ضمن أعماله كامله في رحلة الدم الذي هزم اسيف، انظر: رفعت سيد أحمد، رحلة الدم الذي هزم السيف، مصد سابق، ج١، ص٣١٨– ٣٣٠. ورجع الباحث للدراسة في الموضعين.

الذي ألقت فيه "ظاهرة الصحوة الإسلامية والعودة إلى الله" بذرتها، لتسقط "أشياء كثيرة إن لم نقل كل شيء، ولم نجد مع الأمة سوى الله كمخرج من الأزمة ولتحقيق التوازن النفسي، والانطلاق نحو آفاق أرحب على أسس أكثر رسوخًا ومتانة."[1].

تأثر الشقاقي هذه المرة بكتابات محمد الغزالي وسيد قطب، وبالتحديد كتاب "معالم في الطرق" لسيد قطب، فقد كان واحدًا "من أخطر الكتب الإسلامية في القرن الأخير، كان ولا يزال وسيبقي إلى فترة طويلة من أشد الكتب تأثيرًا على مسيرة الحركة الإسلامية في هذه المنطقة. إنه الكتاب الذي قتل رجلاً كتبه، وأحيا جيلا تربي عليه.. إنَّه «معالم في الطريق» آخر ما كتب الإمام الشهيد [سيد قطب].. في منتصف الستينات كانت العلمانية في الوطن الإسلامي تصل إلى ذروة طغيانها وجبروتها، بل إن واحدًا من أهم رموزها "عبد الناصر" كاد.. بل توج فعلاً كنصف إله.. في هذا الوقت بالذات كان الإمام الشهيد سيد قطب يفتح كتابه "معالم الطريق" معلناً إفلاس كل من الديموقراطية الغربية والاشتراكية الماركسية التي تراجعت كأيديولوجية وانحصرت في الدولة وأنظمتها، كان يعلن إفلاس هذه الأنظمة وإفلاس «الوطنية» و«القومية» أو العلمانية التي صدرها الغرب إلى الوطن الإسلامي.. وكان إعلان الإفلاس هو طريق البداية.. بداية رؤية جديدة وقيادة جديدة للبشرية"[2]، هكذا بالضبط وصف فتحي الشقاقي تأثير كتاب سيد قطب في جيله، فإذا كانت هزيمة العام ١٩٦٧ حاضرة في تحولات هذا الجيل، فإن كتابات سيد قطب، وهذا الكتاب منها بالذات، حاضر في أكثر سرديات التحول، ولسوف يجده الباحث في سرديات الجزائريين والتونسيين والمصريين والسوريين والفلسطينيين، بل والإيرانيين كما سيأتي، وقد كان عاملاً هامًا أيضًا في إيجاد الجماعة الإسلامية في السجون الصهيونية من العدم.

في الإخوان المسلمين

في العام ١٩٦٨ التحق الشقاقي بجماعة الإخوان المسلمين[3] في غزة بترتيب مع الشيخ أحمد ياسين، محاولاً استلهام تجربة حسن البنا، الذي طرح الإسلام، بحسب ما يرى الشقاقي، "بكل شموله، شريعة تنظم كل جوانب الحياة من اقتصاد وسياسة واجتماع بالإضافة إلى كونه عقيدة وعبادة، وخلال عشرين عامًا استطاع الإمام أن يبعث هذه الأمة من تحت الركام، وأن يطور مفاهيم الحركة خلال هذه

---

[1]. رفعت سيد أحمد، **رحلة الدم الذي هزم السبف: الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي**، (القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩٧): ج٢، ص١١٣٩. نقلاً عن حوار أجرته صحيفة الشرق الأوسط في لندن مع الشقاقي بتاريخ ١٩٩٥/٣/١٧.

[2]. رفعت السيد أحمد: **رحلة الدم الذي هزم السبف: الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي**، مصد سابق، ج١: ص٢٣٥، ٢٣٦، وهي دراسة للشقاقي بعنوان "معالم في الطرق للشهيد سيد قطب"، كانت قد نشرت في مجلة المختار الإسلامي، العدد ٢٢، نيسان ١٩٨١.

[3]. تؤكد مصادر الجهاد الإسلامي المتعددة انضمام الشقاقي إلى جماعة الإخوان المسلمين، بما في ذلك الشقاقي نفسه الذي يقول: "في سن مبكرة عملت مع «الإخوان المسلمين» قبل مصر وفي مصر". انظر: رفعت سيد أحمد، **رحلة الدم الذي هزم السبف: الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي**، ج٢، ص١١٣٣، نقلاً عن حوار أجرته صحيفة الوسط في لندن مع الشقاقي، في ١٩٩٥/١/٣٠. وهذا ما يؤكده الأمين العام الحالي للجهاد الإسلامي، رمضان عبد الله شلح: "الشقاقي كان عضوًا في «الإخوان المسلمين» الفلسطينية فهو ينتمي إلى الحركة الإسلامية ويتبنى الفكر الإسلامي الحركي. لكن الشقاقي كان يحمل رؤية متجاوزة لواقع الإخوان في كثير من القضايا أهمها الموقف من القضية الفلسطينية."، انظر: رمضان عبد الله شلح في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة ٤، صحيفة الحياة، ٢٠٠٣/١/١٠. ويؤكد ذلك أيضًا عدد من الدراسات الأكاديمية، مثل: أنور أبو طه، **حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: الأصول– الإيديولوجيا– التحولات**، مصدر سابق، وبشير نافع، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠–١٩٨٠**، مصد سابق، ص٢٥. وخالد علي زواوي، **مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين**، (رام الله: مواطن– المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠١٢): ص١٥٠–١٥١. بيد أن رفعت سيد أحمد في مقدمته لأعمال الشقاقي الكاملة، يدعي بأن الشقاقي تأثر بالإخوان المسلمين دون أن يندمج معهم. انظر: رفعت سيد أحمد، **رحلة الدم الذي هزم السبف: الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي**، ج١، مصدر سابق، ص٥١.

الفترة بتسارع ثوري متقدم."[1]، ومن ثم جاء جيل الوعي والثورة من بعد العام ١٩٦٧، ليتجاوز "مرحلة المحنة والتردد، وسيتقدم بعملية البعث إلى نهاياتها المنطقية مستلهمًا في المنطقة العربية بالذات تجربة الإمام الشهيد حسن البنا، ويقدم أطروحة الوعي والثورة والشهادة"[2].

بعد ذلك يتوجه الشقاقي للدراسة في كلية بيرزيت بالضفة الغربية، قبل تحولها إلى جامعة، ليعمل بعد تخرجه في القدس مدرسًا لمادة الرياضيات، وفي فترة دراسته وعمله، يتعرض بقوة للسؤال الوطني، وإلى موقع الحركة الإسلامية من القضية الفلسطينية، بالإضافة إلى السجال الفكري مع القوى اليسارية المهيمنة في ذلك الوقت على المجال السياسي ولا سيما الطلابي منه. لقد بسطت تلك العوامل للشقاقي آفاقًا ثقافية غنية، أتاحت له أن يقرأ شكسبير ودوستويفسكي وتشيكوف وسارتر وإليوت ونجيب محفوظ وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور، وجمال الدين الأفغاني وحسن البنا وباقر الصدر وسيد قطب، إضافة إلى علوم إسلامية متفرقة ومعارف إنسانية وتاريخية. ويبدو أن اطلاع الشقاقي المتقدم ثقافيًا على زملائه الإسلاميين كان مبكرًا أكثر من ذلك، حيث كتب ملاحظات نقدية على سارتر وهو في السابعة عشرة، ومقالاً عن لينين في الذكرى المئوية لميلاده وهو في التاسعة عشرة[3].

في قلب التحولات المصرية

أثناء تدريسه في القدس، أعاد الشقاقي دراسة الثانوية العامة الأمر الذي أهله للدخول في كلية الطب في جامعة الزقازيق في مصر عام ١٩٧٤. وهذه المرحلة هي الأهم والأخطر في حياة الشقاقي، والتربة التي انغرست فيها البذرة الأولى لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

جاء الشقاقي إلى مصر في وقت كان فيه الإسلاميون في الطريق إلى ذروة صعودهم الجديد، بواسطة الجماعة الإسلامية في الجامعات المصرية، وبخروج الإخوان المسلمين من السجون، وبداية ظهور الجماعات الجهادية. وفي هذه الأجواء ظلّ الشقاقي ناشطًا داخل جماعة الإخوان المسلمين فترة من الزمن، إلا أن جملة من العوامل ستدفع به إلى تجاوزهم، فهو في الأساس ينطوي على معرفة متجاوزة للثقافي السائد في صفوف الإخوان، ووعيًا ثوريًا مبكرًا كان يلحُّ بالأسئلة على جماعة الإخوان المسلمين في غزة، ثم تهيأت للشقاقي ظروف موضوعية بالغة التأثير، فبالإضافة إلى الجماعات الجهادية التي ربطته علاقات بها، وجد نفسه منحازًا إلى خطها الجهادي في مقابل الخط الإصلاحي للإخوان، وبالإضافة إلى العامل الحاسم المتمثل بالثورة الإيرانية؛ كان لكتيب صغير، عنوانه"ما بعد النكتبين" دور الرافعة الفكرية التي دفعت بحوارات الشقاقي مع زملائه الذين شكلوا النواة الأولى لتنظيم الجهاد الإسلامي إلى مستوى جديد[4]، فمن

---

[1]. . عز الدين إبراهيم، "التاريخ لماذا؟"، مصدر سابق.

[2]. المصدر السابق.

[3]. رفعت سيد أحمد، **رحلة الدم الذي هزم السيف: الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي**، مصدر سابق، ج٢، ص١١٣٩- ١١٤٠.

[4]. بشير نافع، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠-١٩٨٠**، مصدر سابق، ص٣١.

هذا الكتيب الذي قال "إن فلسطين هي قضية الإسلام والحركة الإسلامية الأولى، وأن مصيرها ومصيرهما مترابطان متلازمان"[1]، ستنفتح للشقاقي مقولته المركزية التي ميزت حركته فيما بعد، وجعلت منها فتحًا بالنسبة للحركة الإسلامية الفلسطينية.

هذا الكتاب ألفه مفكر سوري من أصل جزائري، درس الفلسفة في ألمانيا، ولا يعرف له كثير إنتاج، سوى بحث نشره في العدد الافتتاحي لمجلة المسلم المعاصر بعنوان "الخصائص الثابة اللازمة والخصائص المكتسبة للحركة الإسلامية"[2]، وكتابه "ما بعد النكبتين"، والذي نشر أول مرة في العام ١٩٦٧، ثم حول الشقاقي عنوانه إلى "الحل الإسلامي ما بعد النكبتين" لما أعاد طباعته[3].

يعتبر الطيب في كتابه هذا أن سقوط القدس في ٥ حزيران ١٩٦٧ أخطر من سقوط القدس على يد الصليبيين، لأن الصليبيين كانوا دون العرب والمسلمين حضارة فتراجعوا، وأخطر من سقوط قرطبة، لأن سقوط قرطبة طعنة في الجناح بينما سقوط القدس طعنة في القلب، وأخطر من سقوط بغداد على يد التتار لأن التتار كالصليبيين إما أن يذوبوا في حضارة الإسلام الغالبة أو يتراجعوا[4].

إن مدار كتاب الطيب كله على افتراض أن نكبة العام ١٩٤٨ كانت نكبة للفكر العربي الليبرالي، وأن هزيمة العام ١٩٦٧ كانت هزيمة للفكر الاشتراكي الثوري[5]، فإذا كانت النكبة الأولى قد نبهت العرب على الخطر الذي يهدد وجودهم كشعب ففتحت عيونهم على "حتمية الوحدة العربية"، فإن النكبة الثانية نبهتهم إلى الخطر الذي يهدد استمراراهم التاريخي كثقافة ففتحت عيونهم على حتمية "الحل الإسلامي"[6]، ولذلك فإن الوجود الصهيوني في قلب العالم الإسلامي، في فلسطين التي هي نواته المغناطيسية، يمثل أوج التحدي الغربي والسياسي والثقافي للعالم الإسلامي والحضارة الإسلامية، وهو ما يجعل قضية فلسطين، قضية المسلمين والإسلام الأولى في العصر الحديث[7]. وهكذا بدا للشقاقي وكأنه قد امتلك أداة التحليل[8]، والمقولة المميزة، التي يؤسس عليها وجوده الخاص[9].

---

[1]. توفيق الطيب، **الحل الإسلامي ما بعد النكبتين**، (القاهرة: المختار الإسلامي، ١٩٧٩): ص٨.

[2]. توفيق الطيب، "الخصائص الثابتة اللازمة والخصائص المكتسبة للحركة الإسلامية"، *مجلة المسلم المعاصر*، العدد الافتتاحي، (كانون ثاني ١٩٧٤): ص٨٦- ١٠٤. وهذه الدراسة كانت أيضًا مما استند إليه الشقاقي في مرحلته الفكرية التأسيسية في مصر، كما في دراسته "معالم في الطريق للشهيد سيد قطب" في مجلة المختار الإسلامي، العدد ٢٢، نيسان ١٩٨١، والمجموعة إلى أعماله الكاملة، في **رحلة الدم الذي هزم السيف**، مصد سابق، ج١: ص٢٣٥، ٢٥٧. وكذلك في دراسته الموسومة بـ "التاريخ لماذا؟"، والمنشورة في مجلة الطليعة الإسلامية، العدد ١١، (نوفمبر ١٩٨٣): ص٥٨- ٦٨. والمجموعة أيضًا إلى أعماله الكاملة في رحلة الدم الذي هزم اسيف، مصد سابق، ج١، ص٣١٨- ٣٣٠. وتجدر الإشارة هنا إلى تأثر الشقاقي في هذه المرحلة بمالك بن نبي الذي اعتبره الجناح الآخر للحركة الإسلامية إلى جانب سيد قطب، كما في دراسته "معالم في الطريق للشهيد سيد قطب"، بالإضافة إلى علي شريعتي الذي اعتبره الضلع المكمل في المثلث، كما يقول في نفس الدراسة: "وسيد قطب واحد من ثلاثة مفكرين يشكّلون مثلثا خيّراً في الفكر الإسلامي الحديث في النصف الثاني للقرن العشرين.. الآخران هما المفكر الجزائري المسلم مالك بن نبي والدكتور الشهيد علي شريعتي مفكر الثورة الإيرانية الفذ".

[3]. خالد علي زواوي، **مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين**، مصدر سابق، ١٥٥.

[4]. توفيق الطيب، **الحل الإسلامي ما بعد النكبتين**، مصدر سابق، ص٥-٦.

[5]. المصدر السابق، ص١٠.

[6]. المصدر السابق، ص٢٥.

[7]. المصدر السابق، ص٢٩- ٣٠.

[8]. بشير نافع، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠-١٩٨٠**، مصدر سابق، ص٣١.

[9]. تجدر الإشارة هنا، ووصلاً بموضوع الدراسة الأصلي، أن هذه الرؤية تتفق في جانب منها مع رؤية منير شفيق المبكرة، وأثناء مرحلته الماركسية، من حيث إن النفوذ الاستعماري الغربي يتركز في فلسطين، وأن تصفيته في فلسطين تعني تصفيته من المنطقة وربما العالم، بينما تصفيته من أي قطر عربي لا تعني أبدًا تصفيته من المنطقة والعالم، ومن هنا تأتي أهمية شعار "تحرير

استمر الشقاقي عضوًا ناشطًا في جماعة الإخوان المسلمين، بالرغم من خلافه معهم وانجذابه إلى الأطروحات الجهادية في الأوساط المصرية في ذلك الوقت[1]، إلى أن جاءت الثورة الإيرانية، التي شكلت عاملاً حاسمًا في مستقبله وفي بناء حركة الجهاد الإسلامي، فقد كان تفاعله معها فوريًا حينما نشر كتابه "الخميني: الحل الإسلامي والبديل"[2]، متزامنًا تقريبًا مع وصول الخميني إلى طهران، وقد أدى ذلك إلى اعتقاله ليؤسس تنظيمه الخاص الذي سماه "الطلائع الإسلامية" محتفظًا بعضويته الشخصية في الوقت نفسه في جماعة الإخوان المسلمين[3].

خرج الشقاقي بعد ذلك من جماعة الإخوان المسلمين، بقرار من الجماعة نفسها التي رأت في نشاطه المتماهي مع الثورة الإيرانية، والمتقاطع مع نشاط الجماعات الجهادية، خطرًا أمنيًا عليها، فضلاً عن إزعاجه السياسي والفكري لها[4]. وكان قد جعل من مجلة المختار الإسلامي في هذه الفترة منبرًا له، يعاونه أحمد صادق[5] في وضع الأطر الفكرية والسياسية للتنظيم الإسلامي الوليد.

الجهاد الإسلامي في فلسطين

بعد العام ١٩٨١، يخرج الشقاقي من مصر متخفيًا، على خلفية مقتل السادات، ويبدأ من هذه اللحظة، مع زملائه الذين عداوا من الجامعات المصرية في وضع اللبنات الأولى لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، بواسطة النشاط السياسي والفكري والتعبوي بكافة الأدوات المتاحة في هذا المجال من المساجد والمدارس والجامعات والمجلات والكراسات والكتب والتظاهرات والمعسكرات الصيفية

فلسطين طريق الوحدة العربية"، وحل التناقض ما بين مشروع الوحدة العربية وبين تحرير فلسطين. الفارق بين أطروحة منير شفيق هذه وبين أطروحة توفيق الطيب متعلقة بالشق الإيديولوجي، أي ملاحظة ضرورة الحل الإسلامي لتحرير فلسطين.

[1]. يقر الأمين العام الحالي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، رمضان الله عبد الله شيح، بأن الشقاقي ربطته علاقات بهذه الجماعات إلى حين استشهاده، وأن هذه العلاقة لم تكن محل إجماع قبل استشهاد الشقاقي، وهو يؤكد ذلك بقوله: "بالنسبة إلى "«الجهاد» المصري أو الجماعة الإسلامية سواء في مصر أو الجزائر أو غيره، نعم هناك علاقات كان هدفها التناصح مع هؤلاء الأخوة ولكن بعد ذلك انقطعت. بعد استشهاد الدكتور فتحي الشقاقي. لأن المراجعات التي أجراها الأخوة في هذه الجماعات في مصر عام ٢٠٠٢ نحن سبقناهم إليها منذ سنوات، وإن كانت بالنسبة إلينا ليست مراجعات لأننا لم نكن نؤمن بنهجهم في ممارسة العنف داخل البيت، ولكن المراجعة عندنا كانت حول جدوى استمرار التواصل معهم .لأننا حتى قبل استشهاد الدكتور فتحي هناك من كان يعترض على هذه العلاقة أو يشعر بعدم جدواها." انظر: رمضان عبد الله شلح في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة ٣، صحيفة الحياة، ٢٠٠٣/١/٩. والشقاقي نفسه يجيب حول العلاقة مع تنظيم الجهاد في مصر قائلاً: "الجهاد في كل من مصر وفلسطين ولبنان حركات مستقلة على مستوى التنظيم على الأقل، تربطنا ببعضهم علاقات الأخوة والمودة واللقاء على ضرورة انتصار الإسلام وضرورة الثورة ضد الظلم والطاغوت وضد الإمبريالية والصهيونية، الحركة الإسلامية الثورية تحكمها فلسفة واحدة وإن تعددت فصائلها". انظر: رفعت سيد أحمد، **رحلة الدم الذي هزم السيف**، مصدر سابق، ج٢، ص٧٣٠. ويفصل أنور أبو طه في دراسته الموسومة بـ "حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: الأصول- الإيديولوجيا- التحولات"، حول هذه العلاقات التي وصلت حدًا أن يساهم الشقاقي في توحيد بعض تلك الجماعات، وحصول ترتيبات لاجتماع تنظيم الشقاقي بكل من عبود الزمر وعبد السلام فرج قادة تنظيم الجهاد الذث قام باغتيال السادات. وعن هذه العلاقات يشير محمد مورور، أحد أفراد تنظيم الطلائع من المصريين، بأنه كان مخالفًا للشقاقي في إقامة الصلات مع تلك الجماعات، ولا سيما بعد دخولها في مواجهات عنف مع الدولة. انظر: محمد مورو، **الإسلام السياسي: شخصيات**، (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١١): ص١٤٩- ١٥٠. وعن تحولات فتحي الشقاقي، وحركة الجهاد الإسلامي عمومًا، انظر: خالد علي زواوي، **مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين**، مصدر سابق.

[2]. الكتاب منشور في الأعمال الكاملة للشقاقي، الموسومة بـ رحلة الدم الذي هزم السيف، مصد سابق، انظر: ج١، ص٤٧٥- ٥٣٥.

[3]. رمضان عبد الله شلح في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة ٤، مصدر سابق.

[4]. بشير نافع، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠-١٩٨٠**، ص٣٤. وإن كانت بعض المصادر الإخوانية التي زاملته في الفترة المصرية، قالت أن حماسة الشقاقي المفرطة للثورة الإيرانية، والتي وصلت حد المطالبة بالبيعة للخميني، كانت السبب الحاسم في إنهاء العلاقة، انظر: أحمد نوفل، برنامج مراجعات، حاوره: عزام التميمي، الحلقة ٣، والمادة منشورة على موقع youtube بتاريخ ٢٠١٠/١/١٨، واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠. https://www.youtube.com/watch?v=sBOSnrdpJLY

[5]. أحمد صادق اسم مستعار لأحد رفاق الشقاقي في مراحل البناء الأولى، ويعد من أهم مفكري تلك المرحلة.

والمهرجانات في المسجد الأقصى، والمشاركة في الانتخابات الطلابية في الجامعات، مطلقين على أنفسهم "التيار الإسلامي الثوري"، وعلى كتلتهم النقابية في الجامعات "الإسلاميون المستقلون" ثم "الجماعة الإسلامية"[1]، دون اهتمام بتأسيس المؤسسات السياسية والاجتماعية، وبهذا يكون "التيار الثوري" قد "دخل عنصرًا ديناميًا جديدًا على خارطة القوى السياسية، مبشررًا بأيديولوجيا دينية تحمل المسألة الوطنية وتؤكد مركزيتها فكريًا وبرامجيًا، منتقدة بشدة كلا التيارين الوطني والإسلامي التقليدي، مستفزة كلا التيارين لاستجماع حججهما على صحة نهيجهما، مقابل نهج التشكيك «الإسلامي الثوري» الحاد الذي اتبعه التيار «الجهادي» الجديد"[2].

منذ مطلع العام ١٩٨٣ دخل التيار الثوري طورًا جديدًا بإصداره "مجلة الطليعة الإسلامية"[3]، ولأن هذه المجلة شكلت نشاطًا مركزيًا للتنظيم وساهمت بشكل أساسي في صياغة أفكاره وربط قواعده بقياداته ومنظيره، فقد أطلق على التنظيم في هذه المرحلة اسم "الطليعة الإسلامية"، إلى أن اعتقل الشقاقي مع عدد كبير من أعضاء التنظيم في العام ١٩٨٣، ليدخل التنظيم مرحلة جديدة بالتحاق الشقاقي بالجماعة الإسلامية داخل السجون، وقد كانت له صلات سابقة بها بواسطة مجلات "المختار الإسلامي"، ثم "الطليعة الإسلامية" التي كانت تهرب إلى داخل السجون، فبعد اعتقال الشقاقي وإقامته علاقات مع بعض أعضاء الجماعة الإسلامية سيتحول بعضهم إلى تنظيم الشقاقي مشكلاً الأنوية العسكرية الأولى لحركة الجهاد الإسلامي[4]، بينما ستكون علاقته بـ "سرايا الجهاد الإسلامي" التي أسسها منير شفيق وأبو حسن قاسم وحمدي التميمي عاملاً آخر في إسناد تنظيمه وإطلاق المقاومة الإسلامية في فلسطين[5].

بعد خروج الشقاقي من السجن، سيبدأ العمل العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، وتحديدًا منذ العام ١٩٨٦، والذي يمكن اعتباره البداية الفعلية للعمل العسكري لتنظيم الشقاقي، ليعاد اعتقال الشقاقي في ٢ آذار ١٩٨٦، ويحكم بأربع سنوات بتهمة تهريب السلاح إلى غزة والتحريض على العنف، وقد كشفت التحقيقات عن ٨ عمليات نفذها التنظيم منذ العام ١٩٨٤ وإلى حين اعتقال

---

[1]. شهدت هذه الفترة صراعًا حادًا بين جماعة الإخوان المسلمين والتيار الجديد وخاصة في الجامعة الإسلامية في غزة.

[2]. أنور أبو طه، مصدر سابق.

[3]. صدر عددها التجريبي في كانون أول ١٩٨٢، والأول في كانون ثاني ١٩٨٣، عن "المركز الاسلامي للدراسات والنشر" في لندن، والذي أصدر منها ٣٠ عددًا، ثم صدر عددان بعد ذلك عن "شركة الجذور للطباعة والنشر" بنيقوسيا بقبرص، ثم توقفت عن الصدور. وبالنظر إلى موضوعات المجلة تتضح طبيعة التأطير الإيديولوجي الأولى للتنظيم، ويمكن اختصار موضوعات المجلة في الاهتمامات التالية: قضايا المسلمين والإسلاميين في العالم، نقد الماركسيين العرب، القضية الأفغانية، الثورة الإيرانية، خالد الإسلامبولي واغتيال السادات، التغريب والتبشير، حسن البنا، سيد قطب، القضية الفلسطينية.

[4]. يتحدث محمد أبو طير عن عملية الفرز التي حصلت داخل الجماعة الإسلامية في السجون بين تيار الإخوان المسلمين وبين مجموعة الشقاقي "وفي «سجن عسقلان» بقيت (الجماعة الإسلامية) متماسكة، ويغلب عليها فكر (الإخوان المسلمين)؛ لأنه لا يوجد في الساحة من هم أنضج منهم، وفرصتنا في الوصول إلى الصورة الناضجة، وإلى الحقيقة، من خلال قراءتنا لكتبهم، والاطلاع على تجربتهم، التي بذلوا من أجلها الدماء والأرواح في السجن. تعرفت على الأخ (عبد الحليم شهاب) وتبين لي أن له بيعة مع جماعة الإخوان، وشباب آخرين مثل (زهير الرنتيسي) و(جميل نوفل) وكنت أُنَظِّر لـ (جماعة الإخوان) قبل أن ألتحق بركبها، فمن يرى الحقيقة ويدير لها ظهره فهو أعمى، ولقد جاءني الأخ عبد الحليم وطلب مني البيعة (للإخوان)، وما ترددت، أعطيته إياها ومشيت، وكان في (الجماعة) إخوة لهم وجهة نظر أخرى، كانوا يرؤن في ثورة الخميني نموذجًا، وهم في طريق الإعداد لتشكيل (حركة الجهاد الإسلامي)، وكان الأخ أحمد مهنا من القرارة من غزة، يُنظِّر لهذا الاتجاه، ومن حوله إخوة كرام منهم الشهيد مصباح الصوري، والأخ المجاهد زياد نخاله، نائب الأمين العام لـ(حركة الجهاد الإسلامي) في الخارج، لكن بقليل من الحزم حافظنا على سلامة (الجماعة)." محمد أبو طير، **سيدي عمر: ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة وثلاثين عامًا من الاعتقال**، مصدر سابق. والأقواس من المصدر.

[5]. سيأتي الحديث عن ذلك.

الشقاقي[1]. إلا أن التعاون مع "سرايا الجهاد الإسلامي" سيعطي تنظيم الدكتور فتحي الشقاقي[2] دفعة جديدة مع عملية البراق التي نفذت في ١٥ تشرين أول ١٩٨٦.[3]

في ١٧ أيار ١٩٨٧، تمكن ستة من كوادر حركة "الجهاد الإسلامي" من الهروب من السجن المركزي بغزة، بقيادة مصباح الصوري ومحمد سعيد الجمل، لتستأنف المجموعة العسكرية نشاطها بعدد من العمليات منها قتل مستوطن صهيوني في ٢٥ أيار، وقتل قائد الشرطة العسكرية في لواء غزة في ٢ آب، وقد استشهد عناصر هذه المجموعة على مرحلتين، الأولى وقعت في ١ تشرين أول واستشهد فيها قائد المجموعة مصباح الصوري، والثانية في ٦ تشرين أول في اشتباك قتل فيه ضابط صهيوني[4]، وهكذا تستمر الأحداث إلى اشتعال الانتفاضة الفلسطينية الكبرى، وبعد ذلك وفي ١٧ آب ١٩٨٨ يقوم الاحتلال بإبعاد فتحي الشقاقي إلى خارج فلسطين.

ملاحظة حول تعدد حركات الجهاد الإسلامي في فلسطين

بعد العام ١٩٨٩ ظهرت عدة جهات تحمل اسم "حركة الجهاد الإسلامي"، وباستثناء "سرايا الجهاد الإسلامي"[5] التي ارتبط بها الشقاقي بعلاقة تعاون وثيقة ومعروفة، فإنه اتخذ تجاه المجموعات الأخرى التي حملت اسم حركته مواقف متعددة يجمعها عدم الاعتراف بتلك الجهات وإنكار دورها ووجودها في فلسطين، إذ يصفها تارة بأنها "بعض الشلل الهامشية هنا وهناك تنسب نفسها للجهاد أحيانًا على استحياء وأحيانًا بفجور ووقاحة"[6]، وتارة يصفها بأنها مجموعات هامشية وصغيرة، وظواهر عابرة، تأتي في سياق "دور قوى وأجهزة معادية عديدة ومحاولتها تمييع اسم الجهاد الإسلامي"[7]، وتارة يقول إنه لم يعرف في فلسطين إلا حركة جهاد إسلامي واحدة وهي حركته، وبعض تلك التسميات ظهرت بعد أن بدأ النظام الأردني في العام ١٩٨٩ يعطي نوعًا من الحريات الديمقراطية [8]، وتارة يقول إن بعض المجموعات التي حملت اسم الجهاد الإسلامي "لم تكن سوى حركات اخترعها ياسر عرفات من عنده.. بعد أن يئس من احتواء حركة الجهاد الإسلامي"[9].

والحقيقة أن ثمة رواية مسكوت عنها في مصادر الجهاد الإسلامي، تفيد بأن المجموعة الأولى التي اعتقلت على خلفية طعن طالب المدرسة اليهودية "أهرون غوس" في العام ١٩٨٣؛ تزامن اكتشافها واعتقالها مع اعتقال مجموعة الدكتور الشقاقي على خلفية توزيع مجلة الطليعة الإسلامية، وأن هذه المجموعة التي قامت بعملية الطعن سبق لها الاتصال قبل الاعتقال بالدكتور الشقاقي والشيخ عبد العزيز

---

[1]. أنور أبو طه، مصدر سابق.

[2]. لم يكن هذا التنظيم قد أخذ اسم الجهاد الإسلامي بعد.

[3]. سيأتي الحديث عن هذه العملية، وعن سرايا الجهاد الإسلامي.

[4]. أنور أبو طه، مصدر سابق.

[5]. يرجئ الباحث الحديث عن هذه التجربة إلى حين الوصول إلى تحولات الكتيبة الطلابية والتي انبثقت عنها هذه التجربة، لترتبط بعلاقة خاصة بجماعة الشقاقي، ثم تنفصل عنها لاحقًا.

[6]. رفعت السيد أحمد، **رحلة الدم الذي هزم السيف**، مصدر سابق، ج٢، ص٧٢٥. نقلاً عن حديث أجري مع الشقاقي في آب١٩٩٠.

[7]. المصدر السابق، ص٧٣٤، نقلاً عن حوار أجرته صحيفة اللواء اللبنانية مع الشقاقي في تشرين أول ١٩٩٠.

[8]. المصدر السابق، ص٧٦١، ٧٦٢، نقلاً عن حوار أجرته صحيفة المساء مع الشقاقي في كانون أول ١٩٩١.

[9]. المصدر السابق، ص١١٤٨، نقلاً عن حوار أجرته صحيفة الشرق الأوسط مع الشقاقي في آذار ١٩٩٥.

عودة[1]، لتنسيق الجهود، وظهر لها أن الدكتور الشقاقي معني فقط بالجانب السياسي والفكري والثقافي، فحصل اتفاق للتعاون في هذا المجال وحسب، إلا أن الشقاقي استخدم الاسم لاحقًا، فميزت المجموعة الأولى نفسها باسم "حركة الجهاد الإسلامي– بيت المقدس"، ونتيجة الاختلاف مع الشيخ أسعد بيوض التميمي[2] الذي كانت الحركة قد اختارته مرشدًا دينيًا لها، عادت المجموعة وميزت نفسها باسم "حركة الجهاد الإسلامي– كتائب الأقصى"[3]، وبقيت مجموعة الشقاقي باسم "حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين".

وقد اختلفت هذه المجموعات على عدة محطات في تاريخ الحركة ومسيرتها وعملياتها، إلا أنه لم يبق من هذا التاريخ كله سوى "حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين" التي قادها الدكتور الشقاقي. والراجح أن هذه المجموعات التقت ونسقت فيما بينها، وربما تداخلت في حالة اندماج هشة، إلا أن مجموعة الشقاقي كانت الأكثر حضورًا وتأثيرًا وقدرة على الاستمرار، بينما انتهت الحركات الأخرى تمامًا، وذاب عناصرها غالبًا في مجموعة الشقاقي.

وتأتي أهمية هذه المحاولة لفض الالتباس المتعلق بتأسيس حركة الجهاد الإسلامي، وبالمجموعات التي انتسبت إلى هذا الاسم، لإعطاء التاريخ حقه حين الحديث عن المجموعات الإسلامية الأولى في سياق التحولات الفلسطينية باتجاه الظاهرة الإسلامية.

٣. كلمة السر في إيران:

قبل انفجار الثورة الإسلامية في إيران في مطلع العام ١٩٧٨، لم تكن إيران على خارطة الإحياء الإسلامي السياسي[4]، فبالرغم من التحرك المستمر الذث قاده الفقهاء وأساتذة الحوزة العلمية منذ العام ١٩٦١ احتجاجًا على إجراءات الشاه التغريبية، وأنظمته المتعارضة مع ما استقر في القوانين والسياسات والأعراف الإيرانية، فإن النمط السياسي الذي حكم الحالة العلمائية داخل إيران عكس

---

[1]. أحد أبرز مؤسسي حركة الجهاد الإسلامي، وكان الشقاقي يصفه بالمرشد الروحي للحركة، وقد غادر حركة الجهاد الإسلامي لاحقًا.

[2]. من أوضح أشكال الاختلاف بين التميمي والشقاقي، موقف التميمي المتحفظ إزاء إيران، ودخول التميمي في منظمة التحرير الفلسطينية. ويوضح الشقاقي علاقته بالتميمي في رسالة أرسلها لمعتقلي حركة الجهاد الإسلامي في السجون يقول فيها: "عندما عرفنا الشيخ التميمي عام ٨٢ نظرنا إليه كشيء هام وضروري، ولا تنسوا أننا لم نرتبط يومًا ولا بأي شكل من الأشكال به، ولم نرتبط تنظيميًا بالرجل وجمعتنا صداقة وأخوه الإسلام." انظر: من أقوال الشقاقي من الرسائل الخاصة للحركة في الداخل وللسجون، موقع مركز الوعي للدراسات والبحوث الإنسانية، لا يوجد تاريخ للنشر، واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٥/٣/١٠. http://www.alwae.com/922

ومن جهته نشر التميمي رسالة قال أنها جاءته من الشقاقي أثناء وجوده في السجن جاء فيها: "أتمنى من أن تصعد من ضغطك الإعلامي في المنطقة لإبراز اسمك واسم الحركة كبديل إسلامي شعبي عن كل الأطروحات سواء العلمانية أو غيرها مما يلبس ثوب الإسلام، ونحن سنقوم بكل جهدنا سواء في فلسطين أو حولها، إننا ندرك أهمية ذلك أكثر من أي وقت مضى، ويجب أن نسير فيه معًا وبدون تردد. حول العلاقة مع فتح، أرجو مساعدتنا بالضغط عليهم أن يخففوا الضغط على إخواننا في سجون الضفة وأن يعترفوا بهم رسميًا في السجون في غزة والمجدل... كما نرجوا أن تحدد لنا بشكل شرعي طبيعة العلاقة مع فصائل م.ت.ف" انظر: رسالة الدكتور فتحي الشقاقي من داخل السجن إلى إمام حركة الجهاد الإسلامي، موقع أسعد بيوض التميمي على شبكة الإنترنت، لا يوجد تاريخ نشر، واسترجعها الباحث في ٢٠١٤/١/١٠. http://www.assadtamimi.net/letter.htm. وعن مجموعة الشيخ التميمي يقول يزيد صايغ: "وجاء الدعم الرئيسي لحركة الجهاد الإسلامي سنة ١٩٨٥، عندما أطلق عدد من كوادرها القيادية في تبادل أسرى بين إسرائيل وج.ش– ق.ع وحصلت الحركة الآن على مرشد روحي هو الشيخ أسعد بيورض التميمي، الخطيب السابق في القدس والذي عاش في الأردن منذ سنة ١٩٧٠. لكن التميمي عارض ما اعتبره تعلقًا بغيضًا من جانب شركائه الأصغر سنًا بإيران.". يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٨٧٥.

[3]. راجع هذه الرواية في: إبراهيم سربل، **حركة الجهاد الإسلامي والانتفاضة**، (عمان: دار النسر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠). وإبراهيم سربل في هذه الرواية يقول بأنه هو من أسس الجهاد الإسلامي، واتصل بالشقاقي لتنسيق الجهود، واختار التميمي مرشدًا دينيًا.

[4]. بشير نافع، **الإسلاميون**، مصدر سابق، ص١١٥.

طبيعة التشيع الإمامي الاثني عشري ذي الطابع السكوني والانتظاري[1]، ومن هنا كانت المفاجأة من جهة التاريخ ومن جهة الجغرافيا ومن جهة اللغة.

موجز تاريخ الثورة

لقد بدأت حركة الخميني ضمن حركة أركان الحوزة المعترضين على تشريعات الشاه في العام ١٩٦١، دون أن تأخذ هذه الحركة طابعًا إسلاميًا سياسيًا، إذ اقتصرت على المطالبات الدستورية، واستمرت الأحداث بين مد وجزر إلى أن وقعت الأحداث المشهورة في التاريخ الإيراني المعاصر بـ "١٥ خرداد"، حينما واجهت أجهزة الشاه العسكرية والأمنية مظاهرات ساخطة يوم ٥ حزيران ١٩٦٤، وأدت إلى مقتل ١٥ ألف شخص بحسب الإحصاءات الرسمية، وكان الخميني قد اعتقل قبل ذلك، ليمضي شهرين في السجن، ثم ينفى بعدها خارج البلاد في ٤ تشرين ثاني ١٩٦٤[2].

بعد نفي الخميني، وانتقاله من تركيا إلى العراق حيث طور مفهومه لنظرية ولاية الفقيه، ثم انتقاله إلى فرنسا، وممارسته دوره التعبوي والتحريضي من هناك، كان ثمة فاعلين آخرين في الداخل الإيراني شخصيات وكيانات، فثقافيًا كان ثمة مساهمات هامة لكل من جلال آل أحمد في نقد المثقفين ونمط التغريب الجاري في إيران، وعلي شريعتي في محاولة اشتقاق حالة ثورية من التراث الشيعي نفسه، ومرتضى مطهري في محاولة التغيير الثوري، والدفع بالإحياء الديني إلى حدود الفعل السياسي.

---

[1]. يؤمن الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، بأن حجة الله على الخلق تستمر من بعد النبي في شخوص الأوصياء الذين يتكفلون بذات مهمات النبي من قيادة الأمة في شؤون دينها ودنياها، ولكي تكون الحجة تامة فلا بد من أن يكون الأوصياء معصومين كالنبي ويوحى إليهم بطريقة ما إذ إنهم مشرعون وناقلون عن ربهم كالنبي، ولأجل ذلك فلا بد من أن يكونوا معينين بالنص وبالوصية، ومن هنا ترتفع قضية الإمامة لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية إلى أصل من أصول الدين. وبحسب المعتقد الشيعي الإمامي، فإن الله نص على علي بن أبي طالب وأوصى النبي بالإمامة إليه، ثم أوصى علي للحسن ابنه، ثم أوصى الحسن للحسين ابنه، ثم تستمر الوصية في عقب الحسين إلى الإمام الثاني عشر والذي هو محمد بن الحسن العسكري الذي يعتقد الشيعة الإمامية بأنه دخل في غيبة كبرى انقطع فيها عن أتباعه منذ العام ٣٢٩ هـ، وأنه المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان. ونظرًا لهذا الاعتقاد الذي يحصر حق قيادة الناس في دينهم ودنياهم في الإمام المعصوم؛ اتخذ التشيع الإمامي الاثنا عشري طابعًا سكونيًا ينتظر خروج الإمام، إذ إن الفتوى الدينية أو إقامة الدولة من حقوق الإمام التي لا تجوز لأحد غيره، ولذلك كانت أكثر ثورات الشيعة في تاريخهم من خارج العباءة الإمامية الاثني عشرية، كثورات الزيدية والإسماعيلية. تطور التشيع الإمامي الاثني عشري على المستوى الفقهي بإجازة الاجتهاد للفقهاء وعدم الاكتفاء بالأحاديث المنسوبة للنبي وأئمة المذهب الاثني عشر بسبب تتابع الحوادث وما تفرضه من مستجدات لا تتسع لها النصوص، وأدى هذا الخروج عن التقليد الإمامي الراسخ إلى ظهور مدرستي الإخبارية والأصولية المتصارعتين، حيث تلتزم الأولى بالأصول الداعية إلى التمسك بنصوص الأئمة وتصحيح كل كتب الأحاديث الأولى لدى الشيعة، بيد أن المدرسة الثانية انتصرت، ونجم عن هذا الانتصار تصدير الفقهاء المجتهدين إلى أعلى السلم الاجتماعي بقيامهم ببعض وظائف الإمام المعصوم، كالتشريع والقضاء بين الناس واستلام حق الإمام المعصوم في أموال الناس من خمس وزكاة وصدقات. وقد أدى تطوير نظرية نيابة الفقهاء عن الإمام إلى توسعتها لدى الخميني لينوب الفقيه عن الإمام في كل شيء باستثناء إعلان الجهاد الابتدائي (أي الهجومي)، ولم يكن الخميني مبتكر النظرية التي قال بها عدد من الفقهاء المتقدمين قبله، بيد أنه أول من طبقها، وبهذا تحققت النقلة التاريخية الكبرى للمذهب الشيعي الإمامي الاثني عشري، وعلى نحو خلق تأسيسًا في الوعي العام الذي صار يربط الثورة بهذا المذهب من التشيع الذي لم يكن في حقيقته ثوريًا بالرغم من مركزية كل من شخص الحسين وموقعة كربلاء فيه، إذ اتخذت هذه القضية أساسًا لإيجاد إطار يحافظ على الهوية الاجتماعية الخاصة بالطائفة. ومن هنا كانت محاولات علي شريعتي لقلب التشيع الإمامي الاثني عشري بإعادة صياغة قضية الحسين بتقديمه وارث الأنبياء في مواجهة الطغاة والمستكبرين، ومؤسسًا لهذه المواجهة على مر العصور: "الحسين وارث الراية الحمراء التي تناقلتها الإنسانية يدًا بيد منذ زمن آدم.. وأودع الراية بيد قادة الناس والأحرار وجميع المطالبين بالعدالة في تاريخ البشرية"، انظر: علي شريعتي، **الحسين وارث آدم**، ترجمة: إبراهيم دسوقي شتا، (بيروت: بيروت، دار الأمير، ٢٠٠٧): ص١٢٣– ١٢٤. ومن هنا أيضًا عمل شريعتي على إعادة صياغة مفهوم "انتظار الإمام" لدى الشيعة من انتظار سلبي يبرر الخنوع والخضوع والظلم والفساد والبغي إلى انتظار إيجابي ينظر نحو المستقبل ويمهد بالثورة لخروج الإمام. المصدر السابق، ص٣١٣.

[2]. فهمي هويدي، **إيران من الداخل**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١): ص٤٣– ٦١.

وسياسيًا، كانت هناك نضالات مجموعة من القوى الماركسية والليبرالية والإسلامية التي ائتلفت ضمنيًا بالرغم من الفوارق الإيديولوجية الهائلة. وقد واكبت أجهزة الشاه هذه النضالات بحملات تصفية في الداخل والخارج أدت إلى تفكيك القوى اليسارية في الداخل، بينما وجد علي شريعتي في ١٩ حزيران ١٩٧٧ في منزله في منفاه اللندني ميتًا بالسكتة القلبية، وفي ٢٣ تشرين أول وجد مصطفى الابن الأكبر للخميني ميتًا بالسكتة القلبية كذلك في مدينة النجف، وفي كانون أول أقيم مجلس عزاء ضخم لمصطفى الخميني في مدينة قم، و انطلقت مسيرات شعبية شكلت بداية الثورة، على إثر مقالة نشرت في صحيفة إطلاعات في ٧ كانون أول ١٩٧٨ هاجم فيها الكاتب رجال الدين واليسار ومجالس العزاء التي أقيمت لابن الخميني، ودعا إلى الإجهاض وإلزام الناس بالسفور[1].

وهكذا وفي ٩ كانون أول شهدت قم مظاهرات قتل فيها ١٥٥ وجرح ٦٠٠، ليكون هذا الدم أول دم يراق في الثورة، ويدفع الأحداث إلى أول مظاهرة مليونية في ٤ أيلول ١٩٧٨، وهي المظاهرة التي هتفت فيها الجماهير بـ "الله أكبر، خميني قائد. استقلال، حرية، حكومة إسلامية"، إلى أن بدأت المؤسسة العسكرية في نهاية العام بالانهيار. بعد ذلك وفي ٦ كانون كانون ثاني ١٩٧٩ تولى شهبور بختيار رئاسة الوزراء في حركة يائسة لمنع الخميني والإسلاميين من السيطرة على البلاد، وفي ١٤ من الشهر نفسه شكل الخميني مجلس قيادة الثورة، وفي ١٦ كانون ثاني يغادر الشاه إيران، ويعود الخميني في أول شباط، ثم تكون المعركة الحاسمة مع حكومة بختيار في يومي ١٠ و١١ شباط من العام ١٩٧٩[2].

من حسن البنا إلى الخميني

أدت سياسات الشاه الاقتصادية والتغريبية وطريقته في فرض القومية الفارسية على مجتمع متعدد الشعوب، وإحيائه للثقافة الزرادشتية، وجهوده في فصل الإيرانيين عن فضائهم المشرقي الإسلامي، وتقاربه مع دولة الكيان الصهيوني؛ إلى صناعة الأرضية الدينية كقاعدة وحيدة للتمرد ضد الشاه، وبهذا ظهرت حركة "فدائيان إسلام" المسلحة عام ١٩٤٦، وارتبطت بعلاقات مشرقية متعددة أبرزها علاقتها بجماعة الإخوان المسلمين منذ مطلع الخمسينيات، والتي تعززت بعد العام ١٩٥٣ حينما سافر زعيمها نواب صفوي، بعد خروجه من السجن، في جولة عربية شهد خلالها المؤتمر الإسلامي في القدس، ثم زار القاهرة للتنسيق مع الإخوان المسلمين والاستفادة من حركتهم ضد الشاه، ولكنه وصل في نفس اليوم الذي حلت فيه الجماعة، وفي مساء ذات اليوم وفي مؤتمر جماهيري في القاهرة أعلن نواب صفوي عن اغتياله رئيس الوزراء الإيراني السابق "رزم آراء"[3]، وبعد عودته إلى إيران متخفيًا يقبض عليه مع مجموعة من أعضاء منظمته ويعدم في العام ١٩٥٥[4].

---

[1]. بشير نافع، **الإسلاميون**، مصدر سابق، ص١٢٤.

[2]. المصدر السابق، ص١٢٥– ١٢٧.

[3]. عباس خامه يار، **إيران والإخوان المسلمين: دراسة في عوامل الالتقاء والافتراق**، ترجمة: عبد الأمير الساعدي، (بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٧): ص٢١٧– ٢٢٧.

[4]. فهمي هويدي، مصدر سابق، ص٣٤.

لقد كان لتجربة "فدائيان إسلام" دور بارز في تفجير معركة التأميم والديمقراطية عن طريق اغتيال رئيس الحكومة "رزم آراء" والتمهيد لمجيء مصدق، لكن الانقلاب على مصدق وتعزيز اتجاهات الالتحاق والتبعية والحضور الغربي على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية أدى إلى سقوط جميع القوى المناوئة من الجبهة الوطنية إلى حزب تودة الشيوعي الذي عجز عن اختراق المجتمع الإسلامي ولم يفهم إشكالياته وقوانينه، وامتد القمع إلى العام ١٩٦٣، ليجد المجتمع الإيراني خلاصه في انكفائه العميق نحو وعيه الديني، ومن هنا كانت ثورة العام ١٩٦٣ وسطوع نجم الخميني، ومجزرة ١٥ خرداد[1].

في العام ١٩٧١ بدأت ثلاثة تيارات طلابية الكفاح المسلح ضد الشاه، أحدها يجد جذوره في حركة مصدق إلا أنه تبنى الماركسية اللينينية، والآخر وجد جذوره في حزب تودة الشيوعي، إلا أنه انشق عنه محتجًا على عدم الوجود الحزبي في الداخل من جهة، وعلى علاقات الاتحاد السوفييتي وإيران من جهة ثانية، وتأثر هذا التيار بالتجربة الفيتنامية والمقاومة الفلسطينية والظاهرة الغيفارية ثم الثورة الثقافية الصينية، وأخيرًا فإن التيار الثالث وجد جذوره في الوسط الديني. غير أن انهيار هذه المحاولة المسلحة، والمتزامن مع انهيار النموذج الصيني الذي أقام أفضل العلاقات مع الشاه؛ ألجأ الإيرانيين إلى خلاصهم الأخير في الوعي الديني[2]، ففي مواجهة القمع وأنماط الاستهلاك برزت القيم الإسلامية وصار للاجتماع في المساجد والحسينيات دلالات جديدة، ومن هذا الموقع المهمش بدأت الجماهير بالزحف إلى المركز. وفي مواجهة محاولات محو الخصوصية برز الإسلام بوصفه ثقافة الشعب الأخيرة[3].

شكلت تجربة نواب صفوي جسرًا وصل الإسلاميين السنة العرب من جماعة الإخوان المسلمين بالإسلاميين الشيعة في إيران، وقد بدا هذا واضحًا في تأثر خامنائي، أحد أبرز تلاميذ الخميني وصناع الثورة ورئيس جمهوريتها ثم مرشدها من بعد الخميني، بسيد قطب، ففي عقد الستينيات ترجم كتب سيد القطب "المستقبل لهذا الدين"، و"الإسلام ومشكلات الحضارة"، وبعض أجزاء "في ظلال القرآن"[4].

ويبدو تأثر خامنائي بسيد قطب واضحًا في مقدمة ترجمته التي وضعها لكتاب "المستقبل لهذا الدين"، إذ يقول: "هذا الكتاب –رغم صغر حجمه– خطوة رحبة فاعلة على الطريق الرسالي. مؤلفه الكريم الكبير سعى بهذا الكتاب في فصوله المبوبة تبويبًا ابتكاريًا أن يعطي أولاً صورة ابتكارية للدين، وبعد أن يبين أن الدين منهج حياة، وأن طقوسه لا تكون مجدية إلا إذا كانت معبرة عن حقائقه، أثبت بأسلوب رائع ونظرة موضوعية أن العالم سيتجه نحو رسالتنا وأن المستقبل لهذا الدين. وبعد دراسة موجزة لأصول الشيوعية باعتبارها مدرسة التفت حولها لنصف قرن من الزمان مجموعات بشرية، وحكمت أكثر من ثلث سكان المعمورة وأصبحت أملاً وحلمًا لذيذًا للشعوب المحرومة المتخلفة.. وبعد تحليل نماذج من المناهج التي طرحها غير الشيوعيين لإنقاذ البشرية من أزماتها الحالية.. يبدأ بأسلوب

---

[1]. حازم صاغية، "جذور الوعي الديني – السياسي في إيران"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ٨٤، (تشرين الثاني ١٩٧٨): ص١٢٧– ١٣٧.

[2]. المصدر السابق.

[3]. إلياس خوري، "الثورة الممكنة: وكل شيء يريد أن يبدأ جديدًا"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ٨٩، (نيسان ١٩٧٩): ص٤١– ٦٩.

[4]. محمد سيد رصاص، **الإخوان المسلمون وإيران: الخميني– الخامنائي**، (بيروت: جداول، ٢٠١٣): ص٩٢– ٩٣.

يمتاز بالدقة والعمق والأصالة بإثبات أن كل هذه المناهج ناقصة، وعاجزة عن إدارة عالم الغد، والمدرسة الوحيدة القادرة على أن تصل ركب البشرية التائهة إلى محط النجاة والكمال هو الإسلام..."[1].

لم يكن دور الإسلام السياسي السني في بعث الإسلام السياسي الشيعي، وإفادته بالنموذج الفكري والتنظيمي مقتصرًا على الحالة التي جمعت الإخوان المسلمين المصريين بالإسلاميين الإيرانيين منذ حسن البنا ومرورًا بتجربة نواب صفوي الذي شكل جسر العبور لأفكار سيد قطب إلى الإسلاميين الإيرانيين، فقد تأسس حزب الدعوة الشيعي في العراق مستفيدًا من التراث الإسلامي السني ممثلاً بتجربتي الإخوان المسلمين وحزب التحرير في العراق، ومن اقتراب بعض مؤسسيه الشيعة من جماعة الإخوان المسلمين، أو انتماء بعضهم إلى حزب التحرير[2]. وإن هذه العلاقة التي بدأت بالتأثير الإسلامي السني تجعل لنجاح الإسلام السياسي الشيعي في إيران أهمية خاصة، كما تضيف عامل مفاجأة آخر في تصدر الإسلام السياسي الشيعي لحركة الإحياء الإسلامي.

يشير يوسف الندا، والذي كان بمثابة المفوض السياسي الدولي لجماعة الإخوان المسلمين، إلى أن الثوريين الإيرانيين الملتفين حول الخميني في منفاه جمعتهم علاقات بالإخوان المسلمين في الجامعات الأمريكية والأوروبية، وقد ساعدهم الإخوان في تنظيم مظاهراتهم المعارضة للشاه. وقد رتب يوسف ندا زيارة وفد إخواني قام بها إلى الخميني في منفاه الفرنسي، ثم رتب زيارة أخرى إلى الخميني بعد انتصار الثورة، وضمت هذه الزيارة ممثلين عن فروع الإخوان المسلمين في إندونيسيا والباكستان ومصر والأردن والسعودية والعراق وتركيا وماليزيا وسوريا، وساهم الإخوان بحسب رواية ندا في جهود كسر الحصار على إيران بإدخال كميات من الصلب والقمح[3].

لقد شكلت الثورة الإسلامية في إيران قوة دفع هائلة لحركة الإحياء الإسلامي التي كانت قد انبعثت في عدد من الأقطار العربية والإسلامية، إذ اعتبرها الإخوان المسلمون في مصر أعظم ثورة في العصر الحديث، ومنحتهم إحساسًا بأن النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى، وأن الشاه والاستعمار وكل أجهزة القمع لا تستطيع أن تقف أمام الإسلام عقيدة وقيادة، وفي السودان تابع الإسلاميون بشغف وصول الخميني إلى طهران، وعقدوا آمالاً عظيمة على الثورة في إيران، وتصور بعضهم إمكانية قيام ثورة إسلامية سودانية على نسقها، وفي تونس كان الغنوشي يرى بأن الاتجاه الإسلامي الحديث قد تبلور وأخذ شكلاً واضحًا على يد البنا والمودودي وقطب والخميني، وبأن الحركة الإسلامية في إيران وإن كانت قاعدتها شيعية فسوف تصب في التيار العالمي للبعث الإسلامي، مستهدفة إيقاظ الأمة الإسلامية بكاملها ووضعها في القيادة الحضارية للعالم[4].. وهكذا بالنسبة للكثيرين من الإسلاميين العرب.

أما فلسطينيًا، فقد رأى الإخوان المسلمون الفلسطينيون أن الثورة الإسلامية الإيرانية وحركة المجاهدين الأفغان, قد "تركتا أثرًا في الوجدان والعاطفة والعقل, وأضافتا أبعادًا أخرى في تلمس الحركة الإسلامية لدورها المقبل"، وكان للثورة في إيران رمزية خاصة من حيث موقفها

---

[1]. علي خامنائي، "مقدمة ترجمة الإمام الخامنئي لكتاب «المستقبل لهذا الدين» للأستاذ سيد قطب"، *مجلة رسالة التقريب*، العدد ١٢، (١٩٩٦): ص١٣- ٢٠.

[2]. رشيد خيون، **١٠٠ عام من الإسلام السياسي بالعراق: ١- الشيعة**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١٢): ص١٧٥- ١٨٢.

[3]. يوسف ندا، **من داخل الإخوان المسلمين: يوسف ندا مع دوجلاس تومسون**، ترجمة: محمد فريد الشيال، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٣): ص٩٤- ٩٩

[4]. عباس خامه يار، مصدر سابق، ص٢٣٣- ٢٤٢.

المباشر والواضح من القضية الفلسطينية والعداء للاستعمار[1]، بينما ذهب فتحي الشقاقي إلى أبعد من ذلك في تأييد الثورة الإيرانية والحماسة لها، فكان كتابه "الخميني: الحل الإسلامي والبديل" أول ما كتب عن الثورة عربيًا، وربما أسرع ما نشر عنها عالميًا، وقد رأى الشقاقي بأن: "الثورة الإسلامية في إيران ساهمت الإسهام الأساسي في إطلاق الصحوة الإسلامية في المنطقة، وأعطت دفعًا للحركة الإسلامية بشكل عام، والقوى الإسلامية الثورية على وجه الخصوص."[2].

إلا أن الأثر الحاسم للثورة الإيرانية كان في لبنان، حينما قرر الإسلاميون المستقلون والمنتمون للجان الإسلامية والتجمع العلمائي والمنشقون عن حركة أمل والمنحدرون من حزب الدعوة أخذ شرعية الولي الفقيه بعد نجاح الثورة في إيران لتأسيس تشكيل إسلامي يستوب طموحاتهم، وهو الأمر الذي تم وأفضى إلى تأسيس حزب الله[3].

يوم أن بدت إيران شمسًا للفلسطينيين

يمكن فهم الموقع المركزي لفلسطين في الوعي الإيراني المعارض للشاه، بالنظر إلى سياسات الشاه التي استفزت الوعي الديني الإيراني، ومن هنا لم يكن مستعربًا أن تظهر في إيران في العام ١٩٦٥ حركة تدعو نفسها "حركة تحرير إيران من براثن الصهيونية"، وتخاطب الشعب الإيراني المسلم، والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وشعوب العالم الحريصة على سيادة القيم الإنسانية والسلام والرخاء كي يوقفوا "الأخطبوط الصهيوني، ويبتروا السرطان الإسرائيلي، وينقذوا الشعب الإيراني الذي تمتص الصهيونية دماه بشراهة وقسوة، وتسمم إسرائيل حياته، وتخطط لتدميره ببرودة ووحشية وبلا رحمة"[4].

وفي العام ١٩٥٠ وبعدما اعترفت حكومة الشاه محمد رضا بهلوي بـ "إسرائيل"، ونجم عنها افتتاح مكتب تجاري للأخيرة في طهران، وممثلة إيرانية في تل أبيب؛ عمت التظاهرات الشارع الإيراني، وانطلقت من مدينة قم تظاهرة بعد أداء الصلاة من المدرسة الفيضية، أشهر مراكز المدينة الدينية، بإمامة المرجع الديني الخونساري، معتبرة القرار خيانة للإسلام والمسلمين، ولم يمض عام واحد حتى ألغي القرار مع مجيء حكومة مصدق بتأثير من آية الله أبو القاسم الكاشاني[5].

وبعدما كانت علاقات إيران بالكيان الصهيوني قد قطعت مع مجيء حكومة مصدق، فإن الشاه عاد وأخرج علاقاته السرية بالكيان الصهيوني إلى العلن في العام ١٩٦١، متراجعًا بعد ذلك، بفعل الضغط الشعبي، إلى القول بأنها علاقات في صورة مفوضية تجارية، إلا

---

[1]. خالد مشعل في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة ٢، صحيفة الحياة، مصدر سابق. وربما شوش على حماسة الإخوان المسلمين الفلسطينيين للثورة الإيرانية تلك المنافسة التي دارت بينهم وبين مجموعة فتحي الشقاقي التي جعلت من الثورة الإيرانية مرتكزًا أساسيًا في خطابها وتحركها، ويمكن بالنظر إلى الأعمال الكاملة للشقاقي ملاحظة مستوى الاهتمام والالتصاق بالثورة الإيرانية وقضاياها.

[2]. رفعت سيد أحمد، **رحلة الدم الذي هزم السيق**، مصدر سابق، ج٢، ص٧٢٤.

[3]. نعيم قاسم، **حزب الله: المنهج – التجربة – المستقبل**، (بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٦): ص١٥– ٢٥.

[4]. عبد العزيز السيد أحمد، **قراءة فلسطينية في فكر الإمام الخميني**، (الكويت: شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٧٩): ص٦٩– ٧٠.

[5]. صلاح عبد الرزاق، **علماء الشيعة ونصرة فلسطين**، (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٠): ص٣٩.

أن مهاجمة الكيان الصهيوني ستأخذ موقعًا متقدمًا في خطاب الخميني، منذ العام ١٩٦٢ على الأقل، وبالذات في مهاجمة البهائيين الذين اعتبرهم عملاء لـ "إسرائيل"، بعدما نصبهم الشاه في عدد من المواقع الحساسة، وفي إدانة تحالف الشاه مع "إسرائيل"، وإعلان براءة الشعب الإيراني من ذلك التحالف، وفي الدعوة إلى مقاطعة الكيان الصهيوني ومحاربته[1]، ولن يتوقف هذا الخطاب الذي سيظل مستمرًا حتى قيام الثورة.

وكان الخميني قد التقى بممثلي فتح في العام ١٩٦٨ وأخذوا منه فتوى بوجوب دفع قسم من الحقوق الشرعية من الزكاة وحق الإمام للمجاهدين، وقال في فتواه: "وإخواننا الفاتحون، بإذن الله العلي القدير، رجال حركة فتح ومقاتليها[2] قوات العاصفة وسائر الفدائيين الأحرار، هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تجب مساندتهم ومساعدتهم بكل الطاقات والإمكانيات."[3]

كانت علاقات الثورة الفلسطينية بالمعارضة الإيرانية قد بدأت بالتبلور من بعد هزيمة العام ١٩٦٧، وسبق إلى تلك العلاقات جماعات اليسار والليبراليين الإيرانيين، للاستفادة من إمكانيات الفلسطينيين في التدريب العسكري، ولاستثمار بيروت بعد ذلك في الجهد الدعائي ضد الشاه، وفي وقت لاحق من بعد العام ١٩٦٩ ستنضم مجموعات إسلامية للتدريب في معسكرات فتح، ومن أبرز شخوصها: محمد منتظري ابن حسين منتظري الذي كان مرشحًا لخلافة الخميني قبل الاختلاف معه، وحسن كروبي، ومحمد صالح الحسيني الذي يمكن اعتباره المسؤول العسكري لأنصار الخميني في الخارج وضابط الاتصال الرئيس مع الفلسطينيين، وجلال الدين الفارسي الذي كان يستقبل الإيرانيين ويوزعهم على معسكرات فتح، وعباس زماني الذي أصبح لاحقًا رئيسًا لحرس الثورة[4]، ومصطفى شمران الذي أصبح أول وزير دفاع إيراني في أول حكومة إيرانية بعد انتصار الثورة.

وعلى أية حال فإن اتصالات ياسر عرفات بالإسلاميين الإيرانيين بدأت في العام ١٩٧٧ في حفل تأبين لعلي شريعتي في بيروت، ثم في رسالة بعثها عرفات إلى الخميني يعزيه فيها بوفاة ابنه، وهكذا كان عرفات أول زعيم أجنبي تطأ قدماه أرض طهران في ١٩ شباط ١٩٧٩، ليلتقي عرفات بالخميني وتلتقي المظوميتان والثورتان، وحينها تكلم الخميني: "لقد عانينا مثلما تعانون، ولكن ثورتنا انتصرت، هي نموذج لثورة تواجه عدوًا يملك أفضل الأسلحة، من خلفه تقف الدول الكبرى في العالم، وعلى بيغن ودايان اللذين يعتقدان أن

---

[1]. راجع: الخميني، **القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني**، (بيروت: دار الوسيلة، ١٩٩٦)، والذي يضم الخطابات التاريخية للخميني بخصوص القضية الفلسطينية.

[2]. هكذا في المصدر.

[3]. عبد العزيز السيد أحمد، **قراءة فلسطينية في فكر الإمام الخميني**، مصدر سابق، ص٧٦. ولم يكن موقف الخميني منفردًا من بين مواقف مراجع الشيعة في ذلك الوقت في مثل هذه الفتوى، فقد أفتى بمثلها محمد الطباطبائي الحكم، في العام ١٩٦٨. انظر: صلاح عبد الرزاق، **علماء الشيعة ونصرة فلسطين**، مصدر سابق، ص٦٣، وكان نزيه أبو نضال هو الذي استصدر هذه الفتوى من الحكيم، وتحدث عنها في مذكراته، **من أوراق ثورة مغدورة**، ص٧١- ٧٢. وكان قبل ذلك المرجع الحكيم العراقي قد أرسل رسالة إلى المرجع البهبهاني الإيراني يستحثّه فيها على القيام بدور تجاه اعتراف إيران بـ "إسرائيل"، قال فيها: "إن نبأ اعتراف إيران بإسرائيل أحدث ضجة عظيمة في المسلمين واستنكارًا شديدًا في أوساطهم، فالمأمول نصح المسؤولين بالمحافظة على واجبهم الإسلامي، ورعاية شعور المسلمين"، وأرسلت جماعة العلماء في النجف رسالة أشد لهجة وأوضوح مضمونًا للمرجع الإيراني الكبير البروجردي قالت فيها: "إن جماعة العلماء في النجف الأشرف تستنكر اعتراف إيران بإسرائيل أشد الاستنكار لأن في ذلك انكارًا لحق الإسلام والمسلمين في أرض فلسطين المغتصبة. راجين من سماحتكم تدارك الأمر بحكمتكم الرشيدة وتوصياتكم السديدة". *مجلة الأضواء*، العدد ٥، ٩ آب ١٩٦٠.

[4]. فهمي هويدي، مصدر سابق، ص٢٤٦.

وراءهما الدول الكبرى، أن يفهما أن هناك من هو أكبر من الدول الكبرى فالله أكبر من كل شيء"[1]. وبالرغم من هيمنة اليسار الفلسطيني وتصوراته إلى ما قبل نجاح الثورة، فإن عرفات بعد الثورة تمادى في "الاندماج في الظاهرة الإيرانية وتبنيها، وعمل كل ما في استطاعته لجر العرب إليها، وفي هذا الأمر كان تفكيره ثوريًا، لكن حساباته كانت جامحة"[2]، وانتهت مع أول رصاصة في الحرب العراقية الإيرانية، وإن كانت الاختلافات المتعددة بين الطرفين قد أخذت تكبح في هذه الاندافعة الجامحة منذ وقت مبكر.

٤. السرية الطلابية، كلمة السر: الله أكبر

لقد جاءت تحولات تيار الكتيبة الطلابية من الماركسية إلى الإسلام ضمن هذه التغيرات الواسعة والمتداخلة على مستوى العالم والمنطقة العربية وأوضاع الثورة الفلسطينية، فقد بدا أن عالماً كاملاً قد أخذ بالانهيار، بينما بدأ عالم جديد بالنمو والصعود، ولم يكن ذلك الانتقال الجماعي لهذا التيار حالة معزولة عن السياقات الكبرى التي جسدت تلك التحولات فلسطينيًا وعربيًا وعالميًا، وهو ما يلخصه منير شفيق حينما يتحدث عن قدرة التيار على التقاط التغيرات في الوقت المناسب، ففي الوقت الذي كانت فيه مصر قد خرجت من الصراع، كانت الثورة قدأ بدأت في إيران، بينما انطلقت ثورة أخرى جهادية في أفغانستان ذات طابع قومي إسلامي، ودخل الصراع السوفييتي الأمريكي مرحلة جديدة تبادل فيها الطرفان المواقع، وتكرس اتجاه قيادة فتح نحو مشروع التسوية بينما غرق العراق في الحرب، ودخلت القضية الفلسطينية في حالة جمود، وكانت الصحوة الإسلامية في فلسطين تأخذ مواقعها الجديدة بتسارع تمكن ملاحظته، وبات واضحًا أن الوجود الفلسطيني في لبنان في لحظاته الأخيرة، وأنه لا بد من اتجاهات نضالية جديدة تجعل من داخل الأرض المحتلة الساحة الرئيسة للصراع[3].

إن استعراض التحولات الكبرى وما تضمنته من أحداث ضخمة كالثورة الإيرانية والمقاومة الأفغانية، وهي مفردات حاضرة دائمًا في أكثر سرديات التحول في المنطقة العربية والإسلامية، ضروري لفهم ظاهرة انتقال جماعي من أرضية فكرية إلى أخرى، فإذا كان للثورة الإيرانية هذا الدور الكبير في دفع عملية الانتقال التي مر به تيار الكتيبة الطلابية، فإنه لا يمكن أبدًا قراءة عملية الانتقال هذه بمعزل عن السياقات كلها، وعمليات التحول الجارية في المشرق الإسلامي عمومًا.

إلا أن ثمة سؤالاً لا بد وأن ينفتح في هذه الحالة، طالما أن المقصود بالتحول هو تيار محدد داخل حركة فتح، بينما لم تعبر عملية الانتقال هذه بقية المنظمات الفلسطينية والتيارات الأخرى داخل فتح. ففي الوقت الذي كانت فيه الإحيائية الإسلامية قد بدأت بالانبعاث في أول السبعينيات، كانت المنظمات الفلسطينية تتنافس على المقولة اليسارية، كما ظهر ذلك في تبني الشعبية للماركسية اللينينية بعد انشقاق مجموعة نايف حواتمة عنها، وفي تعزيز التيار اليساري في فتح مواقعه في مؤتمري فتح الثالث والرابع منذ العام

---

[1]. إلياس خوري، "الثورة الممكنة: وكل شيء يريد أن يبدأ جديدًا"، *مجلة شؤون فلسطينية*، مصدر سابق.

[2]. نبيل عمرو، **ياسر عرفات وجنون الجغرافيا**، مصدر سابق، ص١٠٠.

[3]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، قناة القدس، تقديم: نافذ أبو حسنة، حلقة ١٣، منشور في ٢٠١٣/٥/١٠، واسترجعها الباحث في ٢٠١٤/٦/١٠.
https://www.youtube.com/watch?v=mNfOfSKc_WY

١٩٧١ إلى العام ١٩٨٠، بل وإن معتقلي فتح في السجون الصهيونية لم يتلقطوا عمليات التحول الجارية هذه بالرغم من احتكاكهم اللصيق بظاهرة الجماعة الإسلامية في السجون.

إن السؤال هنا سوف يبدأ من ملاحظة الظاهرة الجماعية، ووضعها في سياق تحولات كبرى تمثلت بشكل أساسي في الإحيائية الإسلامية، التي بدأت ردًا على هزيمة العام ١٩٦٧، باللجوء الأخير إلى الحقل الروحي، أو الدخول في عملية عودة إلى الذات، تمامًا كما حصل في إيران منذ انهيار مشروع مصدق، وفشل كل المحاولات اليسارية بعد ذلك، فلم تكن العودة إلى ذات شكلاً من أشكال معارضة عمليات التغريب والتحديث الفوقي المستفز للوعي الديني والخصوصية الثقافية فحسب، ولكنها كانت أيضًا ردًا على انهيار النماذج، بالبحث عن نموذج أصيل هذه المرة، وينبع من عمق الذات.

إلا أن هذا السؤال سينتقل من ملاحظة النموذج المهيمن الذي تؤوب إليه جماهير المنطقة كبديل لكل النماذج التي خبرتها، إلى العامل الذاتي في عملية التحول، فإن من أوجه فرادة التحولات التي عبرتها تجربة تيار الكتيبة الطلابية أنها لم تكن جماعية فحسب، ولكنها كانت حالة خاصة تميز بها التيار تحديدًا عن بقية تيارات فتح ومنظمات الثورة الفلسطينية.

إن هذا العامل الذاتي يتمثل في الخيار الماوي بالتزام خط الجماهير، والالتصاق بها، والتعلم منها، والتفاعل معها تعلمًا وتعليمًا، والبحث عن النظرية الثورية المشتقة من خط الجماهير، ولم يكن هذا الالتزام خاصًا بتيار الكتيبة الطلابية في حركة فتح، بل كان حالة عالمية تبحث عن نموذج نضالي عالمثالثي يخرج من عباءة الماركسية الأوروبية التي تبدو من ناحية أولى دوغمائية في ادعاء القدرة على تعميم نموذج تحليلي واحد للتاريخ البشري هو في الأساس مشتق من التاريخ الأوروبي، ومن ناحية ثانية لا تبدو قادرة على اختراق المجتمعات المحلية ذات الخصوصيات الثقافية المتعارضة مع النمط الماركسي الأوروبي، وكان من أبرز هذه المحاولات في المنطقة العربية والإسلامية محاولة "مجاهدي خلق" الإيرانية.

لكن الفارق هنا أن مؤسسي منظمة مجاهدي خلق انحدروا من عدد من الاتحادات الإسلامية مقتربين من الماركسية على نحو فريد، وبما يذكر بظاهرة "لاهوت التحرير"، في أمريكا اللاتينية، فهذه المنظمة التي جعلت شعارها الآية القرآنية: "وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا"[1]، كانت قد انتقلت من الإسلام إلى ماركسية خاصة مطعمة بالإسلام في العام ١٩٧٦، في الوقت الذي كان فيه تيار الكتيبة الطلابية يصفي حسابه نهائيًا مع الماركسية. فقد بدأت منظمة مجاهدي خلق تمزج رؤيتها الماركسية بكثير من الآيات القرآنية وبمقتبسات من نهج البلاغة، وبالقول بأن رسالة الوحي تستند إلى المفاهيم الثورية، واشتهر عنهم القول: "نحن عباد الله، لكننا لا نرفض الماركسية"[2].

---

[1]. سورة النساء، آية ٩٥.

[2]. فاطمة صمادي، **التيارات السياسية في إيران**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢): ص٣٣-٣٩

لقد كان مزج الماركسية بالإسلام، ظاهرة واضحة لدى تيار الكتيبة الطلابية أثناء العبور بعمليات التحول، تمامًا كما كان الحال مع مجاهدي خلق، مع فوارق أساسية تمثلت في نقاط الانطلاق والمآل، فتيار الكتيبة الطلابية كان يقترب بالماركسية من الإسلام، بينما يقترب مجاهدو خلق بالإسلام من الماركسية، وهو أمر يجعل ظاهرة انتقال تيار الكتيبة ذات فرادة خاصة مختلفة عن نموذج "لاهوت التحرير" التي قاربتها إليها بعض الدراسات[1]، مع الالتقاء في نقطة مشتركة وهي محاولة البحث عن نظرية ثورية تتكيف مع تراث وثقافة الجماهير، إلا أن تيار الكتيبة وفي تمام تحولاته رأى أنه لا يمكن الدمج بين الماركسية والإسلام، فالتنظيمات والأحزاب الماركسية "في بلداننا لو قدر لأحدها أن يراعي موضوع الإسلام على أفضل صورة، وتبنى خطًا كفاحيًا منذ البداية ضد الاستعمار الصهيوني، ولم تتخذ طريق التبعية للاتحاد السوفييتي.. فإن كل ذلك لن ينقذها من مشكلتها الجوهرية مع الناس وتنظيم الاقتصاد والمجتمع"[2]، وأما في المآلات فإن انجذاب تيار الكتيبة الطلابية إلى الخميني ثم تأسيس عدد من المحاولات الإسلامية كان منها: سرايا الجهاد الإسلامي التي تحالفت مع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وحركة التوحيد الإسلامية السنية في لبنان، والانتقال إلى حزب الله الذي كان في طور الولادة، قابله افتراق دموي بين منظمة مجاهدي خلق والتيار الإسلامي الإيراني.

كان محررو جريدة "الوحدة: صوت المدافعين عن الوطن والمقاومة" المقربة من تيار الكتيبة الطلابية والتي انطلقت من العام ١٩٧٦؛ يمزجون بين أقوال ياسر عرفات وخليل الوزير ولينين وماوتسي تونغ بالآيات القرآنية وأحاديث النبي والإمام علي[3]، وكانت هذه البداية متزامنة مع تصفية التيار لحسابه مع الماركسية مع سقوط الثورة الثقافية في الصين[4].

إلا أن النموذج الصيني كله كان قد انهار في عقول الثوريين، ففي إيران كانت الصين تقيم أحسن العلاقات مع الشاه، وتكبح المشروع الإيديولوجي لصالح المتطلبات السياسية للدولة[5]، وبالنسبة لفلسطين فقد انتهجت الصين سياسات تقارب مع مصر بعد كامب ديفد[6]، وبدا أن الآمال الثورية في المشروع الماوي قد انتهت تمامًا، بيد أن فشل الثورة الثقافية كان سابقًا على عمليات التطبيع التي قامت بها الصين مع العالم لصالح منطق الدولة.

بالنسبة لمنير شفيق، فإن النقد الأساسي الذي وجهه التيار للثورة الثقافية في الصين مختلف عن ذلك الذي وجهته القيادة الصينية اللاحقة، فقد ركز التيار نقده على ما اعتبره روحية أوروبية تخريبية حكمت جانبًا هامًا من الطرح النظري للثورة الثقافية في الصين، وخاصة باعتماد المقولة الواردة في البيان الشيوعي لماركس وإنجلز حول ضرورة القطع التام مع الماضي بكل أوجهه وليس فقط مع

---

[1]. نيكولا دوت بويار، مصدر سابق، ص١٦– ١٩.

[2]. محمد محمد بحيص ومحمد باسم سلطان، **اسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان، مصدر سابق، ص٢٠**.

[3]. انظر مقابلة سعود المولى في نيكولا دوت بويار، مصدر سابق، ص٣٠.

[4]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٢٢.

[5]. إلياس خوري، "الثورة الممكنة: وكل شيء يريد أن يبدأ جديدًا"، *مجلة شؤون فلسطينية*، مصدر سابق.

[6]. Manfred Sing, "Brothers in Arms: How Palestinian Maoists Turned Jihadists", *Die Welt Des Islams*, v51, (2001) p1-44

البرجوازية[1]، ويبدو هذا النقد متقدمًا جدًا على حالة الانجذاب التي بدت في كتابات منير شفيق في مراحل انتقاله الأولى من الشيوعية السوفييتية إلى الماوية، حينما كان قد رأى في الثورة الثقافية استيقاظ مئات الملايين ونهوضها وممارستها نقد العالم القديم[2]، ولكن الثورة الثقافية وقفت على النقيض من خط الجماهير حينما شرعت في تدمير ما أسمته بالقدماء الأربعة، (الأعراف، والثقافة، والعادات، والأفكار القدمية) ، والتي تشمل رموز المجتمع الصيني فيما قبل الحداثة[3].

لقد كانت محاولة إيجاد صيغة ثورية ماركسية تقطع مع الأنماط الغربية، بما فيها السوفييتية، ظاهرة طبعت عددًا من التيارات الماركسية في العالم، مثل حفيظ الله أمين في أفغانستان، وبول بوت في كمبوديا، والدرب المنير في البيرو، ومجاهدي خلق في إيران، والماويين العرب، فقد سعى هؤلاء إلى إيجاد صيغة ماركسية استنادًا إلى نموذج ثقافي محلي أو قومي[4]، وبالنسبة لحالة تيار الكتيبة الطلابية كان الموقف الأساسي النافر من الاتحاد السوفييتي وسياسات الهيمنة التي اتبعها وموقفه المتعارض مع المسعى الثوري المسلح والجذري بخصوص فلسطين، دافعًا لهذا التيار المؤمن بمنطلقات فتح الأولى صوب الصين الماوية، وإن كان لهوشي منه تأثير خاص على مستوى المنهج والممارسة، من حيث اعتزازه بالتراث الفيتنامي[5]، فلم يكن هوشي منه يجد حرجًا في أن يخاطب النساء الفيتناميات مستحضرًا "جداتهم الجنيات الأربع"، وهكذا تساءل منير شفيق لماذا نخجل من تراثنا وجداتنا الحقيقيات والمساهمات فعلاً في صناعة التاريخ؟![6]

عاملان ذاتيان توفرا للتيار أديا به نحو هذه النتيجة، حينما وجد أن النظرية الثورية المنبثقة عن خط الجماهير، هي تلك التي يختصرها هتاف "الله أكبر"، الذي أطلقته الجماهير الإيرانية، واستقبلته الجماهير الفلسطينية والعربية بكل ارتياح وألفة، وبهذا فإن خط الجماهير العربية والإسلامية هو ذاته النموذج المهيمن الذي عاد وتجلى في حالة الإحيائية الإسلامية التي غطت المجال العربي والإسلامي، وهي ذاتها تلك التي يسميها الإسلامويين بالصحوة الإسلامية.

- **العامل الأول، هو العامل النظري**

وهو خط الجماهير، بما رافقه ولازمه من توجه نقدي أخضع موضوعات الماركسية باستمرار إلى حكم الواقع والوقائع والتاريخ، على مستوى العالم عمومًا، وعلى المستوى العربي خصوصًا، فما كانت هناك موضوعة واحدة في الماركسية غير قابلة للنقد[7]، ومن هنا كانت الماركسية بكل حيثياتها وموضوعاتها وقضاياها محل نقد من نظرتها الفلسفية المادية إلى منهاجها (المادية الدايلكتيكية) إلى فهمها للتاريخ

---

[1]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٢٢.

[2]. منير شفيق، **الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري**، مصد سابق ، ص١٥٥.

[3]. ريتشرد كيرت كراوس، **الثورة الثقافية الصينية: مقدمة قصيرة جدًا**، ترجمة: شيماء طه الريدي، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم ولاثقافة، ٢٠١٤): ص٥١.

[4]. أوليفيه روا، **تجربة الإسلام السياسي**، مصدر سابق، ص١٥.

[5]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، الحلقة ٧، مصدر سابق.

[6]. ساري عرابي، **منير الشفيق: المثقف الملتزم في معية فلسطين**، مصدر سابق.

[7]. من مقدمة، **اسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان**، انظر: ص٦.

(المادية التاريخية) وأخيرًا إلى موضوعاتها الاقتصادية المتعلقة بالاشتراكية العلمية، ناهيك عن خيبة الأمل التي مني بها كوادر التيار وهم يدققون في نتائج تطبيقاتها، خصوصًا في الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية ثم الدول الإفريقية ثم فيتنام وكوريا وأخيرًا الصين[1].

ونظريًا كان خط الجماهير يقود التيار بالتدريج نحو الإسلام كما يظهر في أدبياته المتتابعة منذ أواسط السبعينيات، وهو الأمر الذي يشير إليه أصحاب التجربة أنفسهم، حينما شرحوا تحولهم لإخوانهم في السجون ممن استشكل عليهم هذا الانتقال الكبير: "خصوصًا لما تعرفونه عنا من حب للجماهير وبحث دائم عن خط الجماهير، وأخيرًا المقولة التي كنا نتبناها عن استحالة نجاح الثورة ما لم تكن مؤيدة من الجماهير، ومعبرة عن أماني الجماهير ومصالحها. ولعل هذه الجوانب سهلت علينا الاقتراب من الإسلام وتفهمه لا من ناحية البحث عن سهولة لكسب الجماهير واستقطابها، فهذه لم تكن من همومنا لأننا ما طمعنا يومًا بقيادة الجماهير ولا تطلعنا إلى ذلك."[2]، فلم يكن التحول براغماتيًا بهدف استقطاب الجماهير، ولكنه كان نتيجة لمسار خط الجماهير الذي ضافرته عوامل أخرى للوصول إلى هذه النتيجة، وهذا ما يؤكده منير شفيق حينما يشرح بأن مفهوم خط الجماهير دعم معرفته بالإسلام[3].

بالنظر إلى نماذج من النصوص النظرية التي أنجزت في تلك الفترة من العام ١٩٧٦ وإلى العام ١٩٧٩، يمكن اكتشاف مسار التحول النظري، ففي رثاء منير شفيق لعدد من شهداء التيار والمقربين منه في العام ١٩٧٦، يتحدث عن الشهداء بأنهم تجسيد لروح الثورة الفلسطينية، وروح الشعب وجماهيره العربية، وفيهم روح الآباء العظام الذين قاتلوا في بدر وأحد، وفي القادسية واليرموك، وفي حطين وميسلون، وفي يعبد والقسطل[4]. ولم يكن هؤلاء الذين قاتلوا في بدر وأحد سوى صحابة النبي الذين انفجرت على أيديهم ثورة الإسلام كما يصفها منير شفيق لاحقًا، وها هو الماركسي المنحدر من عائلة مسيحية يرى في شقيقه الشهيد امتدادًا، أو تجسيدًا، لأرواحهم[5].

وفي كراسه "موضوعات حول نضال المرأة"، والمنشور في العام ١٩٧٧، يبدأ منشر شفيق، بتقرير دور المرأة انطلاقًا من معالجة ما أسماه "ثورة الإسلام" لدور المرأة، "فإن ثورة الإسلام في التاريخ العربي عالجت موضوع دور المرأة، فأشركها الإسلام، بشكل أو بآخر في الجهاد وحثها على اعتناق الإسلام والدعوة له. وقد نجح الإسلام في الارتقاء بدورها فنقلها من وضع إلى وضع أرقى، أو ما عرف في تاريخنا بالانتقال من الجاهلية إلى الإسلام، ولم تكن المرأة بعيدة عن المساهمة في عملية هذا الانتقال التاريخي العظيم."[6].

---

[1]. المصدر السابق، ص١٩.

[2]. المصدر السابق، ص١٥.

[3]. انظر مقابلة منشر شفيق في: نيكولات دوت بوبار، مصدر سابق، ص٢٥.

[4]. منير شفيق، **دروس من تجربة الشهداء الخمسة**، مصدر سابق، ص٥.

[5]. أبو خالد جورج، شقيق منير شفيق، أحد هؤلاء الشهداء الخمسة.

[6]. منير شفيق، "موضوعات حول نضال المرأة"، *مجلة شؤون فلسطينية*، مصدر سابق.

وتبدو أهمية هذا النص الواضح في عودته إلى الإسلام، في تاريخ نشره الذي كان في الفاتح من العام ١٩٧٧، وهو ما يعني أن تداوله كنص خاص بين منتسبي التيار كان في العام ١٩٧٦، وهو من حيث تعبيره عن التيار عمومًا[1]، يمتلك أهمية خاصة في رصد تحولات الجسم الأساسي من التيار.

أثار هذا النص حفيظة "الأخوات اليساريات" اللاتي اعتبرنه محافظًا وإسلاميًا، كما يقول منير شفيق[2]، خاصة وأن النص لم يكتف بنفي أي قضية مطلبية أو نضالية خاصة بالمرأة، "إن النساء في بلادنا لم يحملن قضية خاصة بهن، وإنما كن دائمًا يحملن قضية الشعب كله"، ولم يكتف بنقد الاتجاهات المنحرفة لدى اليسار الأوروبي، واتجاهات التغريب التي غرقت في "الفسق والفجور والتهتك"، ولكنه دعا أيضًا إلى احترام التقاليد وضمن الأطر التي تتفق وتقاليد الجماهير وثقافتها ومعتقداتها.

يقول أحد منتسبي التيار عن هذه الفترة: "وصل إلى الأعضاء نص كتبه منير شفيق بعنوان «موضوعات حول المرأة» أثار جدلاً واسعًا، وكتابات أخرى فيها تباشير تغير وجرعة إسلامية أقوى من المعتاد. بدأ بعضنا يسأل: هل نحن حقيقة ماركسيون؟ كانوا يجدون في أنفسهم أنهم مسلمون، ومناضلون، لا يتناقضون مع الخط الفكري الذي جمعنا، لكنهم يرتاحون أكثر للإسلام."[3]. ويجدر التذكير مرة أخرى هنا، بأن هذا النقاش كان في العام ١٩٧٧، أي قبل الثورة الإيرانية.

في نص آخر، يصل منير شفيق إلى نتيجة مفادها بأن الإسلام مكون أساسي لسمات الأمة العربية، من جهة أن الإسلام وحد العرب، ووحد البلاد الممتدة من المغرب على شواطئ الأطلسي حتى الخليج العربي، وجعل هذه المنطقة عربية إسلامية، صاهرًا شعوبها وقبائلها ولغاتها في البوتقة العربية، وذلك تحت لواء الدولة الإسلامية العربية الواحدة لمئات السنين، فالإسلام دين أمة العرب، وهو وعلى خلاف الدين المسيحي، يفرض على من يؤمنون به أن يتحدوا سياسيًا ودنيويًا في أمة واحدة، وليس روحيًا فقط[4]، وكان لافتًا في هذا النص أيضًا استخدامه لمصطلح "ثورة الإسلام"[5]، وكذلك اعتراض منير شفيق على استخدام أدوات التحليل الماركسي لتحليل التاريخ العربي، لأن أدوات التحليل الماركسي قد اشتقت من دراسة النمط الأوروبي، بينما لم تمر البلاد العربية بالمراحل التي مر بها التاريخ الأوروبي[6]، وهي مقدمات لما كتبه منير شفيق لاحقًا حول المنهج في كتابه "الإسلام في معركة الحضارة"[7]، وما كتبه أبو حسن قاسم وحمدي التميمي في نصهم الموسوم بـ "أسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان"، والمكتوب في العام ١٩٨٤.

---

[1]. كما يؤكد منتسبو التيار بأن منير شفيق لم يكن ينشر شيئًا إلا بعد مراجعة وإقرار رموز التيار له، انظر: معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. وأيضًا: منير شفيق، برنامج كل الحكاية، مصدر سابق، الحلقة ١٠.

[2]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، مصدر سابق، الحلقة١١.

[3]. فتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدرسابق، ص٢٨٤.

[4]. منير شفيق، **في الوحدة العربية والتجزئة**، ط٣ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨١): ص٤٤.

[5]. المصدر السابق، ص٤٧.

[6]. المصدر السابق، ص٤٢– ٤٣.

[7]. كتبه المؤلف في العام ١٩٨١. ويعتمد الباحث على طبعة صادرة في العام ١٩٩١، انظر: منير شفيق، **الإسلام في معركة** الحضارة، (بيروت: الناشر– تونس: دار البيرق، ١٩٩١): ص١٥٩

وقد أثار هذا الكتاب "في الوحدة العربية والتجزئة" في حينه، جدلاً بين من رأى أن شفيق لم يعط التأكيد على موقع الإسلام في تكوين سمات الأمة العربية حقه الكافي من النقاش[1]، وبين من انتقد ما اعتبره دورًا طاغيًا منحه منير شفيق للإسلام في تكوين الأمة العربية[2]. وقد دخل هذا الكتاب في برامج التثقيف لعدد من الحركات والأحزاب الكبرى[3]، وكان مدخلاً لتعرف الإسلاميين على منير شفيق، كما يروي شفيق نفسه عمن قال له في محاضرة ألقاها في المغرب: "لقد قرأت كتابك الوحدة العربية والتجزأة، وقرأت الفصول عن الوحدة العربية في التاريخ، إلى أن وصلت إلى نتيجة أن هذه الأمة مآلها إلى الإسلام، فاعتقدت بأنك إسلامي، ولكنك قفزت نحو الثورة الشعبية البروليتارية الديمقراطية، الأمر الذي جعل استنتاجاتك متعارضة مع مقدماتك". يقول منير شفيق أن هذه المناقشة تركت أثرًا في نفسه[4].

- **العامل الثاني، هو العامل العملي**

انعكس عامل خط الجماهير، ومحاولة الالتزام الصادق به في ممارسات عملية ومسلكيات ثورية، سبق لهذه الدراسة أن تعرضت لجانب واسع منها في التأريخ للتجربة، ومن تلك المسلكيات، احترام الجماهير وقيمها ومعتقداتها ومصالحها، وضبط القواعد والمعسكرات بمنظومة قيمية تمنع شرب الخمر والزنا والتحرش بالنساء ولعب الورق، وازدياد نسبة المتدينين من المقاتلين نتيجة احتكاكهم بالأهالي، وتعرفهم على عدد من الشخصيات الدينية الهامة مثل عبد الرؤوف فضل الله، والد المرجع الديني محمد حسين فضل الله، والمفتي الجعفري عبد الأمير قبلان، وهاني فحص، ومحمد مهدي شمس الدين، والشيخ راغب حرب. لقد كان هذا الانفتاح مغايرًا تمامًا للخط السائد لدى التيارات اليسارية الفلسطينية واللبنانية.

وكان من أوضح نتائج الانفتاح العلاقة الخاصة التي جمعت التيار بموسى الصدر، والتي تمثلت عمليًا في تدريب الكوادر الأولى لحركة أمل، وهو التعاون الذي انكشف في ٤ تموز ١٩٧٥ حينما أدى انفجار لغم أرضي إلي مقتل ٢٧ شخصًا وجرح ٥٠ آخرين كان من بينهم مجاهد الضامن[5] أحد عناصر الكتيبة الطلابية، وكانت فتح قبل ذلك قد أقامت معسكرًا لتدريب عناصر حركة أمل في شباط ١٩٧٣، ثم زودتهم بعتاد وأسلحة حربية، بل إن ياسر عرفات هو الذي اختار اسم "أمل" للحركة الوليدة[6]، وعلى الأرجح فإن ياسر عرفات اعتمد على السرية الطلابية في ذلك الحين لانفتاحها على هذه التيارات بعكس التيار اليساري المهيمن في فتح، والذي اتخذ موقفًا مناقضًا تمامًا بالانحياز التام لأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية في عدائها لحركة أمل.

---

[1]. انظر: ياسين الأحمد، "نقد الكتب: في الوحدة العربية والتجزئة"، *مجلة قضايا عربية*، العدد ٣، (يوليو ١٩٧٩): ص٣٠٨- ٣١١.

[2]. انظر: كميل داغر، "نقد الكتب: في الوحدة العربية والتجزئة"، *مجلة المستقبل العربي*، العدد ٧، (٥/ ١٩٧٩): ص١٧٧- ١٨٦.

[3]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، الحلقة ١١، مصدر سابق.

[4]. المصدر السابق.

[5]. عن مجاهد الضامن انظر: منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٥٤. وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٣٨١. ومعين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. وسعود المولى، "سعود المولى: شبه سيرة ذاتية"، مصدر سابق. وفتحي البس، **انثيال الذاكرة**، مصدر سابق، ص٢٤٠

[6]. صادق النابلس، **قيام طائفة: أمة موسى الصدر**، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠١٤): ص٣٥٦.

إن العلاقة بموسى الصدر، فتحت لمنتسبي التيار اتصالاً واسعًا بكوادر الثورة الإسلامية في إيران، كما يقول سعود المولى: "استقبلنا كوادر الثورة الإسلامية الإيرانية بجناحيها الليبرالي المرتبط بموسى الصدر (د.مهدي بازركان، د.علي شريعتي، د. ابو الحسن بني صدر، آية الله طالقاني، د. ابراهيم يزدي، د. صادق قطب زادة..الخ...) والثوري الراديكالي المرتبط بالإمام الخميني (محسن رفيق دوست، جلال الفارسي، أحمد الخميني، هاشمي رفسنجاني، محمد منتظري، أبو شريف عباس زماني، الخ..)"[1]، ويمكن أن يضاف إلى تلك الأسماء، محمد صالح الحسيني والذي يمكن اعتباره المسؤول العسكري للمعارضة الإيرانية الإسلامية في الخارج[2]، وارتبطت الكتيبة الطلابية أيضًا مع مصطفى شمران[3] والذي أصبح أول وزير للدفاع في أول حكومة تتشكل بعد الثورة.

لقد كانت الكتيبة الطلابية مقصد أكثر المتدربين الإيرانيين من الاتجاهات الإيرانية المختلفة، ولا سيما المتدربين الإسلاميين، وهذا راجع على الأرجح إلى عاملين اثنين، الأول: معرفة ياسر عرفات بأن هذا التيار هو الأنسب نظرًا لاتسامه بالانفتاح والاهتمام الثقافي واحترامه للإسلاميين، والثاني: هو ما اكتسبه التيار من خبرة وعلاقات هامة متراكمة مع الإسلاميين الإيرانيين.

أدت هذه العلاقات إلى تعرف مثقفي التيار على كتابات علي شريعتي والخميني ومرتضى مطهري ومحمد باقر الصدر، ثم توسعهم في قراءة سيد قطب ومحمد قطب، وأبو الأعلي المودودي[4]، واللافت وبحسب رواية سعود المولى، فإن الشيوعيين العراقيين الماويين الذين اتصلوا بالتيار وبقواعد الكتيبة الطلابية قاموا على ترجمة الكتب الفارسية إلى العربية، ومنها كتب علي شريعتي، ومن هنا بدأ الماويون في التيار في قراءة الأدبيات الإسلامية الإيرانية بواسطة العراقيين والإيرانيين الذين قدموا ليحاربوا إلى جانب الفلسطينيين، أو ليتدربوا في قوعدهم، ولا سيما في قواعد الكتيبة الطلابية[5].

ولا يمكن في هذا الصدد إغفال الأثر المحتمل لعلي شريعتي في مثقفي التيار، وخاصة من جهة التقاء مفهوم خط الجماهير بمفهوم "العودة إلى الذات"، والذي عرفه شريعتي بأنه العودة إلى الذات الإسلامية، لأنها، كما يقول: الذات الوحيدة القريبة من الإيرانيين من بين كل الذوات، وهي الثقافة التي لا تزال حية، وهي الروح والإيمان والحياة في المجتمع الذي ينبغي للمفكر أن يعمل من خلاله ويعيش وينبض، ولكن الإسلام المقصود هو ذلك الإسلام الباعث للوعي والمعترض، حينما يتحول من صورة تقليد اجتماعي إلى صورة إيديولوجية، ومن صورة مجموعة من المعارف العلمية تدرس إلى إيمان واع، ومن صورة مجموعة من الشعائر والطقوس التي تؤدى لنيل ثواب الآخرة، إلى أعظم قوة تهب الإنسان قبل الموت المسؤولية والحركة والميل إلى التضحية[6].

---

[1]. سعود المولى، "سعود المولى: شبه سيرة ذاتية"، مصدر سابق.

[2]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٤٢.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. ومنير شفيق، برنامج كل الحكاية، الحلقة ١١، مصدر سابق. وشفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٢٤٣- ٢٤٥، ٣١٤، ٣٤٢، ٣٥٧.

[4]. شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٣٤٧.

[5]. من مقابلة سعود المولى الملحقة بدراسة نيكولا دوت بوبار، **اليسار المتحول للإسلام**، مصدر سابق، ص٣٠.

[6]. علي شريعتي، **العودة إلى الذات**، ترجمة: إبراهيم دسوقي شتا (بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٧): ص٥٠- ٥١.

كان شريعتي أبرز مؤولي ومترجمي فرناز فانون، واحتلت قضية العودة إلى الإسلام مساحة نقاش بين شريعتي وفانون، الذي أوضح لشريعتي بأنه لا يشاطره آراءه "في ما عنى الإسلام"، مبديًا خشية من "إمكانية أن ينتج من الروح المذهبية والدينية نكسة تودي بأمة في طور التكوين، وإبعادها عن مستقبلها وتجميدها في ماضيها"[1].

لقد تحدث شريعتي عن هذا السجال بينه وبين فانون، الذي وجده شريعتي حساسًا تجاه الجهود التي تتم في المجتمع عن طريق الدين، إلى أن أقنعه شريعتي بأن الدين، في بعض المجتمعات ذات الثقافة والدين الخاصين، يستطيع بإمكانياته وأسسه وتأثيراته الروحية وتقاليده الخاصة أن يساعد المفكر في أن يقوم بهداية المجتمع وإرشاده إلى نفس الموقع الذي قدمه أمثال فانون عن طريق لا ديني، وذلك[2]، وقد بعث فانون برسالة إلى شريعتي يقر فيها بأن الإسلام سبق كل آسيا وأفريقيا في الكفاح ضد الاستعمار والغرب، متفقًا مع شريعتي بأن الإسلام في العالم الثالث هو أكثر العناصر والقوى الاجتماعية والإيديولوجية التي تستطيع مواجهة الغرب، والتي لها بالأساس طبيعة مناهضة للغرب. إن الإسلام بحسب هذه الرسالة، سلاح جبار، واحتياطي ضخم من الثروة المعنوية الثقافية، وكامن في أعماق المجتمعات الإسلامية، فالتمسك به ضروري لخوض المعركة الدفاعية ضد الحملات الأوروبية[3].

يبدو الموقف المتشكك لفانون من قدرة الدين على التحول إلى أفق مفتوح لمشروع تحرري في طمسه للجذور والطبائع الإسلامية لثورة الشعب الجزائري، مغفلًا أن ثورة ١٩٥٤ كانت امتدادًا للمقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي منذ العام ١٨٣٠، وقبل ذلك فإن الجزائر والمغرب الإسلامي عمومًا، لم يعرف أي وجود للأقليات الدينية منذ استقرار الإسلام فيه، باستثناء الأقلية اليهودية، وبهذا فإن الإسلام تحول إلى العالم الرمزي الوحيد للوجود الجزائري، وعامل التوحيد الأول لجماهيره[4].

ومن هنا كان إغفال فانون لمرجعية التقاليد المناهضة للاستعمار في الجزائر؛ محل تساؤل، فهو وإن تحدث عن أساليب المقاومة وأشاد بثقافة الفلاحين الجزائريين، فإنه لم يسم هذه التقاليد باسمها، أي تقاليد المقاومة الإسلامية للاستعمار، لا سيما وأن الأمثلة التي ذكرها فانون في الفصل الموسوم بـ "الانطلاق العفوي، عظمته ومواطن ضعفه"[5]، تنتمي إلى التقاليد الإسلامية المناهضة للاستعمار، وإذا كان فانون في كتابه "معذبو الأرض" يبدي موقفًا واضحًا في إدانته للمسيحية، فإنه لم يبد ذات الموقف من الإسلام، بيد أنه تعمد طمسه، فحتى حينما يتحدث عن دين الجزائريين فإنه يشير إلى "جو من التطهر" "وحالة من النشوة الجماعية"، ويلجأ إلى استعارة مصطلحات من تقاليد دينية أخرى[6]. فتظل رسالة فانون إلى شريعتي المصدر الوحيد الذي يتحدث عن تحول في موقف فانون تجاه الإسلامية

---

[1]. نايجل سي. غبسون، **فانون: المخيلة بعد– الكولونيالية**، ترجمة: خالد عايد أبو هديب، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣): ص١٦.

[2]. علي شريعتي، **مسؤولية المثقف**، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، (بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٧): ص١٣٧– ١٣٧.

[3]. علي شريعتي، **الشهادة**، ترجمة: إبراهيم دسوقي شتا، (بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٧): ص٣١– ٣٢.

[4]، البخاري حمانة، **فلسفة الثورة الجزائرية**، (الجزائر: ابن النديم– بيروت: دار روافد، ٢٠١٢): ص٥٨– ٦٣.

[5]. فرانز فانون، **معذبو الأرض**، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، (القاهرة: مدارات، ٢٠١٥): ص٩٣– ١٢٤.

[6]. هناك محاولة جادة لمعالجة هذه المسألة في مقالة لفوزي السليسي، بعنوان: "غياب البعد الإسلامي في نصوص فانون؛ الإسلام المسكوت عنه في كتاب «معذبو الأرض»"، وهي منشورة أول مرة في: Critical Middle Eastern Studies Volume 17, Issue 1 March 2008، وقد ترجمها محمد عبد الرؤوف، وألحقت في الطبعة الموثقة في المصدر السابق.

كضرورة لخوض المعركة ضد الاستعمار، ولإرساء الأسس من أجل بناء إنسان جديد وحضارة جديدة[1].

وإذن، وبالنسبة لتيار الكتيبة الطلابية، فإن العودة إلى الإسلام بدأت متدرجة منذ العام ١٩٧٦ على الأقل، إلى أن جاءت الثورة الإسلامية في إيران، فوجد التيار نفسه وكأنه جزء من الثورة، فقد جمعت كوادره ومثقفيه علاقات وثيقة بتيار الخميني وبتيار البازركان، وتأكد لهم أن دور الإسلام قائم وراهن، ورصدوا استقبال الجماهير الإسلامية والعربية لنداء "الله أكبر"، بما كشف لهم عن أن كل بحث عن خط الجماهير أو خصوصية سمات الثورة في البلاد العربية لن يصيب كبد الحقيقة أبدًا ما لم يدرك الحقيقة الإسلامية المزروعة في أساسيات التكوين العربي الراهن[2].

وهكذا تعززت عمليات التحول التي كانت جارية نظريًا، أو عملياً في مسلكيات عناصر التيار الذين تزايدت نسبة المتدينين في صفوفهم، وبدأ كل من منير شفيق والمجموعة المقربة منه مثل أبو حسن قاسم وحمدي التميمي بالانتقال إلى الإسلام كمخزون ثوري قادر على تعبئة إلى الجماهير، والاستجابة إلى أشواقهم وتطلعاتهم، وتشكيل عجينة التمرد التي تشبه سماتهم، إلا أن خطوة الانتقال إلى الإسلام السياسي أخذت منهم قليلاً من الجهد حينما بدا لبعضهم أنهم قد يخسرون بعض ما أنجزوه، فبعض أدبيات التيار كانت قد اعتمدت في مناهج أحزاب وحركات كبرى[3]، وبعضها ترجم إلى اللغتين الفارسية والتركية[4]. إلا أن هذا التردد لم يأخذ وقتًا طويلاً، حتى إن أبو حسن قاسم وحمدي التميمي أرادا أن يطلقا على عملية الدبويا في العام ١٩٨٠ اسمًا إسلاميًا[5]، وما لبث منير شفيق أن ألف كتابه "الإسلام في معركة الحضارة" والذي كان حصيلة فعلية لنقاشات شفيق مع كوادر ومثقفي التيار[6]، كما كان له وقع كبير فلسطينيًا وعلى الحركة الإسلامية، ولا سيما في السجون.

يقول محمد أبو طير أحد مؤسسي الجماعة الإسلامية في السجون: "وفي عسقلان وبقية السجون، كانت كتب منير شفيق الذي صار من المفكرين الإسلاميين هي المعتمدة عند حركة (فتح)، وكان حملة الفكر الماركسي في (فتح)، يعدّونَ الأخ منير هو المنظر للحركة، وجعلوا من قراءة كتبه الماركسية، غطاءً لنشر الفكر في التنظيم، فكان الأخ منيرُ يسرح ويمرح من خلال كتبه. ولما جاءنا بطلعته الجديدة، وبنقلته الرائعة، وخاصة كتابه الإسلام والحضارة، والذي قرأته بشغف... ولما قلنا لأحباب منير شفيق، إليكم ما أتى به الأخ منير، وأن الرجل قد أصاب كبد الحقيقة، لووا رؤوسهم، وتململوا وأُربكوا.[7]"، وعلى خلفية هذا الكتاب دارت مناقشات بين القيادة العملية للتيار ممثلة في أبو حسن قاسم وحمدي التميمي وبين معتقلي حركة فتح في السجون، وهي النقاشات التي جمعت في الكراس

---

[1]. علي شريعتي، **الشهادة**، مصدر سابق، ص٣٢.

[2]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٢٣.

[3]. مثل كتاب: **في الوحدة العربية والتجزئة**، مصدر سابق.

[4]. كتاب: **موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية**، مصد سابق.

[5]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٢١.

[6]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، تقديم نافذ أبو حسنة، الحلقة ١١، قناة القدس الفضائية، والمادة منشورة بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=RwmfgyL_R3g

[7]. محمد أبو طير، **سيدي عمر: ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة وثلاثين عامًا من الاعتقال**، مصدر سابق. والأقواس من المصدر.

الموسوم بـ "اسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان".

وإذا كانت تحولات الكتيبة الطلابية قد بدأت مع بدا عالماً ماركسيًا قد أخذ في الانهيار، فإن عالمهم الخاص قد أخذ بالانهيار أيضًا مع دخولهم الجدي في التحولات، فقد انفرط عقد التيار، إذ اتجه البعض إلى الحالة السياسية الإسلامية الشيعية الناشئة والتي ستشكل فيما بعد نواة حزب الله، وانضم آخرون للعمل مباشرة داخل الأجهزة الإيرانية، وفي المقابل اتجه بعض آخر إلى الحركة الإسلامية السنية مثل عصمت مراد أحد أبرز رموز التيار، والذي صار فيما بعد واحدًا من أهم مؤسسي حركة التوحيد الإسلامية السنية في طرابلس حتى اغتياله في العام ١٩٨٤، وكذلك مصطفى كردية الذي انضم إلى الجماعة الإسلامية واستشهد تحت رايتها.

ولم تكن هذه هي الوجهة الوحيدة التي وسمت انفراط عقد التيار، فقد انخرط بعض منتسبيه في المجال الثقافي، وتقلب آخرون بين عدد من الأفكار والحركات والأحزاب، وانطوى غيرهم على أنفسهم وشؤونهم الخاصة، بينما استمرت بقية مع حركة فتح بمسارها المتحول عن المنطلقات الأولى إلى مشروع التسوية، ودخلت مع الداخلين في صفوف السلطة الفلسطينية إلى داخل الضفة الغربية وقطاع غزة[1].

وإذا كانت دراسة تشظيات التيار، وتتبع مصائر أفراده، ومساهمة التشظي في رفد البنى الإسلامية اللبنانية والعربية الناشئة في ذلك الوقت بالكوادر والعناصر؛ ليست من اهتمام هذه الدراسة، فإن مشروع "سرايا الجهاد الإسلامي" المنبثق عن تحولات التيار، يأتي في صلب اهتمام الدراسة، لارتباطه البنيوي بالتجربة عمومًا، بما يجعله جزءًا أصيلاً من تجربة التيار، وعملية موصولة بمساره، ولموقعه من نضالات الحركة الوطنية، ودلالته على الوصل وتداخل المسارات ما بين الحركة الوطنية والحركة الإسلامية، وذلك بالإضافة إلى أهمية هذه التجربة في سياق تراكم النضالات التي وصلت إلى الانتفاضة الفلسطينية الأولى في العام ١٩٨٧، وعظمت من الحضور المقاوم للحركة الإسلامية الفلسطينية، وذلك كله يندرج في سياق مقولة "العامل المساعد" التي اعتمدها التيار، ونظرية تعدد العوامل، وأثر العوامل الأولية الصغيرة في صناعة الظواهر الكبرى، التي تعتمدها هذه الدراسة من بين ما تعتمد عليه.

سرايا الجهاد الإسلامي

تأسيس السرايا

إن أبرز وأهم المشاريع التي انبثقت عن التيار فلسطينيًا هي مشروع "سرايا الجهاد الإسلامي" المعروفة اختصارًا بـ "سجا"، والتي بدأت في العام ١٩٨٢/ ١٩٨٣[2]، مع الخروج من بيروت، وعلى ضوء من تقدير الموقف القديم، منذ خروج مصر من معادلة الصراع، بأن

---

[1]. عن تشظيات التيار، انظر: شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة**، مصدر سابق، ص٣٤٩- ٣٥٣، ٣٧٤- ٣٨١. ومقابلة سعود المولى الملحقة بدراسة نيكولا دوت بويار، مصدر سابق، ص٣١- ٣٢. وصقر أبو فخر، **أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار**، مصدر سابق، ص١٣٣- ١٣٥. ومنير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٥٧- ٥٨. ومعين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[2]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، تقديم: نافذ أبو حسنة، قناة القدس، الحلقة ١٣، نشرت المادة على موقع يوتيوب بتاريخ ٢٠١٣/٥/١٠ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠ https://www.youtube.com/watch?v=mNfOfSKc_WY. وانظ: معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق. ومقابلة خاصها أجراها

الوجود الفلسطيني قد انتهى في لبنان، وبالتالي فلا بد من تركيز المقاومة داخل فلسطين.

بعد التحول إلى الإسلام، اتجهت المجموعة الأساسية في التيار ممثلة بمنير شفيق وأبو حسن قاسم وحمدي التميمي[1] إلى تأسيس حالة إسلامية جهادية[2]، قائمة على نفس نظرية العامل المساعد، أو سد الثغرة، بمعنى أنها حالة لا تطمح للتحول إلى حركة قائمة بذاتها، وإنما تهدف إلى إسناد المجموعات الإسلامية الجهادية الأولى التي كانت تفتقر إلى الخبرة والسلاح والتدريب، وتعاني من خلافات عميقة فيما بينها، وبهذا فإن أهداف مشروع سرايا الجهاد الإسلامي يمكن اختصارها في ثلاث نقاط أساسية: الأولى؛ إطلاق المقاومة الإسلامية في فلسطين، والثانية؛ مساعدة الحركات الإسلامية الناشئة في العمل الجهادي، والثالثة؛ توفير الآلية التي تحول دون التسابق على تبني العمليات، وبهذا تبلورت فكرة سرايا الجهاد الإسلامي في الأساس "كإطار جبهوي للعمل المسلح الجهادي، دون أن يكون تنظيمًا، ودون أن يكون مسخرًا في عمله العسكري لخدمة تنظيم بعينه"[3].

وتذكر رسالة داخلية أرسلتها قيادة سرايا الجهاد الإسلامي إلى معتقليها في السجون الصهيونية، بأن بداية فكرة سرايا الجهاد كانت تستهدف بالأساس وضع القطار الإسلامي بمختلف عرباته على سكة الجهاد في فلسطين، وأن هذا هو الهاجس الذي كان يستحوذ على ذهن مؤسسيها الشهداء، والذي كان يحتل رقعة كبيرة في تفكير عدد كبير من الكوادر في الداخل والخارج، أسرى في السجون أو أعضاء في تنظيمات فدائية انضموا للعمل الإسلامي، أو أعضاء في تنظيمات إسلامية .فلم يكن هاجس المؤسسين، بحسب هذه الوثيقة، على الإطلاق أن يضيفوا تنظيمًا إسلاميًا جديدًا على الساحة، وإنما أن يكرسوا منهجًا جهاديًا عمليًا يشق طريقه عبر الجهاد ضد العدو، وتذكر الوثيقة بأنهم نظروا دومًا إلى السرايا باعتبارها جيشًا لكل المسلمين، وقد اتفق معهم في اجتهادهم هذا "الحركة الإسلامية المجاهدة" و"الجهاد الإسلامي"، وآخرون مستقلون، أو لهم علاقاتهم التاريخية داخل "حركة الإخوان"[4].

الباحث مع عطاف عليان بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١٣. وعبد الله عيسى، **حافلات الجهاد الإسلامي**، (عمان: دار الإبداع، ١٩٩١): ص٣٨- ٤٤. ومعين الطاهر، "السرايا.. من دفاتر المقاومة الفلسطينية"، صحيفة العربي الجديد، ٢٠١٥/٢/٢٤.

وبحسب رواية عطاف عليان، فإن أبو حسن قاسم وحمدي التميمي أخبراها بوجود تشكيل عسكري اسمه "سرايا الجهاد الإسلامي" في العام ١٩٨٣ أو ١٩٨٤، وأخبراها في الوقت نفسه بأن هذا التشكيل موجود منذ فترة، يقوم بالعمليات دون أن يعلن عن نفسه، وهذا يعني أن التشكيل موجود على الأقل منذ العام ١٩٨٢،

[1]. يذكر منير شفيق في سياق حديثه عن تشظيات التيار، والاختيارات الإسلامية الخاصة بمنتسبيه والتي تباينت في خيارات واتجاهات مختلفة، أن بعض اللبنانيين من منتسبي التيار أصروا على الانخراط في المشروع الفلسطيني الجهادي ضمن حالته الجديدة، وكان في مقدمتهم سمير الشيخ، والذي لولا استشهاده لكان في مقدمة العاملين في المشروع الجهادي الفلسطيني، والذي كان يستعد لمغادرة لبنان والتفرغ لمشروع "سرايا الجهاد الإسلامي" في فلسطين. انظر: منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٥٨.

[2]. في ١٩٩٠/١٠/٢٩، أصدرت الحكومة االصهيونية أمرًا عسكريًا تحظر فيه سرايا الجهاد الإسلامي، والاتجاه الإسلامي المجاهد الذي اعتبر فيما بعد إطارًا سياسيًا للسرايا. وجاء الحظر ضمن بند الجهاد الإسلامي والذي شمل: الجهاد الاسلامي الفلسطيني ويضم ذلك المجموعات التي يرأسها: فتحي الشقاقي، عبد العزيز عوده, أسعد التميمي, جبر عمار, أحمد مهنا، منير شفيق, معين طاهر, وحركة الجهاد الاسلامي – بيت المقدس.، وسرايا الجهاد الاسلامي.، والاتجاه الاسلامي المجاهد، وحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين – بيت المقدس. انظر: موقع قانون بلا حدود، قائمة الجمعيات التي أُعلنت كجمعيات غير مسموحة، ورجع إليها الباحث في ٢٠١٥/١/١٠. http://nolegalfrontiers.org/military-orders/mil08?lang=ar

[3]. نشرة السبيل، العدد ٢١، (شباط ١٩٩١): ص٧.

[4]. رسالة أرسلت من قيادة سرايا الجهاد الإسلامي في خارج السجن إلى عناصر السرايا المعتقلين في سجن الخليل بتاريخ ١٩٨٩/٩/١٢، ووصلت إلى داخل السجن بتاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٢

وبالرغم من استمرار كل من منير شفيق وأبو حسن قاسم وحمدي التميمي داخل فتح، فإن هذا المشروع لم يكن مشروعًا خاصًا بفتح، ولا فكرة مدعومة من خليل الوزير، كما هو رائج[1]، فقد ميز القائمون على المشروع بين وجودهم في فتح وتأسيسهم لمشروع المقاومة الإسلامية في فلسطين، عبر "سرايا الجهاد الإسلامي"، فمن جهته يؤكد منير شفيق بأن قيادة فتح أخذت قرارًا بحجب الموازنة المخصصة للجنة التنظيم في القطاع الغربي، والتي كان يشرف عليها أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، حجبًا صارمًا منذ أواخر العام ١٩٨٤، مما يعني تجميد وضعهما في الحركة دون قرار بالفصل، إلا أنه وبعد اندلاع الانتفاضة، وبسببها، وبسبب تصاعد العمليات الجهادية ورسوخها، والبداية القوية لظهور حماس، وبسبب الخلاف المتفاقم مع ياسر عرفات، ولأن حجب الموازنة لم يغير شيئًا من دور وقناعات أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، فقد قرر خليل الوزير أن يعيد ترتيب العلاقات معهما لدعم نشاطهما داخل الأرض المحتلة، وهو ما لم يحصل بسبب استشهادهما المبكر[2].

وهذه الرواية لا تختلف عن رواية معين الطاهر، الذي يؤكد بأن السرايا لا علاقة لها بفتح، وإنما بالمجموعات الإسلامية أو الأفراد ذوي التوجه الإسلامي الذين يريدون مقارعة العدو الصهيوني، وهي مستقلة تمامًا عن فتح، كما أن علاقة أبو حسن قاسم وحمدي التميمي بخليل الوزير كانت قد مرت بمراحل مد وجزر وانقطاع وازدهار، وأن الترتيب الذي جرى بينهم وبين خليل الوزير قد حصل قبل استشهادهم بفترة وجيزة[3]، وهو ما يعني أن مشروع سرايا الجهاد الإسلامي كان قد مضى عليه ٥ سنوات على الأقل قبل إعادة ترتيب العمل مع خليل الوزير، وقد اهتمت أيضًا سرايا الجهاد الإسلامي لاحقًا وبعد استشهاد قادتها بنفي صلتها بفتح، والتأكيد على أنها مستقلة عن فتح استقلالاً تامًا، وأن لها خطًا عقديًا وفكريًا وسياسيًا مختلفًا تمامًا[4].

شكلت سرايا الجهاد الإسلامي إطارًا لعدد من المجموعات الإسلامية الأولى، كان أبرزها مجموعة الدكتور فتحي الشقاقي التي أصبحت فيما بعد حركة الجهاد الإسلامي، ومن هذه المجموعات أيضًا: جماعة الشيخ أسعد بيوض التميمي[5]، "والحركة الإسلامية المجاهدة"[6]، وبالإضافة إلى تلك المجموعات الأساسية، كانت هناك مجموعات أخرى تضم شخصيات من جماعة الإخوان المسلمين، يصفها منير شفيق بأنها كوادر كبيرة في صلب الإخوان عملت مع السرايا بعلم الإخوان وإن لم يكن بصورة رسمية[7]، وتقول عطاف عليان أن عدد المجموعات التي عملت في إطار السرايا وصلت من ٥ إلى ٦ مجموعات، من بينها مجموعات إخوانية، كما أن عطاف نفسها حينما بدأت بالاتصال بأبو حسن قاسم وحمدي التميمي كانت ناشطة في صفوف الإخوان[8].

---

[1]. انظر مثلاً: يزيد صايغ، مصدر سابق، ص٨٨٠.

[2]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق. ص٣٩.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[4]. نشرة السبيل، العدد ١٠، (٣٠ تشرين ثاني ١٩٨٩): ص١٠.

[5]. راجع ما سبق من هذه الدراسة حول الجماعات التي حملت اسم الجهاد الإسلامي.

[6]. أسسها الشيخ إبراهيم غنيم في مخيم عين الحلوة بلبنان، ولا يزال لها وجود إلى اليوم، وكانت من ضمن القوى التي تصدت للغزو الصهيوني للبنان في العام ١٩٨٢.

[7]. منير شفيق، برنامج كل الحكاية، تقديم: نافذ أبو حسنة، قناة القدس، الحلقة ١٣، مصدر سابق.

[8]. من مقابلة أجراها الباحث مع عطاف عليان، مصدر سابق.

العلاقة بالإخوان وحماس

علاقة سرايا الجهاد الإسلامي بالإخوان، تتضح في التعاون الذي حصل بين السرايا وعبد الله عزام في تدريب كوادر السرايا في أفغانستان، ولا سيما المجموعة التي خططت لنسف مقر رئاسة الوزراء في القدس عبر عملية "استشهادية" تنفذها عطاف عليان[1]، إذ تفيد رواية عطاف عليان بأن المسؤول عن تفخيخ السيارة[2]، كان قد أرسله أبو حسن وحمدي للتدريب في أفغانستان لدى عبد الله عزام، وهي المعلومة التي أكدها كذلك معين الطاهر[3]، مضيفًا بأن سرايا الجهاد الإسلامي ضمت في الأساس بعض كوادر معسكر الشيوخ وكانت محاولة لاستلهام تجربة معسكر الشيوخ. وأما علاقة السرايا بعبد الله عزام فبدأت في العام ١٩٨٤[4] كما تشير بعض المصادر، بينما نشأت المعرفة والعلاقة الشخصية به منذ معسكرات الشيوخ في الأردن[5].

وعن علاقة مشروع سرايا الجهاد الإسلامي بحماس، فإن أوضح ما يتعلق بهذه الصلة، هو قيام ميسرة أبو حمدية[6] بتدريب الكوادر العسكرية الأولى لحماس[7]، وهو الأمر الذي أكدته كتائب القسام في بيان نعيها لميسرة أبو حمدية بعد استشهاده داخل السجن حينما قالت: "التحق بكتائب القسام منذ بدايات عملها وشارك في تدريب المجاهدين منذ عام ١٩٨٩م، وعمل بصمت وجهد دؤوب على إمداد المجاهدين بالسلاح والمتفجرات، وكان له بصمات في عمليات نوعية لكتائب القسام كانت باكورتها عام ١٩٩١م و١٩٩٢م، كما امتد جهده المقاوم لفصائل مقاومة أخرى، وبقي على عهده مع القسام إلى أن كانت آخر عملياته التي اعتقل على إثرها عام ٢٠٠٢م"[8]، وسوى ذلك، فليس من الواضح إن كان هناك علاقة أخرى ما بين هذه التجربة والإخوان باستثناء ما تفيده بعض المصادر من أن عمر الأشقر أول رئيس مجلس شورى لحماس، كان قد التقى منير شفيق في العام ١٩٨٠ للاطلاع على تجربة تياره والاستفادة منها[9].

لكن وطالما أن جماعة الإخوان المسلمين كانت قد أرسلت بعضًا من كوادرها للتدريب في الخارج في العام ١٩٨٠[10]، وبدأت اتصالها

---

[1]. سيأتي الحديث عنها.

[2]. المهندس سليمان الزهيري، ويعمل الآن وكيلاً لوزارة الاتصالات في السلطة الفلسطينية، وقد حاول الباحث إجراء مقابلة معه ولكنه اعتذر.

[3]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[4]. عبد الله عيسى، **متفجرات في مكتب شامير**، (عمان: دار الإبداع، ١٩٩١): ص٦.

[5]. المصدر السابق، ص٢٤.

[6]. ميسرة أبو حمدية، أبعد من الخليل إلى الأردن في العام ١٩٧٠، والتحق بصفوف تيار الكتيبة الطلابية، وعمل بعد ذلك في مشروع سرايا الجهاد الإسلامي، وكان له دور في التجهيز لعمليتي الدبويا وباب المغاربة (البراق)، عاد إلى فلسطين في العام ١٩٩٨، واعتقل في العام ٢٠٠٢ على خلفية نشاطه الجهادي مع عدد من الفصائل من بينها كتائب القسام وكتائب شهداء الأقصى، وكان قد انتقل في السجن إلى أقسام حماس، واستشهد داخل السجن بالمرض في ٢ نيسان ٢٠١٣. انظر: تقرير المركز الفلسطيني للإعلام، حول ميسرة أبو حمدية، منشور في ٢٠١٣/٤/٢، واسترجعه الباحث في ٢٠١٣/٤/٢. http://www.palinfo.com/site/pic/newsdetails.aspx?itemid=132576

[7]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[8]. بيان عسكري صادر عن كتائب الشهيد عز الدين القسام، **كتائب القسام ترف الأسير المجاهد ميسرة أبو حمدية أحد مجاهديها الأوائل، ٢٠١٣/٤/٢.**

[9]. محسن صالح، " قراءة في الدور الدعوي والحركي للعلامة الأشقر"، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات على شبكة الإنترنت، مصدر سابق.

[10]. محسن محمد صالح، "حركة المقاومة الإسلامية (حماس): قراءة في رصيد التجربة"، في: **حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة**، مصدر سابق، ص٣١

بمجموعة منير شفيق في العام نفسه، فمن المحتمل أن تكون بعض الصلات العسكرية قد بدأت في ذلك الوقت، أو مع بداية الاتصال بعبد الله عزام في العام ١٩٨٤. وقد بدا واضحًا اهتمام سرايا الجهاد الإسلامي، بعد استشهاد قادتها، بحماس من خلال نشرتها المركزية السبيل، ومنذ عددها الأول الذي نشرت فيه مقتطفات من ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس"[1].

جانب من عمليات السرايا

أعلنت سرايا الجهاد الإسلامي عن نفسها بعد عملية حائط البراق، أو باب المغاربة[2]، في ١٥ تشرين أول ١٩٨٦، والتي كانت هجومًا بالقنابل اليدوية على تجمع كبير من جنود لواء "جفعاتي" أثناء تأديتهم القسم عند حائط البراق، (حائط المبكى في الادعاءات الصهيونية) ، وأدى إلى إصابة أكثر من ٧٠ جنديًا، وقد اعتقل منفذو العملية بعد ذلك وهم طارق حليس، وناصر حليس، وإبراهيم عليان، وسمير أبو نعمة.

قامت سرايا الجهاد الإسلامي، وبقيادة أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، بتجهيز المجموعة وتدريبها من الأردن منذ العام ١٩٨٥، وعلى مدار الشهور التالية زودتها من الأردن بالمال ومن داخل الأرض المحتلة بالسلاح والذخيرة والقنابل اليدوية، بواسطة شبكة محكمة من الرسل والوسطاء والآليات التنظيمية المعقدة، وبعد تجهيز المجموعة نسّقت السرايا مع مجموعة الدكتور فتحي الشقاقي، ونفذت العملية بترتيب مشترك.

وكشفت هذه العملية، عن عملية سابقة، نفذها سمير أبو نعمة في ٦ كانون أول ١٩٨٣، بتفجير حافلة صهيونية تحمل الرقم (١٨) بواسطة عبوة ناسفة وضعها داخل الحافلة التي انفجرت في منطقة "بيت هكريم" قرب القدس المحتلة[3].

أمّا أخطر العمليات التي أعدت لها سرايا الجهاد الإسلامي، فهي عملية تفجير مبنى رئاسة الوزراء "الإسرائيلية" في القدس، بواسطة فتاة استشهادية كان يفترض أن تكون عطاف عليان. كانت عطاف عليان خطيبة عمر الحروب أحد منفذي عملية الدبويا، وناشطة في صفوف الإخوان دعويًا وتربويًا، ولكنها كانت تشارك في المظاهرات والفعاليات الوطنية دون إرادة الإخوان، وقد حاولت الارتباط بالعمل العكسري بواسطة خطيبها الأسير بيد أنها لم تفلح، فاتجهت في العام ١٩٨٠ إلى الأردن، ومن هناك اتجهت إلى لبنان وتدربت مدة ١٢ يومًا في معسكرات حركة فتح بواسطة أبو حسن قاسم وحمدي التميمي[4]، ثم جددت الاتصال بهم في الفترة ما بين العامين

---

[1]. نشرة السبيل، العدد ١، (٢٤ شباط ١٩٨٩): ص٩.

[2]. عن عملية البراق انظر: عبد الله عيسى، **متفجرات في مكتب شامير**، مصدر سابق، ص٦٩– ٩٣. ونشرة السبيل، العدد ٨، (٣٠ أيلول ١٩٨٩): ص٨. ونشرة السبيل، العدد ١٠، (٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٩): ص٩، وأنور أبو طه، **حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: الأصول– الإيديولوجيا– التحولات**، مصدر سابق.

[3]. وعبد الله عيسى، **حافلات الجهاد الإسلامي**، مصدر سابق، ص٣٨– ٤٤. وسبق للسرايا أن بينت أن عملية البراق لم تكن أولى عملياتها إذ قالت في نشرة السبيل: "فعلى الرغم من أن عملية البراق لم تكن العمل العسكري الأول فقد سبقها عدد من المحاولات العسكرية المتفرقة التي كانت كشأن أي عمل في بداياته متواضعة نسبيًا ولكنها يجب أن تقدر تقديرًا عاليًا بالنسبة إلى ما حملته من مغزى لأنها كانت تعبيرًا عن إرهاصات للعمل الإسلامي العسكري". نشرة السبيل، العدد ١٠، مصدر سابق، ص٩.

[4]. تقول عطاف عليان أنها تعرفت منهما على كتابات منير شفيق، ولم تكن تعلم بعد بتحولهم إلى الإسلام، فأخبرتهم بالتزامها الديني، ورفضها لفتح وخطها العلماني، وأن رغبتها منحصرة في التدريب على السلاح. صرّحت بذلك للباحث في مقابلة أجراها معها، انظر: المقابلة، مصدر سابق.

١٩٨٤/١٩٨٣ في الأردن بعد الغزو الصهيوني للبنان، وفي هذا اللقاء أخبروها بوجود تشكيل "سرايا الجهاد الإسلامي"[1]، فاقترحت عليهم تنفيذ عملية استشهادية، وجرى الاتفاق على العملية في العام ١٩٨٥، وقاموا بتسجيل كلمة لها في تصوير فيديو للإعلان عن العملية بعد تنفيذها، وفي الأرض المحتلة تولى سليمان الزهيري تجهير السيارة بالمتفجرات، وقاسم قاسم تولى مراقبة مكان التنفيذ. وبحسب عطاف عليان فإن كلاً من سليمان الزهيري وقاسم قاسم أُرسلا إلى أفغانستان للتدريب لدى عبد الله عزام[2]، إلا أن خطأ أدى إلى اعتقال المجموعة قبل تنفيذ العملية، واعتُقلت عطاف في ٢ آب ١٩٨٧ أي قبل انفجار الانتفاضة الفلسطينية الأولى بوقت قصير[3].

العلاقة بالجهاد الإسلامي

كانت علاقة سرايا الجهاد الإسلامي الأبرز والأوثق بمجموعة الدكتور فتحي الشقاقي، والتي بدأت في العام ١٩٨٢، حينما التقى الشقاقي بمنير شفيق في لندن في مؤتمر إسلامي، لم تكن مجموعة الشقاقي قد أطلقت على نفسها بعد اسم "حركة الجهاد الإسلامي"، وتمخض هذا التنسيق عن عملية البراق، إلا أن مصادر سرايا الجهاد الإسلامي وبعض الوسائل الإعلامية في ذلك الوقت تؤكد أن السرايا قامت بتسليح مجموعة الشهيد مصباح الصوري بعد هروبها من سجن غزة في ١٧ أيار ١٩٨٧، وهي المجموعة التي قادت اشتباك الشجاعية الشهير في ٦ تشرين أول ١٩٨٧.

وعن هذا الدور لسرايا الجهاد الإسلامي في تسليح مجموعة مصباح الصوري، يقول معين الطاهر: "وأنا أذكر تماماً الرسالة التي أرسلها الشهيد مصباح الصوري إلى حمدي، والردّ على هذه الرسالة، وكيف تم تأمين السلاح لهذه المجموعة المجاهدة"[4]، وهو ما يؤكده أيضًا منير شفيق[5]، ومصادر سرايا الجهاد الإسلامي[6]، وبعض المصادر الإعلامية[7]، إلا أن مصادر الجهاد الإسلامي غالبًا لا تذكر هذا الدور لسرايا الجهاد الإسلامي في تسليح مجموعة الشجاعية التي اعتُبرت معركتها الشرارة الأولى التي أطلقت الانتفاضة الفلسطينية الأولى،

---

[1]. وفي هذا اللقاء حدثوها عن قصة تحولهم إلى الإسلام. تقول: "قالوا لي: كان توجههم ماركسيًا ماويًا، ولكن تفاعلهم كان مع طبقة الشعب، مع الناس والمخيمات، كان لديهم حضور قوي، وبالفعل لقد أحسست بمدى قربهم من الناس وقلوب الناس، ومدى تواجدهم بين الناس.. قالوا لي: كنا مقتنعين فعلاً بالفكر الماركسي، كنا قريبين من الشعب لأننا كنا مؤمنين أن هؤلاء الناس هم الذين سيحررون، فكنا قريبين من الناس، ولكننا كنا نعاني من ازدواجية، فالناس فطرتهم دينية إسلامية، لكننا كنا في انفصام، كنا ماركسيين، ولكن حتى نكون مع الناس البسطاء كنا نتصنع الصيام والصلاة ونحن بين الناس، ولكن هذا خلق لنا حالة من الانفصام، فكيف نؤمن أن التحرير سيكون على أيدي هؤلاء الناس وفكرهم إسلامي على بساطتهم ونقائهم ولكن الفكر الذي نحمله بعيد عنهم ..كنا نتساءل ما هي إمكانية الفكر الماركسي على صنع الانتصار، وهل الإسلام يملك هذه الإمكانية؟ حتى كانت الثورة الإسلامية في إيران، لقد كانت الثورة في إيران الإجابة على كل تساؤولاتنا، هل يملك الإسلام أن يصنع الانتصار؟" من مقابلة أجراها معها الباحث.

[2]. وهذه المعلومة يؤكدها معين الطاهر، وعبد الله عيسى في كتابه متفجرات في مكتب شامير. كما سلف وبين الباحث.

[3]. يروي عبد الله عيسى تفاصيل موسعة للعملية، مع بعض الاختلافات البسيطة عن رواية عطاف عليان، متعلقة بالتواريخ وأماكن التدريب وطرق السفر.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. منير شفيق، **شهداء ومسيرة**، مصدر سابق، ص٣٩.

[6]. نشرة السبيسل، العدد ٨، مصدر سابق، ص٨. وجاء في النشرة: "ومن هنا كان لا بد من التوقف أمام عملية البراق «حائط المبكى» لأهميتها التاريخية في مسار العمل الجهادي الفلسطيني. وإذا ما ضم إلى هذا المسار العمليات العسكرية اللاحقة فيما بعد والتي أعلنت عنها «سرايا الجهاد الإسلامي» كمعركة الشجاعية، أو اغتيال الكولونيل روزنتال في غزة، والعملية الاستشهادية التي كانت ستنفذها الأخت عطاف عليان... إن كل ذلك كان بدء الدخول الإسلامي الكبير والنشط إلى ساحة المواجهة مع العدو".

[7]. مجلة التوحيد، العدد ٤٠، (أيار– حزيران ١٩٨٩): ص١٥٤– ١٥٦.

ولكن على أية حال فإن تعدد العناوين التي تعاونت في إطار السرايا تثير مثل هذه الاستشكلات، كما تشير مصادر السرايا نفسها، بقولها مثلاً: "في هذه التربة نبت التيار الجديد الذي بدأ يتحرك تحت لافتات مختلفة مثل الجماعة الإسلامية، الحركة الإسلامية المجاهدة، الطليعة الإسلامية، سرايا الجهاد الإسلامي"[1].

بعد إبعاد الشقاقي إلى لبنان، في ١٧ آب ١٩٨٨، ستنفصل حركة الجهاد الإسلامي عن سرايا الجهاد الإسلامي، وكان قادة السرايا أبو حسن قاسم وحمدي التميمي قد استشهدوا قبل ذلك برفقة مروان كيالي في ١٤ شباط ١٩٨٨ في قبرص. الخلاف الذي حصل بين الدكتور الشقاقي وسرايا الجهاد الإسلامي يبدو غامضًا، وإن تطرق له منير شفيق قديمًا في كتابه "شهداء ومسيرة" تلميحًا بقوله: "وكان البعض بعد حين يدير ظهره إن لم ينقلب على الإخوة المعنيين في التيار. لقد حدث هذا في الساحة اللبنانية والساحة الفلسطينية وفي ساحات أخرى. وقد حدث خلال السبعينات كما حدث مع تجربة العمل مع بعض القوى الجهادية الإسلامية فيما بعد"[2]، لكن وبعد سنوات يزيد منير شفيق الأمر وضوحًا: "كان لدى الشقاقي مشروع كبير، ولم يكن لدى أبو حسن وحمدي مشروع أو سعي لأن يكونوا قادة، ولكنهم أرادوا دعم من يريد أن يقاوم، وكان لدى الدكتور تحفظات على بعض من هم في السرايا، وحينما خرج الدكتور للخارج أراد عمل تنظيم، وأن يكون له الدور القيادي في كل ذلك، فتوقف التعاون في ٨٨. من ٨٢ إلى ٨٨ لم يكن هناك مشاكل"[3].

وهذه هي ذات رواية معين الطاهر: "خرج الدكتور فتحي الشقاقي من السجن وأُبعد إلى الخارج، وبدأ بإعادة ترتيب أوضاع حركة الجهاد الإسلامي، فالتقينا معه في وقت انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، وبدا مُصرًّا على أن يشكل تنظيمًا حديديًّا رافضًا فكرة جبهوبة سرايا الجهاد، ولذا قرر أن يستقل كليًا بالعمل العسكري والسياسي باسم حركة الجهاد الإسلامي، عارضًا علينا أن نتولى مسؤولية الجهاز العسكري لحركة الجهاد. لم تكن هذه فكرتنا، ولا رغبتنا، فنحن لسنا مع طرف بعينه سواء على الساحة الإسلامية أو الوطنية"[4]، وهي أيضًا رواية عطاف عليان[5] التي انضمت فيما بعد إلى حركة الجهاد الإسلامي.

وأمّا بالنسبة للجهاد الإسلامي، فثمة عدد من الروايات، إذ يقول الشقاقي في إحدى المقابلات الصحفية معه: "سرايا الجهاد الإسلامي ليست تنظيمًا بعينه ولكن اسم تم الاتفاق بين حركتنا وإخوة آخرين أن تكون عنوانًا لعملنا العسكري في محاولة لاستيعاب أكبر عدد من المجاهدين وكان ضمن الاتفاق ألا يتم الحديث عن سرايا الجهاد الإسلامي كتنظيم محدد بعينه كما لا يجوز أن يصدر

---

[1]. مجلة التوحيد، العدد ٣٥، (حزيران – آب ١٩٨٨): ص١٦٣. نقلاً عن العدد الأول من نشرة الإسلام وفلسطين. وكانت نشرة الإسلام وفلسطين معبرة عن سرايا الجهاد الإسلامي قبل انفصال الدكتور الشقاقي عنها، فأصبحت بعد ذلك تابعة لحركة الجهاد الإسلامي وحسب.

[2]. منير شفيق، شهداء ومسيرة، مصدر سابق، ص٦٦.

[3]. منير شفيق. برنامج كل الحكاية، الحلقة ١٣، مصدر سابق.

[4]. معين الطاهر، *الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة*، مصدر سابق.

[5]. من مقابلة الباحث معها، وقالت في هذه المقابلة: "كان هناك طرح نحو جبهة إسلامية عريضة، وهنا بدأ الاختلاف مع الشقاقي، لأن الشقاقي دعا إلى دمج سرايا الجهاد الإسلامي بشكل كامل داخل حركة الجهاد الإسلامي، فكان ردهم أن سرايا الجهاد الإسلامي أسسناها من أجل إيجاد إطار تنسيقي في العمل الجهادي وحتى لا يضيع حق أحد في العمل، وقد حصل الخلاف بعد إبعاده إلى الخارج، حيث كان تنظيمه داخل فلسطين، ولكن بعد إبعاده بدأ بعمل نواة قوية لحركة الجهاد الإسلامي، ومن هنا بدلاً من التقارب حصل البعد".

بهذا الاسم أي بيان سياسي، ولا يتم جمع تبرعات باسم السرايا وكان من بين الإخوة الذين تعاونوا معنا ضمن سرايا الجهاد الشهداء الأبطال أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، وبعد استشهادهما في شباط ١٩٨٨حدث بعض الاضطراب والارتباك وربما التراجع في مشروع سرايا الجهاد الإسلامي، ولكننا لم نصدر بيانات عسكرية باسم السرايا في العاميين الماضيين مما جعل العدو ينسب السرايا في أكثر من مرة إلى حركة فتح، لأن بعض الإخوة الآخرين كان ولا زال على علاقة بحركة فتح."[1].

لا تبدو رواية الشقاقي هنا بذلك الوضح حول أسباب الاختلاف، ولا كذلك رواية رمضان عبد الله شلح الأمين العام الحالي لحركة الجهاد الإسلامي، إذ يقول: "«سرايا الجهاد» كانت عبارة عن إطار تحالف بين حركة «الجهاد الإسلامي» وبين أخوة آخرين بعضهم إسلاميون في «فتح» وبعضهم خارجها. لكن الجهد الأساسي كان فيه لمجموعتين، «الجهاد» من جهة ومجموعة إسلامية في «فتح» كانت مقربة فكريًا من الأستاذ منير شفيق من جهة أخرى، وشفيق مفكر إسلامي فلسطيني كنا نطبع كتبه في فلسطين، وكان أبرز الأخوة الشهيد أبو حسن قاسم محمد البحيص، والشهيد باسم التميمي حمدي اللذين اغتالهما الموساد في ليماسول – قبرص في شباط فبراير ١٩٨٨، وكان معهما الشهيد مروان كيالي. و«سرايا الجهاد» نفذت عمليات ناجحة عدة كان أشهرها عملية حائط البراق في ١٩٨٦/١٠/١٥ التي نفذها المجاهدان الأخوان طارق وعبد الناصر الحليس"[2].

لكن الاختلاف يبدو أكثر وضوحًا في دراسة أكاديمية لأنور أبو طه، أحد قادة الجهاد الإسلامي، ذكر فيها أن الانفصال تعلق باستمرار وجود كوادر السرايا داخل فتح، الأمر الذي أثار لغطًا حول استقلالية الجهاد الإسلامي، وفتح المجال ليسار عرفات للقول بأن حركة الجهاد الإسلامي تتبع فتح[3]، وهي الرواية الداخلية التي قدّمها الشقاقي لمعتلي حركة الجهاد الإسلامي في رسالة داخلية قال فيها: "اتفقنا على اسم السرايا كحل وسط بدلاً عن الاندماج الفوري وهي اسم يعلن تحته العمليات، وحتى يناير ١٩٨٩ كان منير يوقع باسم مجموعة أبو حسن وحمدي ونحن نوقع بجانبه حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين. وبعد غياب الشهداء الأبطال وإصرار منير على البقاء داخل فتح والخشية من تداخل خطوطنا مع فتح في الإعلام كما حدث كثيرًا بدأ الاضطراب في العلاقة، حتى انتهت"[4].

وعلى أية حال، فإن رواية تأسيس السرايا تبدو متباينة حتى بين الجهاد الإسلامي وسرايا الجهاد، ففي حين يذكر أنور أبو طه أن فكرة السرايا بدأت كذراع مسلح للجهاد الإسلامي دون اندماج فوري، لأنه المجموعة الإسلامية في فتح لم تكن ناضجة بالقدر الذي تتحمل فيه المخاطر التي قد تترتب على خروجها في تلك الفترة[5]، وبتعبير الشقاقي "لم تكن صافية أو نقية"[6]، فإن رواية السرايا سواء من خلال عناصرها السابقين أو نصوصها الرسمية تفيد بأن الفكرة في الأساس قامت كمشروع جبهوي يجمع الجهود العسكرية لكل المجموعات

---

[1]. رفعت السيد أحمد، رحلة الدم الذي هزم السيف، مصدر سابق، ج٢، ص٧٣٣– ٧٣٤. نقلا عن صحيفة اللواء اللبنانية مع الشقاقي في تشرين أول ١٩٩٠.

[2]. رمضان عبد الله شلح في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة ٣، صحيفة الحياة، مصدر سابق.

[3]. أنور أبو طه، **حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: الأصول– الإيديولوجيا– التحولات**، مصدر سابق.

[4]. من أقوال الشقاقي من الرسائل الخاصة للحركة في الداخل وللسجون، موقع مركز الوعي للدراسات والبحوث الإنسانية، مصدر سابق.

[5]. أنور أبو طه، **حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: الأصول– الإيديولوجيا– التحولات**، مصدر سابق.

[6]. من أقوال الشقاقي من الرسائل الخاصة للحركة في الداخل وللسجون، موقع مركز الوعي للدراسات والبحوث الإنسانية، مصدر سابق.

الجهادية التي كانت قائمة في ذلك الوقت.

ومن المحتمل أن طبيعة العلاقة مع إيران كانت من أسباب الخلاف، كما تشعر رسالة خاصة أرسلتها قيادة السرايا لمعتقليها في السجون، إذ يبدو الموقف تجاه إيران من طرف السرايا أقل حماسًا من موقف الشقاقي، لاعتقاد السرايا بأن الجهاد في فلسطين لن يكون محميًّا إلا بعمق إسلامي سُنّي، وهذا يفرض أن يكون الخط السليم بالتركيز على الجسم السُنّي[1]. وبدا واضحًا في نشرة السرايا المركزية "السبيل" اهتمامها الشديد بحركة حماس، ونقلها المستمر لبياناتها في أكثر أعدادها، وأحيانًا لبيانات الشيخ أسعد بيوض التميمي، دون ذكر تقريبًا لحركة الجهاد الإسلامي.

ويُضاف إلى الموضوع الإيراني، ثلاثة محاور أخرى؛ من الراجح أنها شكّلت عناوين أساسية في الخلاف: أولها، اتجاه مجموعة منير شفيق وأبو حسن قاسم وحمدي التميمي الإيجابي تجاه الإخوان المسلمين ولا سيما حركة حماس بعد انطلاقتها، بينما كانت مجموعة الشقاقي تتسم بقدر عال من الحساسية تجاه الإخوان، فتأسيس مجموعة الشقاقي نهض في الأساس على نقد الإخوان وهو ما أوجد قدرًا من الاحتكاكات التي وَلّدت مرارات استمرت قدرًا من الزمن، وثاني تلك المحاور رفض استعداء الأنظمة العربية، والحرص على التضامن العربي ولو في حدّه الأدنى، وفي المقابل كانت مجموعة الشقاقي في بداياتها تتبنى مواقف حادة تجاه الأنظمة العربية تتماهى إلى حد ما مع مواقف الجماعات الجهادية المصرية، بالإضافة إلى أن الذهاب بالعلاقة مع إيران إلى حدّ الارتباط العضوي سيضع التشكيل في موضع اصطفاف في مقابل المحور العربي، وأخيرًا فإن العلاقة بالشيخ أسعد بيوض التميمي ستكون بالتأكيد سببًا في الاختلاف مع الشقاقي، بعدما طالب التميمي بالبيعة باعتباره مؤسس الحركة، ومستدلاً على ذلك برسالة كان الشقاقي[2]، أثناء وجوده في السجن، قد أرسلها إليه[3].

وفيما بعد أصبحت سرايا الجهاد الإسلامي معنية في بياناتها الرسمية بنفي ارتباطها بكل من حركة فتح أو حركة الجهاد الإسلامي، وسعت لتأسيس إطار للعمل السياسي والدعوي، في محاولة منها لتوفير غطاء إسلامي لجهادها المسلح، ولحلّ مشكلة تعرض معتقليها للاضطهاد من قبل حركة فتح داخل السجون، ولحلّ مشكلة الشعور بالانتماء المزدوج لدى معتقليها، فظروف تأسيس السرايا التي ارتبطت بمجموعة إسلامية من حركة فتح، وأخرى أصبحت فيما بعد حركة الجهاد الإسلامي، ومع عدم وجود إطار خاص بالسرايا، تعرّض معتقلو السرايا إلى أزمة الانتماء داخل السجون، ومن هنا جاءت فكرت "الاتجاه الإسلامي المجاهد"، والذي أَعلن في واحد من بياناته أن: "ثمة من يخلط –بقصد أو بغير قصد– بين سرايا الجهاد الإسلامي من جهة، وبين قوى إسلامية ووطنية أخرى، لا سيما حركة الجهاد الإسلامي وحركة التحرير الوطني الفلسطيني– فتح. ودفعًا لأي التباس نؤكد هنا أن سرايا الجهاد الإسلامي هي الإطار

---

[1]. رسالة أرسلت من قيادة سرايا الجهاد الإسلامي في خارج السجن إلى عناصر السرايا المعتقلين في سجن الخليل، مصدر سابق.

[2]. سبقت الإشارة إلى هذه الرسالة.

[3]. أكرم حجازي، الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة من الداخل، مصدر سابق. وقد حاول الباحث إجراء مقابلات مع ٣ شخصيات أساسية كانت شاهدة على تحالف سرايا الجهاد الإسلامي، وحركة الجهاد الإسلامي، إلا أنها اعتذرت.

العسكري الجهادي العريض الذي ينفذ الاتجاه الإسلامي المجاهد عملياته العسكرية من خلاله. والاتجاه والسرايا يمثلان إطارًا إسلاميًّا مستقلاً تمام الاستقلال عن أي من الحركات العاملة الأخرى الإسلامية منها والوطنية."[1].

ويبدو أن هذه الخطوة التي جاءت لحل مشكلة شعور معتقلي السرايا بازدواجية الانتماء ما بين السرايا من جهة، والجهاد الإسلامي وفتح من جهة أخرى، ولمواجهة محاولات فتح في احتواء معتقلي السرايا، قد جاءت متأخرة، وهو الأمر الذي أفضى في النهاية إلى انتهاء مشروع السرايا، وذلك إلى جوانب عوامل أخرى، منها أن السرايا في أساسها لم تكن تنظيمًا خاصًّا يملك بنيته التحتية الفكرية والمؤسسية والتاريخية الناجزة، وإنما كانت إطارًا عسكريًّا جبهويًّا يقتصر دوره على الجانب العملي لا السياسي والدعوي، ولذلك سرعان ما انتقل عناصر السرايا داخل السجون إلى كل من فتح وحركة الجهاد الإسلامي.

مآل سرايا الجهاد الإسلامي

في ١٤ شباط ١٩٨٨ استشهد كل من أبو حسن قاسم وحمدي التميمي ومروان كيالي في عملية اغتيال مدبرّة من طرف الموساد الصهيوني بتفجير سيارتهم في ليماسول بقبرص[2]، بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى بشهرين فقط، وكان حلمهم الذي عملوا لأجله منذ العام ١٩٧٥ قد تحقق، غير بعيد عن إسهامهم المتراكم على الأقل منذ عملية الدبويا في العام ١٩٨٠، وسلسلة عملياتهم منذ عملية البراق في ١٥ تشرين أول ١٩٨٦، ومعركة الشجاعية في ٦ تشرين أول ١٩٨٧، وبهذا يكون العامل المساعد، قد ساهم فعلاً في إطلاق المقاومة الإسلامية في فلسطين، وفي الدفع نحو الانتفاضة الكبرى عام ١٩٨٧، وفي إنضاج الحركات الإسلامية الجهادية، ولا سيما حركة الجهاد الإسلامي، وحركة المقاومة الإسلامية "حماس".

إلا أن هذا الإنجاز الضخم، لذلك العامل المساعد الصغير، لا يحول دون السؤال عن مآله، بعدما ملأ الساحة الفلسطينية في فترة من الفترات بعملياته العسكرية، حتى عدّه بعض الباحثين في المرتبة الثانية من بين الإسلاميين الفلسطينيين من حيث التأثير في مجرى الأحداث من بعد حركة حماس[3].

---

[1]. نشرة السبيل، العدد ٢٠، (كانون الثاني ١٩٩١): ص١١.

[2]. عن استشهادهم، ودور أبو حسن قاسم وحمدي المركزي في مشروع سرايا الجهاد الإسلامي، انظر: نشرة السبيل، العدد صفر، (٢٧ كانون ثاني ١٩٨٩): ص٦– ٧. ونشرة السبيل، العدد ٢١، مصدر سابق، ص٦– ٧، ونشرة السبيل، العدد ١٢، (٣١ كانون ثاني ١٩٩٠): ص٦–٧. ونشرة الإسلام وفلسطين، العدد ٣٢، (٣١ كانون ثاني ١٩٩٠): ص٢٠. وعن خطة اغتيالهم "إسرائيليًّا" انظر: إيلان بلاك وموتي موريس، حروب إسرائيل السرية: تاريخ الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية، ترجمة: عمار جولاق وعبد الرحيم الفرا، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٢): ص٤٣٢– ٤٣٦. وعن خبر استشهادهم انظر: صحيفة السفير، ١٩٨٨/٢/١٥. وصحيفة السفير ١٩٨٨/٢/١٦.

[3]. يقول الباحث وحيد عبد المجيد عن سرايا الجهاد الإسلامي في نيسان ١٩٨٨: "البناء الفكري لقطاع رئيسي من التيار الإسلامي الفلسطيني الفاعل، وبالذات سرايا الجهاد الإسلامي، والذي ينطوي على مكون وطني وعروبي واضح كما يظن من الصحيفة المعبرة عنها (البيان) التي تصدر في لندن، ومن مطبوعاته السرية في قطاع غزة، حيث يمكن اعتبار فكره الإسلامي إحدى صياغات البحث عن الاستقلال الوطني واسترداد الهوية". وحيد عبد المجيد، "انتفاضة الضفة والقطاع وتطور الحركة الوطنية الفلسطينية، *مجلة السياسة الدولية*، العدد ٩٢، (إبريل ١٩٨٨): ص٨– ٢٣. ويقول في موضع آخر: "تنظيم سرايا الجهاد الذي يعتبر أكثر أهمية من حزب التحرير والخمينيين وأنصار فتح. فهو التنظيم الذي يلي جماعة الإخوان من حيث الأهمية". وحيد عبد المجيد، نقد كتاب: البحث عن قيادة: الحياة السياسية في الضفة الغربية منذ العام ١٩٦٧"، *مجلة المستقبل العربي*، العدد ١٣٥، (أيار ١٩٩٠): ص١٥٤– ١٥٩. ويقول في موضع آخر في سياق قراءة التطورات التي أنضجت الظروف لاندلاع الانتفاضة: "تصاعد دور التيار الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية، وتزايد العمليات المسلحة التي يقوم

من الناحية الفعلية استمرت سرايا الجهاد الإسلامي حتى العام ١٩٩١ على الأقل، ناشطة في ثلاثة مجالات أساسية:

المجال الأول– العمل العسكري، وقد أحصى الباحث فيما توفّر لديه من نشرات صادة عن سرايا الجهاد الإسلامي في الفترة الواقعة بين أيار ١٩٨٩ إلى شباط ١٩٩٠؛ ٣٢ عملية عسكرية، ما بين كمائن وتفجير عبوات وهجوم بالأسلحة النارية وإحراق سيارات عسكرية، كما وأعلنت السرايا خلال هذه الفترة عن ٧ شهداء[1].

المجال الثاني– تطوير السرايا من جهاز مقاتل إلى تنظيم سياسي ودعوي، وعليه تأسس "الاتجاه الإسلامي المجاهد"، لتوفير إطار سياسي ودعوي لأعضاء السرايا وخاصة المعتقلين الذين يشعرون بازدواجية الانتماء نظرًا للعلاقة الملتبسة التي جمعت السرايا بكل من الجهاد الإسلامي وحركة فتح[2]. وهذا التطوير كان عملية تحوّل عن الفكرة الأساسية بوجود تشكيل مقاتل مفتوح لكل الإسلاميين، إلى وجود تنظيم خاص مستقل، إذ يبدو أن السرايا واجهت استنزافًا داخل السجون على وجه التحديد بانصراف عناصرها إلي كل من حركتي فتح والجهاد الإسلامي، كما أنها وعلى الأرجح لم تعد قادرة على مواجهة تطورات ما بعد الانتفاضة، فهي من جهة تصر على العمل مستقلة عن حركة فتح، بالرغم من استمرار بعض كوادرها ورموزها داخل فتح، وهي من ناحية ثانية لا يمكنها الحفاظ على نفسها كتشكيل مقاتل مجرد عن أي بنية سياسية أو دعوية في ظل وجود حركات إسلامية كبرى مثل حماس التي امتلكت قاعدة تنظيمية واسعة وأجهزة ومؤسسات متعددة، أو مثل الجهاد الإسلامي التي اشتغلت منذ العام ١٩٨٠ على بناء كوادر سياسية وثقافية وإعلامية، فضلاً عن تحالفاتها بعد إبعاد الشقاقي، ولا سيما مع حزب الله وإيران. وفي هذا الاتجاه سعت السرايا في إيصال نشرتها المركزية "السبيل" إلى داخل السجون، وكذلك التواصل التنظيمي مع معتقليها داخل السجون.

المجال الثالث– بناء تحالفات فلسطينية وعربية وإسلامية، وفي هذا الإطار ركّزت سرايا الجهاد الإسلامي على حركة حماس[3]، إذ لم تكد

بما تنظيم سرايا الجهاد الإسلامي الشعبي بصفة خاصة، وبعضها من نوع العمليات الكبرى، وأهمها عملية باب الصمود بالقدس في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٦، وعملية اغتيال قائد الشرطة العسكرية بقطاع غزة في ٢ آب/ أغسطس ١٩٨٧". انظر: ندوة، "الانتفاضة الفلسطينية: السياق التاريخي– القوى الفاعلة– المسار والمستقبل"، مجلة المستقبل العربي، العدد ١١١، (أيار ١٩٨٨): ص٦– ٣٣. وفي سياق التأريخ لظهور الحركة الجهادية في فلسطين ذكرت الباحثة فايز سارة سرايا الجهاد الإسلامي كثاني تنظيمات الظاهرة الجهادية بعد مجموعة "أسرة الجهاد". انظر: فايز سارة، "الحركة الإسلامية في فلسطين: وحدة الإيديولوجيا وانقسامات السياسة"، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٢٤، (٦/ ١٩٨٩): ص٤٨– ٦٤.

* وأهمية هذه النقولات من الدراسات والنقاشات الأكاديمية التي رافقت صعود الانتفاضة، في رصد تأثير سرايا الجهاد الإسلامي، وقدرتها على الفعل ولفت الانتباه.

[1]. انظر نشرة السبيل: الأعداد: ٣، (٥ أيار ١٩٨٩). ٤، (٢ حزيران ١٩٨٩). ٨، (٣٠ أيلول ١٩٨٠). ١٠، (٣٠ تشرين ثاني ١٩٨٩). ١٢، (٣١ كانون الثاني ١٩٩٠). ١٣، (آذار ١٩٩٠). ١٥، (حزيران ١٩٩٠). ١٦، (تموز ١٩٩٠). ١٧، (آب ١٩٩٠). ١٩ (تشرين الثاني ١٩٩٠). عدد خاص، (أيلول ١٩٩٠). ٢٠، (كانون الثاني ١٩٩١). ٢١، (شباط ١٩٩١). علمًا بأن العدد ١٨ من النشرة لم يتوفر للباحث، ما يعني أن ما أعلنت عنه السرايا في هذه الفترة قد يكون أكثر مما أحصاه الباحث، إلا إذا كان العدد الخاص الصادر في أيلول ١٩٩٠ بمثابة العدد ١٨.

[2]. رسالة أرسلت من قيادة سرايا الجهاد الإسلامي في خارج السجن إلى عناصر السرايا المعتقلين في سجن الخليل، مصدر سابق.

[3]. انظر مثلاً: رد السبيل على مجلة «فلسطين الثورة» دفاعًا عن حماس، ومقتطفات من ميثاق حماس، العدد ١، مصد سابق. "فقرات من بيان حركة «حماس»" العدد ٥، (٣٠ حزيران ١٩٨٩). "وثيقة للتاريخ.. من حركة المقاومة الإسلامية (حماس) إلى المؤتمر الخامس لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)"، "فقرات من نداء المكتب الإعلامي لحركة حماس"، العدد ٧، (٢٠ آب ١٩٨٩). بيان لحركة حماس، العدد ١٢، مصدر سابق. بيان لحركة حماس، العدد ١٣، مصدر سابق. بيان لحركة حماس، العدد ١٤، (نيسان ١٩٩٠). "قراءة في رد حماس على المشاركة في المجلس الوطني"، العدد ١٥، مصدر سابق. "«فلسطين الثورة» وحماس، العدد ١٧، مصدر سابق. رد السبيل على مجلة "الهدف" دفاعًا عن حماس، و"نداء من حركة حماس"، العدد ١٩، و"من بيان حركة المقاومة الإسلامية (حماس)"، عدد خاص، مصدر سابق.

تخلو نشرة من نشرات السبيل، من نقل بيانات حماس، أو الدفاع عنها، أو الدعوة لبناء جبهة إسلامية عريضة[1]، وعربيًّا ساهمت السرايا في تأسيس "اللجان الإسلامية للعمل الشعبي"[2]، واللقاء الإسلامي الذي شارك فيه عدد كبير من الشخصيات والحركات الإسلامية في العالم كان من بينهم منير شفيق[3].

إلا أن هذه الجهود لم تستمر وتوقفت على الأرجح من بعد العام ١٩٩١، ويبدو أن هذا راجع في الأساس لثلاثة عوامل أساسية، الأول: استشهاد القادة الميدانيين للسرايا في قبرص في شباط ١٩٨٨، دون أن يتوفر بديل عنهم يملك قدراتهم التنظيمية وقادر على الإمساك بكل الخيوط التي كانوا يتحكمون بها. والثاني: كانت السرايا في الأساس تشكيلاً مقاتلاً يضم مجموعة من الاتجاهات والشخصيات الإسلامية المتباينة في أصولها التنظيمية والفكرية، ولم يكن يملك إطارًا سياسيًا ودعويًّا خاصًّا به، وهو من هذه الجهة ومع تطور الأحداث لن يكون قادرًا على منع التفكك. والثالث: أن فكرة السرايا في الأساس أن تكون عاملاً مساعدًا على انطلاق العمل الجهادي في فلسطين، لا أن تكون تنظيمًا إسلاميًّا يضاف إلى التنظيمات القائمة، وطالما أن المقاومة قد تحولت إلى هبّة شعبية كاسحة كان أبو حسن قاسم وحمدي التميمي يحلمان بها منذ العام ١٩٧٥، وطالما أن المقاومة عادت وتمثلت في حركات إسلامية كبيرة هي حماس والجهاد الإسلامي، فإن السرايا تكون قد أدت دورها، ولم يعد ثمة حاجة إلى وجودها، فهي فكرة أو مسار، لا يهم ما اسمه، وبتعبير معين الطاهر: "تيارنا تيار متجدد أشبهه بقطار يسير على سكة حديد، وفي كل محطة من محطاته يوجد مَن يصعد إليه، أو ينزل منه، لكن القضية الأساسية لا تكمن في مَن هو في هذا القطار، وإنما إلى أين يسير وفي أي اتجاه"[4].

لقد كان استشهاد قادة التيار المتزامن مع الانتفاضة وانطلاق حركة حماس، إعلانًا عن بداية مرحلة كانوا من قادتها وفرسانها، كما يقول منير شفيق، وبداية مرحلة جديدة، ولذلك فإن مواصلة طريقهم بمجرد تقليد ما كانوا يفعلون، أو بمجرد متابعة ما كانوا يتابعون، لم يكن ليؤدي إلى الاستمرار في مشروع سرايا الجهاد[5]، ولكن متابعة طريقهم تتم باستخدام منهجيتهم في دراسة الوقائع الجديدة[6]، فكما أنهم

---

[1]. انظر مثلاً في نشرة السبيل العناوين: "طريق إلى القيادة الإسلامية"، "واحرصوا على وحدة الانتفاضة"، العدد ٢، (٢٧ آذار ١٩٨٩). "في سبيل جبهة إسلامية متحدة"، "تعدد القوى الإسلامية في إطار التكامل"، العدد ٣، مصدر سابق. "نحو عقلية جبهوية"، العدد ٤، مصدر سابق. "التعدد بين الوحدة والجبهة"، العدد ٥، مصدر سابق. "ليتحد الصف الإسلامي"، العدد ٦، (٢٨ تموز ١٩٨٩). "ليتحد الصف الإسلامي"، العدد ٧، مصدر سابق. "الجبهة الإسلامية وحماية الساحة الإسلامية"، العدد ٩، (٣١ تشرين أول ١٩٨٩).

[2]. انظر: نشرة السبيل، عدد خاص، مصدر سابق، ص١١– ١٢. وعن هذا المشروع يقول معين الطاهر: "في الأردن، وفي إبّان حرب الخليج الأولى، شُكّل ما عُرف باللجان الإسلامية للعمل الشعبي، وذُيّل بيانها الأول بتوقيع الدكتور وليد سيف والدكتور أحمد نوفل والنائب فؤاد الخلفات. وقد جرى تشكيل مئات اللجان في مختلف مناطق المملكة، وكان الهدف مواجهة احتمالات الغزو الأميركي والتدخل الصهيوني، وعُقد مهرجان في منطقة المحطة في عمّان هو الأضخم في تاريخ الأردن، وقدّرت الصحافة عدد المشاركين بمليون شخص، وأدار المهرجان بكفاءة واقتدار الدكتور وليد سيف، ومثّل الخطباء مختلف القوى الوطنية والإسلامية واليسارية، وألقى كلمة «فتح» الأخ نصر يوسف، ويُقال إن الملك حسين حلّق بطائرة مروحية فوق مكان الاحتفال. وفي الليلة ذاتها صدرت الإرادة الملكية بتشكيل الجيش الشعبي، وشارك عشرات الكوادر من التيار بهذا الجهد، غير أن التجربة انتهت نظراً إلى الأوضاع المستجدة بعد حرب الخليج، فضلاً عن قصور الوعي بأهمية الجبهة الوطنية العريضة لدى بعض المجموعات الإسلامية، وتحديدًا الإخوان المسلمين الذين حاولوا الاستحواذ على اللجان". انظر: معين الطاهر، الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة، مصدر سابق.

[3]. السبيل، العدد ١٩، مصدر سابق.

[4]. معين الطاهر، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، مصدر سابق.

[5]. منير شفيق، شهداء ومسيرة، مصدر سابق، ص٦.

[6]. المصدر السابق.

التقطوا التحولات سريعًا واتخذوا مكانهم المناسب في إطلاق الجهاد الإسلامي في فلسطين، فإن استلهام منهجيتهم من حيث وضع الأولوية للهدف والمبدأ ولمواجهة العدو، أو من جهة لعب دور العامل المساعد، أو الحصوة التي تسند الجرة، أو سد الثغرة، يقضي بالاصطفاف إلى جانب حماس وكتائب القسام، والكلام لمنير شفيق[1].

صور لمآلات أخرى

إذا كان التيار قد انتهى دوره، على الصعيد الإسلامي تحديدًا بظهور حماس وحركة الجهاد الإسلامي وقيادتها للمقاومة في فلسطين، فإن بعض منتسبيه حالوا القيام بدور العامل المساعد داخل حركة فتح، ومن أبرز هؤلاء جهاد العمارين الذي التحق بفتح في العام ١٩٧٠ وسجن في العام ١٩٧٣، وانضم إلى الجماعة الإسلامية داخل السجون، ثم عمل في مشروع سرايا الجهاد الإسلامي مع أبو حسن قاسم وحمدي التميمي بعد الإفراج عنه في العام ١٩٨٥، وساهم في تدريب منفذي عملية البراق، واتصل بحماس أثناء الإبعاد إلى مرج الزهور، وبعد عودته في العام ١٩٩٦ إلى قطاع غزة ارتبط بعلاقات وثيقة مع عدنان الغول أحد مهندسي كتائب القسام، ثم ساهم في تأسيس كتائب شهداء الأقصى في الانتفاضة الثانية، وأقام علاقات تعاون عسكري مع عدد من الفصائل الفلسطينية، واستشهد بتاريخ ٤ تموز ٢٠٠٢. وفي هذا الصدد يُذكر أيضًا كل من مروان زلوم وميسرة أبو حمدية اللذين سبق الحديث عن دورهما في ثنايا هذه الدراسة.

كما أن محاولة أخرى ظهرت داخل فتح لاستعادة تجربة تيار الكتيبة الطلابية، وانطلقت في ١ كانون ثاني ٢٠١١، وأطق عليها مؤسسوها "تيار المقاومة والتحرير"، الذي تضمن طليعة مقاتلة باسم "كتائب الشهيد عبد القادر الحسيني"، والتي كانت لها مساهمات قتالية في حرب العام ٢٠١٤ على غزة، من قبيل إطلاق الصواريخ والقذائف والاشتباكات، وقدمت فيها عددًا من الشهداء.

ويقول مؤسسو التيار إنه "شُكِّل من الأخوة المنتمين للكتيبة الطلابية ومن الأخوة في قيادة القطاع الغربي ومن الأخوة في قيادة العاصفة من الضباط والسياسيين"، وعن موقع أطروحات منير شفيق من تيارهم قالوا: "الأخ منير شفيق أحد الأخوة الذين كان لهمة بصمة واضحة في تاريخ القضية الوطنية وفي تشكيل الكتيبة الطلابية ونسترشد بتجربته وأفكاره ضمن أخوة أخرين دون أن يكون اعتباره منظرًا رسميًّا للتيار"، وتيارهم يضم كل الاتجاهات وإن غلبت عليه الصبغة الإسلامية دون أن يرى نفسه تيارًا إسلاميًّا، فلأعضائه حرية اختيار الفكر الذي يريدون، وبالنسبة لفتح فإنهم يعتبرون أن آخر مؤتمراتها الشرعية هو المؤتمر الخامس، وما تلاه انقلاب على فتح، وهو باطل بكل نتائجه وما تم عنه"[2].

---

[1]. المصدر السابق، ص٨٢،٨١.

[2]. من مقابلة أجراها الباحث مع مفوضية الإعلام والشؤون الفكرية في التيار عبر البريد الإلكتروني بتاريخ ٢٦- ٢٠١٤/١١/٢٧.

الفصل الخامس

خلاصات الإيديولوجيا والسياسة

أولاً– الخلاصات العامة للدراسة

تناولت هذه الدراسة بالتأريخ والتحليل مسار وأفكار تيار هام ظهر في حركة فتح منذ العام ١٩٧٣، وإن كانت إرهاصاته قد بدأت مع نهاية أحداث أيلول في الأردن في العام ١٩٧٠، وقد أمكن بدراسة مسار التيار ممارسة وفكرًا الإطلال على عدد من الموضوعات الكبيرة المتعلقة بتحولات الحركة الوطنية الفلسطينية وما أحاط بها من كيانات وتلبّسها من أحداث على المستوى الفلسطيني والعربي والدولي، وكذلك الإطلال على أزمات الثورة الفلسطينية وتعقيداتها منذ بداياتها، ورصد الجدل الذي رافق الثورة منذ الأردن ومرورًا بتجربة لبنان الطويلة ووصولاً إلى الانتفاضة الفلسطينية الأولى في العام ١٩٨٧.

وبالرغم من أن الدراسة اهتمت على نحو خاص بقراءة التحول الكبير الذي عبره تيار الكتيبة الطلابية بانتقاله من الماركسية اللينينية ذات الطابع الماوي إلى الإسلام بأبعاده المتعددة بحسب ما تشظّى به التيار من عناصر واتجاهات انبثقت عنه، إذ انكفأ بعض منتسبي التيار على أنفسهم، واستمر غيرهم في فتح، واتجه آخرون إلى الإسلام بما يملك من طاقة تعبوية وتحريضية، أو بما هو مخزون ثقافي وحضاري لا يمكن تجاوزه في أي حركة ثورية أو سياسية تريد النجاح في البلاد العربية والإسلامية، دون الدخول فيه بالمعنى الاعتقادي أو بالمعنى السياسة، بينما مرّ آخرون بعدد من التحولات والتقلبات منذ الخروج من الماركسية، إلا أن أبرز ما يمكن الحديث عنه من هذه التحولات هو تلك الانتقالة إلى الإسلام ببعديه السياسي والجهادي، والتي تمثلت بشكل أساسي فلسطينيًّا بتأسيس مشروع سرايا الجهاد الإسلامي، ولبنانيًّا وعلى المستوى السُنّي بتأسيس حركة التوحيد الإسلامية في طرابلس، وعلى المستوى الشيعي في انحياز بعض من عناصر التيار أو المقربين منه إلى الظاهرة الإسلامية الناشئة في ذلك الوقت والتي تبلورت لاحقًا في حزب الله.

بالرغم من ذلك، فإن الدراسة منحت التجربة كلها اهتمامها، أي تجربة التيار، بيد أنها اتصلت به من خلال ظروف نشأة الثورة الفلسطينية واستقرارها في الأردن، الذي انتهى بصورة مأساوية في أحداث أيلول ١٩٧٠ ثم أحداث جرش وعجلون في ١٩٧١. وقد أفضت تلك الأحداث إلى مجموعة من النتائج الهامة كان أبرزها تعاظم التيار اليساري داخل حركة فتح، وتكثيف النقاش حول أسباب وأبعاد نتائج أيلول إيديولوجيًّا وسياسيًّا وقتاليًّا، ومن رحم هذا التيار اليساري، وعن هذا الجدل، خرجت تجربة تيار الكتيبة الطلابية متميزة بمقولتها وممارستها.

وقد رصدت الدراسة تطور هذه التجربة منذ الانتقال إلى لبنان وبدايات السجال الفتحاوي اليساري داخل لبنان، وكيف بدأت بالتبلور نظريًّا وعمليًّا، وما هي الأبعاد التنظيمية للتجربة من حيث مكوناتها وامتداداتها في الأجهزة والمؤسسات، مع تركيز خاص على التجربة القتالية المتمثلة بمرحلتي السرية الطلابية والكتيبة الطلابية (كتيبة الجرمق)، وصولاً إلى الخروج من لبنان في العام ١٩٨٢، مع

وقفات مع محطات أخرى تلت الغزو الصهيوني للبنان، مثل عمليات المقاومة التي نظّمتها الكتيبة، ودور الكتيبة في أحداث "الانشقاق– الانتفاضة"، والخروج من طرابلس، وحرب المخيمات.

ومن أبعاد التيار التي حظيت بقدر من التركيز، الشقّ المتعلق بعمل التيار داخل الأرض المحتلة وتركيزه المقاومة في الداخل، وقدرته على دمج المقاومة في الداخل بمعكسرات السرية ثم الكتيبة الطلابية في إطار خط سياسي وفكري خاص تميز به التيار، بالإضافة إلى المسلكية الثورية التي حرص عليها، والتزم بها منتسبوه ومقاتلوه.

لقد كان التاريخ أداة كاشفة هامة لرصد التغيرات والتحولات، ومراقبة التزام الممارسة بالنظرية، وعلاقة النظرية والممارسة بالعوامل الخارجية، سواء كانت عوامل داخل حركة فتح، أو داخل الثورة الفلسطينية، أو عوامل عربية إن أردنية أو لبنانية، أو عوامل إقليمية ودولية، ومن ثم يمكن رصد أصالة الأفكار وقدرتها على القراءة المبكرة للتحولات ثم التكيف معها واتخاذ الموقع المناسب منها.

في هذا العرض الطويل لمسار التيار، كان ثمة دمج مستمر في العملية البحثية ما بين الأدبيات المنتجة والممارسات، إذ إنه كان لا بد من جهة من فحص صدقية الممارسة بالنسبة للنظريات المدّعاة، ومن جهة أخرى كان لا بد من قراءة الممارسة في ضوء النظرية، إذ إن النظرية أو العامل الفكري أحد العوامل المؤثّرة في صناعة الممارسة وصياغة المسلكية الثورية واتخاذ المواقف السياسية، كما أن فحص صحة النظرية يستدعي فحصها في انعكاساتها العملية بما هي حلول أو مقترحات، ومن هنا تكرر ظهور أفكار: التناقض الرئيسي والتناقضات الثانوية من حيث تعلقاتها بالممارسة أو تعلقاتها ببقية عناصر النظرية الأخرى، وكذلك مفهوم خط الجماهير، وهو المفهوم المركزي في مسار التيار كله، وكذلك مفهوم العامل المساعد، أو سد الثغرة، أو الحصوة التي تسند الجرة. وقد ظهر بالدراسة أن هذه المفاهيم النظرية كانت بالغة الأثر في تشكيل الممارسة وصياغة المسلكية الثورية وتحديد الموقف السياسي.

وبالإضافة إلى ذلك عرضت الدراسة أفكارًا أخرى قدمها التيار، وهي متصلة على نحو وثيق بتحولات الحركة الوطنية، كالموقف من القومية العربية، وموقع الحركة الوطنية من المحاور الإقليمية والدولية، والعلاقة الجدلية بين الوضع العربي والمقاومة الفلسطينة، وضرورة استقلالية الحركة الوطنية عن المحاور الدولية، ولا سيما الاتحاد السوفييتي الذي اتخذ منه التيار موقفًا شديد التحفظ، وقد أمكن استخدام هذا الموقف كعامل من بين جملة عوامل أخرى دفعت إلى تمثل بعض الأفكار والمقولات الماويّة.

فيما يتعلق بماوية التيار، فإن الدراسة اهتمت بتحقيق هذه المسألة، كون التيار لا يعكس حزبًا حديديًّا، وإنما هو تجمع واسع جذب عددًا من الشخصيات والكوادر والأجهزة الفلسطينية واللبنانية والعربية، بل وغير العربية، ولأن عددًا من كوادره لم يكونوا ماويين بالمعنى الكامل للكلمة، ولأن بعضهم اليوم لا يرى أنه قد كان ماويًّا بالفعل، بما في ذلك مفكره منير شفيق، فقد لزم البحث في روافد التيار، وفي تتبع كتابات منير شفيق على وجه الخصوص بصفته مفكر التيار، ولأن ما كان يكتبه هو في النتيجة صياغة لنقاشات التيار الداخلية. إن دراسة العنصر الماوي في تشكيل التيار نظريًّا هامّة لأن ماويّة التيار كانت نقطة مركزية في تعاطي قراء التيار مع هذه

التجربة.

وأما وبعد دراسة التجربة في سياقها اللبناني الطويل، والذي استمر متصلاً عشر سنوات، ثم كانت له توابع بعد ذلك؛ خصصت الدراسة فصلاً مستقلاً للتحول الإيديولوجي، أو الانتقال من الأرضية الماركسية اللينينية للوقوف على أرض الإسلام، بحسب تعبيرات التيار، وذلك لمركزية هذه الموضوعة، سواء في بنية الدراسة، أو من حيث ثقلها الخاص، ولذلك ارتأت الدراسة ألا تدمجها في المبحث اللبناني الخاص من تجربة التيار، أي ذلك المبحث الذي تتبّع التيار منذ الإرهاصات والملامح الأولى وصولاً إلى نهاية المرحلة اللبنانية متضمنًا تحليل الممارسة والنظرية، وإنما استقلت بها في مبحث خاص تناولها من اتجاهات متعددة، نهضت في الأساس على مفهوم خط الجماهير.

افترضت الدراسة منذ البداية بأن التحولات الإيديولوجية، والمتمثلة حصرًا بالانتقال إلى الإسلام في مستويات متعددة ابتداء من الانخلاع من الماركسية مرورًا بالانكفاء على النفس أو الانحياز إلى الممارسة الثقافية وعبورًا بانتماءات محدودة إلى الإسلام لا تتجاوز اعتباره حضاريًّا وثقافيًّا أو ملاحظة أهميته لنجاح الثورة أو تعبئة الجماهير وصولاً إلى الأرضية الإسلامية بكامل عناصرها الاعتقادية والروحية والسياسية والجهادية؛ لم تكن قفزًا بهلوانيًا، لطابعها الجماعي، فالانتقال لم يكن انتقال شخص واحد، وإنما كان انتقالاً جماعيًّا بالفعل، حتى وإن ركّزت الدراسة على نواة محددة داخل التيار لدورها القيادي والتنظيري والمفصلي في تحولات التيار، ودون أن تهتم بالتفصيل التاريخي لمآلات الأشخاص كلهم، لأسباب منهجية صرفة، تتعلق بالحجم المفترض للدراسة والإمكانيات البحثية المتاحة، ولأن التاريخ الشامل لم يكن غاية الدراسة في الأساس، لتيار لم يكن حزبًا حديديًّا وضمّ آلاف الأشخاص بما يحيل بالضرورة إلى التركيز على النواة المؤثرة في داخله.

وإذن فإن التحول كان جماعيًّا، وهذا يقضي بأنه لم يكن قفزة ناجمة عن معاناة فردية، ولا عن انجذاب مستعجل إلى تطورات الأحداث الضخمة، وطالما أنها كانت جماعية فهي بالضرورة ستحيل إلى أداة قادرة على ملاحظة جماعيتها في سياق النظريات المؤثرة في تجربة التيار والتي سبق اختبارها في المرحلة السابقة على التحولات، أي المرحلة اللبنانية الطويلة والممتدة إلى عشر سنوات، ومن هنا كان لا بد منهجيًّا من وضع مفهوم خط الجماهير في سياق التحولات الكبرى المتزامنة والتي كانت تحولات التيار جزءًا منها في النتيجة. وبالرغم من وضوح مركزية العامل الجماعي في التحول لنفي العوامل النفسية الخاصة بالأفراد وهي عوامل لا يمكن استقراؤها إمبريقيًا على أية حال في مثل هذه الدراسة ومع مثل هذه التجربة؛ فقد عمدت الدراسة إلى ملاحظة التحولات النظرية، فضلاً عن نمط الممارسة، إلى ما قبل العوامل الكبرى المساهمة في إحداث التحولات، ولأجل هذا توقفت الدراسة مع بعض أدبيات التيار منذ العام ١٩٧٦ وإلى العام ١٩٧٩، أي منذ ما قبل الثورة الإيرانية، لتلحظ إن كان ثمة أثر لمفهوم خط الجماهير في قيادة التيار نحو الإسلام، وهو ما توصلت إليه الدراسة بالفعل بمجرد عرض بسيط لتلك الأدبيات، وإذن فإن النمط الجماعي للتحول، وظهور مسار التحول على نحو سابق على اللحظة النهائية الفارقة المتمثلة بالثورة الإسلامية في إيران، ينفي التحول الاعتباطي أو العاطفي أو المنجرف

بالإحداث والمندفع معها.

إن التحول الجماعي لا بد من أخذه في سياق كلي، فإمّا أن ينسجم مع السياق الكلي، وإما أن يبدو شاذًّا بالنسبة للسياق الكلي، وفي حال ظهر شذوذه مع السياق الكلي، فإنه لا بد من التوسل بأدوات أخرى لتحليل الظاهرة، بيد أن التحول في حالة الكتيبة الطلابية انسجم تمامًا مع السياق الكلي، وبدا أنه يسير ومنذ وقت مبكر، من العام ١٩٧٦ تحديدًا، مع المنطقة كلها نحو الإسلام، ولكن اقتصار التحول في هذه الفترة، أي منذ العام ١٩٧٦ وإلى العام ١٩٨٠ على تيار الكتيبة الطلابية، يحيل مجددًا إلى البحث في عوامل أخرى سوى السياق الكلي، وهي العوامل الذاتية المتعلقة بالتيار، إذ إنه وبالرغم من وجود عمليات تحوّل في تيارات ومواقع أخرى، فإنها لم تأخذ صفة الجماعية في تلك الفترة، بعكس هذا التيار الذي أخذ تحوله صفة الجماعية، كما أن التيارات والتنظيمات التي بهتت إيديولوجياتها الماركسية أو تخلت عنها، لم تفعل ذلك على نحو متزامن مع صيرورة التحولات، وإنما بعد أن تمت تحولات المنطقة بصعود الإسلاميين الكبير أو بسقوط المنظومة الاشتراكية.

إن العامل الذاتي هنا، لم يكن منفكًّا عن السياق الكلي، والعامل الذاتي في الأساس هو تبني مفهوم خط الجماهير نظريًّا وعمليًّا، فنظريًّا من حيث البحث عن نظرية ثورية مشتقة من الجماهير، أو عن الثورة المتخلقة في أحشاء البلاد العربية، وعمليًّا بالاقتراب من الجماهير واحترام قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم والانفتاح عليهم، فأما الممارسة فقد أدت إلى اقتراب التيار من شخصيات وتيارات دينية، وتدرج عناصره في التدين حتى ما قبل حصول التحولات، وأما نظريًّا فقد التقى مفهوم خط الجماهير مع السياق الكلي والذي تمثل بالتحولات العربية المتزامنة نحو الإسلام، فلم تكن الحالة الناشئة في قلب حركة فتح، لتبدو شاذة طالما أن لها مثيلات في فلسطين ومصر وتونس والجزائر وغيرها من البلاد العربية والإسلامية، بيد أن هذه الحالة، أي تيار الكتيبة لاطلابية، تميزت بعامل ذاتي كان في الأساس يبحث عن هذا النموذج المهيمن على المنطقة، أو المعنى الكلي الثاوي في وعيها الجمعي، أو الملاذ الأخير الذي تتشكل فيه عجينة التمرد بعدما تسقط كل النماذج.

وهذا التحول، قام على نظرية الالتزام، وهو ما يبدو مثيرًا وباعثًا على ملاحظة المفارقة، إذ كيف يوصف التحول أو الانتقال بالالتزام؟ ولكن بالنظر إلى مسار التجربة كله، سواء على مستوى التيار، أو على مستوى مفكرها الأبرز منذ أن كان في الحزب الشيوعي، فإن كل عمليات التحول تمت على ذات الأرضية، وهي أرضية الالتزام بالمنطلقات التي آمنت بها فتح أول مرة، أي تحرير كامل فلسطين بالكفاح المسلح، ورفض كل مشاريع التسوية، وهو الأمر الذي لم يتغير مع كل التحولات، بالرغم من العلاقة المثيرة التي جمعت التيار بقيادة فتح، وهو ما جعل التيار محاولة أخرى مختلفة تمامًا عن كل المظاهر المتعارضة من انشقاق أو استزلام أو تنافس على القيادة.

وهذا الالتزام بفلسطين والثورة والقتال، ظهر بشكل أساسي في تجربة سرايا الجهاد الإسلامي التي حاول مؤسسوها إسناد المجموعات الإسلامية الجهادية الأولى في فلسطين، وهي تجربة فريدة وتبدو منسجمة تمامًا مع نظرية العامل المساعد، كما أنها فريدة لتعلقها بجملة من الملابسات التاريخية التي تقتضي من الباحث العمل على فك التباساتها وهو ما حاولت هذه الدراسة أن تفعله. وكان ثمة مسار

آخر للالتزام بفلسطين والثورة والقتال تمثل أولاً في تنظيم الكتيبة الطلابية لعمليات المقاومة ما بعد غزو العام ١٩٨٢، ثم في محاولة عدد من عناصرها العودة إلى لبنان بالرغم من أن هذه الفكرة تحديدًا لم تكن محل اتفاق داخل التيار الذي رأت نواته الأساسية أن المرحلة اللبنانية قد انتهت، وأنه لا بد من تركيز المقاومة داخل فلسطين. واستطرادًا مع النمط الذي تخلق من رحم التجربة لفتت الدراسة إلى بعض شخصياتها الذين أسهموا تاريخيًّا إما في التواصل مع حركات المقاومة الأخرى، أو في محاولة تدعيم المقاومة داخل فتح وخلق عامل مساعد جديد داخلها يسعى إلى تعظيم الخط الصحيح فيها وفقًا لقانون المحصلة، كبعض الشخصيات التي ساهمت في تأسيس وقيادة كتائب شهداء الأقصى، كما لفتت الدراسة إلى أثر التجربة الساري داخل فتح، إذ لا يزال فيها من يحاول استلهامها وإعادة استنساخها، وهذا بصرف النظر عن حجم هذه المحاولات أو أثرها أو صحتها.

وإذن فإن أهمية الدراسة لا تأتي فقط من إطلالاتها على الحركة الوطنية الفلسطينية وتحولاتها، وتحولات المنطقة والعالم، بدراسة تجربة تيار داخل حركة فتح؛ ولكن ولأن تجربة هذا التيار، أيضًا، هامة على مستوى الدراسة التاريخية، وعلى مستوى فعل التيار ودوره المفصلي إن في المرحلة اللبنانية قبل التحولات، أو في المرحلة الإسلامية، لدوره في إطلاق الانتفاضة وإنضاج الحالة الجهادية الإسلامية في فلسطين، فإن الرجوع بتجربة المرحلة الإسلامية إلى جذورها الفتحاوية تنظيميًّا والماركسية نظريًّا مفيدة معرفيًّا من ناحية، ومشوقة بحثيًّا من ناحية أخرى. وأيضًا فهي هامة من جهة كسر التنميط المتعلق بالحركة الوطنية وثورتها الفلسطينية وما تعلق بذلك من أحداث وخيارات ومسارات، فقد قدمت الحركة الوطنية تجارب متعددة وغنية، بعضها بائس وكان مدمرًا، وبعضها مشرق وكان فاعلاً على الصعيد الإيجابي، ومن هنا تبدو تجربة التيار ذات أهمية خاصة لتميزه قتاليًّا والتزامه مسلكية ثورية نظيفة واتخاذه خيارات سياسية معتدلة من جهة موقفه من الحرب الأهلية والتضامن العربي والعلاقة بالقيادة وبالاتجاهات المتعددة الموجودة على الساحة، كما أن فيه دالة على تداخل المسارات.

فتيار الكتيبة الطلابية حالة تمايز من داخل تيار يساري ماركسي ينتمي إلى حركة أسستها شخصيات منحدرة من داخل جماعة الإخوان المسلمين، واستمرت العلاقة في أشكال مد وجزر بين الإخوان وفتح إلى أن كانت أحداث أيلول. وإلى ما قبل النكبة لم يكن هناك حالة فرز حادة إيديولوجيًّا، وكان الوطني متمثلاً في الإسلامي، وقد جاءت تجربة تيار الكتيبة الطلابية المتمايزة عن التيار اليساري الذي هيمن على فتح فترة من الزمن كمثال مؤكد على تداخل المسارات هذا، ومن جهة أخرى فإن اللحظة الفارقة في حسم تحولات التيار والمتمثلة بالثورة الإيرانية جمعها تاريخ من التداخل مع جماعة الإخوان المسلمين أيضًا. إن هذه التداخلات التي تبدو بدهية على مستوى المقولة ومفاجأة على مستوى الحقيقة، تبدو كعالم من الفوضى، أو ذرات لا متناهية من عالم متشابك يتفاعل ببعضه، وهو أمر يبعث على التواضع على أية حال.

إن هذه الدراسة، ولأنها تأسيسية في جانب منها، أي في التعريف بهذا التيار والمساهمة في تحديد ملامحه ومساراته التاريخية، فإنها، وبالرغم من التزامها منهجية محددة، وقيامها على فرضيات أساسية نَظَمت خطة الدراسة ومسارها، قد تركت العديد من الفرضيات

للبحث الموسع أو المستقل، فإذا كان قد غلب على هذه الدراسة التعريف بالتيار، وبحث فرضيات محددة متعلقة بتفسير تحولاته، أو في البحث في أثره وتأثيراته؛ فإنها تركت المجال واسعًا لنقد هذه التجربة، إن على مستواها الخاص، أو في سياق تجارب الإسلاميين عمومًا، إذ لم يغب عن بال الباحث الكثير من الأسئلة النقدية بيد أنها كانت خارج خطة الدراسة، كما وأن التجربة وعلى المستوى التأريخي لا تزال طرية وقابلة للكثير من الجهد، فتجربة نضالية بهذا المستوى تستأهل أن تأخذ حظها في التأريخ العسكري لمعاركها وعملياتها، أو في تتبع مآثر مقاتليها وشهدائها، والدراسة لم تغط هذا الجانب، لأن التاريخ فيها لم يكن مقصودًا لذاته وإنما كان حاملاً لفرضياتها وكاشفًا عن استنتاجاتها.

وهذه الدراسة تنفتح أيضًا على موضوعات أخرى كثيرة، فتيار الكتيبة الطلابية نفسه يصلح لدراسة موقع المثقف ومسؤوليته وخياراته، فالتجربة من جهة معبرة عن التزام ثقافي ما لا يقتصر على منير شفيق بل على العديد من المثقفين الذين اقتربوا منها أو كانوا في صلبها ومنهم قادتها الميدانيون أبو حسن قاسم وحمدي التميمي، وغيرهم ممن ذكرت الدراسة أسماءهم كسعود المولى، أو أغفلت أسماءهم لأنها لم تكن معنية بتتبع كل الشخصيات بدايات ومسارات ومآلات، ومن ثمّ فهذه التجربة صالحة لاتخاذها مرتكزًا لدراسة قضية المثقف، إن من جهة مسؤولياته وخياراته أو من جهة علاقته بالمقاتل أو المناضل أو الثائر.

وتنفتح هذه الدراسة أيضًا على موقع الحركة الطلابية في العملية النضالية أو في إحداث التحولات الكبرى، ويمكن استخدام التيار أيضًا كمرتكز لدراسة قضية الحركة الطلابية من هذه الجهة، أو بالتأريخ لتنظيمات فتح الطلابية، أو التنظيمات الطلابية الفلسطينية عمومًا خارج الأرض المحتلة. والدراسة أيضًا تذكّر بأدبيات منير شفيق في مراحلها المتعددة، فإذا كانت الدراسة قد أولت تلك الأدبيات قدرًا من العناية في سياق التعريف بالتجربة وملاحظة تطوراتها النظرية والعملية، وعلاقة النظرية بالممارسة، فإنها لم تأخذ منحى الدراسة الفكرية الخاصة في إنتاج منير شفيق، أو منحى التأريخ لأفكاره، أو منحى نقده، ومن ثم فهذا مجال مفتوح للدراسة وهو ينطوي على عدد من المراحل التي يمكن جمعها أو أخذها منفصلها.

وهكذا فإن ثمة موضوعات كثيرة تنفتح عليها الدراسة بيد أنها لم تكن من صلبها، أو لم تكن من صلب خطتها المنهجية، فلا يزال الكثير مما يتعلق بقضايا الحركة الوطنية، وأزمات القضية الفلسطينية، وعلاقات الدين والإيديولوجيا والماركسية، وإضافات الإسلاميين سلبًا وإيجابًا، متاحًا للدرس المبتكر، فضلاً عن تفاعلات الفلسطينيين مع محيطهم، والمشكلات البنيوية التاريخية التي حكمت نضالهم في ارتباطه بمحيطهم، والتي تنفتح على الكثير من الفرضيات التي تكسر التصورات النمطية الرائجة في مستوى الوعي العام، أو في مستوى التداول الثقافي والسياسي.

ثانيًا– الخلاصات المحددة: الحركة الوطنية الفلسطينية

١. في الأزمة البنيوية التاريخية للنضال الفلسطيني:

قدم تيار الكتيبة الطلابية موقفًا سياسيًّا متمايزًا عن الموقف السياسي العام السائد داخل الثورة الفلسطينية في لبنان، وعن موقف حلفائها المتمثلين في أحزاب الحركة الوطنية اللبنانية، من جهة أن التيار كان رافضًا للانخراط في الحرب الأهلية اللبنانية، بكل مفرداتها بما في ذلك عزل حزب الكتائب، أو قتال السوريين، ومع ذلك فإن التشكيل العسكري للتيار (السرية الطلابية) ظهر في سياق الحرب الأهلية اللبنانية، وأهم معارك التيار في هذه الحرب كانت مع السوريين، كما أن التيار قدم مسلكية ثورية مختلفة تجاه الجنوب الشيعي، وإفرازاته السياسية والدينية، والتي كانت منها حركة أمل، لكن هذا لم يمنع أن يقتل أحد أهم كوادر التيار (علي أبو طوق) في حرب المخيمات التي شنتها حركة كانت في يوم ما صديقة للكتيبة الطلابية، أي حركة أمل!

وإذن فهل كانت مشكلة النضال الفلسطيني في ممارسات المنظمات الفلسطينية في الأردن ولبنان؟ أم أن المشكلة أكثر تعقيدًا وتركيبًا من ذلك؟

تعاملت بعض المنظمات الفلسطينية بطفولية عالية جدًا، ولا يمكن اليوم وفي هذه اللحظات فهم الكثير من أطروحات تلك المنظمات التي حَلّلَت بها أوضاع الثورة الفلسطينية والمنطقة العربية، وأرادت بأرثوذوكسية ماركسية مفرطة إسقاط نظريات مستدعاة من سياقات وبيئات مختلفة دون أي جهد نقدي أو محاولات تكييف جادة، وبنمط مريع من التعالي على الجماهير والانشقاق عن ثقافتهم السائدة واستفزازهم في معتقداتهم، وإلا فأي شيء يمكن أن تضيفه صور لينين داخل المساجد؟! وسياسيًا كيف يمكن للثورة الفلسطينية أن تقود ثورة عربية أو عالمية؟! وكيف يمكن للمرء اليوم أن يفهم كيف قاربت تلك المنظمات، بما فيها فتح، الثورة الفلسطينية مع ثورات تنطوي على نقاط اختلاف أساسية عن الثورة الفلسطينية؟ كالثورات الجزائرية والفيتنامية. ولماذا لم تلحظ الثورة الفلسطينية المخزون الروحي العميق للشعب الجزائري الذي لجأ إليها في سنوات الخلاص الأخيرة؟ لكن هل كانت المشكلة هنا وحسب؟

بالتأكيد، وبالنظر إلى نظرية تعدد العوامل التي اعتمدتها الدراسة كأداة للتحليل من ضمن أدوات أخرى، فإن العوامل الفلسطينية الذاتية ساهمت في تعميق أزمات النضال الفلسطيني وتسريع الدفع بها نحو المآلات التي باتتت معروفة اليوم، ولكن هذه العوامل لم تخلق في الأساس تلك الأزمات ذات الطابع التاريخي والبنيوي.

تكونت الأزمة البنيوية في لحظة تاريخية انطوت على مفارقة عميقة شكلت المأساة المزمنة للشعب الفلسطيني ونضالاته الطويلة، ذلك أن نكبة هذا الشعب تزامنت مع استقلال إخوانه العرب. ولكن أين المشكلة في هذا؟ قبل تفكّك الدولة العثمانية ودخول الاستعمارين الفرنسي والبريطاني، فإن الوجود العربي في هذا المشرق لم يكن على النحو القائم الآن، وهذه بدهية معرفية وتاريخية ينبغي زلا تحيج إلى التذكير بها، ولكن إعادة تأويل الحاضر والتاريخ وفقًا للبنى الكولونيالية التي أوجدها الاستعمار تفرض إعادة التذكير المستمر، بأن هذه المنطقة كانت شديدة التداخل إداريًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا إلى ما قبل انهيار الدولة العثمانية، وإذن فإن الهويات الوطنية

المستحدثة انبنت على الحالة الاستعمارية.

مشكلة الفلسطينيين في أن هويتهم انبنت في سبب مفارق لما انبنت عليه الهويات الوطنية العربية، وإن تزامن بناء هذه الهويات، واتصل، فلقد تأسست الهويات العربية الوطنية القطرية على أساس من الحدود الكولونيالية، إلا أن هوية الفلسطينيين الوطنية انبنت على نكبتهم وحرمانهم من تحقيق النوع نفسه من الاستقلال، ومن ثم وجد الفلسطيني نفسه على أرض أخيه العربي الجديدة، والتي كانت حتى الأمس أرض الجميع، كما أن العربي الذي صارت له دولته الخاصة ساهم في تحقيق نكبة الفلسطيني، وإذن صار من حق الفلسطيني أن يقاتل انطلاقًا من الأرض العربية التي كانت أرضه حتى الأمس، وهذا الفلسطيني لا تزال نكبته وهجرته طرية. بيد أن هذا العربي لا يريده أن يقاتل انطلاقًا من أرضه.

لقد اتخذت الأنظمة العربية في مرحلة صعود الناصرية، موقفًا عدوانيًّا من المقاومة الفلسطينية، وكل لأسبابه، فغدت المقاومة الفلسطينية تغريدًا خارج سرب "الوحدة العربية طريق تحرير فلسطين"، وخلقت خشية عميقة من أن يدفع العرب ثمن هذه المقاومة. وبعد هزيمة العام ١٩٦٧، وتحول موقف النظام العربي، ولا سيما موقف الحكم الناصري في مصر باتجاه دعم المقاومة، فإن قواعد هذه المقاومة لم تكن آمنة، بوجود حالة عداء وتضارب مصالح مؤسسة على الأزمة البنيوية، ومن هنا تمددت الثورة الفلسطينية إلى المدن والمخيمات الفلسطينية في الأردن لحماية نفسها، وبهذا أيضًا لم يحمها خروجها من المدن والمخيمات وسحب سلاح المليشيا وانحيازها بعيدًا بما أنهى ازدواج السلطة؛ من ضربها وإخراجها من الأردن. ولبنانيًّا فإن الموقف العدواني تجاه الثورة الفلسطينية بدأ مع بدايات الثورة مع انتصاف عقد الستينيات، ولم يبدأ مع تعاظم الثورة في لبنان ومزاحمة الفلسطينيين للسلطة اللبنانية أو انخراط الفلسطينيين في الحرب الأهلية، والتي لم يبتدؤوها في الأساس.

هذه هي الأزمة البنيوية للنضال الفلسطيني، فهذا العربي لا يريد من الفلسطيني أن ينطلق كي يقاتل من أرضه، ولا يريد أيضًا أن يسند الفلسطيني في حال قاتل من على الأرض الفلسطينية، وباتت المشكلة جدًّا مركبة من ظروف التجزئة العربية ومن طبيعة الاحتلال والدور الذي يؤديه في المنطقة بما يضمن بقاءه ووجوده، أي استمرار التجزئة العربية، أو استمرار نمط معين من الأنظمة والحكم، بما يضمن استمرار دولة الاحتلال. إن النضال الفلسطيني لا يمكن فصله أبدًا عن ظروف التجزئة العربية، كما أن أي مشروع نهضوي عربي لا يمكن أن يتم دون تصفية الوجود الصهيوني في فلسطين.

لقد كان من مظاهر هذه الأزمة أيضًا، سعي الفلسطينيين للتمثل في كيانية وطنية خاصة بهم على غرار إخوانهم العرب من جهة، ولحل معضلة الاضطرار إلى المكان العربي، ودفعت هذه الأزمة إلى خيارات سياسية تراجعية، من مشروع التحرير الكامل المستند إلى الكفاح المسلح، إلى مشروع إقامة السلطة الوطنية على أي جزء من الأرض وبأي وسيلة ممكنة وإن بالتفاوض مع العدو.

٢. في تداخل مسارات الحركة الإسلامية والحركة الوطنية

لم تكن العلاقة بين الخطين الإسلامي والوطني منفصمة على النحو المتخيل، أو على النحو الذي يجري تصويره في أحيان كثيرة، وخاصة في الحالة الفلسطينية التي تأخر فيها الفرز الإيديولوجي إلى ما بعد النكبة، ومن ثم وبعد النكبة تداخلت خطوط الوطنية الفلسطينية الناشئة ممثلة بحركة فتح بضع سنوات إلى الأمام مع جماعة الإخوان المسلمين الفلسطينية، وحتى تعاظم قوة فتح بعد معركة الكرامة في العام ١٩٦٨ فإن فتح لم تكن منفصلة بصورة حادة عن الحركة الإسلامية، إذ وبصرف النظر عن علاقة فتح بالتنظيم الإخواني الفلسطيني، فإن عددًا من التنظيمات الإخوانية العربية نظر بإيجابية إلى فتح، كما أن القيادة المؤسسة لفتح حرصت على الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع تلك التنظيمات.

وقد جاء تحول تيار الكتيبة الطلابية من موقع ماركسي إلى موقع إسلامي، ثم إسهامه تاليًا من خلال نموذج "سرايا الجهاد الإسلامي" في إنضاج ودعم وإسناد المقاومة الإسلامية الناشئة في فلسطين، في حالة دالة على تداخل المسارات، فضلاً عن دور هذا التحالف في الساحة اللبنانية في رفد حزب الله "الشيعي" بعدد من الكوادر، وفي تأسيس حركة التوحيد الإسلامية "السُنية" في مدينة طرابلس والتي قامت بمساهمة فاعلة في القتال إلى جانب الفلسطينيين في ظروف حصار طرابلس وما تلاها، وعلى نحو لم يظهر من أحزاب الحركة الوطنية اللبنانية الحلفاء التاريخيين للثورة الفلسطينية في لبنان.

٣. في النموذج المهيمن والإيديولوجيا الضمنية

لم تتمكن جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين من استثمار تاريخيتها الإيجابية في فلسطين بالانتشار وتمثيل الفلسطينيين، وبالرغم من ظروف موضوعية قاهرة تعرضت لها الجماعة، وخاصة من بعد الصدام مع الحكم الناصري، فإن تراجع الجماعة لا يتعلق بهذا الظروف الموضوعي على أهميته، ولا سيما بالنظر إلى نماذج أخرى. فحزب التحرير الذي شكّل علامة سياسية لافتة في سنوات تأسيسه الأولى فقد زخمه تمامًا مع الوقت، وهذا يعني أن رفع الشعار الإسلامي لا يكفي لتحقيق الحضور الجماهيري والمنافسة على تمثيل الجماهير.

كانت حركة فتح انقلابًا في الواقع الفلسطيني، بتحمل المسؤولية الذاتية عن النضال وتجاوز الوصاية العربية، وكانت انقلابًا في الحالة العربية بتجاوز موقف الانتظار الذي مثلته القومية العربية، ومثلت انقلابًا في الحالة الإسلامية حينما قرر عدد من الإسلاميين السابقين في جماعة الإخوان المسلمين تأسيس الكفاح المسلح الفلسطيني.

وقد امتازت فتح بأمرين اثنين من بين بقية فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية: الأول- أسبقيتها إلى رفع شعار الكفاح المسلح وإلى ممارسته، وما نجم عن ذلك من عدد من المبادرات: بدء الكفاح المسلح في العام ١٩٦٥، واستئناف الكفاح المسلح من بعد هزيمة العام ١٩٦٧، وخوض معركة الكرامة في العام ١٩٦٨، وقد أفضت هذه العوامل والتراكمات إلى تعاظم حركة فتح وتحولها من حركة صغيرة ناشئة إلى حركة جماهيرية ضخمة. والثاني- أن فتح لم تتبن أي إيديولوجية غريبة عن معتقدات الشعب الفلسطيني والعربي، بالرغم من وجود تيارات يسارية مهيمنة داخل الحركة، انتمت إليها تحديدًا من بعد معركة الكرامة وتعاظم جماهيرية الحركة.

فامتازت فتح عن الجميع بأسبقيتها إلى الكفاح المسلح، بيد أنها امتازت عن الإسلاميين بممارستها الكفاح المسلح وقدرتها على التقاط اللحظات التاريخية المفصلية من بعد نكبة العام ١٩٤٨، ومن بعد هزيمة العام ١٩٦٧، وفي معركة الكرامة عام ١٩٦٨، كما أنها امتازت عن المنظمات اليسارية في أنها لم تتبن إيديولوجية غريبة عن الشعب وعاجزة عن اختراقه وتمثيله وصناعة المجال النضالي الذي يرى نفسه فيه، ومن هنا وجد الفلسطينيون أن هذه الحركة الأشبه بهم. وامتازت فتح أيضًا عن الحزب الشيوعي الأردني ومن ثم الفلسطيني بالميزتين معًا.

وعلى هذا فإن الإسلاميين لم يتمكنوا من العودة إلى الداخل، واستعادة مواقعهم السابقة والمراكمة عليها إلا بعد انخراطهم الفاعل في المقاومة، وتصدرهم لهذه المقاومة، وإذن فإن المسار الطويل لنضالات الشعب الفلسطيني يثبت إن الإيديولوجيا الضمنية للشعب الفلسطيني هي الكفاح المسلح، وفي المقابل فإن المنظمات الماركسية لم تتمكن من اختراق الجماهير والاستحواذ عليها والحفاظ على مواقعها بالرغم من ممارستها للمقاومة المسلحة، وهو ما يعني أن النموذج المهيمن على الشعب الفلسطيني، أو المعنى الكلي الذي يرى به نفسه والعالم، هو الإسلام، تمامًا كما الحال في المنطقة العربية والإسلامية التي يتأثر بها أعظم التأثر، كما أنه يؤثر بها، فقد كان الشعب الفلسطيني حاضرًا بقوة في التحولات المتزامنة التي غطت المجال العربي كله منذ بداية السبعينيات، كما كان من المنفعلين أشد الانفعال بالثورة الإيرانية. تمثل هذا الحضور الفلسطيني في تحولات المنطقة بسرعة تنامي الحركة الإسلامية في الداخل، وفي تحولات تيار الكتيبة الطلابية، وإن لاحقًا وعمومًا في تراجع الإيديولوجيا الماركسية عن المشهد الفلسطيني.

٤. في أهمية المسلكية الثورية والنضال النظيف

إذا كان الكفاح المسلح هو الإيديولوجية الضمنية للشعب الفلسطيني؛ فإنه تبين بالدراسة والتجربة أن الممارسة القتالية المتجردة من القيم الأخلاقية لا تجعل من المقاتل المعيار الذي يُحاكم إليه الناس والممارسات، وهو ما يحيل إلى ضرورة التمييز بين فعل المقاومة وبين المقاوم نفسه، فمجرد فعل المقاومة لا يمنع المقاوم من الاستقواء على الناس بالسلاح، أو إهدار مصالحهم، أو الاستهتار بقيمهم وأعرافهم، أو حتى سرقتهم والاعتداء على أملاكهم وأرواحهم، وقد كانت هذه الممارسات حاضرة وبقوة في المرحلة اللبنانية. كما أن فعل المقاومة لا يمنح المقاوم شهادة براءة سياسية، إذ يمكن للمقاوم أن يعيد توظيف المقاومة لصالح خيارات سياسية رديئة، ولا يوجد شاهد ينافس الشاهد الفلسطيني على تأكيد ذلك.

تتصل هذه المسألة في تكوين الفعل التحرري من حيث امتناعه على التجزيء على مستوى المبدأ وعلى المستوى العملي الذرائعي، إذ لا يتم الفعل التحرري الوطني بما ينطوي عليه من تضحيات هائلة على مستوى المبدأ وعلى المستوى العملي الذرائعي إلا بتمثل مشروع تحرري متكامل يضع في صلبه احترام الناس ومصالحهم وكراماتهم، فأي مشروع تحرري وطني سيبقى منقوصًا ما دام يستعيد الأدوات الاستعمارية في إخضاع الشعب والاستقواء عليه وإهدار مصالحه وكرامته.

والأمر متصل من لحظة المقاومة في سبيل التحرير إلى لحظة ما بعد التحرير، فتكامل عناصر المشروع التحرري بالتزامه مسلكيات ثورية وممارسة نضالية نظيفة ضرورة لحشد الجماهير واقتناعها بالنضال وتوفير البيئة النضالية التي تشبهها وتجد نفسها فيها. إن المسلكية الثورية والممارسة النضالية النظيفة ضرورة في المقابل في توفير بيئة حاضنة وحامية للثورة وكابحة للمخططات العدوانية التي تستهدفها ومانعة من توفير الذرائع للقوى المضادة.

لقد تحولت بيئة الثورة في الجنوب اللبناني إلى بيئة معادية كنتيجة لممارسات وتجاوزات المنظمات الفلسطينية وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية، بالرغم من وجود أسباب أخرى كتنامي النزعة الطائفية مع تعزيز الهوية الطائفية الشيعية وتمثلها في كيانات قوية معبرة عنها بتزامن مع ظاهرة الثورة الإيرانية. ولكن لو كانت مسلكية تيار الكتيبة الطلابية ظاهرة عامة تطبع السلوك الثوري الفلسطيني كله لأمكن الاستفادة من الحاضنة الشعبية فترة أطول في مواجهة التحديات اللبنانية بالغة التعقيد.

٥. في الإصلاح والتجاوز والنظرية الثورية

أخذت عمليات الإصلاح والتغيير في مسار الحركة الوطنية الفلسطينية أشكالاً متعددة، من تجاوز الأفراد إلى الانشقاق إلى قانون المحصلة، فقد تجاوز عدد من الأفراد من داخل جماعة الإخوان المسلمين الحالة الإخوانية الجامدة والعاجزة عن التقاط اللحظة التاريخية؛ بتأسيس كيان جديد يقوم على مقولة مختلفة، ولا يمكن اعتباره حالة انشقاقية، لأنه لم ينافس الإخوان لا على مقولتهم ولا على جمهورهم، حتى لو أدى تأسيس فتح إلى استنزاف الجماعة باستقطاب عناصرها وأفرادها، ويمكن القول بهذا الخصوص إن التأسيس الفتحاوي كان عملية إصلاح للواقع الفلسطيني وتجاوز للواقع الإسلامي الجامد في فلسطين، وقد أدت هذه العملية مهمتها إلى فترة طويلة من الزمن، وما تلا ذلك من انتكاسات فمردّه إلى خيارات القيادة الفتحاوية لا إلى أصل عملية الإصلاح والتجاوز.

وكانت تجربة حركة الجهاد الإسلامي عملية إصلاح في الواقع الإسلامي الفلسطيني، وتجاوزًا للواقع الإخواني الجامد، ولم تكن عملية انشقاق، حتى لو كان بعض عناصر التجربة قد انحدروا من الإخوان المسلمين، وحتى لو كان ثمة منافسة على الخطاب الإسلامي والجمهور الإسلامي الفلسطيني، وتلبس العلاقة في ظروفها الأولى التوتر والاحتكاك، وقد ساهمت عملية الإصلاح والتجاوز هذه إلى جانب عوامل أخرى في دفع الإخوان المسلمين لتبني مشروع المقاومة في فلسطين، وفي المراكمة على طريق الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

فتحاويًّا، لم تؤد عملية انشقاق صبري البنا (أبو نضال) إلى إضافة في النضال الفلسطيني، أو إلى عملية إصلاح على المستوى الوطني، أو عملية تجاوز على المستوى الفتحاوي، فقد غرقت التجربة في الإرهاب العبثي سريعًا حتى انتهت. بينما لم تضف تجربة "الانتفاضة–الانشقاق" والتي التصقت بقائدها سعيد مراغة (أبو موسى) إلى تدعيم القتال ضد العدو، أو تثبيت الوجود الفلسطيني في لبنان، وسريعًا ما انكفأت وفقدت مبرراتها بعدما استنزفت من فتح كادرًا هامًّا دون أن يؤدي دورًا نضاليًّا فاعلًا على الجهة المقابلة.

ويساريًّا، لم تتضح الإضافة التي قدّمها انشقاق الجبهة الديمقراطية عن الجبهة الشعبية سوى دفع الجبهة الشعبية إلى تبني الماركسية

اللينينية، وهو الأمر الذي لم تتضح إضافته أيضًا على صعيد النضال الفلسطيني، فلم تكن النظرية الثورية اللينينة، أو أدوات التحليل الماركسية بكافية لنجاح الثورة، ولطالما فشلت ثورات قادتها أحزاب ماركسية لينينية، تمتعت بالنظرية الثورية اللينينية وبأدوات التحليل الماركسية. وبينما كانت تَرُدُّ الأحزاب الماركسية سلوك حركة فتح إلى خلفية قيادتها الطبقية وانحدارها من البرجوازية الصغيرة، فإن ادعاء تمثل حزب الطبقة العاملة لم يحل دون تبني الأطروحات التسووية كما هو الحال في الحزب الشيوعي، أو دون تحول "حزب البروليتاريا" إلى دورية استطلاع لليمين الفلسطيني كما وُصفت الجبهة الديمقراطية إثر الإعلان عن مشروع الحل المرحلي. وفي المقابل لم يؤد افتقار حركات المقاومة الإسلامية إلى النظرية الثورية اللينينية، أو انحدار جسمها الرئيس من البرجوازية الصغيرة، بالضرورة إلى تبني المشاريع التسووية أو الانحراف عن الكفاح المسلح.

في مقابل عمليات الانشقاق والتجاوز وأطروحات النظرية الثورية، قدمت تجربة تيار الكتيبة الطلابية مقولة مختلفة تمامًا، وهي "قانون المحصلة"، بناء على تحليل لأوضاع حركة فتح، يقضي بأن حركة فتح لا يمكن إصلاحها إلا بتغييرها كلية، وهذا ممتنع من جهة، كما أن تحطيمها لا يخدم الثورة من جهة أخرى طالما أنها بقيت الفصيل الرئيس فيها، وقد تعاضد هذا القانون مع نظريات أخرى مثل نظرية "التناقضات"، ونظرية "العامل المساعد أو سدّ الثغرة"، فتكونت ممارسة تقوم على محاولة تعظيم الخط الصحيح داخل فتح، وتدعيم القتال من داخلها أيضًا، دون الانشغال في معارك جانبية، ودون الدخول في صراع داخلي مع القيادة أو ضدها. وقد ساهمت هذه المحاولة، كما سيأتي في الإضافة إلى تجربة الثورة داخل لبنان وفي داخل الأرض المحتلة.

هنا وفي مقابل الحديث عن النظرية الثورية يأتي الالتزام النضالي، وتدعيم القتال، والتجرد لصالح المشروع، والخط السياسي الصحيح، والتحليل السياسي الصحيح.

٦. في دور الحركة الطلابية

كان لافتًا في هذه الدراسة، الدور الأساسي الذي لعبته الحركة الطلابية في عدد من مراحل النضال الفلسطيني. فتحاويًّا؛ تأسست فتح من رحم الحركة الطلابية الفلسطينية في الجامعات المصرية. وإسلاميًّا؛ قاد التحولات الإسلامية داخل فلسطين الطلبة الجامعيون، إن في تجربة الجهاد الإسلامي التي بدأت بالتبلور مع عدد من الطلاب الفلسطينيين داخل الجامعات المصرية، أو في تجربة حركة حماس التي بدأت مع عدد من الحالات الطلابية في الجامعات المصرية والأردنية وداخل الأرض المحتلة وفي الكويت وفي أوروبا وأمريكا الشمالية، والتي انصهرت في النهاية في صورة حماس. وكان موضوع هذه الدراسة تيارًا ارتبط بشكل أساسي بالتنظيم الطلابي لحركة فتح في لبنان، وقدّم طليعة مقاتلة عمادها من طلاب الجامعات، وقدّم تجربة مميزة على مستوى النظرية والممارسة.

ثالثًا– الخلاصات المحددة: تيار الكتيبة الطلابية

١. العامل المساعد

ارتكزت تجربة التيار في جانب أساسي منها على نظرية "العامل المساعد"، أي ذلك العامل الذي لا يرغب في أن يكون طرفًا في المعادلة، ولكنه يرغب في التفاعل مع المعادلة بما يساهم في تدعيم الخط الصحيح، وقد عبّرَ التيار عن هذا العامل بتسميات أخرى مثل "سد الثغور" متأثرًا بتجربة المرابطين في المغرب، أو مثل "الحصوة التي تسند الخابية"، وذلك تأسيسًا على تحليل لأوضاع حركة فتح، وأوضاع الثورة الفلسطينية، من حيث إن الممارسة العملية نفسها هي الكفيلة بتدعيم الخط الصحيح والممارسة القتالية الفعالة والنظيفة داخل فتح لا الانشقاق ولا الصراع على القيادة أو مع القيادة.

وقد تبدو هذه النظرية موغلة في المثالية، أو مجرد ادعاء، ولكن بدراسة التجربة تاريخيًّا وتتبع الممارسة وفحص النظريات التي أنتجتها التجربة على ضوء الممارسة، يتضح أن التيار بالفعل لم يكن في مواقع الصراع على القيادة، أو في وارد الطموح بالتحول إلى حالة تنظيمية خاصة، وهو الأمر الذي يدعو إلى فحص إنجاز التيار وصحة خياراته المبنية على هذه النظرية، ويمكن في هذا الجانب رصد الإنجازات التالية:

أ. توفير البيئة القابلة لجذب واستيعاب الكوادر والحالات الفكرية والنضالية الفلسطينية واللبنانية والعربية التي لم تكن تجد لها مكانًا داخل حركة فتح أو داخل بقية المنظمات الفلسطينية، وقد قامت هذه البيئة على عدد من الأعمدة، أهمها خط الجماهير، والممارسة النضالية النظيفة، والاستقلالية عن الاتجاه السوفييتي، وتقديم تجربة مختلفة نظريًّا وعمليًّا.

ب. تقديم تجربة ناجحة في إدخال القطاعات والأجهزة المدنية إلى ميدان الممارسة القتالية، وذلك بابتداع تشكيل قتالي مدني كطليعة مقاتلة للتنظيم الطلابي، ثم كطليعة مقاتلة للتيار نفسه، حتى لو تحوّل هذا التشكيل إلى كتيبة نظامية داخل قوات العاصفة، فإنه بقي جزءًا من التيار، وعامل جذب لآلاف المتطوعين والمتدربين، وجزءًا من عملية دمج تقوم على رفد الكتيبة المقاتلة بالمتطوعين من الخط السياسي، وخلق حالة تكامل بين الخط السياسي والفكري والنواة المعنية بالأرض المحتلة مع الكتيبة المقاتلة في لبنان، وبهذا ساهمت الكتيبة المقاتلة في تدريب الدوريات الذاهبة إلى داخل الأرض المحتلة.

ج. ساهم التيار من خلال السرية الطلابية في حماية الثورة الفلسطينية بانخراطه في الحرب الأهلية اللبنانية، بالرغم من رفضه للحرب الأهلية من حيث الأصل ومن الذهاب فيها بعيدًا، فقد اعتقد بأنه لا يمكن وقف هذه الحرب إلا من خلال الحرب، بما يفرض موازين قوى جديدة تحافظ على مصالح الثورة الفلسطينية والوجود الفلسطيني في لبنان، وبالتالي فقد سعى لتنفيذ تحليله السياسي بالممارسة القتالية العملية.

د. ساهم التيار بالفعل في إخراج الفلسطينيين من ورطة الحرب الأهلية، وفي الدفع نحو إعادة تنظيم القوى الفلسطينية في مواجهة الاحتلال الصهيوني، بصموده في معركة بحمدون في مواجهة القوات السورية. فقد قدم التيار تقديرًا سياسيًّا يفيد بأن الصمود مدة ٤٨ ساعة في قتال السوريين سوف يقوي من موقف ياسر عرفات التفاوضي في قمة الرياض، بما ينهي الصراع الفلسطيني السوري،

والمشاركة الفلسطينية في الحرب الأهلية، على النحو الذي يحقق مطالب الفلسطينيين ويحافظ على مصالحهم في بيروت وفي المخيمات الفلسطينية ويركّز وجودهم داخل الجنوب اللبناني، وهذا ما جرى فعلاً.

ج. كانت الكتيبة الطلابية أول كتائب الثورة الفلسطينية نزولاً إلى الجنوب اللبناني، وقد وصلت إلى بنت جبيل في وقت كانت فيه فارغة من أي وجود لقوات نظامية أو ميليشياوية لفصائل الثورة الفلسطينية أو أحزاب الحركة الوطنية، ومن ثم تبع الكتيبة الطلابية بقية المنظمات والأحزاب. وكان للكتيبة الطلابية في هذا الإطار أدوار فاعلة في: منع توسيع جيب سعد حداد، وتحرير عدد من القرى اللبنانية، والحد من ظاهرة العمالة والاختراق ولعب سعد حداد والصهاينة على تناقضات العائلات، وتأطير القرى اللبنانية في جهود مقاومة مدنية سلمية، والحد من تجاوزات المنظمات الفلسطينية وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية، وحماية مصالح القرى اللبنانية ومراعاة مصالحها الاقتصادية بإدارة مقاومة رشيدة، وقد نجم عن ذلك كله بناء علاقات وثيقة مع القرى اللبنانية ورموزها التقليدية المؤثّرة بعدما كانت تلك القرى قد انقسمت على أساس من التصنيف الإيديولوجي ما بين "تقدمي وورجعي" أدى ببعض العائلات إلى الارتماء في أحضان سعد حداد.

د. الانفتاح على قوى أهلية وسياسية لبنانية متعددة، بما يتجاوز حالة الاصطفاف التي أوجدتها تصنيفات اليسار الفلسطيني واللبناني، وقد صَبّ هذا في فترة ما في طاحنوة الحاضنة الشعبية للثورة الفلسطينية، وفتح آفاقًا جديدة لها على المستوى اللبناني والإقليمي، وقد تجلى ذلك في مرحلة أولى بالعلاقة مع حركة أمل، وفي مرحلة تالية بالعلاقة مع الثورة الإيرانية.

هـ. الدور الفاعل في حروب العام ١٩٧٨، والعام ١٩٨٢، وهنا تبرز معركة قلعة الشقيف كإحدى المآثر الفلسطينية الخالدة، وكذلك الدور الأساسي في تنظيم المقاومة الفلسطينية واللبنانية بعد اجتياح العام ١٩٨٢، وهي المقاومة التي كان لها عدد كبير من العمليات البارزة والمؤثرة، والتي ساهمت في التأسيس للمقاومة اللبنانية التي اشتدّ عودها بعد ذلك.

و. واستمرت إضافات الكتيبة الطلابية فيما بعد ذلك، أثناء أحداث "الانشقاق– الانتفاضة"، وحصار طرابلس، ثم بتنظيم العودة إلى لبنان وحماية المخيمات الفلسطينية أثناء حرب المخيمات.

ز. وكان لتيار الكتيبة الطلابية مساهمة أساسية في تركيز المقاومة داخل الأرض المحتلة، وبعد ذلك في تفعيل الأحداث التي استمرت منذ عملية البراق في العام ١٩٨٦ وصولاً إلى الانتفاضة الفلسطينية في العام ١٩٨٧، ويأتي في هذا السياق الدور الأساسي للتيار من خلال "سرايا الجهاد الإسلامي"، التي بدأت من الناحية الفعلية في العام ١٩٨٣/١٩٨٢، وأعلنت عن نفسها في العام ١٩٨٦، وكان لها بذلك فضل السبق في الوجود الجهادي الإسلامي الفلسطيني، وفي إسناد الجماعات الجهادية الإسلامية الأولى وتطوير تجربتها، بما في ذلك حركة الجهاد الإسلامي، وحركة المقاومة الإسلامية "حماس". ويمكن اعتبار هذا الإنجاز أعظم إنجازات "العامل المساعد" والذي وجد أن دوره انتهى مع تحقيق إنجاز الانتفاضة الأولى وصعود حركتي حماس والجهاد الإسلامي. ولا يمكن في هذه الحالة أيضًا إغفال

مساهمة التيار في تأسيس حركة التوحيد الإسلامية "السُنّية" في طرابلس، وفي التأثير على الحالة الجهادية الإسلامية "الشيعية" التي تبلورت لاحقًا في صورة حزب الله.

ح. بقي نموذج "العامل المساعد" يشكل حالة إلهام ممتدة، تمظهرت في الانتفاضة الفلسطينية الثانية من خلال المساهمة الأساسية التي قدّمها كوادر عاشوا تجربة التيار في تأسيس كتائب شهداء الأقصى، بعضهم في المرحلتين: اللبنانية والسرايا، وبعضهم في مرحلة السرايا، أمثال جهاد العمارين، ومروان زلوم، وميسرة أبو حمدية، والذين ارتبط بعضهم بعلاقات خاصة مع حركة حماس وكتائب القسام، مثل جهاد العمارين، وميسرة أبو حمدية الذي اعتبرته كتائب القسام واحدًا من كوادرها التاريخيين، وقد استشهد داخل غرف حماس في سجون الاحتلال.

٢. أهمية العوامل الأولية الصغيرة في تشكيل الظواهر

في مسألة "العامل المساعد" تبينت أهمية تيار الكتيبة الطلابية كعامل صغير في المساهمة في توجيه أحداث هامة كالحرب الأهلية اللبنانية والنزول إلى الجنوب اللبناني وتنظيم المقاومة بعد غزو العام ١٩٨٢، أو في صياغة ظواهر كبرى، كان أبرزها الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وتأسيس حركة الجهاد الإسلامي، ودعم وإسناد حركة المقاومة الإسلامية "حماس".

وفي ظاهرة تحوّل تيار الكتيبة الطلابية من الماركسية اللينينية إلى الإسلام، تبدو أهمية تعدد العوامل الصغيرة بحيث إنه لا يمكن تفسير ظاهرة انتقال جماعي من مرجعية فكرية إلى أخرى بعامل واحد، فبالدراسة ظهر أن تحولات التيار قد بدأت بالفعل قبل الثورة الإيرانية، وكان يمكن ملاحظة ذلك بوضوح في أدبيات التيار منذ العام ١٩٧٦ والتي حملت توجهًا ترى فيه نفسها امتدادًا للمسلمين الأوائل في بدر وأحد، ثم توجهًا ترى فيه أن الإسلام قد جاء بثورة حقيقية في التاريخ الإنساني، ثم توجهًا ترى فيه ضرورة تحديد موقع المرأة في النضال على ضوء الثقافة المجتمعية الإسلامية.

كما وأمكن ملاحظة التحولات في الممارسة العملية بتزايد نسب الالتزام الديني بين مقاتلي الكتيبة الطلابية، أو بدمج منابر التيار ما بين الخطاب الماركسي والخطاب الإسلامي، وكان ذلك ناجمًا عن انفتاح التيار على القوى الإسلامية اللبنانية المحلية أو القوى الإسلامية غير اللبنانية، كالإيرانية، وهو ما ساهم في اطلاع كوادر التيار على كتابات علي شريعتي ومحمد باقر الصدر وسيد قطب ومحمد قطب وغيرهم.

وكان هذا الانفتاح ناجمًا عن عامل ذاتي تمثل في مفهوم "خط الجماهير" الذي التزمه التيار، وأدى به إلى التفاعل مع المحيط اللبناني بكل مكوناته، ومع الحالات الإسلامية التي كانت تتحسس منها بقية القوى اليسارية الفلسطينية واللبنانية، وإلى إجراء عمليات نقد متواصلة للمفاهيم والنظريات وأدوات التحليل الماركسية

ثم جاءت بعد ذلك الثورة الإيرانية، لتشكل عاملاً أساسيًا في دفع عملية التحولات داخل التيار إلى مداها بالتزامن مع التحولات التي

كانت تغطي المجال العربي والإسلامي كله.

٣. في المعنى الكلي أو النموذج المهيمن

وإذن وبالنظر إلى أن عملية التحولات كانت جارية بالفعل قبل الثورة الإيرانية، وإلى أنها كانت مؤسسة على مفهوم "خط الجماهير"، أي البحث عن نظرية ثورية مشتقة من خط الجماهير، أو البحث في سمات الثورة في البلاد العربية والإسلامية، وإلى أن هذه التحولات جاءت متزامنة مع تحولات كبرى كانت تغطي المجال العربي كله، ولأن التحول أخذ صفة الجماعية ولم يكن ناجمًا عن قصص فردية محضة، أو عن تجارب معاناة خاصة، فقد كان لا بد من أخذ تحولات تيار الكتيبة الطلابية ضمن حالة الإحيائية الإسلامية أو ما يسميه الإسلاميون بـ "الصحوة الإسلامية".

وبالرغم من أن التزام "خط الجماهير" والاهتداء به لاكتشاف سمات الثورة في البلاد العربية عبّر عن عامل ذاتي، وهو ما فسّر تميز التيار بتحولاته دون بقية التيارات الفلسطينية في الساحة اللبنانية، فإنه أيضًا يلتقي مع السياق الكلي، أي سياق التحولات العربية، والتي عرضت الدراسة لجانب منها، بما في ذلك التحولات التي كانت تجري في الداخل الفلسطيني أو في بعض أماكن الوجود الفلسطيني من حيث تعاظم وتنامي حضور الحركة الإسلامية الفلسطينية.

إن خط الجماهير نابع في النهاية من المعنى الكلي، أو رؤية العالم الثاوية في وعي الجماهير، فالتقاء خط الجماهير مع تزامن تحولات تيار الكتيبة الطلابية مع التحولات التي كانت جارية في فلسطين والمنطقة، يملك طاقة تفسير لفهم تحولات هذا التيار ودلالاتها، وهو الأمر الذي يحيل في النهاية إلى النموذج المهيمن على هذه المنطقة التي يشكل الشعب الفلسطيني جزءًا أساسيًّا منها، فاعلاً ومنفعلاً.

المصادر والمراجع

أولاً– العربية

- **الكتب**

أبو العمرين، خالد نمر، **حماس حركة المقاومة الإسلامية: جذورها نشأتها فكرها السياسي**، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٠)

أبو الفتوح، عبد المنعم، **عبد المنعم أبو الفتوح: شهادة على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ – ١٩٨٤**، تحرير: حسام تمام، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٢)

أبو عزة، عبد الله، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية**، (الكويت: دار القلم، ١٩٨٦)

أبو فخر، صقر، **الحركة الوطنية الفلسطينية من النضال المسلح إلى دولة منزوعة السلاح**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣)

_____، **أنيس النقاش: أسرار خلف الأستار**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠)

أبو فضة، عبد العزيز، **قلعة الشقيف: قلعة الصمود**، (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨٢)

أبو نضال، نزيه، **مذكرات نزيه أبو نضال: من أوراق ثورة مغدورة**، حاوره: زياد منى. (بيروت–دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، ٢٠١١)

أحمد، رفعت السيد، **النبي المسلح (١) الرافضون**، (لندن: دار رياض الريس للنشر، ١٩٩١)

_____، **النبي المسلح: (٢) الثائرون**، (لندن: دار رياض الريس للنشر، ١٩٩١)

_____، **رحلة الدم الذي هزم السيف: الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي**، (القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩٧)

أحمد، عبد العزيز السيد، **قراءة فلسطينية في فكر الإمام الخميني**، (الكويت: شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٧٩)

الأشهب، نعيم، **دروب الألم... دروب الأمل**، (رام الله: دار التنوير، ٢٠٠٩)

باجس، دلال، **الحركة الطلابية الإسلامية في فلسطين: الكتلة الإسلامية نموذجًا**، (رام الله: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠١٢)

بحيص، محمد محمد، ومحمد باسم سلطان، **أسئلة حول الإسلام والماركسية من وراء القضبان**، (القدس: وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر، ١٩٩٠)

البس، فتحي خليل، **انثيال الذاكرة: هذا ما حصل**، (عمان: دار الشروق، ٢٠٠٨)

بطاطو، حنّا، **فلّاحو سورية: أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأنًا وسياساتهم**، ترجمة: عبد الله فاضل ورائد النقشبندي، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤)

بلاك، إيلان، وموتي موريس، **حروب إسرائيل السرية: تاريخ الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية**، ترجمة: عمار جولاق وعبد الرحيم الفرا، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٢)

بن منظور، محمد، **لسان العرب**، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٣)

البنا، حسن، **الكتاب الحادي عشر من سلسلة تراث الإمام البنا، مقالات حول القضية الفلسطينية**، تحقيق: محمد فتحي النادي وآخرون، (القاهرة: البصائر للبحوث والدراسات، ٢٠٠٦)

بوعزة، الطيب، **الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية: (١) الفلسفة الملطية أو لحظة التأسيس**، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٣)

بويار، نكولا دوت، اليسار **المتحول للإسلام: قراءة في حالة الكتيبة الطلابية لحركة فتح**، ترجمة: عومرية سلطاني، (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٠)

بيجوفتش، علي عزت، **الإسلام بين الشرق والغرب**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٣)

ثابت، محسن، **نشأة الجماعة الإسلامية في سجون الاحتلال الإسرائيلي**، ([د.م]: [د.ن]، [د.ت])

جياب، نغوين فون، **حرب المقاومة الشعبية**، ترجمة: ناجي علوش ومنير شفيق، (بيروت: دار الآداب، ١٩٦٩)

حبش، جورج، **الثوريون لا يموتون أبدًا**، حاوره: جورج مالبرينو، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٩)

حمانة، البخاري، **فلسفة الثورة الجزائرية**، (الجزائر: ابن النديم- بيروت: دار روافد، ٢٠١٢)

حساسيان، مناويل، **الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ما بين ١٩١٩ – ١٩٣٩**، (القدس: منشورات البيادر، ١٩٨٧)

حمزة، محمد، **أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله**، (صفاقس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٩)

_____، **حرب الاستنزاف: دراسة في التحليل السياسي.. والتوثيق العسكري للحرب الفلسطينية – اللبنانية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان ١٩٨٢ – ١٩٨٤**، (عمان: المركز العربي للدراسات الإستراتيجية والعسكرية، ودار الجيل، ١٩٨٥)

حمودة، **سميح، الوعي والثورة: دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام ١٨٨٢م–١٩٣٥م**، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٦)

خلف، صلاح، **فلسطيني بلا هوية**، تحرير وتصويب: فؤاد أبو حجلة، (عمان: دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٦٩)

خليل، نهاد محمد الشيخ، **حركة الإخوان المسلمين في قطاع غزة 1967–1987**، (غزة، مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، ٢٠١١)

الخميني، **القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني**، (بيروت: دار الوسيلة، ١٩٩٦)

خورشيد، غازي، **دليل حركة المقاومة الفلسطينية**، (بيروت: مركز الأبحاث– منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧١)

الخولي، يمنى طريف، **مشكلة العلوم الإنسانية: تقنيتها وإمكانية حلها**، (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١١)

خيون، رشيد، **١٠٠ عام من الإسلام السياسي بالعراق: ١– الشيعة**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١٢)

دياب، محمد حافظ، **سيد قطب: الخطاب والإيديولوجيا**، (القاهرة: دار رؤيا، ٢٠١٠)

الرحموني، محمد، **النقد الذاتي في الفكر العربي: الخطاب النقدي للمفكرين العرب حول نكبة فلسطين نموذجًا**، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٣)

ـ، **الدين والإيديولوجيا: جدلية الديني والسياسي في الإسلام والماركسية**، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥)

رصاص، محمد سيد، **الإخوان المسلمون وإيران: الخميني– الخامنائي**، (بيروت: جداول، ٢٠١٣)

روا، أوليفيه، **تجربة الإسلام السياسي**، (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤)

الزعنون، سليم، **السيرة والمسيرة: مذكرات سليم الزعنون «أبو الأديب»**، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠١٣)

زواوي، خالد علي، **مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين**، (رام الله: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ٢٠١٢)

سبيلا، محمد، وعبد السلام بنعبد العلي، **الإيديولوجيا**، (الدار البيضاء: دار توبيقال للنشر، ٢٠٠٦)

_____، **الحداثة وانتقاداتها: ١ نقد الحداثة من منظور عربي**، (الدار البيضاء: دار توبيقال للنشر، ٢٠٠٦)

ستالين، **المادية الديلكتيكية والمادية التاريخية**، (دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، ٢٠٠٧)

ستيفن دي تانس، **علم السياسة: الأسس**، ترجمة: رشا جمال، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٢)

سربل، إبراهيم، **حركة الجهاد الإسلامي والانتفاضة**، (عمان: دار النسر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠)

سعد، وأبو خالد، **أفكار ثورية في ممارسة القتال**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨)

سعود، الطاهر، **الحركات الإسلامية في الجزائر: الجذور التاريخية والفكرية**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١٢)

سكيربك، غنار ونلز غليجي، **تاريخ الفكر الغربي: من اليونان القديمة إلى القرن العشري**، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٢)

سلمان، طلال، **مع «فتح» والفدائيين**، (بيروت: دار العودة، ١٩٦٩)

سوين، هان، **اليوم الأول في العالم: ماوتسي تونغ والثورة الصينية ١٩٤٩-١٩٧٥**، ترجمة: هلال محمود سعد (بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٧٩)

سيل، باتريك، **أبو نضال بندقية للإيجار: المناضلون في خدمة الموساد**، (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٢)

الشرع، فاروق، **الرواية المفقودة**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٥)

شريعتي، علي، **الحسين وارث آدم**، ترجمة: إبراهيم دسوقي شتا، (بيروت: بيروت، دار الأمير، ٢٠٠٧)

_____، **الشهادة**، ترجمة: إبراهيم دسوقي شتا، (بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٧)

_____، **العودة إلى الذات**، ترجمة: إبراهيم دسوقي شتا (بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٧)

_____، **مسؤولية المثقف**، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، (بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٧)

الشريف، كامل، **الإخوان المسلمون في حرب فلسطين**، (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٧)

شفيق، منير، **بعض القوانين العسكرية في الثورة الفلسطينية**، ([د.م]، [د.ن]، ١٩٧٦)

_____، **الإستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب: من السيف والدروع.. إلى الصاروخ والأنفاق**، (بيروت: الدار العربية للعلوم والنشر، ٢٠٠٨)

_____، **الإسلام في معركة الحضارة**، (بيروت: الناشر– تونس: دار البيرق، ١٩٩١)

_____، **الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٣)

_____، **دروس من تجربة الشهداء الخمسة**، ([د.م]: [د.ن]، ١٩٧٧)

_____، **الدولة والثورة: رد على ماركس، إنجلز، لينين ومقاربات مع الرؤية الإسلامية**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١)

_____، **الماركسية اللينينية والثورة المسلحة**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢)

_____، **الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧١)

_____، **تجارب ست ثورات عالمية: مع مقدمة حول الثورات عمومًا**، (بيروت: نيسان للنشر والتوزيع، ٢٠١٤)

_____، **حول التناقض والممارسة في الساحة الفلسطينية**، (بيروت: دار الطليعة، [د.ت])

_____، **شهداء ومسيرة**، ([د.م]: مؤسسة الوفاء، ١٩٩٤)

_____، **في الوحدة العربية والتجزئة**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨١)

_____، **موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٧)

_____، **نظرة في تناقضات الوضع العربي العام**، (بيروت: دار تشرين، ١٩٧٥)

_____، **بين إستراتيجية التحرير الكامل وإستراتيجية "الحل السياسي"**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٣)

الشيخ، ممدوح، **عبد الوهاب المسيري: من المادية إلى الإنسانية الإسلامية**، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨)

صالح، محسن محمد، **الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين**، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٤)

صايغ، روز ماري، **الفلاحون الفلسطينيون: من الاقتلاع إلى الثورة**، ترجمة: خالد عايد، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٠)

صايغ، يزيد، **الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٩-١٩٩٣: الكفاح المسلح والبحث عن دولة**، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٣)

صمادي، فاطمة، **التيارات السياسية في إيران**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢)

طحطح، خالد، **عودة الحدث التاريخي**، (الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ٢٠١٤)

_____، **الكتابة التاريخية**، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠١٢)

الطيب، توفيق، **الحل الإسلامي ما بعد النكبتين**، (القاهرة: المختار الإسلامي، ١٩٧٩)

عبد الحق، بدر، وغازي السعدي، **حرب الجليل: الحرب الفلسطينية الإسرائيلية الخامسة- تموز ١٩٨١**، (بيروت/ عمان: المؤسسة العربية للنشر/ دار الجليل، ١٩٨١)

عبد الرحمن، طه، **تجديد المنهج في تقويم التراث**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢)

عبد الرزاق، صلاح، **علماء الشيعة ونصرة فلسطين**، (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٠)

العروي، عبد الله، **مفهوم الأيديولوجيا**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢)

عزام، عبد الله، **الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان**، ([د.م]: منير التوحيد والجهاد [د.ت])

العظم، جلال صادق، **النقد الذاتي بعد الهزيمة**، (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧١).

_____، **دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية**، (بيروت، دار العودة، ١٩٧٣)

_____، **نقد الفكر الديني**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)

_____، **ما بعد ذهنية التحريم**، (دمشق: دار المدى، ٢٠٠٤)

علوش، ناجي، **الثورة الفلسطينية أبعادها وقضاياها**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)

_____، **فكر حركة المقاومة الفلسطينية (١٩٤٨–١٩٨٧): نظرة عامة**، ([د.م]: [د.ن]. [د.ت])

_____، **المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧–١٩٤٨**، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)

عمر، محجوب، **كتابات**، (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ٢٠٠٥).

عمرو، نبيل، **ياسر عرفات وجنون الجغرافيا**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٣)

عيسى، عبد الله، **حافلات الجهاد الإسلامي**، (عمان: دار الإبداع، ١٩٩١)

ـ، **متفجرات في مكتب شامير**، (عمان: دار الإبداع، ١٩٩١)

غانم، إبراهيم البيومي، **الفكر السياسي للإمام حسن البنا**، (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ٢٠١٣)

الغبرا، شفيق، **حياة غير آمنة: جيل الأحلام والإخفاقات**، (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٢)

غبسون، سي، **فانون: المخيلة بعد– الكولونيالية**، ترجمة: خالد عايد أبو هديب، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣)

الغريب، عصام، **الحاج محمد أمين الحسيني ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية ١٨٩٧–١٩٧٤**، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٤)

غليك، جيمس، **نظرية الفوضى: علم اللامتوقع**، ترجمة: أحمد مغربي (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٨)

غليون، برهان، **نقد السياسة، الدولة والدين**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣)

الغنوشي، راشد، **من تجربة الحركة الإسلامية في تونس**، (تونس: دار المجتهد للنشر والتوزيع، ٢٠١١)

غنيم، عبد الرحمن، **المقاومة الفلسطينية والأيديولوجيا الثورية**، (دمشق: منشورات الطلائع، ١٩٧٣)

غوشة، إبراهيم، **المئذنة الحمراء: سيرة خاصة**، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠٠٨)

فانون، فرانز، **معذبو الأرض**، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، (القاهرة: مدارات، ٢٠١٥)

قاسم، نعيم، **حزب الله: المنهج – التجربة – المستقبل**، (بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٦)

القدومي، فاروق، **دفاتر الثورة الفلسطينية: دفاتر الفتح**، (تونس: دار حنين للنشر والتوزيع، ٢٠١٢)

قنصوة، صلاح، **الموضوعية في العلوم الإنسانية**، (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٨)

كراوس، ريتشرد كيرت، **الثورة الثقافية الصينية: مقدمة قصيرة جدًا**، ترجمة: شيماء طه الريدي، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم ولاثقافة، ٢٠١٤)

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨)

كنفاني، مروان، **سنوات الأمل**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧)

الكيالي، عبد الوهاب، **تاريخ فلسطين الحديث**، (بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٩٩)

لاكروا، ستيفن، **زمن الصحوة: الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية**، ترجمة: عبد الخالق الزموري، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٢)

لالاند، أندريه، **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة: خليل أحمد خليل، (بيروت – باريس: منشورات عويدات، ١٩٩٦)

ماريك، فرانز، **فلسفة الثورة العالمية**، ترجمة: منير شفيق، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢)

ماوتسيتونغ، **مؤلفات ماوتسيتونغ المختارة**، (بكين: دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٧٠)

مجموعة مؤلفين، **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، تحرير: محمد اشتية، (القدس: المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، ٢٠١٣)

مرقص، إلياس، **المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن**، (بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، ١٩٧١)

المروزي، محمد بن نصر، **كتاب السنة**، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨ هـ)

مسودي، عدنان، **إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس**، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٣)

المسيري، عبد الوهاب، **الثقافة والمنهج**، تحرير: سوزان حرفي (دمشق: دار الفكر، ٢٠١٢)

_____، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩)

مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، [د.ت])

معلوف، أمين، **اختلال العالم**، ترجمة: ميشيل كرم، (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٩)

مناصرة، عز الدين، **الثورة الفلسطينية في لبنان: ١٩٧٢-١٩٨٢**، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠)

مورو، محمد، **الإسلام السياسي: شخصيات**، (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١١)

المولى، سعود، **الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١٢)

النابلسي، صادق، **قيام طائفة: أمة موسى الصدر**، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠١٤)

ناصر، درويش، **عملية الدبويا كما يرويها منفذوها**، (القدس: الناشر المؤلف، ١٩٨٣)

نافع، بشير، **الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية ١٩٥٠-١٩٨٠**، (غزة: مركز فلسطين للدراسات والبحوث، ١٩٩٩)

_____، **الإسلاميون**، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، بيروت: الدار العربية للعوم، ٢٠١٠)

النبتيتي، خليل، **في الطريق إلى فلسطين: سيرة نضالية**، (عمان: دار الشروق، ٢٠١٤)

ندا، يوسف، **من داخل الإخوان المسلمين: يوسف ندا مع دوجلاس تومسون**، ترجمة: محمد فريد الشيال، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٣)

نسيرة، هاني علي، **الحنين إلى السماء: دراسة في التحول نحو الاتجاه في مصر في النصف الثاني من القرن العشرين**، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٠)

النشار، علي سامي، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ج٢ الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين**، (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٨)

نصار، وليم، **تغريبة بني "فتح": أربعون عامًا في متاهة فتحاوية**، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)

النقاري، حمو، **المنهجية الأصولية والمنطق اليوناني من خلال أبي حامد الغزالي وتقي الدين ابن تيمية**، (القاهرة: دار رؤية، ٢٠١٠)

نكروما، كوامي **دليل الحرب الثورية**، ترجمة: منير شفيق، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢)

هلال، جميل، **إضاءة على مأزق النخبة السياسية الفلسطينية**، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠١٣)

الهندي، خليل، وفؤاد بوراشي، وشحادة موسى، **المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني: دراسة تحليلية لهجمة أيلول**، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الأبحاث، ١٩٧١)

هويدي، فهمي، **إيران من الداخل**، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١)

يار، عباس خامه، **إيران والإخوان المسلمين: دراسة في عوامل الالتقاء والافتراق**، ترجمة: عبد الأمير الساعدي، (بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٧)

اليزدي، محمد تقي مصباح، **الإيديولوجيا المقارنة**، ترجمة: عبد المنعم الخاقاني (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٩٩٢)

- **الأبحاث المنشورة في كتب**

حامي الدين، عبد العلي، "جبهة الإنقاذ من التأسيس إلى النكبة"، في: **الشعائر الدموية: جبهة الإنقاذ الجزائرية من التأسيس إلى النكبة**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١١)

حبيب، كمال السعيد، "جماعة الجهاد: الأفكار والمسار والشخصيات"، في: **الفتنة الغائبة جماعة الجهاد في مصر**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١٢)

صالح، محسن محمد، "حركة المقاومة الإسلامية (حماس): قراءة في رصيد التجربة"، في: **حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة**، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٤)

علوش، ناجي، "نحو إستراتيجية جديدة للثورة الفلسطينية"، في: **المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني: دراسة تحليلية لهجمة أيلول**، تحرير: خليل هندي وفؤاد بوراشي وشحادة موسى، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الأبحاث)

غرايبة، إبراهيم؛ "الحركة الإسلامية والقضية الفلسطينية"، في: **القضية الفلسطينية في نصف قرن**، (لندن: منشورات فلسطين المسلمة، ١٩٩٩)

الغضبان، نجيب، "الحركة الإسلامية السورية وآفاق التحول الديمقراطي"، في: **الإخوان المسلمون في سورية: ممانعة الطائفة وعنف الحركة**، (دبي: مركز المسبار، ٢٠١١).

المحداوي، علي عبود، "الخطاب النقدي لمدرسة فرانكفورت- جدل النظرية والممارسة: دراسة في التأسيسات والتحولات والمركزيات"، في: **مدرسة فرانكفورت النقدية: جدل التحرر والتواصل والاعتراف**، مجموعة مؤلفين، تحرير: علي عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانة، (الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع- بيروت: دار الروافد الثقافية، ٢٠١٣)

المسكيني، أم الزين بنشيخة، "كيف يمكن أن نفكر بعد ماركس" في: **الماركسية الغربية وما بعدها**، مجموعة مؤلفين، تحرير: علي عبود المحمداوي، (بغداد: دار ومكتبة عدنان- الجزائر: منشورات الاختلاف- بيروت: منشورات ضفاف، ٢٠١٤)

- **الدوريات**

[د.ك]، "أحداث أيار في لبنان"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢٢، (حزيران: ١٩٧٣)

[د.ك]، *مجلة الأضواء*، العدد ٥، (٩ آب ١٩٦٠)

[د.ك]، *مجلة التوحيد*، العدد ٤٠، (أيار- حزيران ١٩٨٩)

[د. ك]، *مجلة التوحيد*، العدد ٣٥، (حزيران – آب ١٩٨٨)

الأحمد، ياسين، "نقد الكتب: في الوحدة العربية والتجزئة"، *مجلة قضايا عربية*، العدد ٣، (يوليو ١٩٧٩)

الأصفهاني، نبيهة، "أبعاد النزاع الصيني السوفييتي"، *مجلة السياسة الدولية*، عدد ١٧، (يوليو ١٩٦٩)

ب. ح، "الهجوم الإسرائيلي على بيروت ٩-١٠/٤١٩٧٣"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢١، (أيار ١٩٧٣)

بو عزة، الطيب، "مفهوم «الرؤية إلى العالم» بوصفه أداة إجرائية لقراءة تاريخ الفكر الفلسفي"، *مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية*، العدد ٨ (ربيع ٢٠١٤).

الحسن، بلال، "أحداث أيلول ومسؤولية النظام الأردني"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ١، (آذار ١٩٧١)

_____، الأهداف الحقيقية للغزو الإسرائيلي، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٢٨، (تموز ١٩٨٢)

الحسن، هاني، "فتح بين النظرية والتطبيق: ١- الإطار النظري"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٧، (آذار ١٩٧٢)

_____، "وقفة عند الذكرى الخامسة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٩٨، (كانون ثاني ١٩٨٠)

_____، "وقفة عند الذكرى الرابعة لمعركة الكرامة"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٨، (نيسان ١٩٧٢)

حوراني، فيصل، "حرب الشهور الثلاثة والرقم الذي استحال شطبه"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٢٩، ١٣٠، ١٣١ (آب، أيلول، تشرين أول ١٩٨٢)

خامنائي، علي، "مقدمة ترجمة الإمام الخامنئي لكتاب «المستقبل لهذا الدين» للأستاذ سيد قطب"، *مجلة رسالة التقريب*، العدد ١٢، (١٩٩٦)

خوري، إلياس، "الثورة الممكنة: وكل شيء يريد أن يبدأ جديدًا"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ٨٩، (نيسان ١٩٧٩)

داغر، كميل، "نقد الكتب: في الوحدة العربية والتجزئة"، *مجلة المستقبل العربي*، العدد ٧، (٥/ ١٩٧٩)

سارة، فايز، "الحركة الإسلامية في فلسطين: وحدة الإيديولوجيا وانقسامات السياسة"، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٢٤، (٦/ ١٩٨٩)

سماحة، يوسف، "مراجعات: منير شفيق، الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢٩ (كانون ثاني ١٩٧٤)

السيد، جلال، "حوار مع قادة الثورة الفلسطينية"، *مجلة الكاتب*، عدد ١١٧، (١٢/ ١٩٧٠)

شفيق، منير، "حرب آذار ١٩٧٨ عسكريًا"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٠٠، (آذار ١٩٨٠)

_____، "لماذا يرفض الفلسطينيون مشروع الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٧، (آذار: ١٩٧٢)

_____، "معركة العرقوب عسكريًا"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٩، (أيار ١٩٧٢)

_____، "معركة الكرامة"، مجلة شؤون فلسطينية، عدد ١٩، (آذار ١٩٧٣)

_____، "مناقشة آراء في تقييم الثورة الفلسطينية"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ٤٤، (نيسان ١٩٧٥)

_____، "مناقشة مع الحزب الشيوعي الأردني"، *مجلة شؤون فلسطين*ية، العدد ١٣، (أيلول ١٩٧٢)

_____، "منطلقات أساسية لاستراتيجية الثورة الفلسطينية"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٧، (كانون ثاني ١٩٧٣)

_____، موضوعات حول نضال المرأة، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٦٢، (كانون ثاني ١٩٧٧)

صاغية، حازم، "جذور الوعي الديني – السياسي في إيران"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ٨٤، (تشرين الثاني ١٩٧٨)

الصالح، فرحان، "كفر شوبا: التحدي ورد التحدي"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٤٣، (آذار ١٩٧٥)

الطاهر، معين، "معركة قلعة الشقيف ١٩٨٢ ... روايتان"، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، العدد ١٠١، (شتاء ٢٠١٥)

_____، "من ملاحم الصمود في لبنان إلى إعادة التأسيس في فلسطين"، حاوره: إلياس خوري وميشيل نوفل، في *مجلة الدراسات الفلسطينية*، عدد ٩٤، (ربيع ٢٠١٣)

الطيب، توفيق، "الخصائص الثابتة اللازمة والخصائص المكتسبة للحركة الإسلامية"، *مجلة المسلم المعاصر*، العدد الافتتاحي، (كانون ثاني ١٩٧٤)

عبد المجيد، وحيد، "انتفاضة الضفة والقطاع وتطور الحركة الوطنية الفلسطينية، *مجلة السياسة الدولية*، العدد ٩٢، (إبريل ١٩٨٨)

_____، نقد كتاب: البحث عن قيادة: الحياة السياسية في الضفة الغربية منذ العام ١٩٦٧"، *مجلة المستقبل العربي*، العدد ١٣٥، (أيار ١٩٩٠)

عدوان، كمال، "فتح: الميلاد والمسيرة- حديث مع كمال عدوان"، حاوره: طاهر عبد الحكيم، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ١٨، (كانون ثاني ١٠٧٣)

علوش، ناجي، "ناجي علوش يتحدث في قضايا الساعة الفلسطينية"، حاوره: عبد القادر ياسين، *مجلة الكاتب*، عدد ١٥٥، (فبراير ١٩٧٤)

_____، ووليد نويهض "رأيان في كتاب: «دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية»: هل هو نقد لفكر المقاومة حقًا؟" *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد٢١ (١٩٧٣).

القاضي، ليلى سليم، "تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي ١٩٤٨- ١٩٧٢"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢٢ (حزيران ١٩٧٣)

كيالي، ماجد. "«فتح» وتجربة التيار اليساري الديمقراطي فيها". *مجلة الدراسات الفلسطينية*، عدد٤٢، خريف (٢٠١٢).

مجموعة باحثين، "مجزرة صبرا وشاتيلا: نتائج بحث ميداني"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٣٨- ١٣٩، (أيلول- تشرين الأول ١٩٨٤)

المقدح، يوسف، "تقارير: جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية"، *مجلة شؤون فلسطينية*، العدد ١٢٣ و١٣٣، (تشرين الثاني، كانون الأول: ١٩٨٢)

المولى، سعود، "فلسطين بين الإخوان «وفتح»، *مجلة الدراسات الفلسطينية*، العدد ٩٣، (شتاء ٢٠١٣)

ندوة، "الانتفاضة الفلسطينية: السياق التاريخي- القوى الفاعلة- المسار والمستقبل"، *مجلة المستقبل العربي*، العدد ١١١، (أيار ١٩٨٨)

هـ.أ، "تقييم عسكري سياسي لعملية ٩-١٠ نيسان في بيروت"، *مجلة شؤون فلسطينية*، عدد ٢١، (أيار ١٩٧٣)

- **الصحف**

أ. مقالات

أبو خليل، أسعد، "المقاومة الفلسطينيّة والحرب الأهليّة اللبنانيّة"، صحيفة الأخبار اللبنانية، ٢٢ حزيران ٢٠١٣

_____، "صادق جلال العظم: نقد الفكر الطائفي بعد الهزيمة"، صحيفة الأخبار، ٢٠١٣/٤/٢٧

الطاهر، معين، "السرايا.. من دفاتر المقاومة الفلسطينية"، صحيفة العربي الجديد، ٢٠١٥/٢/٢٤

الغبرا، شفيق، "السرية الطلابية: "«التأسيس والمؤسسون»"، صحيفة السفير اللبنانية، ملحق فلسطين، حزيران ٢٠١٣

ب. حوارات

حوار مع عاطف أبو بكر، حاوره: غسان شربل، *صحيفة الحياة*، ٢٠٠٨/٢/٢٢

خالد مشعل في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره: غسان شربل، الحلقة ٢، صحيفة الحياة، ٢٠١٣/١٢/٥

رمضان عبد الله شلح في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة ٤، صحيفة الحياة، ٢٠٠٣/١/١٠

رمضان عبد الله شلح في حوار مع صحيفة الحياة، حاوره غسان شربل، الحلقة ٣، صحيفة الحياة، ٢٠٠٣/١/٩

ج. أخبار

صحيفة السفير، ١٩٨٨/٢/١٥

صحيفة السفير ١٩٨٨/٢/١٦

- **البيانات والنشرات والمجلات التنظيمية**

أ. البيانات

بيان عسكري صادر عن كتائب الشهيد عز الدين القسام، كتائب القسام تزف الأسير المجاهد ميسرة أبو حمدية أحد مجاهديها الأوائل، ٢٠١٣/٤/٢

ب. النشرات التنظيمية

– نشرة الإسلام وفلسطين

العدد ٣٢، (٣١ كانون ثاني ١٩٩٠)

– نشرة السبيل

العدد صفر، (٢٧ كانون ثاني ١٩٨٩)

العدد ١، (٢٤ شباط ١٩٨٩)

العدد ٢، (٢٧ آذار ١٩٨٩)

العدد ٣، (٥ أيار ١٩٨٩)

العدد ٤، (٢ حزيران ١٩٨٩)

العدد ٥، (٣٠ حزيران ١٩٨٩)

العدد ٦، (٢٨ تموز ١٩٨٩)

العدد ٧، (٢٠ آب ١٩٨٩)

العدد ٨، (٣٠ أيلول ١٩٨٩)

العدد ٩، (٣١ تشرين أول ١٩٨٩).

العدد ١٠، (٣٠ تشرين ثاني ١٩٨٩)

العدد ١٢، (٣١ كانون الثاني ١٩٩٠)

العدد ١٣، (آذار ١٩٩٠)

العدد ١٤، (نيسان ١٩٩٠)

العدد ١٥، (حزيران ١٩٩٠)

العدد ١٦، (تموز ١٩٩٠)

العدد ١٧، (آب ١٩٩٠)

عدد خاص، (أيلول ١٩٩٠)

العدد ١٩، (تشرين الثاني ١٩٩٠)

العدد ٢٠، (كانون الثاني ١٩٩١)

العدد ٢١، (شباط ١٩٩١)

ج. المجلات التنظيمية

– مجلة الطليعة الإسلامية

الطاهر، معين، "قراءة في رواية العدو الإسرائيلي لمعركة الشقيف"، العدد ٢١ (أكتوبر ١٩٨٤)

إبراهيم، عز الدين، "التاريخ لماذا؟"، العدد ١١، (نوفمبر ١٩٨٣)

- **وثائق داخلية**

رسالة أرسلت من قيادة سرايا الجهاد الإسلامي في خارج السجن إلى عناصر السرايا المعتقلين في سجن الخليل بتاريخ ١٩٨٩/٩/١٢، ووصلت إلى داخل السجن بتاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٢

- **أوراق في ندوات**

الطاهر، معين، ورقه مقدمة إلى ندوة مؤسسة الدراسات الفلسطينية حول تجربة الكتيبة الطلابية، ندوة مغلقة نظمتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية في ١٩ حزيران ٢٠١٣.

- **مقابلات أجراها الباحث**

مقابلة خاصها أجراها الباحث مع عطاف عليان بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١٣.

مقابلة أجراها الباحث مع مفوضية الإعلام والشؤون الفكرية في تيار المقاومة والتحرير عبر البريد الإلكتروني بتاريخ ٢٦-٢٠١٤/١١/٢٧.

- **نصوص غير منشورة**

أبو طير محمد، **سيدي عمر: ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة وثلاثين عامًا من الاعتقال**، تحرير: بلال محمد.

الطاهر معين، **الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، حاوره: إلياس خوري ميشال نوفل.

عرابي، ساري، **الاستشراق الذاتي وموقع المثقف: دراسة في جدل ماركسي على نقد جلال صادق العظم لفكر المقاومة الفلسطينية**، جامعة بيرزيت، ٢٠١٤

عرابي، ساري، **منير الشفيق: المثقف الملتزم في معية فلسطين**، جامعة بيرزيت، ٢٠١٢

محمد، بلال، خبر الإخوان المسلمين الفلسطينيين: تأسيس شُعب فلسطين وتنظيمها، من خلال صحيفتي الدفاع وفلسطين "تشرين الأول 1945 – أيار 1948م"

- **رسائل أكاديمية غير منشورة**

حجازي، أكرم، **الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة من الداخل**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٩.

أبو طه، أنور، **حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: الأصول– الإيديولوجيا– التحولات**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٨.

- **مواقع الإنترنت**

أ. الحوارات التلفزيونية

– برنامج كل الحكاية، حوار مع منير شفيق، تقديم نافذ أبو حسنة، قناة القدس الفضائية، ومنشور على موقع Youtube

الحلقة ١ منشور في ٢٠١٣/٥/٧ واسترجعها الباحث في ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=fZXtPikq4fI

الحلقة ٢ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٨ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=JoGsP0bzQwk

الحلقة ٣ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٨ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=L4b5dWKg5rY

الحلقة ٤ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٨ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=MjkX_sIAjZQ

الحلقة ٥ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=NA8dHD5-cR4

الحلقة ٦ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩ واسترجعها الباحث بتاريخ ١٠ ٦/ ٢٠١٤
https://www.youtube.com/watch?v=LzDE-N9cEvg

الحلقة ٧ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=u9kyjGSjW9s

الحلقة ٨ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=6qoVzoAAjsM

الحلقة ٩ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=658ZsvBJjwU

الحلقة ١٠ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=n_0JPbNIp04

الحلقة ١١ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/٩ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=RwmfgyL_R3g

الحلقة ١٢ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/١٠ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=mBNw6E03uOE

الحلقة ١٣ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/١٠ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=mNfOfSKc_WY

الحلقة ١٤ منشور بتاريخ ٢٠١٣/٥/١٠ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=GEboSH3FuRI

– برنامج مراجعات، حوار مع منير شفيق، تقديم عزام التميمي، قناة الحوار الفضائية، ومنشور على موقع Youtube

الحلقة ١ منشور بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=yIbnTGrxmQY

الحلقة ٢ منشور بتاريخ ٢٠١٢/٣/٨ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=UdPW9FYkVPQ

الحلقة ٣ منشور بتاريخ ٢٠١٢/٣/٨ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=lil5g_outTg

الحلقة ٤ منشور بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٤ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=AIZLLG-9N_Q

الحلقة ٥ منشور بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٤ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=xDddpf7h9bM

– برنامج مراجعات، حوار مع سعيد مراغة (العقيد أبو موسى)، تقديم عزام التميمي، قناة الحوار الفضائية، ومنشور على موقع Youtube

الحلقة ١٥ منشور بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١٤ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=wdGTuFPJH6g

الحلقة ١٧ منشور بتاريخ منشور بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/١٥ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=ogn0rlyM3SQ

الحلقة ٢٥ منشور بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/٢٠ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=zomeNjLm1PI

– برنامج مراجعات، حوار مع أحمد نوفل، تقديم عزام التميمي، قناة الحوار الفضائية، ومنشور على موقع Youtube

الحلقة ٢ منشور بتاريخ ٢٠١٠/١/١٧ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=ChH11ijAFeA

الحلقة ٣ منشور بتاريخ ٢٠١٠/١/١٨ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=sBOSnrdpJLY

– برنامج مراجعات، حوار مع سليمان الحمد، تقديم عزام التميمي، قناة الحوار الفضائية، ومنشور على موقع Youtube

الحلقة ٣ منشور بتاريخ ٢٠١٠/٣/٦ واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠
https://www.youtube.com/watch?v=Xy71QHtNAr4

ب. نصوص

أبو جودة، عبد الهادي خليل، "مذكرات فدائي (1).. من مقاومة العدو في «شقيف» إلى قتال الإخوة في طرابلس"، وكالة وطن للأنباء على شبكة الإنترنت، نشر بتاريه ٢٠١٤/٣/٢٤. استرجع الباحث بتاريخ ٢٠١٥/٦/١.
http://www.wattan.tv/ar/news/89231.html

أبو جودة، عبد الهادي خليل،"مذكرات فدائي (٢).. من مقاومة العدو في «شقيف» إلى قتال الإخوة في طرابلس"، وكالة وطن للأنباء على شبكة الإنترنت، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٣/٣٠. استرجع الباحث بتاريخ ٢٠١٥/٦/١.
http://www.wattan.tv/ar/news/89684.html

برنامج زيارة خاصة، زيارة لكريس يانو، مقدم الحلقة: سامي كليب، موقع قناة الجزيرة على شبكة الإنترنت. والمادة بنشورة بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٨. استرجعت بتاريخ ٢٠١٤/٣/١. http://goo.gl/6sCN4y

برنامج زيارة خاصة، زيارة لمنير شفيق، مقدم الحلقة: سامي كليب، موقع قناة الجزيرة على شبكة الإنترنت، والمادة منشورة بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٢٥، واسترجعت بتاريخ ٢٠١٤/٤/١٦. http://goo.gl/YSi2Eh

ذو الغنى، أيمن بن أحمد، "من ذكريات الشيخ زهير الشاويش مع العلامة الباني"، موقع الألوكة الإلكتروني، استرجع بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٠. http://www.alukah.net/culture/0/34119

السعدي، عصام "من دفاتري العتيقة: قليل من المكاشفة، وقليل من الفَضْفَضَة (عن الكتيبة الطّلابية، وخطّ الجماهير)"، صفحة عصام السعدي على موقع Facebook. استرجع بتاريخ ٢٠١٤/٦/٧.https://goo.gl/W3a6S9

الشقاقي، فتحي، من أقوال الشقاقي من الرسائل الخاصة للحركة في الداخل وللسجون، موقع مركز الوعي للدراسات والبحوث الإنسانية، استرجع بتاريخ بتاريخ ٢٠١٥/٣/١٠. http://www.alwae.com/922

صالح، محسن، " قراءة في الدور الدعوي والحركي للعلامة الأشقر"، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات على شبكة الإنترنت، استرجع بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٤. http://www.alzaytouna.net/permalink/23121.html

لينين، ما العمل؟، أرشيف الماركسيين على الإنترنت، استرجع بتاريخ ٢٠١٥/٢/١
https://www.marxists.org/arabic/archive/lenin/1901-witbd/index.htm

المركز الفلسطيني للإعلام، تقرير المركز الفلسطيني للإعلام، حول ميسرة أبو حمدية، منشور في ٢٠١٣/٤/٢، واسترجعه الباحث في ٢٠١٣/٤/٢. http://www.palinfo.com/site/pic/newsdetails.aspx?itemid=132576

موقع أسعد بيوض التميمي، رسالة الدكتور فتحي الشقاقي من داخل السجن إلى إمام حركة الجهاد الإسلامي، موقع أسعد بيوض التميمي على شبكة الإنترنت، http://www.assadtamimi.net/letter.htm، استرجع في ٢٠١٤/١/١٠

موقع الصوت الشيوعي، فوائد عكس مفهوم ماركس للبنى الفوقية والبنى التحتية، موقع الصوت الشيوعي، استرجع بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢٣ https://sites.google.com/site/communistvoice/arhm6

موقع جمول، البيان التأسيسي لجبهة المقاومة الوطنية اللبنانية، موقع جمول على شبكة الإنترنت، استرجع بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٦ http://jammoul.net/index.php?option=com_content&view=article&id=284&Itemid=72

موقع جمول، عمليات ١٩٨٢، موقع جمول على شبكة الإنترنت، المادة منشورة بتاريخ ١٩٩٩/١١/٣٠. واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٦ http://jammoul.net/index.php?option=com_content&view=article&id=398&Itemid=72

موقع جمول، "عمليات ١٩٨٣"، موقع جمول على شبكة الإنترنت، المادة منشورة بتاريخ ١٩٩٩/١١/٣٠. واسترجعها الباحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١٦

http://jammoul.net/index.php?option=com_content&view=article&id=406&Itemid=72

موقع قانون بلا حدود، قائمة الجمعيات التي أُعلنت كجمعيات غير مسموحة، استرجع في تاريخ ٢٠١٥/١/١٠. http://nolegalfrontiers.org/military-orders/mil08?lang=ar

المولى، سعود "سعود المولى: شبه سيرة ذاتية"، مدونة سعود المولى على شبكة الإنترنت، استرجع بتاريخ ٢٠١٤/٦/٤ http://saoudelmawla.blogspot.com/2011/07/blog-post_13.html

المولى، سعود، "حتى لا ننسى بطولات الكتيبة الطلابية / كتيبة الجرمق"، موقع دنيا الوطن على شبكة الإنترنت. استرجع بتاريخ ٢٠١٤/٤/١٠. http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2011/11/16/242818.html

وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، موقعها على شبكة الإنترنت، http://www.wafainfo.ps/persons.aspx?id=488

ثانيًا– اللغة الإنجليزية

El-Awaisi, Abd Al-Fattah Muhammad, The Muslim Brothers and the Palestine Question 1928-1947. (London: Tauris Academic Studies. 1998)

Mayer, Thomas , The Military Force of Islam: The Society of the Muslim Brethren and the Palestine Question, 1945-48. In: Elie Kedourie; Sylvia G. Haim (Eds.): Zionism and Arabism in Palestine and Israel. (London: Frank Cass, 1982)

Sing, Manfred, "Brothers in Arms: How Palestinian Maoists Turned Jihadists", *Die Welt Des Islams*, v51, (2001)